



القيديو السهل الاستعمال بلمسة واحدة

تحت إشراف شركة



٢٢٢

وَلِكُلِّ قَارِئٍ لِّلْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَعَارِفِ

عنوان المجلة

ص. ب ٧٤٨ صفاء - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلکس: NHTN-4404IKT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات

الإشتراكات

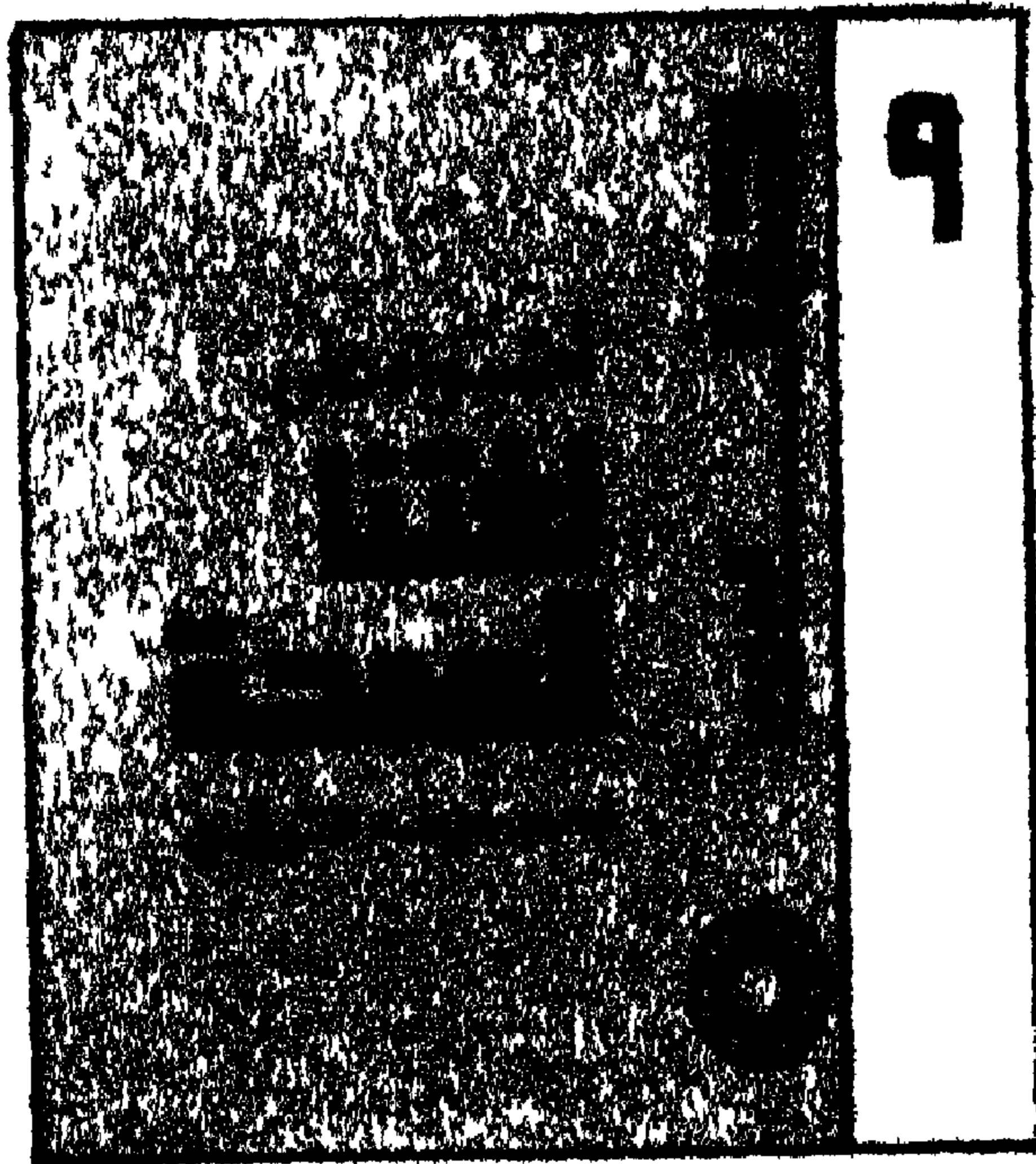
شمن		
النسخة		
الحكوت	٢٥٠ فلساً	تونس
المراف	٢٥٠ فلساً	الجزائر
الأردن	٢٠٠ فلس	السعودية
المصريين	٢٠٠ فلس	اليمن الشمالي
اليمن الجنوبي	٢٥٠ فلساً	قطر
مصر	٢٥٠ ملجاً	لبنان
السودان	٢٠ قرشاً	سوريا
		٤٠٠ ملج
		٤ دينار
		٥ ريالات
		٢ ريالات
		٥ ريالات
		٢ ليرة
		٣ ليرات
		٥ دراهم
		٣ دراهم
		٢٥٠ درهما
		٤ دينار
		١٥ قرش
		١٠٠ دراهم



موسم عدل

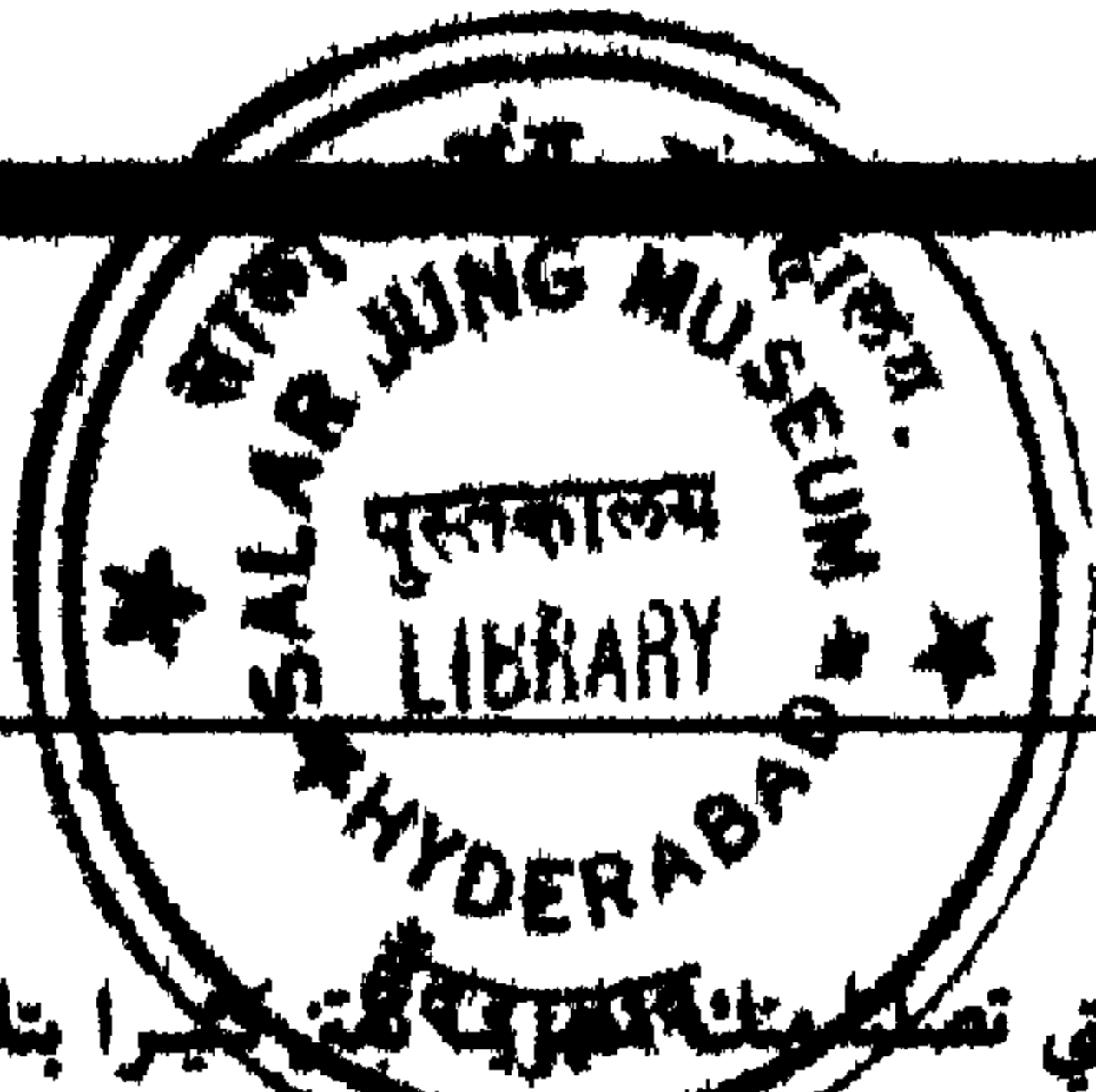
كتاب

العربية



للفتنا العربية أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية السميحة ، وقد حاول علماءها تحديد هذه الأنظمة في قواعد ، غاصبوا في بعضها وقناتهم الصواب في بعضها الآخر ، فضيقوا منها واسعاً ، وخطئوا صحيحاً. لهذا احتاج الأمر الى مراجعة هذه القواعد ونقدها ، مع التحقق في منطقتها وروحها ، والاهتمام بكشف علم اللغة العام .

وهو ما تحاول صفحات هذا الكتاب توضيح جوانب منه .



عزيزي القارئ

من بين عشرات الآلاف من الرسائل التي تصلنا منكم نختار لكم كغيرنا بتلك الرسائل التي توجهنا وتقدم لنا الاقتراحات البناءة لتطوير مجلّتك « العربي » كي نواكب الزمن وتسير مع الأحداث .

ما يكتبه لنا قراؤنا عن الخطوات الإيجابية التي تحققت حتى الآن في إطار التحرير نعتز به . ولكننا في نفس الوقت نعتبره واجبا ، فقد كتبنا عن قضية التاميل في سيرلانكا وهي لازالت قضية حية متحركة . . . وزرنا لأول مرة اليابان فنشرنا أول تحقيق صحفي عربي حي عن مدينة هيروشيما بعد أربعين عاما من القاء القنبلة الذرية المدمرة عليها ، وهذا الاستطلاع ليس هو الأخير عن اليابان ، فما زال في خطة المجلة موضوعات أخرى عن هذا البلد . وفي هذا العدد نזור بومباي وهي تحت العاصفة ، ليست السياسية ولا الاقتصادية ولكنها العاصفة الطبيعية . كل ذلك بجانب المقالات العلمية والثقافية والأدبية .

نقول لك شكرا على تشجيعك ومتابعتك ونقول أيضا ان اهتمامات القراء تفرض علينا المتابعة وما زال في خططنا الكثير من المبادرات كي تبقى « العربي » مجلة عربي ثقافية الاولى .

عندما أردنا أن نختار بعض الموضوعات في هذا العدد لتشير إليها في هذه المجلة اثابتنا الحيرة ، فهناك لمن يهتم بالعلوم أكثر من موضوع . . . ومن يهتم بالثقافة كذلك ، ومن يهتم بالفكر الكثير مما يريد . . .

وإذا كان علينا أن نختار فائنا نلقت النظر الى الاقلام الشابة الجديدة التي بدأت تساهم في « العربي » . فتلک سياسة نحرص عليها وهي أن يكون لاحتالنا الصاعدة التي وصلت مرحلة النضج مكان بجانب كتاب العربي من جيل الآباء . وفي هذا العدد يلتقي الجيلان على صفحات العربي . كما لا يفوتنا أن نلفت نظرك عزيزي القارئ الى أن نتيجة مسابقة النصّة التي وعدنا باعلانها هذا الشهر قد تم تأجيلها الى بداية عام ١٩٨٦ نظرا لكثرة المشتركين فيها . .

والى عدد قادم .

المحررون

محتويات العدد

■ حديث الشهر :

سبيل « الأوبك » هل تنهار أو تقاوم ؟

د . محمد الرميحي ٨

■ صراع التحدي العلمي مع « إسرائيل »

د . عبد المنعم هيد ١٧

■ تاريخ الماء (قصيدة)

د . قاسم حداد ٢٤

■ ملف الجامعة العربية

٢٨

■ العمل العلمي العربي المشترك

د . أسامة أمين الخولي ٣٠

■ مؤسسات التعاون العربي الأفريقي

د . حلمي شعراوي ٣٦

■ دفاع أبي حيان التوحيدي عن احراقه

لكتبه .. د . جعفر هادي حسن .. ٤٢

■ الميكروبات وفساد الغذاء النباتي

د . حسين المروسي ... ٤٦

■ ماذا تعرف من حى البحر المتوسط

د . محمد بركات ٥٤

■ لسان الدين بن الخطيب .. والنقد

الأدبي .. د . احسان عباس ١٠٢

■ شعر الإضحاك عند العرب

د . توفيق الفيل ١٠٥

■ عجائب الكون الثلاث

د . فخري اسماعيل الحسن .. ١١١

■ ولادة (قصة) تأليف أناليس نين

د . ترجمة : محمود منقل الهاشمي .. ١١٤

■ كتابات غير معروفة لسامية عزام

د . وليد أبو بكر ١٢٤

■ اصابات الرأس .. واللمحظات الذهبية

د . سامي محمد علي ١٥٠

■ الفصول (قصيدة)

د . ابراهيم نصر الله ١٧٩



عاصفة الامطار الموسمية « المونسون »
تعمل مع هبوبها الشر والخير فكيف
يجمعان في بومباي ؟ أقرأ ص ٦٨

■ مقالات ومقالات

■ بومباي تحت العاصفة

د . سليمان مظهر ٦٨

■ السد العالي .. يتحرك !

د . نجاح عمر ٩٠

■ قناة البحرين خطر اسرائيلي قادم

د . سليمان الشيخ ١٢٧

■ وجهها لوجه : الطيب الصالح

د . صلاح حزين ١٣٧

■ الحرير .. ملك الأنسجة

د . ريم الكيلاني ١٤٢

■ قصائد

■ عزيزي القاري ..

أرقام .. محمود المراهي ٢٦

■ قاموس العربي : اميرالية ..

٥٢



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

- توقيعك ماذا يقول ؟
- ضياء القاروني ١٥٨
- الانسان حيوان مائي !
- موفق الدليمي ١٦٠
- هل يدوم الحب بين الزوجين
- راجي هنات ١٦٣
- طيب الأسرة ١٦٩
- هو ... هي ١٧٢
- قراءة في البدن
- د. محمد حكمت عبدالدايم ١٧٤
- الخضراوات غذاء ودواء وعلاج
- د. عز الدين فراج ١٧٦
- مساحة ود : بالعوالمهم
- محمود عبد الوهاب ١٧٨

■ لغة الا لام بين الفكر والمجتمع

- د. محمد سيد محمد ٥٨
- تعقيب على مقال « الحساب الفلكي »
- عبدو الأحمر ٦١
- حول موضوع تلوث البيئة والتسمم
- الغذائي د. نبيه الغيرة ٦٣
- البيان في أسباب نزول القرآن
- حسين أحمد أمين ٦٦
- سلامة الشريعة في سلامة البيئة
- اعداد يوسف الزحلاوي ١١٨
- الجديد في الطب والعلم ١٢٠
- مخترعون ومكتشفون - نيوتن .. ١٢٣
- أقوال ١٥٥
- استراحة العربي ١٨٠

● من مكتبة العربي :

- كتاب الشهر : وحوه عدينة لعاشق واحد
- اسمه مجنون ليل ا
- جليل العطية ١٨٢
- من المكتبة العربية : ثلاثية الرفض
- والهزيمة - جمال وردة ١٨٨
- مكتبة العربي - مختارات ١٩٢

● جمال العربية :

- صفحة لغة : النسب الى قبيلة وفُيلة
- محمد خليفة التونسي ١٩٤
- صفحة شعر : هكذا غنى الأباء
- الدنيا دول ١٩٦
- مسابقة العربي ١٩٨
- حل مسابقة العدد (٣٢٠) ٢٠٠
- الشطرنج (معركة بلا سلاح) ٢٠٢
- حوار القسراء ٢٠٤

حديث الشمر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

مستقبل «الأوبك»

- هل تنهار الأوبك ... أوتقاوم ؟
- التدابير المضادة للأوبك تدابير منظمة ومدرسة.
- مسيرة ناجحة لمؤسسة من الجنوب استطاعت المحافظة على مصالحها ضد استغلال الشمال.

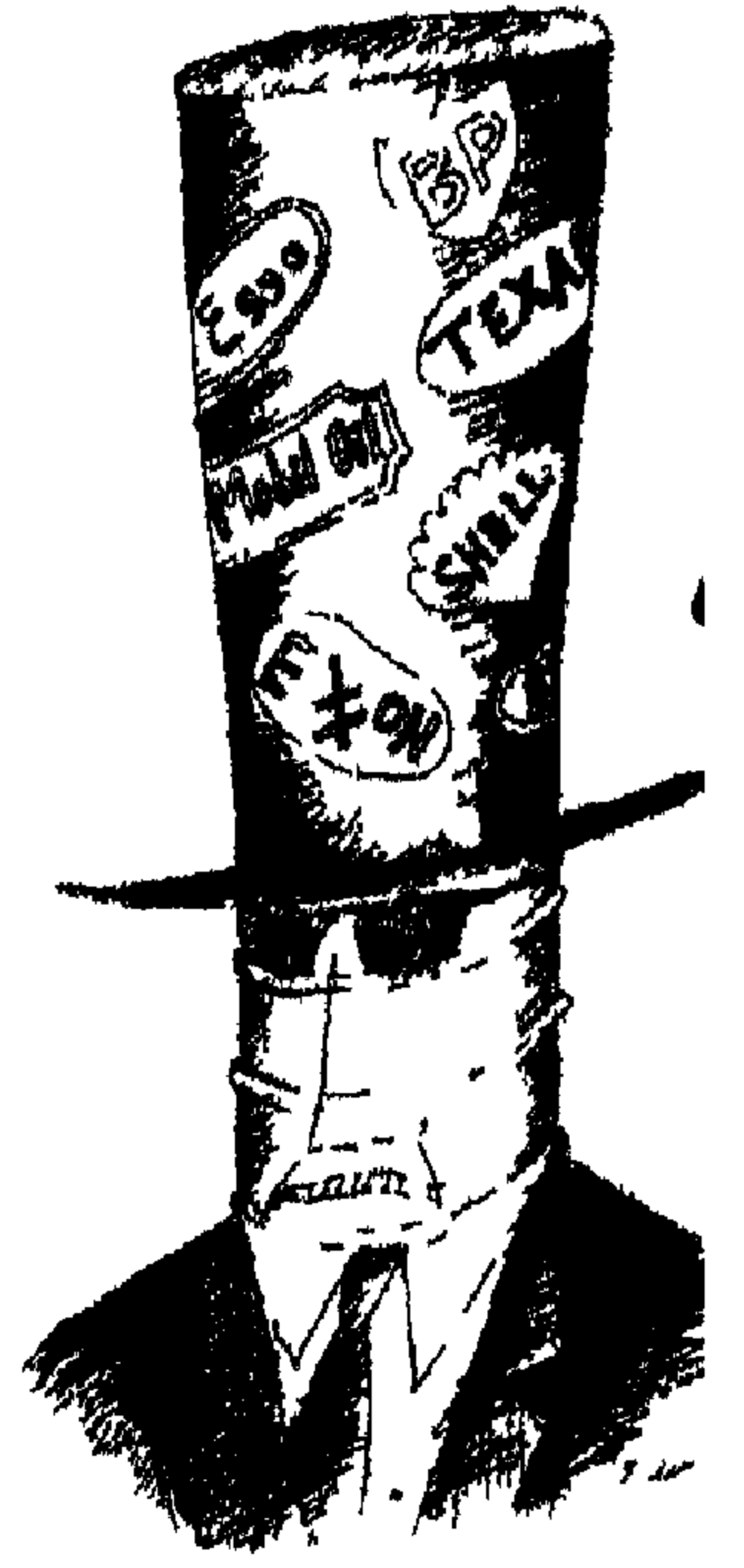
خلال الصيف السابق وهذا الحريف ، واجهت وتواجه منظمة الأقطار المصدرة للنفط « أوبك » أقسى امتحان لتماسكها منذ أن ظهرت الى الوجود قبل خمسة وعشرين عاما .

قبل ربع قرن تقريبا ظهرت هذه المنظمة الجديدة في أحقاب اجتماع سبقته محاولات حثيثة في بغداد عام ١٩٦٠ ، وحضر ذلك الاجتماع خمس دول من العالم الثالث - كلها منتجة للنفط - ثلاث منها أقطار عربية هي الكويت والسعودية والعراق ، وواحدة شرق أوسطية هي إيران ، والأخيرة من دول أمريكا اللاتينية هي فنزويلا .

وكان لهذا الاجتماع ، ومن ثم ظهور المنظمة الى الوجود ، هدف جد متواضع . . هو : الحيلولة دون التدهور في أسعار النفط والذي كان يشكل لكل هذه الدول المداخل الكبرى في إنتاجها القومي .

قبل سنوات قليلة من ذلك التاريخ (سبتمبر ١٩٦٠) كانت شركات





النفط المالية الكبرى - وهي ثمانى شركات معظمها أمريكية - قد بدأت - نتيجة تحكمها في أسعار النفط من خلال نفوذ شبكتها في الانتاج والتقل والتسويق - بدأت تفرض أسعارا للنفط الخام المستخرج من تلك البلدان حسب ما تقضي به مصالحها ، ضاربة عرض الحائط بمصالح البلدان المنتجة ، الى درجة لا تحافظ على ثبات السعر وعدم زيادته ، وبالتالي ثبات مداخيل تلك الدول المستقل معظمها حديثا ، بل تؤدي الى التراجع في الاسعار على تواضعها . مما أفقد بعض المنتجين صبرهم فتداهوا الى تشكيل تلك المنظمة ، على أمل تحقيق مصالح أفضل

وقد كانت الشركات تقف بالرصاد للدولة أو الدول المنتجة التي تعارض الكل أو الجزء من سياسات تلك الشركات في الانتاج أو التسعير ، وكانت تعاقبها عن طريق التقليل الحاد من الانتاج النفطي من أراضيها ، وبالتالي تفرضها الى متاعب اقتصادية وسياسية . وكانت تلك التدابير واسعة التطبيق ، كما أن حكومات البلدان المنتجة للنفط وحت ذاك الموقف بوضوح ، ولعل أكثر التدابير التي اتخذت من قبل شركات النفط ضد الحكومات وضوحا وقسوة - من بين تجارب عديدة - تجربة تأميم النفط الايراني بين ١٩٥١ - ١٩٥٣ ، والتي انتهت بعد صراع مرير بفشل ذريع للتأميم ، لم تنفرد في إفشاله شركات النفط الكبرى واحتكاراتها ، ولكن شاركتها حكوماتها أيضا .

□ من هنا جاءت ولادة منظمة الاقطار المصدرة للنفط « الوبك » في تلك الفترة مخاضاً متعسراً ، وقد اختلفت وجهات النظر حول فاعليتها . وشك كثيرون - في ظل أوضاع دولية متوترة - في فعالية مثل هذه المنظمة ، ونظر اليها البعض كاتحاد شكلي يضم بعض بلدان العالم الثالث ، والذي يشكل حلقة مorte في التقسيم الرأسمالي الدولي للعمل ، وبالتالي فإن هذه المنظمة لا يحتمل أن تلعب دوراً فعالاً في مواجهة الاحتكارات المنظمة العريقة الخبيرة المتمثلة في الشركات النفطية ، وفي ظلال هذه النظرة كان الاعتقاد أن المنظمة الوليدة سوف تبقى منظمة شكلية تتضاءل في فاعليتها أمام الشركات النفطية ولن تكون بحال ندا لها !

أما وجهة النظر الأخرى المضادة - وكانت وقتها محدودة - فقد رأت أن هذه المنظمة ، رغم تشكلها من بلدان حديثة الاستقلال ، إلا أنها بلدان طموحة لتحقيق السيطرة على ثروتها الطبيعية ، وتسخير هذه الثروة لبناء قاعدة اقتصادية حديثة ومنهجية في الاقتصاد الوطني استكمالاً للاستقلال السياسي ، فهي ترى أن النفط هو المصدر الأول - وربما الوحيد - لتطوير اقتصادها المتخلف ، وأن أية مواجهة مع الشركات النفطية لكونها « احتكرا » عالمياً لا تتوافر له فرص النجاح إلا إذا تحقق حد أدنى من التنسيق بين المنتجين ، لذا فإن انشاء مثل تلك المنظمة « الوبك » في إطار تنامي حركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، هو الاطر الوحيد الممكن في حالة المواجهة ، وإن احتمالات نجاحها كالفية وقابلة للتحقيق .

مولد المنظمة

ومواجهة التشكيك

وما لبثت المنظمة الجديدة أن استقطبت أقطاراً أخرى متبعة للنفط ، وهي على التوالي حسب تاريخ الانضمام الى المنظمة : قطر ١٩٦١ ، ليبيا وأندونيسيا ١٩٦٢ ، أبو ظبي (الامارات العربية المتحدة) ١٩٦٧ ، الجزائر ١٩٦٩ ، نيجيريا ١٩٧١ ، الأكوادور ١٩٧٣ ثم الجابون ١٩٧٤ .

ولكن المنظمة احتاجت لأكثر من عشر سنوات كي تظهر فعاليتها في الدفاع عن مصالح أعضائها ، بعد أن ازدادت الدول المكونة لها خبرة ونضوجاً في العمل السياسي الدولي .

ولعل المتبع لتطور مسيرة الصراع النفطي يلحظ فترتين زمنييتين هامتين هما : فترة الستينيات ثم بعدها فترة السبعينيات .

□ لا يستطيع أي مراقب منصف أن ينظر الى صراع البلدان المنتجة للنفط مع الشركات الاحتكارية خلال الستينيات من هذا القرن ، ويتجاهل في نفس الوقت دور الاوبك في خلفيات هذا الصراع . صحيح أن دورها ظهر أكثر وضوحاً وفعالية إبان السبعينيات ، إلا أن العلاقة التي نشأت بين البلدان المصدرة للنفط من خلال الاوبك ساعدت جزئياً على شد أزر البلدان التي انفردت بالمواجهة مع الاحتكارات النفطية ، وقصص المواجهة ساخنة وظاهرة للعيان ، أو باردة خلف (الكواليس) بين الحكومات المضيفة وشركات النفط ، وهي كثيرة بعضها حقق النجاح وبعضها أصابه الفشل المؤقت .

هذه القصص كتبت مراراً في الأدبيات الاقتصادية والنفطية ، وهي اليوم جزء من تاريخ كفاح هذه الشعوب وتلك البلدان ، إلا أنها بكل المقاييس لم تكن مواجهات سهلة ، فلقد اختلطت فيها السياسة بالاقتصاد بالانقلابات والانقلابات المضادة ، وبمحاولات التقسيم والتشرفم ، حتى في داخل حدود البلد الواحد (مثل محاولة فصل بياقرا الاقليم النفطي الغني في نيجيريا في أوائل السبعينيات) . *

محصلة تلك الصراعات كانت في النهاية إيجابية لصالح شعوب الاقطار المنتجة للنفط ، وانتصرت وجهة نظر تلك الاقطار التي استنزفت ثرواتها لمدة طويلة - دون مقابل حقيقي يعوض هذا الاستنزاف - انتصرت وجهة نظر تلك البلدان القائلة ، بأنه من الصعب بل من المستحيل أن يتم تخطيط للتنمية الكلية للاقتصاد الوطني في أي بلد منتج للنفط طالما ظل قطاع النفط المهيمن فعلياً على الاقتصاد ، جزيرة معزولة .

وانقضت معظم فترة الستينيات في الهجوم والهجوم المضاد - انصح هذا التعبير - بين الشركات النفطية الكبرى العاملة في الاقطار المنتجة للنفط ومن ورائها حكوماتها وبين حكومات البلدان المنتجة وشعوبها .

ولقد كانت الاقطار العربية في معظم تلك الفترة هي مركز الثقل النسبي في ذلك الصراع ، حيث ان سبعة أعضاء من الأعضاء الثلاثة عشر في الاوبك

الصراع مع الشركات
في الستينيات

● مستغل « الأوبك » هل تنهار أو تقاوم ؟

هم أقطار عربية . ثم أصبح العرب المتجعين النفطيين الوحيدين الذين تركز عليهم اللوم والهجمات المضادة بعد ذلك في الصحافة والاعلام السياسية والاقتصادية الغربية ، مما يفسر زخم النزعات المضادة من العوامل الثقافية والتاريخية والسياسية والاقتصادية التي اندجعت وتفاعلت كي يستقر في النهاية في عقل المواطن في الغرب أن « أوبك » تعني العرب ، وتعني أيضا من وجهة نظرهم السياسات غير العقلانية في رفع الاسعار !

ولكن عندما نعاود الكرة لننظر مرة أخرى الى مسلسل الكفاح الذي خاضته الاقطار العربية لتصحيح العلاقات مع الشركات ، نتيين بوضوح الجهد المبذول والمحاولات الكثيرة التي بذلت لتصحيح هذه العلاقات القانونية والاقتصادية بطريقة معقولة وتدرجية ، والتي تعرضت للرفض في معظم الاوقات من تلك الشركات .

لقد حصلت معظم تلك الشركات على امتيازات حصرية للتنقيب عن النفط وتسويقه وتسعيه تحت ظروف كانت معظم تلك البلدان الاعضاء في المنظمة خاضعة فيها لسيطرة أجنبية مباشرة أو غير مباشرة ، كما أن تلك البلدان من جهة أخرى ، افتقدت لفترة طويلة التأهيل التقني والفني لخوض غمار صناعة معقدة مثل صناعة النفط ، الا أن الجهود التي بذلت لاحقا لتصحيح تلك العلاقة لم تفلح في اقناع الشركات العالمية بإجراء التعديلات والمراجعات .

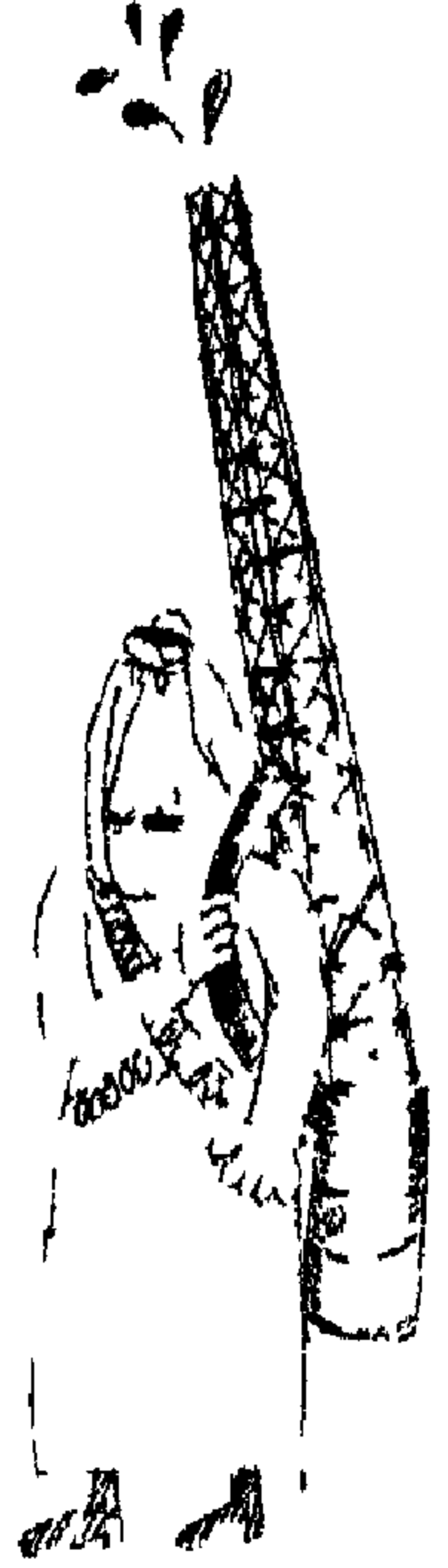
في حقيقة الأمر كانت مطالب أوبك محدودة ومتواضعة ، فقد طلبت في بداية الستينيات من شركات النفط العالمية أن تربط أسعار النفط بمؤشر أسعار السلع المصنعة ، بعد أن لاحظت السعر المصطنع الذي تبيع به الشركات النفط الخام . ولم يلتفت الى هذا المطلب العادل ضمن مطالبات عادلة أخرى .

وعندما قارب الحوار على الانقطاع بين الشركات النفطية وبعض الحكومات المضيفة - وفي ظروف دولية مواتية - قامت بعض الاقطار العربية باتخاذ اجراءات قانونية من طرف واحد لحماية مصالحها .

وهناك أمثلة بارزة يمكن أن نذكر القراء بمثلين بارزين منها ، هما تجربتنا العراق والجزائر .

فالحكومة العراقية في اوائل الستينيات ، ومن خلال القانون الشهير رقم ٨٠ سنة ١٩٦١ سحبت بموجبه ٩٩,٥٪ من مساحة الامتياز الممنوح لشركة نفط العراق - بعد أن فشلت كل المفاوضات السابقة في تحقيق اتفاق عادل - وأبقت الحكومة العراقية بموجب ذاك القانون للشركة فقط المساحة قيد الاستغلال ، وقد كان هذا الاجراء بداية سلسلة طويلة من الاجراءات اللاحقة ، انتهت بالتأميم الجزئي في بداية السبعينيات .

أما في الجزائر فقد أصبحت السيطرة على النفط والغاز الجزائري أهم هوم الجزائر المستقلة ، وما أن انقضت سنوات قليلة على استقلال الجزائر ، حتى كانت من اوائل الاقطار العربية التي خلقت هيمنتها على جزء كبير من الشركات العالمية في أراضيها .



وهير هذين المثليين فالتناستطيع ذكر أمثلة عديدة مشابهة في الكويت وليبيا وأقطار عربية أخرى ، وكانت الاقطار العربية المصدرة للنفط في كل هذه الاجراءات تناضل من أجل استعادة حقوقها ، وما أن شارفت الستينيات على الانتهاء حتى أصبح كثير من الاقطار العربية على وشك اتخاذ تشريعات - من جانب واحد ان استدعى الأمر - لارغام الشركات على التنازل بعد أن أصبحت طرق التعاون شبه مسدودة خلال فترة طويلة من الزمن .

وقد كانت الاوبك في هذا العقد - رغم ضعفها - الأداة التي تتوحد فيها مصالح الاقطار المنتجة .

□ ليس هناك عامل وحيد يمكن الاشارة اليه على أنه السبب المباشر في تصحيح أوضاع علاقة الحكومات العربية المنتجة للنفط بالشركات العالمية ، بحيث تعود بعد ذلك الى التصحيح الشامل في هيكل الاسعار ، وكذلك ملكية الشركات من بعد .

ولقد تضاعفت أسباب عديدة أثرت مجتمعة في تغيير هيكل القوة بين الفريقين ، فلقد تراكمت الخطوات المحدودة والمتناثرة التي اتخذتها البلدان المصدرة للنفط على امتداد فترة العقد السادس كي تشكل في نهاية الأمر فارقا نوعيا جديدا .

ويمكن الاشارة الى بعض العناصر : فعلى الصعيد السياسي نجد أن بلدان العالم الثالث كافة قد وجدت لها مكانها تحت شمس السياسة الدولية في اطار التوازن بين القوتين العظميين ، مع تزايد حركات الاستقلال وخروج الدول تباعا من السيطرة الاستعمارية الى رحابة الاستقلال .

وتزامن ذلك مع عناصر عديدة على المستوى الاقتصادي ، حيث تشابكت أيضا مجموعة من العوامل كالتآكل التدريجي في السيطرة المصرية للشركات السبع أو الثماني الكبرى الدولية (الاحتكارية) ، بعد ظهور شركات نفط مستقلة قدمت شروطا أفضل للتنقيب عن النفط ، وأيضا مع ظهور شركات وطنية - لدى البلدان المنتجة - فوضتها حكوماتها للعمل في هذا الميدان .

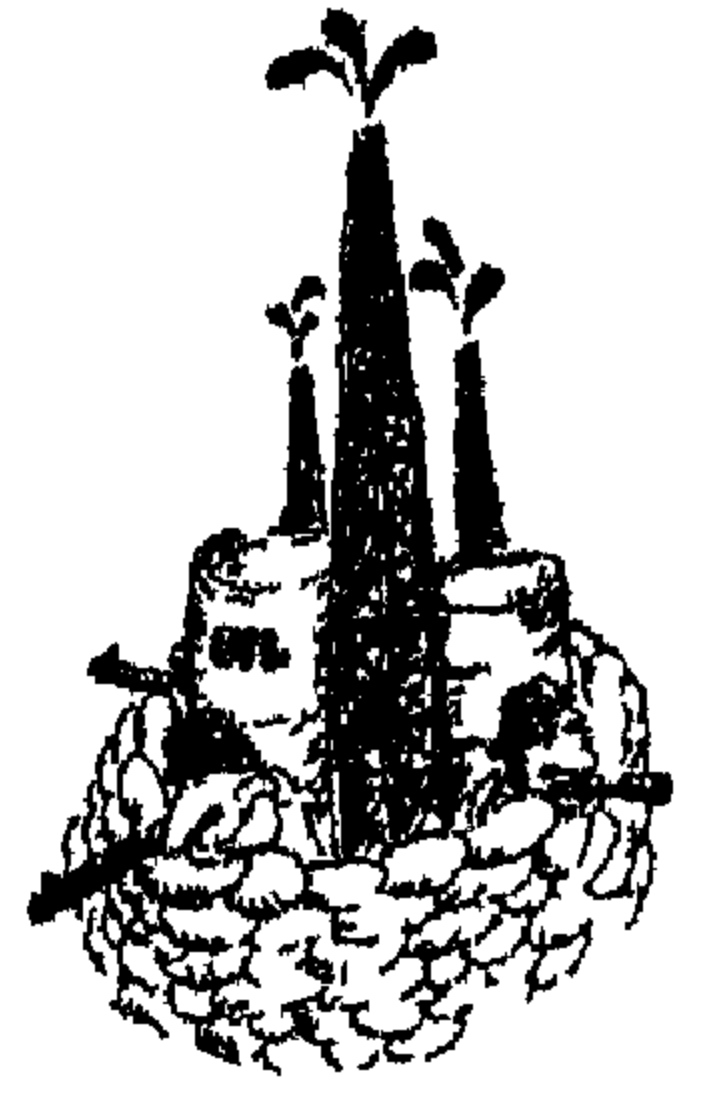
كما تزامن ذلك أيضا مع فترة طلب شديد على النفط في سوق اتسمت بالندرة النسبية ، زادها حدة ما سببه الموقف العربي في حظر النفط عن بعض البلدان الغربية ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كل تلك الأسباب مجتمعة جعلت خطوات تصحيح الاسعار أمرا حتميا ، ولعلنا نشير الى الدورة الثانية والعشرين لمنظمة « الاوبك » في طهران في فبراير سنة ١٩٧١ - تلك الدورة التي يشير اليها المتابعون على أنها نقلة مهمة في علاقة شركات النفط بالدول المنتجة - فقد تم لأول مرة نقل المبادرة في تحديد الاسعار النفطية من يد الشركات النفطية الى يد البلدان المصدرة ، حيث فرضت ست دول - معظمها عربية هي السعودية والكويت والعراق وقطر والامارات العربية المتحدة وايران - فرضت زيادة في الضرائب على أرباح الشركات حتى بلغت ٥٥٪ ورفعت سعر نفطها بمقدار ٣٥ ستملا للبرميل الواحد . ولم تمر تلك

تصحيح الأوضاع
في الستينيات



● مستقبل « الأوبك » هل تنهار أو تتقدم ؟



الاجراءات دون مقاومة هنيئة من جانب الشركات ، الا أن وقوف أعضاء أوبك جميعا مع تلك الاجراءات أنجح القرار وحسم القضية لصالح الدول الست ، وكانت بداية تاريخية لفرض قبضة « الأوبك » على زمام المباحرة .

وما يهنا هو التأكيد هنا على أن تصحيح الاسعار اللاحق والذي حدث في ديسمبر ١٩٧٣ - والذي نسميه الأدبيات الغربية (بصدمة النفط الاولى) - هو في حقيقة الامر لم يتفجر بشكل درامي مثير بل كان ضمن سلسلة من الخطوات العملية التي قادت الى هذا التصحيح الأول في الاسعار ، بجانب ذلك هناك حقيقة أخرى تأكدت عمليا مفادها أنه لا يمكن لأي بلد منتج للنفط وحده أو حتى لمجموعة صغيرة من المنتجين ، أن يواجهوا الشركات النفطية أو يخوضوا معركة انجاح قضية التسعير وتصحيح السياسات النفطية دون اتفاق كامل بينهم .

لقد ثبت أن قصور العلاج الذي طرح في بداية الستينيات من قبل مجموعة قليلة من البلدان المنتجة للنفط - والذي يتمثل في أن التجمع ضروري من أجل بناء قوة تفاوضية معقولة توازن قوة شركات النفط المترابطة والمتماسكة - هذا العلاج ثبت أنه الأنجح المحقق للغاية .

ومن تلك الحقيقة نستطيع أن نفسر الهجوم المتتابع والمضاد الذي قادته المصالح الغربية ضد الأوبك خلال العقد الماضي كله وحتى يومنا هذا تقريبا ، وأصبح الهدف الاساسي الذي تسعى اليه تلك المصالح هو فرط عقد الأوبك .

تقول : « الايكونوميست » Economist

« ان الحمقى وضعفاء النفوس وحدهم سيقلقون لمشاكل الأوبك » ١١ .

□ كثيرا ما نسمع أن الأوبك هي مجرد احتكار للمنتجين ، ولكن عند المقارنة بين ما تمارسه الأوبك وبين ما كانت تمارسه شركات النفط العالمية (الاحتكارية) تظهر لنا علامتان قارقتان : من حيث الاهداف والسياسات ، ومن حيث تحديد الاسعار : العلامة الفارقة الاولى من حيث الاهداف والسياسات : نجد أن شركات النفط شكلت روابط وثيقة التماسك فيما بينها من جهة ، وبينها وبين حكوماتها من جهة أخرى ، وكان من الصعب اختراقها لفترة طويلة ، ولقد تعقبت فوهات المدافع وقطع الاساطيل مصالح هذه الشركات الى أماكن كثيرة من العالم ، ومن كان يجرؤ على المساس بمصالح هذه الشركات كان يلقى العقاب الصارم في التو والساحة ، كما كانت هذه الشركات تطبق سياسات الانتاج والتسعير والتسويق بتجانس وتضامن ، وقد فرضت أسعارا متدنية للنفط الخام لفترة طويلة ، وأما أهداف الأوبك وسياساتها فلم تخرج عن تنسيق مواقف دولها تجاه أسعار النفط وطريقة حساب تكاليف الانتاج في بداية الأمر ، ثم انتقلت بعد ذلك الى فكرة اطار المشاركة في الملكية . وهي في ذلك بلجات الى الممكن والمستطاع لأنها لا تملك أساطيل أو طرق حديد غير استخدام الطرق المشروعة والسلمية .

أما العلامة الثانية فهي أن تحديد الاسعار من قبل شركات النفط العالمية لم يكن في يوم من الايام خاضعا لطرفي معادلة (العرض والطلب) بل كانت هذه

« الأوبك » هل

هي احتكار ؟



الاسعار لتحديد في اطار (احتكار) لمصالح الشركات المنتجة ومصالح بلدانها . ويذهب اليوم بعض المحللين المتصفين الى القول بأن أسعار النفط ازدادت تعرضا لعمل قوى السوق (العرض والطلب) منذ سنة ١٩٧٣ وما بعدها ، مما كانت عليه تحت نظام احتكار الشركات ذات الامتيازات السابقة .

وهناك أمثلة عديدة تضرب للتدليل على بعد الاوبك عن الاحتكار ، منها اختلاف أعضاء الاوبك في مؤتمر الدوحة عام ١٩٧٦ عندما كانت هناك وجهتا نظر للتسعير : واحدة تدعو الى رفع السعر بمقدار ١٥٪ والاخرى تدعو الى تجميد الاسعار ، وانتهى المؤتمر بالقرار سعرين لنفط الاوبك لفترة محدودة .

بل ويعتقد بعض المحللين أن مصدري النفط العربي كانوا أكثر من حذرين مع الاعتبارات الدولية والبعد عن صفة الاحتكار عندما اختار بعضهم زيادة انتاجه من النفط في وقت يفيض فيه دخله على حاجته المالية ، اسهاما في خلق فرص أفضل لاستقرار الاقتصاد العالمي ، وكان ذلك في معظم فترة السبعينيات عندما كان سوق النفط « رائجا للبائعين » .

ومن هذه الامثلة وغيرها نجد أن الحديث عن « احتكار » يلصق بالاوبك لا يعدو أن يكون محض افتراء .

الغريب أن أصواتا جديدة تعود اليوم في حلقات ما يسمى بخبراء النفط العالميين للقول باطلاق « قوى السوق » لتحديد أسعار النفط ، وأن على الاقطار المنتجة أن تبيع النفط بعد أن تأخذ نسبة معقولة فوق تكاليف الانتاج ! هذا القول على سذاجته يكتب ويقال في الندوات العالمية في وقت يتدن فيه الطلب على نفط الاوبك بالذات .

ويعتمد هؤلاء في حقيقة الامر على المغالطة المنطقية بأن سعر النفط مثله مثل سعر أي سلعة أخرى يتحدد في المدى الطويل والقصير بتفاعل « العرض والطلب » ، ولكنهم يتناسون أن هناك عوامل وتأثيرات كثيرة تختفي وراء فكرة « العرض والطلب » الأكاديميين .

من هذه العوامل أن النفط ليس سلعة موحدة المواصفات . فهناك أكثر من مائة نوع من الخامات النفطية على أقل تقدير تصدرها البلدان المنتجة للنفط ، كما أن تحديد سعر عادل للنفط لا بد أن يأخذ في الحسبان بجانب نوعية النفط وتكاليف انتاجه عوامل أخرى ، منها قرب المصدر المنتج من السوق أو بعده ، وتكلفة انتاج الطاقة البديلة ، والتعويض عن التضخم المالي ، وتأمين احتياجات التنمية التي تحتاجها الدولة المصدرة . . . الى غير ذلك من العوامل المعقدة

□ نستطيع أن نعدد الكثير من الأقوال والاحاديث التي فجرتها الآلة الاعلامية الغربية ضد متجبي النفط وخصوصا العرب في السنوات العشر أو الخمس عشرة الاخيرة ، ولكن الاهم من ذلك هو رصد الخطوات العملية التي اتخذتها ومازالت تتخذها تلك المصالح الغربية ضد الاوبك .

لقد ذكر « جيمي كارتر » رئيس الولايات المتحدة السابق . . . وعلى شاشات التلفزيون الامريكاني في منتصف عام ١٩٧٧ ، وهو يقدم برنامجه لتقليص

الاحتكار

على الاوبك



استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة ، هذه الكلمات :
(عهدها كارثة قومية في المستقبل القريب ، ان أزمة الطاقة لم تقهرنا بعد ولكنها ستقهرنا حتما ، اذا لم نتخذ التدابير على الفور) .
وكان قبل ذلك بسنوات قليلة جدا قد أعلن في الغرب عن انشاء الوكالة الدولية للطاقة ، والتي كان من بعض مهامها تنسيق الاستهلاك للطاقة النقطية وتحديد سقفها في الدول الصناعية ، والهدف هو الحد من الاعتماد على نفط « الأوبك » .

والخطوات المضادة التي حدد لها عشر سنوات من الزمن يأتي بعضها أو كلها قبل ذلك الموعد نتيجة لهجوم علمي منظم ، كان من ضمن الخطوات المضادة استخدام الطاقة البديلة للنفط ، أو ما سمي لاحقا ببرامج الاحلال (الفحم والطاقة النووية بدلا من النفط) ، وانهاال التحريض على انتاج النفط خارج الأوبك حتى لو كان بتكلفة نسبية عالية مثل نفط بحر الشمال .
وبدأت أنشطة التراكم الاقتصادي تحول وتوجه نحو قطاعات يقل فيها استخدام الطاقة بشكل ملحوظ مثل الخدمات وصناعة التقنيات المتقدمة وتقليص نصيب الصناعة الثقيلة في الناتج القومي الاجالي في الدول المتقدمة ، وبدأ المشترون للنفط يفضلون المنتج منه خارج الأوبك ، فبجانب افتقاد ميزة السعر النسبي تكمن عوامل ذات طبيعة سياسية .

وبعد عشر سنوات من تصحيح الاسعار نجد أن البرنامج المضاد قد أثر تأثيرا كبيرا في موقف الأوبك . فقد كان نصيب الأوبك في سنة ١٩٧٤ من عرض النفط العالمي قد بلغ ٦٦٪ انخفض في عام ١٩٨٤ الى ٤٤٪ فقط ، وكانت الضحية الاساسية هي النفط العربي ، فبينما تنتج الدول خارج الأوبك كمية تعادل طاقتها الكاملة ، وأعضاء الأوبك من غير العرب ينتجون نحو (ثلثي) طاقتهم ينتج العرب نحو (ثلث) طاقتهم فقط .

ولقد اضطرت منظمة الأوبك لأول مرة في سنة ١٩٨٣ لخفض الاسعار الى جانب تخفيض مبرمج في الانتاج . فبين ١٩٧٩ الى ١٩٨٥ انخفض انتاج الأوبك من النفط بحوالي النصف . (كان ٣١ مليون برميل يوميا تقريبا فأصبح حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) .

بالإضافة الى ذلك فقد اضطرت الأوبك الى اتباع برجة الانتاج عن طريق وضع حد أعلى للانتاج الاجالي ثم توزيعه في صورة حصص على الدول الاعضاء ، وهنا أيضا هانت الدول العربية المنتجة للنفط بشكل أكبر وتدهورت عائداتها المالية الى حوالي النصف ، من ٢٠٤ بليون دولار في سنة ١٩٨١ الى ١٠٢ بليون دولار في سنة ١٩٨٤ .

وبعني ذلك - اذا ترجم من أرقام الى واقع - أن الاقطار العربية المنتجة للنفط ستواجه سنوات صعبة ، تؤثر على خططها التنموية قريبا ومساهماتها القومية والدولية ، وهون الصعوبات المالية في ضوء تهديد أكثر خطورة هو خلاف أعضاء الأوبك على توزيع حصص الانتاج والذي يمكن أن يؤدي - لو

تأزم - الى أن تشهد الاوبك آخر أيامها مما يجعل سوق النفط فوضى تعود بالدمار على معظم المنتجين . .

ويرى الخبراء التفتييون أن الاوبك من واجبها الصمود والمقاومة لفترة السنوات الخمس القادمة على الأقل حيث يتوقع بعدها ارتفاع الطلب العالمي على النفط . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو : من الذين يجب عليهم أن يضحوا أكثر في هذه السنوات القادمة . . هل هم العرب أيضا !

□ يقودنا بمثل التحليل السابق الى مجموعة من الحقائق أهمها : أن السياسات المضادة للأوبك قد نجحت في وضعها في موقف الدفاع ، وهنا يبرز عنصر التعاون والتنظيم الحديث الذي وصل الى كل فرد من أفراد الشعوب المستخدمة للنفط في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ، كما أن الحقيقة الأخرى تقودنا الى مراقبة نجاح التعاون بين حكومات الاوبك ، وهو تعاون يحتاج الى توضيحات من الجميع ، وليس من الاقطار العربية فقط .

ان الهدف السياسي لتعطيل الاوبك واضح للعيان ، فقد كان ظهورها وقدرتها اللاحقة على انتزاع حقوق أعضائها يمثل حدثا تاريخيا وعلامة بارزة في خبرة مصدري النفط من العالم الثالث وتجربتهم ، وقد مثلت حتى الآن موقعا فريدا بين كثافة روابط العالم الثالث العاملة بإنتاج المواد الخام وبيعها ، لذلك فإن خريف هذا العام سيشهد اما انتصار الاوبك ، وبالتالي قدرة ورغبة بعض أقطار العالم الثالث على التعاون ، وإما - لا سمح الله - انهيارها

ولعل الحلول المطروحة للخروج من الأزمة تبشر ببعض الأمل ، فالفكرة القائلة بإنشاء هيئة مراقبة لالزام الأعضاء جميعا بالحصص المقررة والسعر المفق عليه ، تبدو مستعصية على التطبيق لأول وهلة ، إلا أن كثيرا من الأفكار التي تبدو مثالية في بداية الأمر يمكن تطبيقها ، كما أن هناك خطوات أخرى تقوم بها الاوبك لتوحيد جهودها منها استقطاب بعض منتجي النفط خارج الاوبك لأن تدهور الاسعار سوف يعرض مداخلهم هم أيضا الى التدهور .

هذه الخطوات على أهميتها ستبقى نتائجها محدودة ، ولن تستطيع الاوبك وحدها ومن طرف واحد ، الوصول الى علاقة عقلانية بين المنتجين والمستهلكين ، وإذا أردنا أن نحقق حالة من الاتحاد المتبادل والصحي فإن ذلك يتطلب المشاركة والاهتمام من أطراف ثلاثة :

أعضاء الاوبك ، والمنتجين خارج الاوبك ، والمستوردين للنفط ، على حد سواء .

والمستقبل القريب سيتمخض عن كثير من الاجابات بخصوص الأسئلة السابقة . . .

محمد زويحي


التحدي العلماء الاسرائيليين للغارة العربية

بقلم : د . عبد المتعم عبيد

يدرك المهتمون بمستقبل الوطن العربي أنه بما يمتلك من موقع مهم وثروات
كامنة و تراث تليد ، سيدفع الى الوجود كتلة سياسية حضارية متبعة غنية ، تساهم
في ببناء الحضارة الانسانية ، ولايسهل العدوان عليها ولايجوز تجاهلها ، فما هي
آفاق استثمار هذه الثروات وما هي التحديات التي تواجهها في هذا السبيل ؟

أساليبنا وأساليبهم

ان الاسباب ليست كائنة فينا ، وفي قياداتنا
فحسب بل تكمن أحيانا في عزوفنا عن استعمال
العقل ومايتوصل اليه من نداعيات منطقية ، وبث
العلة بينها وبين الحياة العملية ، كما تكمن أحيانا
أخرى في طرائقنا وأساليبنا في التفكير وفيما كمثل هذه
الأساليب من مسلمات فكرية فرضت قيودا صارمة
على حركة الفكر ذاته ، وبالتالي على قدرتنا على
التصور البعيد والأعداد المسبق لحركة المستقبل

تشكل الارض العربية المترامية الأطراف  مايشبه قارة قائمة بذاتها ، وتحتضن في جوفها
أخصب الاراضي الزراعية، وأثمن الثروات وأكثر
مصادر الطاقة تنوعا ، الى جانب تراث حضاري
منمى وعريق . ومع ذلك فالامكانات مبدعة والجهود
مشتتة، ويكاد لبيب النزاع أن يضطرم بين أفراد القبيلة
الواحدة ، التي تضرب بخيامها فوق أرجاء هذه
القلوة الواحدة ، مما يهدد إمكانية أخذ العرب لموقعهم
الحضاري المتميز في عالمنا المعاصر ، فما هي الاسباب
لهذه الفرقة وهذا النزاع ؟

والبحث العلمي وإنشاء معهد يبتنى منه الحفاظ الروحي والمادي .

وتبنت المنظمة الصهيونية فكرة وايزمان التي تهدف إلى إنشاء معهد عال هدفه الأول إجراء البحوث العلمية ، ضمن إطار مدرسة لتخريج الطلاب بدلا من إنشاء جامعة هدفها الأساسي هو التعليم وأخذ إنشاء الجامعات ومعاهد البحوث وتطويرها بحظي بالأفضلية الكبرى لأهميتها في الاستيطان وفي الربط بين يهود العالم ويهود فلسطين .

وقد راحت الحركة الصهيونية منذ البداية تعمل على تطوير العلوم البحتة والتطبيقية معا ، عن وعي تام للدور الرئيسي الذي يمثله هذان اللونان من العلم في السلم والحرب ، وفي ٢٤ يوليو ١٩١٨ أرسى الصهاينة ١٢ حجرا أساسيا للجامعة العبرية بالقدس (تيمنا بأسباط اسرائيل الاثني عشر) .

وتزعم الباحث الكيميائي حاييم وايزمان الحركة الصهيونية طوال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، حتى إذا أصبح أول رئيس لدولة « اسرائيل » ، انطلق في تطبيق العلوم على جميع المستويات ووضع الاعتبارات العلمية موضع التنفيذ ، مما أدى إلى نمو سريع للمستويات الزراعية وإنشاء الصناعات الأساسية وتنمية القدرة العسكرية الصهيونية ، وجعل الجيش قادرا على الافادة من المعدات العسكرية وعلى تطويرها كما سنرى فيما بعد استعملت « اسرائيل » عقلها المفكر أولا في خلق القيادة الفكرية اللازمة لتطويرها العلمي المستقبلي حيث انشأت في رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٤٩ مجلس الابحاث العلمية والذي اشرف بدوره على إنشاء معظم المختبرات الصناعية . ثم أقدم بن جوريون عام ١٩٥٩ على إنشاء « المجلس القومي للبحوث والاعمال » . وتم خلق علاقة وطيدة بين المؤسسة الأكاديمية والمؤسسة العسكرية ، كما تم توسيع المعامل العسكرية الصناعية والأكاديمية ، وبعد أن رتب « اسرائيل » عقلها وفكرها في مجال القيادة العلمية استعانت منذ فترة مبكرة بالعقول

واختار الأولويات ورسم الخطط المحددة والواقعية والاضطلاع بتنفيذها على مراحل متوالية تتميز بالثبات والثقة .

ولكني نكفهم انفسنا جيدا ، علينا ان نقوم بدراسة مقارنة لاسرائيل في بناء دولتها العربية وكذلك لاسلوب « اسرائيل » في بناء دولتها على اساس من العلم ، وكيف اعلنت لنا منذ بداية هذا القرن « ما استطاعت من قوة ومن رباط الخيل » . وسيجد الباحث ان الكثير من المعلومات والأرقام منشور في كتب الإحصاءات الحكومية السنوية التي تصدرها الحكومة الاسرائيلية ، وفي غيرها من الكتابات بأقلام المؤلفين الغربيين والاسرائيليين ، والتي تنشر على أوسع نطاق في الكتب والدوريات العالمية وفي التحليلات النفاذة والكتابات العميقة التي تصدر عن رواد النهضة العربية المعاصرة ، والباحثين في قضايا التخلف العلمي ومشاكل التجزئة والتبعية التي يواجهها الوطن العربي ، والمهتمين بوضع التصورات المستقبلية العربية^(١) . ومع الأهمية الفائقة لمتابعة الإحصاءات والكتابات الاسرائيلية إلا ان علينا الانغفل الجيل المتعمد فيها إلى التضخيم أو الكذب ، وإلى ما تفرضه مقتضيات السرية العسكرية والمدنية ، كما علينا ان ندرك ان هناك افتقارا إلى المزيد من المعلومات التي يجب ان تكشف مصادر المعلومات العربية جهدها من أجل الحصول عليها أولا بأول من مصادرها الاسرائيلية والعالمية .

العقول في خدمة العلوم

صدر أول اقتراح بإنشاء جامعة يهودية في فلسطين من هيرمان شاييرا استاذ الرياضيات في جامعة هيدلبرج الألمانية في المؤتمر الصهيوني الخامس عام ١٩٠١ ، وأعطى هذا المشروع الأفضلية على مشاريع الاستيطان الأخرى ، لأن اليهود في أوروبا الغربية وألمانيا بنوع خاص كانوا يدركون أهمية الجامعات

(١) وهناك في هذا الصدد الكتابات العديدة للاستاذ الأعلام: انطون زحلان واسامة الخولي وعلى نصار وسعد الدين ابراهيم ومحمود عبد الفضيل ونادر فرجاتي وقسطنطين زريق وابراهيم سعد الدين واسماعيل صبري عبد الله . وقد رجعت إلى كتابات المبدعين منهم وإلى الدراسات الرائدة للاستاذ زحلان في أكثر من موضع في هذا المقال .

● صراع التحدي العلمي مع « إسرائيل »

بالنسبة الى قطاعات معينة في الاقتصاد . وثالث هذه البرامج كان انشاء مراكز بادرة المجلس القومي للبحوث والانماء لتنمية أبحاث صناعية طويلة المدى ، وذلك بالعمل في نطاق أوسع وأكثر فعالية مما تتيحه المخططات والصناعات الفردية أو تؤمنه جمعيات الأبحاث .

وقد اعدا المجلس القومي الاسرائيلي توجيه نشاطات البحوث والتطوير في الفترة ما بين ايام ١٩٦٧ - ١٩٧٨ ووضع نصب عينيه المهدفين المتكاملين التاليين في مجال العلوم :

أولا : تكريس الانجازات في العلوم الاساسية وتوجيه النشاط في مجالي البحث والتطوير صوب القطاعات الانتاجية ، وزاد بذلك مجموع الانفاق على البحث والتطوير حتى وصل الى ٢,٣٪ من الناتج القومي والاجمالي ، وارتفع عدد الباحثين من ٩٤٠٠ باحث عام ١٩٧٩ الى ١٢٦٠٠ باحث عام ١٩٨٠ .
ثانيا : تشجيع المعاهد الأكاديمية - من خلال الانفاق الحكومي ومساهمات الهيئات وغيرها - على زيادة مساهمتها في البحوث التطبيقية والابداع التكنولوجي ، بالإضافة الى زيادة البحث والتطوير في القطاع الانتاجي نفسه ، وفي المؤسسات الحكومية للبحث والتطوير .

وتشير المقابلة المنشورة في جريدة القبس الكويتية بتاريخ ١١/٦/١٩٨٥ مع الدكتور انطون زحلان الى انخفاض نسبة العطاء العلمي بين « إسرائيل » والوطن العربي من حوالي ٢,٥ في أواخر الستينيات الى ١,٩ في اوائل الثمانينيات ، ويقاء نسبة العطاء العلمي الفردي دون تغيير رغم الزيادة السكانية في الدول العربية، وزاد الفرق في عدد البحوث العلمية بين « إسرائيل » والوطن العربي من ٦٦٠ بحثا عام ١٩٦٧ الى ٢٠٤٥ بحثا عام ١٩٨٣ ، اي ان الفارق الفعلي تضاعف ثلاث مرات خلال ١٧ عاما ، ويصادف العطاء العربي عموما العطاء الاسرائيلي قبل عشر سنوات وفي عام ١٩٦٧ بلغ عدد العلماء الذين ينشرون بحثا علمية في القارة العربية كلها ٤٦٥ عالما بينما بلغ عددهم في « إسرائيل » ١٢٥ عالما ، وفي عام ١٩٧٣ ارتفع عدد العلماء العرب الى حوالي ٨٥٠ وعلدهم في « إسرائيل » الى ٢٤٠٠ ، وبعد عشر سنوات (عام ١٩٨٣) أصبح عدد العلماء العرب

الالكترونية ، غاهتم معهد وايزمان في « رحابوت » بممارسة النشاط في حقل العقول الالكترونية لحاجة القوات المسلحة الى طرق جديدة للشفرة العسكرية . وتم انشاء العقل الالكتروني (وايزاك) في منتصف الخمسينيات ، واستبدل به العقل الأرقى وفي نهاية عام ١٩٦٧ كان في « إسرائيل » ٨١ عقلا الكترونيا خمسة منها صنعت محليا ، وتم استئجار الباقي من شركات أمريكية وفي عام ١٩٦٨ تم تركيب عقل كبير cdc 6400 في الجامعة العبرية .

التكيف وفقا للقدرات

أدركت « إسرائيل » منذ البداية الفوارق بينها وبين دول القارة العربية في الطاقات الكامنة والتي تتلخص في الفروق السكانية والمساحات الواسعة التي تمنح الجسائب العربي العمق الاستراتيجي ، والموارد الطبيعية الهامة مما يجعل الطاقات الاسرائيلية الكامنة نعمة بالموارد الطبيعية محدودة .

فقامت بتطوير النظام الاجتماعي ، والمؤسسات اللازمة ووضعت السياسات المناسبة لحشد هذه الموارد الضئيلة ، والحصول على مردود كبير منها ، واكتسبت المؤسسات العلمية والصناعية والعسكرية فيها قدرة على صيانة المعدات المعقدة لتوفر مقادير كبيرة من العملات الاجنبية كما حرصت القيادة الفكرية للمؤسسات العلمية الاسرائيلية المتمثلة في المجلس القومي الاسرائيلي للبحوث والانماء على ايجاد النظام الملازم من مؤسسات الأبحاث التي يتعاون فيها كل من العالم ، أو المهندس الباحث مع الاستراتيجي مع التقني جنبا الى جنب لتطوير العمليات المستحدثة (مثل تصميم القنابل التي دمرت مدارج الاسمنت في المطارات المصرية في ٥ يونيو ١٩٦٧ نتيجة للأبحاث في مجالات الاندفاع الصاروخي والديناميكيات الجوية) . ومنذ الستينيات شرع في تنفيذ ثلاثة برامج متوازية اولها الاستثمار المشترك بين الحكومة والصناعة في مشاريع محددة ضمن خطط تقترحها الشركات المعنية .

وثانيها تعلق ببذل جهود موحدة لإنشاء مجموعة من الأبحاث التكنولوجية أو الاساسية ، والتي لها أهميتها

الطائرات النفاثة ووضعت ثقلها السياسي والمادي في تأمين الدعم الاقتصادي الضروري للصناعات الالكترونية وصناعة الطيران بوجه خاص .

كما ادخلت اساليب التخطيط الاداري النظامي في القوات المسلحة على الهيئات المدنية والاقتصاد المدني على اساس النمط المعتمد في التخطيط العسكري الاداري **High Pressure Planning** وكذلك في التصميم والانتاج والتوزيع ورقابة النوعية مع اشراك الباحثين المدنيين في حل مشاكل الصناعات العسكرية .

ولقد اقترنت الهيئات العلمية الاسرائيلية اقترانا وثيقا بالابحاث الجارية في الغرب واصبحت تفرد بين دول العالم الثالث بهذه العلاقات مع الاسرة العلمية الدولية ، بفضل ماسبق ذكره من انشاء المؤسسات الداخلية والمهارات التنظيمية القادرة على الافادة من الموارد المحدودة في مجالات البحوث والدور البارز للتعليم العالي في الحفاظ على الدولة الحديثة ، وكان للمعطف الشديد للغرب على « اسرائيل » وللعلاقات العضوية الحميمة مع الولايات المتحدة وللتطابق في الغايات الاستراتيجية وللوشائج الحميمة مع الحركة العلمية اليهودية في العالم عموما وفي الولايات المتحدة خصوصا دور بارز في تدعيم علاقات العلماء الاسرائيليين بالدوائر العلمية الغربية ، الا ان العلماء الاسرائيليين المعاكفين على الانتاج والابداع في مؤسساتهم العلمية ، غير مشتقي الذهن بالانشطة الاخرى في العمل والحياة موسعوا اتصالاتهم الدولية على جميع المستويات من مجرد الاشتراك في المجلات العلمية ، الى حضور المؤتمرات العالمية واستضافتها ورعايتها في « اسرائيل » .

وقد هدفت « اسرائيل » من هذه العلاقات الدولية الى تحسين صورتها في الخارج ، والتقدم بأبحاث في حديد من المؤتمرات الدولية تزيد اضعافا عما يقدمه الباحثون العرب وقد حدث في الستينيات في مؤتمر في ايطاليا لفرع من فروع الطب مثل التخدير مثلا أن كان الوفد الاسرائيلي ثلاثة اطباء تقدموا بخمسة بحوث ، وبلغ حجم وفد احدي الدول العربية اربعين فردا لم يقدموا بحثا واحدا ، بل اكتفوا بالتقاط بعض المعلومات من بعض الجلسات

جميعا ٢٦٠١ وعدد الاسرائيليين ٤٦٠٠ . اما عدد المؤسسات العلمية التي ينشر علمائها بحوثا علمية فيتراوح عددها بين ٢٧٥ الى ٧٠٩ أبحاث في العام فقد أصبح في « اسرائيل » خمس مؤسسات وليس هناك مؤسسة واحدة مثيلة في أي بلد عربي .

العلم في خدمة العدوان

انشأت « اسرائيل » المجلس الوطني للقوى العاملة عام ١٩٦١ وهيئة تخطيط القوى العاملة عام ١٩٦٢ لتنسيق الأبحاث الضرورية في تقدير حجم القوى العاملة والتخطيط لها . وقد وجد رئيس المجلس القومي الدكتور اليعازر تال أن معظم أهداف المجلس قد تحققت عام ١٩٨٠ - اذ سهلت الإدارة الجديدة السابق ذكرها التطابق بين البحث والتطوير وبين النشاطات الجارية وحسنت التكامل بين قدرات المعاهد الأكاديمية والبحوث التطبيقية ، وطور المجلس السياسة الوطنية وساهم في اعتمادها وتنفيذها .

راعى وايزمان منذ البداية ان يصبح الجيش الاسرائيلي قادرا على استخدام المعدات المشتراة بكفاءة عالية وذلك بالافادة التامة من مؤسسات الأبحاث لكي تقوم بتصميم معدات مماثلة لتلك المستوردة وتصنيعها وادخال التحسينات على تقنية الحرب بجهود العلماء والفنيين في معاهد الأبحاث العسكرية التي تنقل الدعم من الجامعات ومن مؤسسات الأبحاث المدنية بهدف احداث تعديلات جديدة بارزة في المفاهيم والعقائد والمعدات العسكرية المستوردة لكي يتسنى للجيش استخدام عنصر المباشرة في عملياته التكتيكية . وعهد الى المختبرات العسكرية مهمة تحويل المكتشفات في العلوم البحتة الى معدات حربية صالحة للعمل واستيراد التطورات العلمية الجديدة البحتة وتطبيقها على الجهاز الحربي ، كما شجعت وزارة الدفاع تنمية البحوث في طول « اسرائيل » وعرضها ، فانشأت الوكالة الاسرائيلية للطاقة الذرية مراكز للأبحاث النووية في كل من « سوريك » « ناهال » « ديمونا » .

وامتلكت وزارة الدفاع واحتلت على التطوير بضع عشرة صناعة في حقل الالكترونيات وصناعة

● صراع التحدق العلمى مع « اسرائيل »

واصبح واضحا الآن التعاون المشترك والتجارب النووية المشتركة « لاسرائيل » مع جنوب افريقيا .

وكما اصبح الآن معلوماً بوضوح - مدى التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة « واسرائيل » بحسبانها القاعدة الاساسية للتدخل السريع في الشرق الأوسط ، ولجمع المعلومات الواسعة عن دوله في خزائن العقول الالكترونية وللتعاون المفترض في الخدمات الصحية للقوات البحرية الاميركية في البحر المتوسط ، وللتعاون في ميادين الفيزياء الحديثة ، مثل استخدام اشعة الليزر والجسيمات السديقة في التصويب على الاقمار الصناعية والصواريخ العابرة ، وقد اشترت في كتابات سابقة منذ الستينيات الى تبادل التدريس بين الاساتذة الاسرائيليين والاميركيين في معهد وايزمان ، والجامعات الاميركية والى البحوث المشتركة بين الفريقين في مجال العلوم الفيزيائية والكيمائية المرتبطة بوسائل الاستشعار والمراقبة العسكرية . واخذ علماء « اسرائيل » يتجهون الاجهزة الدقيقة التي يتوصلون الى قوانينها العلمية في معهد وايزمان في عدة مصانع عممية من القارات الجوية في الفناء الخلفى لهذا المعهد ، مثلما انتشرت المستوطنات العلمية اليهودية في وادي السليكون في كاليفورنيا منذ الخمسينيات وقد اخبرني وزير البحث العلمى المصرى الاسبق د . صلاح هدايت بأنه حين اطلع على بعض جوانب هذه النشاطات الاميركية الصهيونية لجامعة كاليفورنيا في زيارة رسمية اشترطت عليه سلطات الجامعة في اوائل الستينيات لكي يتم اى تعاون علمى مشترك مع الجامعات المصرية . ايام عبد الناصر - الا لتحصل الجامعات المصرية على اى بحوث اساسية وانما على بعض النواتج التطبيقية فقط ، وان يكون الوكيل المعتمد والمكلف بالاتصال بمصر هو دولة « اسرائيل » في ذلك الوقت .

وبالمقابل فلا يخفى على العلماء العرب الصعوبات الكبيرة في معاهد البحوث العربية في هذا الصدد بما سنناقشه بالتفصيل مستقبلا ، ولقد اشير الى ان اول محاولة لوضع نموذج رياضى لتصور مستقبل الوطن العربى ، سواء من ناحية الامكانيات العسكرية

وانصرفوا معظم ايام المؤتمر الى النشاط الاجتماعى والشخصى .

اسرائيل والنشاط النووى

اشارت دائرة المعارف البريطانية عام ١٩٦٩ الى معهد وايزمان والى ماتضمنته نشاطاته العديدة من عقد المؤتمرات التي تناقش مشاكل تعليم العلوم في القارات الثلاث (اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية) مع ممثلين منها والاهتمام بجذب منظمات الشبيبة والشبان والرواد في الميادين العلمية تحت شعار « طريقة جديدة للتعاون » وتقديم المساعدات الهندسية والعلمية والطبية الى هذه البلدان منذ الخمسينيات ، فاصدرت الهيئات الدولية الموالية للصهيونية في الستينيات التوصيات بأنه (في وسع « اسرائيل » ان تلعب دورا رئيسا في مساعدة البلدان النامية على الازدهار بايجاد الوسائل لتوسيع مواردها الغذائية وتأمين العمل عن طريق صناعات اساسها العلم) . ولم يكن قصد المؤتمر السنوي العاشر للعلوم التكنولوجية في « اسرائيل » والشرق الأوسط المتعقد في نيويورك من هذه التوصية الا تمهيد الطريق لتغلغل « اسرائيل » في القارات الثلاث .

لقد سبق ان تناولت مجلة العربي « التعاون الاسرائيلى الوثيق في مجال الطاقة النووية مع الولايات المتحدة منذ وقت مبكر »^(٢) (مفاعل ناحال سوريك) ومع فرنسا بعد فشل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ (مفاعل ديمونا) ثم ماتواتر عن تجمد العلاقات الذرية بين فرنسا ذات الوجهين « واسرائيل » في الماضى ، ثم تأييد الولايات المتحدة في عهد جسونسون « لاسرائيل » في مجال انتاج الاسلحة النووية وبلغت أهمية الترابط الذرى حدا كبيرا يتضح مما كشف عنه مؤخرا عن اتجاه « اسرائيل » الى تحريك اسلحتها النووية في اثناء حرب ١٩٧٣ لمواجهة الانبيار المحتمل للجبهة العسكرية الاسرائيلية امام مصر ، وماتنتج عنه تحريك الاتحاد السوفيتى لبعض سفنه الذرية واهلان الولايات المتحدة للتمتعة الشاملة لأسلحتها النووية

(٢) اسرائيل والسلاح النووى - د . عبد الرحيم حسين - مجلة العربي لبرابر ١٩٨٥ ص ٢٢

والاحتمالات التنموية ، كانت محاولة اسرائيلية . ويبحث المحام « اسرائيل » على تطبيع العلاقات مع كل دولة عربية على حدة ، على التفكير في أهداف ومدى سهولة الحصول على المعلومات المدنية والعسكرية في كل بلد عربي يسمح لنفسه مستقبلا بتجوال جامعي المعلومات الاسرائيليين من العلماء والجنرالميس في ربوعه ، وبعضهم يتقن اللغة العربية بلهجتها المحلية وينطق اهل الأحياء الشعبية .

ماذا يعني كل ذلك

وخلال هذه الأمانة ان الازدهار العلمي في « اسرائيل » قام منذ بداية نشأة الدولة على فهم واضح سبقه بسنوات طويلة ، وعلى ادراك للعلاقة الوثيقة بين العلم وحياة المجتمع اليومية ومتطلبات المواجهات العسكرية المرسومة وتثبيت المستوطنات وحياتها ، وحل مشاكلها المعاشية والتدبير للهجمات العسكرية الدورية على البلدان العربية ، كما قام هذا الازدهار على اعتبار العلم من صميم الكيان الاجتماعي ومقوماته الأساسية ، وعلى فهم الطبيعة الدولية للعلم وعلى توفير المستويات الدولية للعلماء الاسرائيليين كما هو متوفر في علماء البلدان المتقدمة ، وعلى نيل العلماء والمؤسسات العلمية الدعم الكافي لتمكينهم من انجاز ابحاث لها قيمتها الدولية ، وعلى زيادة الاطلاع على الأبحاث الجارية في البلاد الأخرى ، وعلى استجلاب المعلومات العلمية باتساع وانتظام ، وعلى اضافة النظر وتقييم الاداء العلمي على المستوى الاساسي وعلى مستوى ارتباطاته بالمشاكل الزراعية وتطوير المؤسسات الصناعية .

لقد اسهت في بداية المقال في الإشارة الى الامكانيات التي حبت بها الطبيعة قارتنا العربية ، والامكانيات التي توفرها لنهضة عربية مستقبلية ممكنة وضرورية . وما اريد ان أؤكد في نهاية هذا المقال ليس هو التميز الاسرائيلي على الوطن العربي في مجال

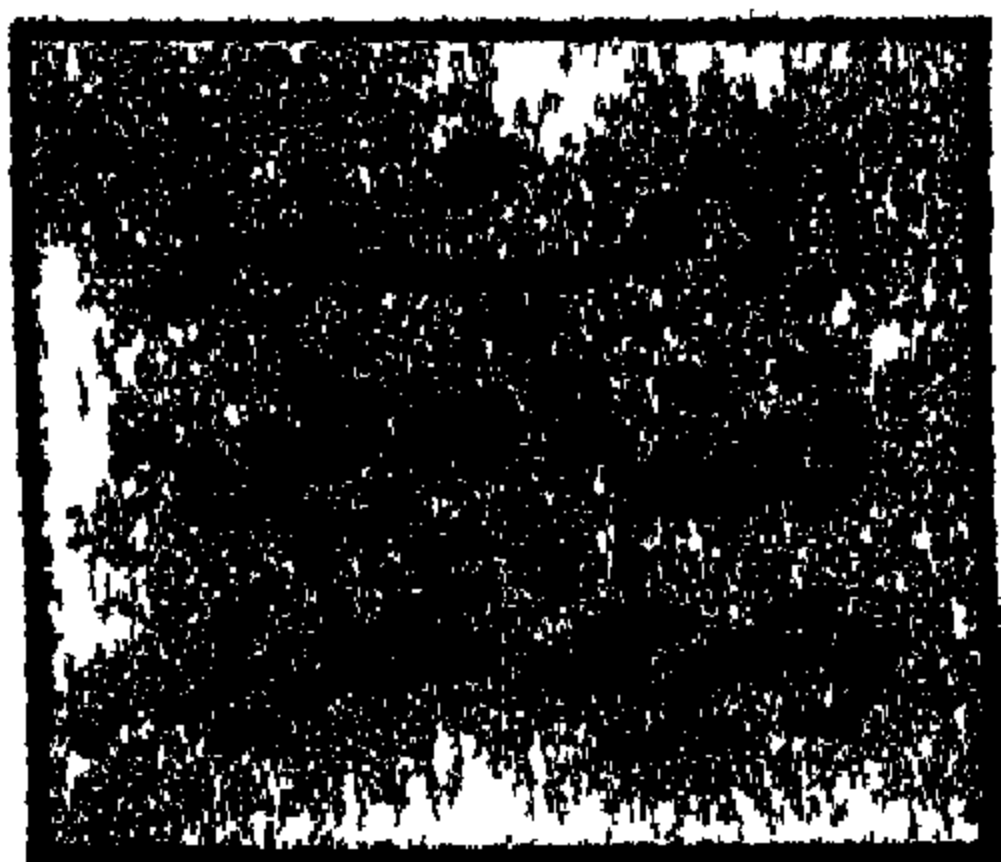
العلوم والبحث العلمي بما لا يمكن تجاوزه ، ذلك ابعد ما يكون عن الظن والقصد . وانما اردت ان اقول ان ما تفعله اسرائيل « ان هو الا اتباع للاصول المعاصرة لدور الدولة الحديثة على النمط الغربي ، مع جهد « اسرائيل » في الاستفادة من الامكانيات المحدودة ، وفي استغلال كنوز العلم وهي الكنوز الرئيسية المتاحة لكل من قرر الاغتراف منها ويعد نفسه لذلك ويبدل من الجهد المجدى والمستمر ما هو لازم لذلك ، حتى لمن لم يملك الكنوز الطبيعية اذا ما امتلك النية على اعلاء شأن العلوم الطبيعية والانسانية ، وبوأ العلم والفكر اعلی مكان . وقد اهزكت « اسرائيل » هذا الدور الهام لكي تعد نفسها بعد مرحلة الحروب التي دقت بها على الحديد العربي الساخن - للمرحلة الراهنة للسلام المروغ ، ولما يليها من ارهاق عربي كامل في دوائر تتسع بالتدريج ويصير وداب على أمل الحصول على سلام مسيطر على كل دولة عربية على حدة وقد سبق ان عبر حاييم وايزمان عن احلامه حين قال « ان اسرائيل » قد تواجدت في منطقة تعيش حالة من الضياع العقائدي بسبب الارتجاجات الطويلة التي تعرضت لها اي انها تفقد الكثافة النفسية التي تمكنها من استيعاب اي حالة تقابلها وهي الى ذلك منطقة مستهلكة ويستخدم البدوي اسنانه جيدا ولكن قلما يستخدم يده بصورة جيدة فاذا وجد الاسرائيليون في هذه المنطقة استطاعوا تصنيع الهواء ثم تسويقه عربيا ، ولكن غاب فاهم الذي اعدوا له بناءهم العلمي منذ قرن من الزمان ، فهل قد آن الاوان لكي يضع العرب ما يجب عليهم أن يضعوه من سياسات علمية متبصرة ويقيموا في الخمسين عاما القادمة ، ومنذ اللحظة ، ما يجب عليهم ان يقيموا من مؤسسات تعليمية والبحوث العلمية الاساسية والتطبيقية ليتمكنوا من استثمار الثروات الراهنة وحل مشاكل البناء الحضاري حتى لا يكون عبء ذلك السلام المروغ اثقل عليهم من ويلات الحرب ؟ □

■ أما بعد ، فاسلم تسلم . . والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جتتك بقوم
يجبون الموت كما يجبون الحياة
(خالد بن الوليد)

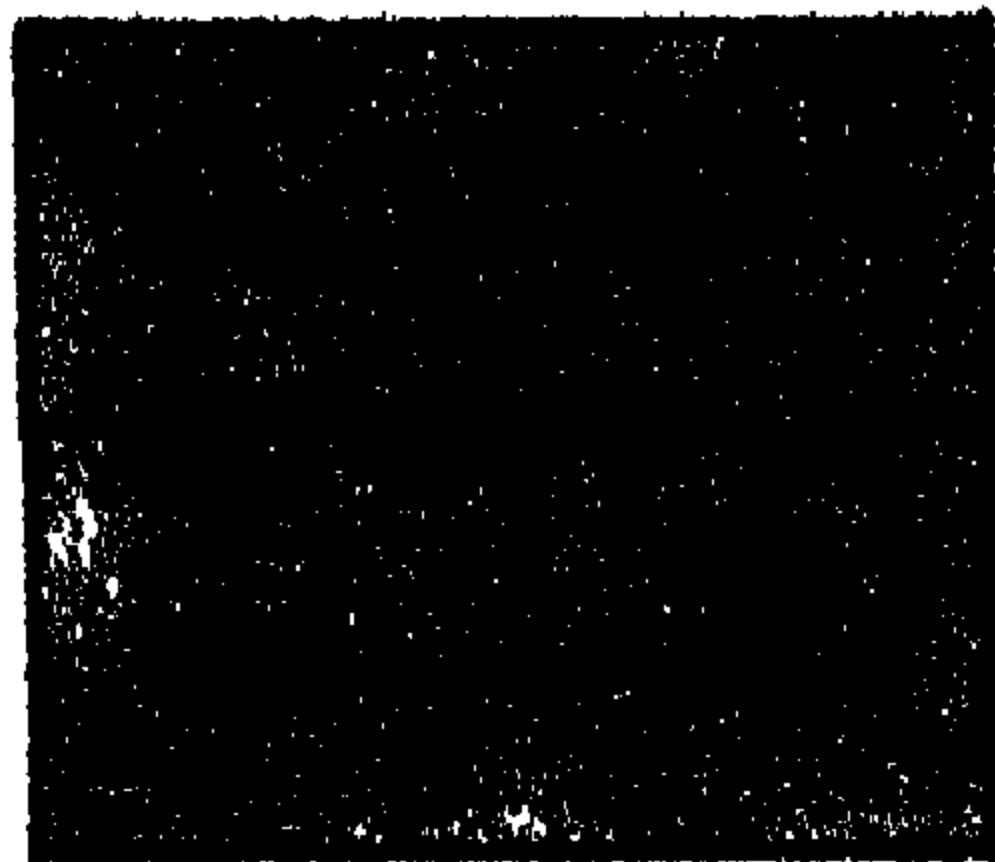


□ "العربي" .. تخترق أدغال .. صَبَاح

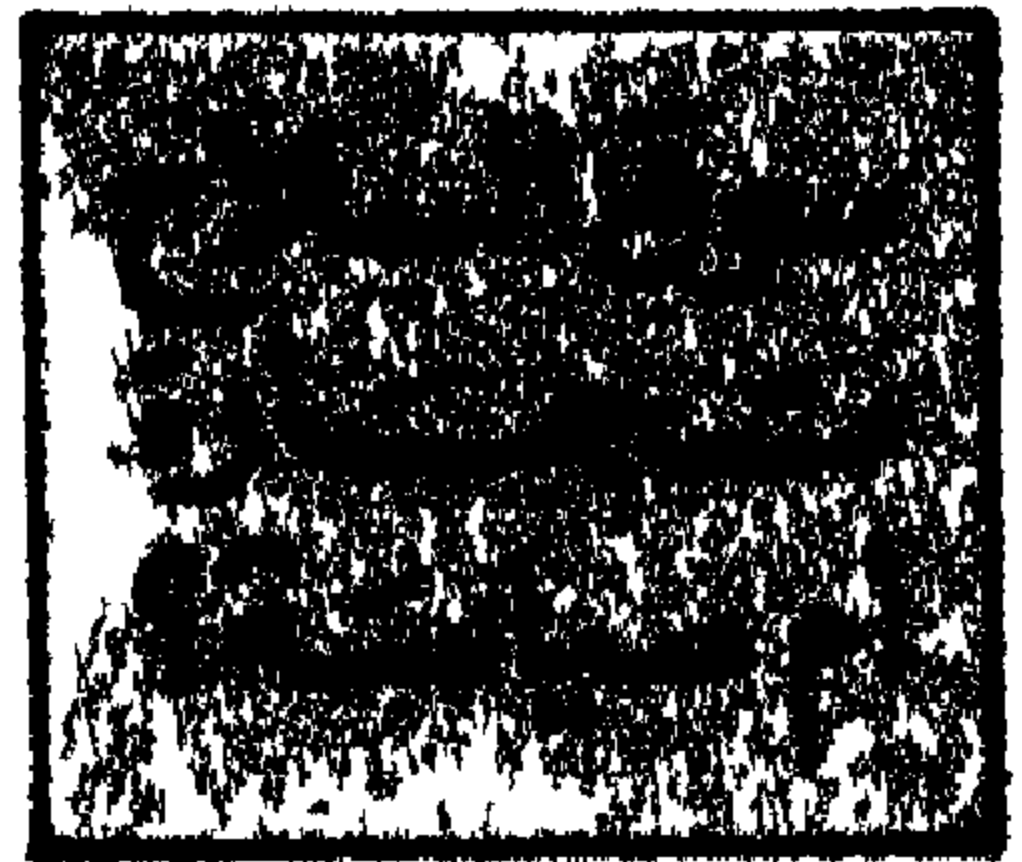
استطلاع ماثون .. سليمان مظهر



د. عماد شمس باشا



م. سعد شعبان



أمين هويدي

- **واقرأ:** طبيعة الابداع د. فالح عقل
- **مواقيت المسلمين في أقصى الشمال والجنوب** .. د. عبد المنعم النمر
- **وجهًا لوجهه ...** .. د. عبد الحميد يونس وفاروق غور بشيد
- **كتاب الشهر:** الاكتشاف المحيط .. د. أمين الصيرفي
- **الأسواق الشعبية في الخليج ..** استطلاع بالألوان .. شربا البقمي
- **البيت العربي:** ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
- **مع الأبواب العامة واللغوية والطبية والقصة والشعر**

وتقرأ أيضاً للكتاب :

د. محمد الرميحي - عبد الرزاق البصير - د. عبدالله عبدالدايم - د. حسين الوردى
د. حسان حصوت - د. أحمد أبو زيد - محمد الفنايز - فاروق شوشة

بقلم : محمود المراغي

المنقح البراء في أفريقيا

سنويا . . يساقل الانتاج الزراعي عن هذا المعدل في السومند اول الثمانينيات .
وداخل مجموعة الزراعة : قل الغذاء بنسبة اكبر . . ودخل مجموعة الغذاء كان للحبوب - وهي نصف غذاء العالم الفقير - نصيب الاسدي التراجع !
و . . من هنا كانت المأساة : (٤٧٠) مليون نسمة يعانون من مجاعة دائمة ويهبط نصيبهم من السرعات الحرارية الى (٨٥) بالمائة عما يحتاجون ، ومن البروتين الى (٤٠) بالمائة في بعض الاحيان . .
و . . يموت (٤٠) بالمائة من الاطفال قبل سن الخامسة . . ويتراجع متوسط العمر اكثر من اى قارة اخرى . . ويقف سوء التغذية على رأس الاسباب .
الغريب ان افريقيا ليست الاكثر كثافة من ناحية السكان فالبك الدول يعتبرها قارة غير مأهولة بالكامل . . مساحات شاسعة . . وعدد قليل نسبي من السكان حتى ان آسيا تسجل كثافة تبلغ خمسة اضعاف كثافة السكان في افريقيا . . ولكن ، وكما يقول البنك الدولي ايضا . . فانه بالنظر لطرق الزراعة البدائية فان كثيرا من بلدان افريقيا وبالقيااس هل ما هو متوافر لديها من غذاء - تصبح مكتظة بالسكان . . !

.. والسؤال : لماذا ؟

الزراعة اذن هي محور الازمة ، وهو محور خطير لانه يمثل ثلاثة ارباع صادرات افريقيا ويشوغب (٧٠) بالمائة من العمالة فيها . . و . . مع ذلك فان

المطر . . منهم برىء في افريقيا ، فعندما قل هطول وحل الجفاف لم يكن ذلك وحده هو سبب الازمة الغذائية في القارة السوداء وقبلها . . كانت الازمة

وبعدها . . سوف تكون او سوف تستمر طبقا لتوقعات الخبراء .

اما الدليل فهو رقم يقبل ان نصيب الفرد من الغذاء في السبعينيات كان يتناقص سنويا بنسبه (١٠١) بالمائة طبقا لارقام منظمة الاغذية والزراعة . . وان الازمة كانت سابقة على ذلك حين عجزت افريقيا جنوب الصحراء ان تقدم غذاء أكثر للفرد في الستينيات الا بمقدار (١٠١) بالمائة سنويا . . وهو لا يكفي لاشباع الحاجات او تلافى اقراض سوء التغذية أو الموت المبكر للاطفال .

الازمة اذن قديمة . . والازمة ايضا عميقة . . حتى انه من بين ٤٣ دولة افريقية جنوب الصحراء تعاني (٣٠) دولة من نقص الطعام في الوقت الراهن ، وطبقا لتقديرات نفس المنظمة (الاغذية والزراعة) فإنها سوف تصبح ٩ دول عام (٢٠٠٠) . . و . . ذلك مع اقراض استخدام تكنولوجيا ومدخلات للزراعة بمستوى متوسط .

وبالطبع فان الغذاء ليس الا حلقة ضمن حلقات متصلة بدايتها الزراعة والسكان ، ففي افريقيا يوجد أهل بمعدل الخصوبة المرأة في العالم . . وبينها يهبط معدل الخصوبة الى طفلين لكل امرأة في العالم المتقدم يتزايد المعدل في افريقيا الى (٦ و ٤) طفلا لكل امرأة . . مما يجعل النمو السكان يفوق (٣) بالمائة

القدرة على تحقيق اكتفاء ذاتي من الغذاء تتراجع من (٨٣) بالمائة في اول السبعينيات الى (٧٣) بالمائة في عام ١٩٨٢ . . الى (٥٦) بالمائة وفق توقعات عام (٢٠٠٠) .

وعند الحديث عن اسباب التدهور تأتي قائمة طويلة تمتد من عوامل الطبيعة الى فن ادارة الموارد وضعف الامكانيات وتركه الاستعمار

يتحدثون عن انسحاب اللون الاخضر وتقلصه في ظاهرة اطلقوا عليها اسم « التصحر » اي التحول الى الصحراء . . وخلق البعض بين الجفاف - الذي يأتي بسبب نقص الامطار - وبين ظاهرة التصحر ، وهي الاخطر والابعد تأثيرا بالنظر لمشكلة اكبر هي مشكلة الارض المتاحة للزراعة .

ويقول العلماء ان الجفاف مهما كان شديدا فسوف يزول من زول المطر اما التصحر فالامطار لا تزيله ، والارض تحت المطر لا تستعيد عافيتها بعد ان اصابها الجفاف بسبب عوامل عدة استأصلت اللون الاخضر ، وحرمت التربة من غذائها العضوي عبر اجراءات كثيرة كالاغراط في الرعي والافراط في استخدام اخشاب الغابات مما يعرض الارض للتعرية والشمس والرياح ، والجفاف الحقيقي يزحف الان على مائة بلد في العالم ، جزء كبير منها في افريقيا جنوب الصحراء . . وبمساحة سنوية تزيد عن مساحة بلد كالسنغال .

مع ذلك فان التصحر وتدهور البيئة واحد من الاسباب . . .

وربما يأتي نمط التنمية وتختلف اساليب الزراعة كسبين اكثر انتشارا ، فالكثير من الدول النامية - بعد الاستقلال - دفعها السطوح لخوض تجربة التصنيع . . . وكان ذلك رغم ضرورته على حساب الاهتمام بالزراعة والغذاء . . وعندما اتجهت هذه الدول للتصنيع لم تعط الاولوية لما يلزم الزراعة من اسمدة ومبيدات حشرية وجرارات تدفع بالزراعة الى مستوى افضل . . وهكذا بقيت المشكلة الزراعية في افريقيا كسما هي : زراعة متخلفة يسيطر عليها في معظم البلدان المحصول الواحد . . فالكاكاو ومحصول غانا الرئيسي ، والبن محصول النيجيريا وسوروندي ، والقطن محصول السودان و . . هكذا ، مما كرس لخلف القطاع الزراعي .

وقد ساعد على ذلك وجود نسبة عالية من الاراضي المشاع ، كما ساعد عليه سيطرة الوسائل البدائية في الانتاج حتى ان (٨٠) بالمائة من فلاحي افريقيا يعتمدون على سواحلهم في فلاحه الارض ، (١٥) بالمائة يملكون حيوانات جر . . و (٥) بالمائة فقط يستخدمون الجرارات . .

ومقارنة سريعة نجد انهم في اوربوا الغربية يستخدمون ٦٠ جرارا لخدموا ألف هكتار ، وفي أمريكا اللاتينية سبعة وفي آسيا خمسة . . اما افريقيا فيهبط نصيبها الى جرارين فقط ، وفي مجال السماد اللازم لتخصيب الارض يبلغ المعدل في الولايات المتحدة ثمانية اضعاف افريقيا وفي اليابان (٢٥) صغفا .

ثم . . تأتي مشكلة مياه الري وسوء ادارة المياه وهو - وفقا لرأي الخبراء - اهم سبب من اسباب المشكلة الزراعية . . والمشكلة هنا ليست نقصا في الامطار فهذه مشكلة طارئة على الأرجح . . لكن المشكلة في وضع نظم دائمة للري وتخزين المياه ، وزراعة اكثر من محصول في العام وهو ما يحتاج لاستثمارات تفوق اي قارة اخرى ، وبما يجعل الهكتار الواحد يحتاج الى مبلغ يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف دولار وبما يفوق آسيا - على سبيل المثال - عدة مرات .

.. الثورة الخضراء

المطلوب إذن : ثورة خضراء تواجه عوامل الطبيعة ، وتوقف تخريب الانسان للبيئة باستئصاله للغابات التي تحمي الارض .

المطلوب : طرق متقدمة في الزراعة تنهي عصر الانسان الذي يعمل عوضا عن الحيوان ، والحيوان الذي يعمل عوضا عن الجرار والآلة الزراعية .

والمطلوب : علاقات دولية اكثر عدلا واكثر انصافا لما تنتجه افريقيا من خامات تتبادلها في النهاية بغذاء وتكنولوجيا ومستلزمات انتاج . .

لذا فلا مفر من التكتل والتحرك الجماعي على مستوى افريقيا والعالم الثالث كله . . وربما كان مؤتمر القمة الافريقي الاخير البداية . . بشرط ان تتسع نظرتنا لتشمل الازمة الاكبر

وليست الازمة الاقل . . إنها أزمة الغذاء واللون الاخضر ، وليست أزمة الأمطار الطارئة . □



الجامعة
العربية
بمجلس
الجامعة

دعوة للنأمل

أربعون عاما مرت على انشاء جامعة الدول العربية ، ومنذ ذلك اليوم الذي وقعت فيه سبع دول معلنة اعلان التأسيس وحتى اليوم ، حدثت على الخريطة العربية تغيرات كثيرة ، وجرت دماء كثيرة في الانهار والاراضي العربية ، وملأت الدنيا خلافات العرب . . وشهدت أيامنا القتال العربي / العربي ، وعاصرنا تبادل الاتهامات بالحياة والعمالة . . واتهامات أخرى بالكفر والمروق والعصيان . . أربعون عاما هبت فيها رياح التغير على هذا الجزء من العالم ، فلم يعد قط كما كان عشية اعلان الجامعة . . ولم تنته الرياح من تشكيل ملامح المنطقة بعد ، فما زالت التفاعلات والاحداث تتوالى وتتابع .

كانت هذه الرؤية كلها أمامنا ونحن نفكر كيف نقف أمام الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة الدول العربية ، ندرك - كما يدرك كل العرب - الأزمة التي يعيشها الوطن العربي . . ولكتنا نختلف قليلا في أننا نملك أملا لغد أفضل ، نختلف لأننا لا نؤمن بأن المنطقة مقبلة على الانهيار ، ونختلف لأننا نرى أنه ليس صحيحا أن هناك انتعارا جماهريا يمارسه العرب ، فكل ما في الأمر هو تفاعل ديناميكي لمجموعة من العوامل سياسية واقتصادية واجتماعية ، لم تنته بعد وتفرز نتائجها ، فلم تزل القوى الاجتماعية العربية تتفاعل داخل مجتمعاتها ، لتعيد تشكيل البنيان الاجتماعي بنظمه وقوانينه وعلاقاته ، وفق متغيرات الاقتصاد وعلاقات السياسة . ولذلك . . فعندما فكرنا في خيارات الموضوعات لهذا الملف ، كان واضحا لنا أننا لا نقيم ماتم ولا نحضى بمعنى الفرح والبهجة ، ولكتنا نحاول أن نضيف اضامة للطريق ونطرح أفكارا للمناقشة والحوار ، قلنا فلندع خلافات السياسة ، ولنتترك قضاياها ، ولنفكر في محاور استراتيجية تؤمن من خلالها ان جامعة الدول العربية لو منحتها كثيرا من الوقت وكثيراً من الجهد لأثمرت وأعطت نتائج تسهم في صياغة غدنا العربي الأفضل .

وكانت المحاور الثلاثة هي :

أ - أزمة الغذاء العربي

ب - التعاون العلمي العربي

ج - التعاون العربي الافريقي .

وكان تصورنا أن هذه المحاور هي أهم ما يشغل بال كل مهتم بالهم العربي ، فالوطن العربي يعيش أزمة غذاء ، وهي أزمة لم تعد مشكلة اقتصادية خالصة ، بل أصبحت مشكلة سياسية بالدرجة الأولى . فلقد شهد الوطن العربي في العقدين الأخيرين تدهورا كبيرا في الوضع الغذائي ، وصحزت برامج التنمية الزراعية العربية عن سد الفجوة الغذائية ، وانحى الوطن العربي إلى الاستيراد ، الذي اتسع نطاقه ليشمل بالإضافة إلى القمح السكر واللحوم ومنتجات الألبان والزيوت النباتية والدهون ، وفي سلعة واحدة حيوية كالقمح ، فإن معدل نمو الانتاج العربي منها لا يتجاوز ١,٧٪ وهو معدل لا يجاوز نصف معدل نمو السكان ، وتبلغ واردات الوطن العربي منه أكثر قليلا من نصف حجم الاستهلاك ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الاقتصادية كما أشرنا ، إذا أدركنا أن سوق القمح العالمية - السلعة الأكثر حيوية - موضع احتكار رئيسي لثلاثة بلدان هي الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ، وتتجاوز أزمة الغذاء حدودها الآنية لترتبط بكل عمليات النمو والتنمية ، فحجم الحاصلات الزراعية العربية ومساحة ما ينحصر من الأراضي الزراعية لزراعة حاصلات صناعية . . لا يكفي لتأمين تشغيل طاقة صناعية ذات فائدة وجدوى ، فضلا عن أن التشغيل يكون عادة موسميا ، وفترات محدودة ، لا تصل إلى مستوى التشغيل الكامل . ويرتبط بأزمة الغذاء تخلف اقتصاديات الانتاج الحيواني ، وتخلف أساليب الانتاج الزراعي ، واعتماد الزراعة العربية في جزء كبير منها على الأمطار ، إذ أن ٧٨ بالمائة من جملة الأراضي المزروعة تروى بالمطر . . .

المحور الثاني هو التطور العلمي العربي وإمكاناته ومستقبله ، وهو محور يشمل عدة جزئيات من حيث أهمية التربية والتعليم في اللحاق بالمعصر وتطوير تدريس العلوم الأساسية ، وتطوير مؤسسات البحث العلمي ومراكز الأبحاث، والتعاون والتنسيق فيما بين هذه المؤسسات والمراكز العربية ، فمما لا شك فيه أن العالم يعيش ثورة علمية كبرى تعادل الثورة الصناعية أهمية إن لم تكن تفوقها .

المحور الثالث هو التعاون العربي الأفريقي ، وهي قضية بالغة الأهمية والحيوية للمستقبل العربي ، فأفريقيا هي العمق الاستراتيجي للوطن العربي ، وهي الامتداد الجغرافي له ، وهي سلة خبز العالم القادمة ، وسوقه الكبيرة المقبلة ، فني دولة كالجابون أراض زراعية صالحة لانتاج ما يكفي سكانها مائة مرة ، وفي الكونغو أراض يكفي انتاجها سكانها ٧٥ مرة ، فضلا عما تحويه إفريقيا من مصادر للمواد الأولية التي تكفل قيام صناعات كبرى وتوفر احتياجاتها .

كانت هذه تصوراتنا من المحاور الثلاثة عند التفكير في ملف من الجامعة العربية ، ورأينا أن نكتفي بالتعاون العلمي العربي والتعاون العربي الأفريقي من منظور نقد وتقييم ما هو قائم . . آملين أن تكون هذه بداية للتأمل والتفكير لتطوير الواقع، وإثرائه ، إنها دعوة للتأمل في أي مسار نسير ، وأي الدروب نختار ، وأي الخيارات نقبل ، وكيف نواجه تحدي المستقبل والحضارة والبقاء !! . . .

« العربي »

الجامعة
العربية
ببغداد
عام ١٩٨٥



العمل العلمي العربي المشترك ذكريات وآمال

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

إن النظر في تجربة العمل العربي المشترك ، في المجال العلمي - التكنولوجي ،

يقودنا إلى مناقشة الأسس التي قام عليها ، وإلى التعرف على مدى اتساق الممارسات

الفعلية فيه مع هذه الأسس ، وإلى متابعة التطورات التاريخية التي مرّ بها الإدراك

الحكومي والشعبي لهذه الأسس ، والتي لا بد وأنها قد انعكست بشكل أو بآخر على

الممارسات في العمل العربي المشترك .

العلمية المشتركة التي تمت حتى الآن ، وللتمييز بوضوح بين المنطلقات المهنية - التقنية المحضة لتبرير قيام عمل جماعي ، وبين المنطلقات القومية لهذا العمل في المجالات المتخصصة . ففي الحالة الأخيرة يرتبط النشاط المشترك بمفهوم سياسي معلن ومسيطر في الوعي الجماعي ، يكسب النشاط المشترك صفات خاصة وتوجهات مميزة . ولكنه يجعله - في نفس الوقت - مستهدفا لاعتبارات سياسية ومع ما يأتي به هذا من هزم مضاعف وإصرار على تجاوز العقبات من جانب ، ومع ما قد يحمله هذا في الجانب المقابل ، من مخاطر في لحظات الأزمة أو اختلاف وجهات النظر بين الأقطار المشاركة .

قد يكون من المفيد - في محاولة لاستعراض مسيرة العمل العلمي العربي المشترك - أن نشير إلى بعض الشروط الأخرى التي لا بد من توفرها حتى يكون لأي عمل جماعي بين عدد من الأقطار في مجال من المجالات ، من الفاعلية والجدوى ما يبرر قيامه وإنفاق الجهد والمال فيه . ومثل هذه الشروط مهيأة أو تقني ضروري للعمل الجماعي حتى بين أقطار لا تربط بينها أواصر خاصة بالهوية الحضارية . وفي هذا يستوى العمل الجماعي الذي تشترك فيه أقطار عربية مع أقطار أخرى غير عربية ، مع العمل الجماعي العربي المحض . إن تأكيد هذا الفارق النوعي ضروري لفهم الدوافع الحقيقية للأعمال العربية

أما وقد نَهِجنا منذ البداية للبعد السياسي للعمل المشترك ، فلندكر أيضا بأن المتطلبات المهنية التقنية هي الشرط اللازم في جميع حالات العمل الاقليمي أو الدولي المشترك ، بينما المتطلبات السياسية هي إضافات تكسبه صفات نوعية جديدة ، ولكنها وحدها لا تصلح ، في أى ظرف من الظروف ، أساسا لعمل مشترك في مجال متخصص مهما كان قدر العزم والارادة والاصرار .

والمتطلبات التقنية التي لا بد من توفرها في أى عمل مشترك في مجال ما هي في جوهرها قيمان . الأول هو وجود حد أدنى أو كتلة حرجية من النشاط القطرى في الأقطار المشاركة في العمل الجماعي . فبدون هذه القاعدة ذات الفاعلية الدنيا على المستوى القطرى يكون العمل المشترك كيانا فوقيا لا يستند إلى قواعد راسخة في الأقطار المشاركة ، ونبتا يفتقر إلى الجذور الضاربة في أرض هذه الأقطار والتي تغذيه دوما بحصيلة الخبرة القطرية التي تبرر قيامه من أجل التنسيق بين جهود قطرية ، أو من أجل تبادل الخبرات . وسيبقى فاقدا القدرة على الحد الأدنى من التأثير المحمود على كم أو نوع العمل القطرى . أما الأمر الثاني ، فهو مشاركة أكبر عدد ممكن من أقطار المنطقة أو الاقليم بحيث يمكن أن يطلق عليه بجدارية اسم العمل الجماعي ، متميزا بهذا عن العلاقات الثنائية أو الثلاثية والتي لا ترقى - مع التسليم بأهميتها وجدواها - إلى مستوى العمل الجماعي في منطقة أو اقليم .

وعلىنا أيضا في استعراضنا لخبرات الماضي القريب أن نميز بوضوح بين مستويي العمل العربي العلمي المشترك ، ألا وهما مستوى العمل الشعبي للأفراد العلميين أو التنظيمات المهنية للعشائر العلمية العربية ، ومستوى العمل الحكومي الرسمي للمنظمات والهيئات الاقليمية التي تشارك فيها الأقطار العربية كدول أعضاء تلتزم بسياسات قطرية معينة ، تعكس توجهاتها وترتب أولوياتها . وربما يبدو لأول وهلة أن العمل العلمي على المستوى الشعبي يكون أكثر حساسية للمنطقتات القومية ، وأقل تأثرا بالمواقف الرسمية . وسنرى فيما بعد أن هذا صحيح في مجمله ، وأن التنظيمات الشعبية للعشائر العلمية

العربية كانت أكثر تحررا في مواقفها من التنظيمات الحكومية ، وأنها قد صمدت وتماسكت في ظروف الخلافات والانقسامات ، بمثل ما لم تقدر عليه هذه الأخيرة . وفي الجانب المقابل ، لا بد أن نشير هنا أيضا إلى أن التنظيمات الحكومية بدورها ، قد سُمعت فيها - إبان أزمت الخلاف والشقاق بين الدول الأعضاء - أصوات كثيرة تؤكد دورها المتخصص ، وذلك في محاولات محمودة الدوافع لتجاوز هذه الأزمات ، ولاستمرارها في أداء رسالتها . وفي تاريخ هذه المنظمات الحكومية أمثلة كثيرة لجهود مكثفة بذلت في تجاوز عن الخلافات بين الدول الأعضاء ، كانت تركز الاهتمام على أنها ليست أساسا منابر لإعلان المواقف السياسية اللحظية ، بل إنها كانت تستلهم المنطلق الوحدوى القومي لتأكيد دورها التخصصي ، مؤكدة على أن من مصلحة الجميع أن تنأى المنظمات بنفسها عن حلبة هذه الصراعات وأن تستمر في أداء رسالتها التخصصية خدمة لكل الأطراف المشاركة فيها .

البدايات التاريخية

جنود العمل العربي المشترك ، على مستوييه الشعبي والحكومي ، لا تضرب إلى ماض بعيد ، ولا تتجاوز بداياتها الأولى نصف قرن أو أقل . فحق شوب الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك عشائر علمية أو تكنولوجية تذكر إلا في قطرين أو ثلاثة في المشرق العربي . وحتى على الصعيد السياسي كانت الأقطار العربية كلها تقريبا تعاني وطأة الاستعمار بصورة أو بأخرى ، ولا شك أن إعلان قيام جامعة الدول العربية ، وتعاقد حركات التحرير ، وحصول الأقطار العربية نباحا على نوع ما من الاستقلال السياسي ، كل هذه العوامل قد أكدت مفهوم الوحدة العربية ووطدت دعائمه في وعي شعوب المنطقة ، في الوقت الذي ثمت فيه المشاعر العلمية - التكنولوجية واكتسبت قياداتها مكانة معترفا بها في كثير من الأقطار العربية من خلال مشاركتها المرموقة في حركات التحرير ، ثم في إدارة شؤون البلاد .

مظاهر نزعة مستمرة بين العشائر العلمية - التقنية العربية كانت سبقة للتواصل والتعاون . ولقد شهد الوطن العربي في الخمسينيات والستينيات نشأة العديد من الاتحادات العلمية - التقنية العربية واتساع دائرة نشاطها ، وإن اقتصر هذا النشاط لعدة سنوات على المشرق العربي وحده ، فلقد كان المغرب العربي ما زال يخوض في تلك الأونة معاركه الضارية مع الاستعمار الفرنسي ، والتي كان آخرها انتصار حركة التحرير الجزائرية التاريخية . وسوف يذكر التاريخ لحفنة من الرواد الأول من العلماء والتكنولوجيين العرب عزمهم ودأبهم في هذا المجال ، وسيزداد التقدير لانجازاتهم إذا ما تذكرنا أنها قد تحققت دون أية معونة تذكر من الحكومات العربية ، بل إنها قد تعرضت للمقاومة الصريحة والخفية في عدة مناسبات .

ولقد جمعت منطلقات هذه الجهود الرائدة بين الوعي القومي والايمان بالوحدة العربية ، وبين نزعات مهنية كان أبرزها تأكيد شخصية العشرة العلمية أو التقنية داخل مجتمعها القطري ، والدفاع عن مصالحها في إطار شبه نقابي ، إلى جانب اهتمامها بالمشاركة في تطوير مجتمعاتها ، وتقديم خدمات محدودة في مجالات تخصصها فيما نسميه جهود التنمية . ومع أن هذا كان الرافد الرئيسي في هر العمل الشعبي العلمي المشترك ، إلا أننا نستطيع أن نميز رافدين آخرين كان لهما شأنهما ولا شك ، وإن وقعا وسطا بين العمل الشعبي والنشاط الحكومي . فلقد شهدت فترة ما بعد الحرب حركة الاستعانة بالأفراد العلميين من الأقطار التي هيأت لها ظروفها التاريخية قاعدة سكانية عريضة ونظاما تعليميا أكثر تطوراً في مجال بناء قدراتها الذاتية في مجالات العمل العلمي التقني ، وذلك في الأقطار الأخرى الأخذ بسبيل تنمية مجتمعاتها وكوادرها المتخصصة ، وبالذات في مجالات التعليم العالي وتطوير المرافق العامة والبنى الأساسية والخدمات الاجتماعية (كالتعليم والصحة) ، ثم في الصناعة والزراعة . ولم يكن الحافز المادي سبباً رئيسياً في بداية هذه الحركة . ولعلنا لا نكون مخطئين إذا ما رأينا فيه

مظاهر نزعة مستمرة بين العشائر العلمية - التقنية العربية للتحصيل والتعاون وتبادل الخبرات . ولقد تعاضم دفق هذا الرافد مع تسارع جهود التنمية في شبه الجزيرة العربية والخليج بالذات في السنوات الأخيرة . وغداً واضحاً أن توفر ظروف أفضل للعمل ، وحوافز مادية غير متاحة في دول المنبع ، والمضايقات السياسية التي تعرضت لها بعض الفئات في أوطانها قد غدت اليوم العوامل المسيطرة على هذه الحركة التي تشغل الآن بال دول المنبع والمصب على حد سواء ، وإن اختلفت أسباب هذا الاهتمام ودوافعه .

الرافد الثاني الذي كان له في تقديرنا دوره المحسوس - وإن مضى معينه الآن - هو دور الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في عقد تسعة مؤتمرات علمية عربية ، عالج كل واحد منها موضوعاً شغل أذهان العشائر العلمية - العربية وقتئذ . فسرعان ما أصبحت هذه المؤتمرات حدثاً هاماً تتطلع إليه هذه العشائر وتحرص على الاسهام في إعداده وعلى المشاركة المؤثرة فيه ، إذ وجدت فيه مسراً يعبر من فوقه قادة هذه العشائر عن تصوراتهم بشأن مشاكل العمل القطري والقومي ولا شك أن الاعداد الجيد لهذه المؤتمرات ، والذي كانت الإدارة الثقافية تخرج على أن يشترك فيه أفراد من كل الأقطار العربية ، وجو الحرية في النقاش والمداولات ، كانت أسباباً رئيسية في نجاح هذه المؤتمرات . وكانت البحوث التي تقدم لهذه المؤتمرات ، والتوصيات التي تخرج عنها تصدر فيما بعد في مجلدات ، تظل التنظيمات العلمية - التقنية تتداولها وترجع إليها وتجد فيها زاداً قيمياً في ترشيد عملها . واكتسبت توصيات هذه المؤتمرات أهمية معينة اعتبرت بموجبها سبيلاً لاثارة اهتمام الحكومات العربية بقضايا العلم والتقنية . ولقد عقد المؤتمر التاسع والأخير عام ١٩٦٩ في القاهرة . وكان السبب في هذا التوقف هو قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مطلع السبعينيات ، واندماج الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية فيها . ولقد ارتلت المنظمة بحكم كونها منظمة حكومية أن تبدأ سلسلة من المؤتمرات لوزراء العلم ودؤساء أجهزة البحث العلمي العربية . وتم عقد المؤتمر

● العمل العلمي العربي المشترك

التنظيم الدولي ، إذ أكتفى بمجلس إدارة يضم عضواً ممثلاً عن كل دولة مشاركة . وسُمّت كل دولة مندوباً من مواطنيها العاملين في هذا المجال ليكون نقطة الاتصال بين المركز وبين دولته . واستطاع مركز التنمية الصناعية بفضل القيادة المحنكة والجسورة لمديره العام الأول ، والذي قضى نحبه بعد أقل من عامين من نشأة المركز وهو منكب على عمله فيه ، أن يفرّض نفسه كجهاز فعال ومفيد في التنمية الصناعية . ولقد اضطلع المركز خلال أشهر معدودات من نشأته المتواضعة في غرفتين في مبنى الأمانة العامة ، بمشروعات طموحة للمسح الصناعي والتدريب المتخصص ورفع الانتاجية والكفاءة الادارية في عدد غير قليل من الدول الأعضاء في المشرق والمغرب على سواء .

أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكو) والتي أعدت الادارة الثقافية مشروع تنظيمها وميثاقها فقد ظلت لعدة سنوات حليماً ينتظر التحقيق عند توقيع عدد كاف من الدول الأعضاء على ميثاقها ، الأمر الذي لم يتحقق إلا في بداية السبعينيات . وجاء نظامها صورة طبق الأصل لمنظمة اليونسكو الدولية ، إذ كان لها مؤتمر عام ينعقد كل سنتين ومجلس تنفيذي يجتمع كل ستة أشهر ، ومع أن الظروف الموضوعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، والمناخ الفكري السائد آنئذ واللذين نتج عنهما الجمع بين أشتات الثقافة والتربية والعلوم في إطار واحد لم تعد قائمة ، لا دولياً ولا عربياً ، في مطلع السبعينيات عندما نشأت المنظمة العربية . والواقع أن المنظمة بوضعها الحالي تكاد أن تكون ثلاث منظمات منفصلة لكل منها توجهاته واهتماماته ، ولا يجمع بينها موضوعياً في أعمال كل جناح من أجنحتها الثلاثة قاسم مشترك تخصصي واضح . إلا أن الاهتمام بشأن هذه المنظمة الجديدة ثما بسرعة ملفقة وتضاعف نشاطها وحجم موازنتها وعدد العاملين فيها بسرعة خلال سنوات معدودات . وأخذت المنظمة الجديدة على عاتقها مسئولية عقد أول مؤتمر عربي لوزراء العلم والمسؤولين عن البحث العلمي في بغداد عام ١٩٧٤ ، اشترك فيه جمع غفير من العلماء والمسؤولين الحكوميين وخارجت عنه توصيات شاملة تطرقت إلى العديد من

الأول في بغداد عام ١٩٧٤ . ومن الأمور التي لا مفر من التذكير بها هنا ، هو أن سلسلة مؤتمرات وزراء العلم العرب هي الوحيدة من بين المؤتمرات الوزارية العربية المتخصصة التي توقفت بعد عقد المؤتمر الأول ولحقت الآن . ومن إحقاق الحق أيضاً أن ننوه بتنظيم مكتب العلوم والتكنولوجيا بالأمانة العامة للجامعة لعدد من اللقاءات المتخصصة الرائدة ، لعل من أهمها الندوة العلمية العربية في موضوع التلوث البيئي عام ١٩٧٢ (وهو عام انعقاد مؤتمر ستوكهولم عن البيئة) ومتابعته لتوصيات المؤتمر العربي الأول للثروة المائية وعلوم البحار الذي نظّمته الجامعة عام ١٩٦٨ .

ويقودنا هذا مباشرة إلى النظر في البدايات التاريخية للعمل المشترك على المستوى الحكومي . وطبيعي أن يكون لجامعة الدول العربية دور رائد في هذا المستوى . وكانت قد نشأت في الأمانة العامة للجامعة ، بعد أن تجاوزت الأعوام الأولى من حياتها ، إدارات متخصصة قامت إلى جانب الجهاز السياسي فيها . ويعنينا منها هنا الادارة الثقافية التي كانت أقرب ما تكون إلى مجال العلوم والتقنية ، وإدارة البترول التي كان قيامها داخل الأمانة العامة انعكاساً طبيعياً لأهمية النفط في اقتصاديات عدد غير قليل من الدول العربية . وقد شغلت ببعض القضايا العلمية - التقنية في مجال تخصصها . وقرب نهاية الستينيات أسس مكتب للعلوم والتقنية ألحق بمكتب الأمين العام ، وانتقل إليه القدر الأكبر من اهتمامات الادارة الثقافية في هذا المجال ، وإن ظلت العلاقة بينهما داخل الأمانة العامة غير واضحة المعالم . وحوالي هذا الوقت أيضاً بدأت حركة إنشاء المنظمات العربية المتخصصة على نسق مماثل لما كان يجري في الأمم المتحدة . ففي عام ١٩٦٩ أنشأ مركز التنمية الصناعية للدول العربية (إيدكاس) كجهاز متخصص في هذا المجال داخل الأمانة العامة . وجاء هذا بعد عامين تقريباً من تحويل مكتب التنمية الصناعية في أمانة الأمم المتحدة إلى منظمة متخصصة . ويلاحظ أن المركز العربي ، وإن تشابه تنظيمه الداخلي مع التنظيم الداخلي للمنظمة الدولية ، قد اختلف تنظيم مجلسه الرئاسي عن

القائمة من قبل . وزاد من حدة الموقف أن الأمانة العامة في أول اجتماع لمجلس الاتحاد ، دعت بعض هذه المنظمات إلى التخلي عن برامج معينة لصالح الاتحاد . ولكن الاتحاد أنصرف بعد هذا إلى نشاطات أخرى مكمل لنشاطات المنظمات العربية الأخرى وأكثر التصاقا باهتمامات أجهزة البحث العلمي العربية . ويبدو الاتحاد اليوم ، وبعد أن استكمل المقومات الأساسية لكيانه ، وكأنه مقبل على مرحلة الاتقان والتجويد . وهو يبدو الآن حريصا على الوصول إلى تحديد دقيق للمهام التي يجب أن يتصدى لها تحقيقا لأهدافه .

العمل العربي المشترك

والعلاقات الدولية

قضية أثر العلاقات الدولية في العمل العلمي العربي عموما قضية لم تلق ما تستحقه من الاهتمام حتى الآن . ولعلنا لا نبالي إن زعمنا أنها في حوزها وجه آخر لقضية التنمية والعلاقات غير المتكافئة . يستطيع أن نميز هنا سر مجموعتين رئيسيتين من العلاقات ، الأولى العلاقات مع المنظمات الدولية ، والثانية مع المنظمات الإقليمية والدول . وسجد في كل من هاتين المجموعتين طيفا من العلاقات يتفاوت من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر . ولكننا نستطيع مع ذلك أن نميز بعض الملامح .

لقد لاحظنا قبلا النزعة التي تميزت بها المنطقة العربية وحدها في محاكاة الأشكال التنظيمية لهيئات الأمم المتحدة عندما شرعت في إنشاء المنظمات العربية وعدم الالتفات إلى تجارب مناطق أخرى مثل أمريكا اللاتينية التي انتهت بقيام منظماتها الإقليمية في نفس الوقت تقريبا . وليسنا بحاجة أن نشير إلى أن الإطار التنظيمي لعدم يزيد على مائة دولة ، متروعة الحضارات والثقافات واللغات والنظم السياسية . ليس بالضرورة أفضل نظام لحوالي عشرين دولة نرى أنها تجمعها وحدة الثقافة واللغة والهدف . وتعني هنا دلالة هذا الأمر على موقف الاستسلام بأن لدى هذه المنظمات الدولية معينة من الحكمة يجعلها نموذجاً يحتذى ويدفع المنظمات العربية لمحاولة تقليدها .

تطوينا العلم والتكنولوجيا ودورها في تنمية المجتمعات العربية . ثم تصادف موعد عقد المؤتمر الثاني مع مبعث انعقاد المؤتمر العربي في سلسلة مؤتمرات نظمها اليونسكو في مناطق العالم للوزراء المسؤولين عن العلم والتكنولوجيا وتطبيقها في التنمية . واتفقت المنظمتان على الاشتراك سويا مع اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا في عقد مؤتمر « كاستمرب » الأول في السرباط عام ١٩٧٦ . وسيطرت المنظمة الدولية بأسلوب ديكتاتوري ، وبفضل إمكانياتها الكبرى ، على مراحل الإعداد وعلى سير أعمال المؤتمر واستطاعت بتدخل سافر ومباشر أن تتنزع من الوزراء العرب قرارا بأن يتحول هذا المؤتمر إلى مؤتمر دوري تدعو إليه وتنظمه اليونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية . وكانت هذه نقطة تحول خطيرة في مسيرة العمل العلمي العربي المشترك وفي تطور العلاقات بين المنظمات والهيئات العربية وتلك الدولية .

وفي عام ١٩٧٤ ظهرت الدعوة لإنشاء اتحاد مجالس أبحاث العلمي العربية ، ولقيت اهتماما وتدعيا من حكومة الجمهورية العراقية بالذات التي قدمت للاتحاد الوليد تسهيلات هامة ساعدت وسارعت بقيامه عام ١٩٧٦ . واستطاع الاتحاد بعد بداية لم تخل من التعثر أن يصوغ عددا من البرامج وأن يباشر تنفيذها . وأنشأ علاقات عمل ، شابهة التوتر والتداخل أحيانا مع المنظمات القائمة ، واتسع نطاقها مع مرور الزمن ، كما استطاع أن ينشئ علاقات عمل مع هيئات علمية في بعض الدول الصناعية والنامية ومع المنظمات الدولية . ويتكون الاتحاد من مجالس أو هيئات البحث العلمي في الدول الأعضاء . وللمجلس أو الهيئة العضو صفة مزدوجة ، إذ أنه يعتبر أيضا ممثلا للدولة التي يعمل فيها . وجاء تنظيم الاتحاد ، على عكس الكثير من المنظمات الحكومية المتخصصة التي تحاكي نظيراتها الدولية ، متميزا بسمات خاصة به ، ولا يحاكي دون مبرر تنظيميا دوليا آخر ، ولو أن الصيغة التنظيمية التي تميز بها ونشأته خارج أسرة منظمات الجامعة العربية قد نتجت عنها بعض المشاكل في تنسيق علاقاته معها ، خصوصا في السنوات الأولى لنشأته . ولقد لقي الاتحاد في بداية عمله صعوبة في إيجاد مكان له بين المنظمات العربية

في مجالات العلم والتقنية . وقد نستثنى من هذا شيئا من الاهتمام ، الذي كان في غالبه فرديا ، بإقامة جسور مع الدول الأفريقية ومنظماتها المتخصصة . وقد لا يكون من التصرف أن نقرر بشكل عام أن الهدف من إقامة علاقات دولية ما زال غامضا غير مبرمج ، وأن السمة الغالبة عليه حتى الآن هي إبراز دور عربي ما على الأصعدة الدولية من خلال هذه العلاقات الشكلية ، والحضور الدائم في المناسبات والاجتماعات وإنشاء قنوات للتعرف على التطورات العالمية ومتابعتها .

ثم ماذا عن المستقبل ؟

القضية في الواقع العربي ليست بهذه البساطة . فالأقطار العربية تتفاوت كثيرا في أوضاعها الراهنة وفي ثرواتها الطبيعية ، وقدراتها البشرية ، ومراحل تطورها ، وواقع مسيرة التنمية فيها . وما يصلح لقطر عامر بالسكان تبيأ له نظام تعليمي عريق وعريض لا يصلح لقطر آخر وهبه الله من الثروات الطبيعية الخير الكثير وإن قل عدد سكانه ، أو لثالث يعاني من نقص قاذح في الموارد ، وقصور في الهياكل الأساسية . وهذا أحد المبررات الأساسية للعمل المشترك في إطار مخطط قومي شامل ، وإنما من خلال برامج تجمع بين عدد من الأقطار التي يحقق اشتراكها معا جدوى ملموسة وتقف وراءه إرادة سياسية قوية . وما زالت مسألة الربط بين مستويات العمل القطرية والجهوية والقومية غير واضحة المعالم وغير مدروسة بتمعن وموضوعية .

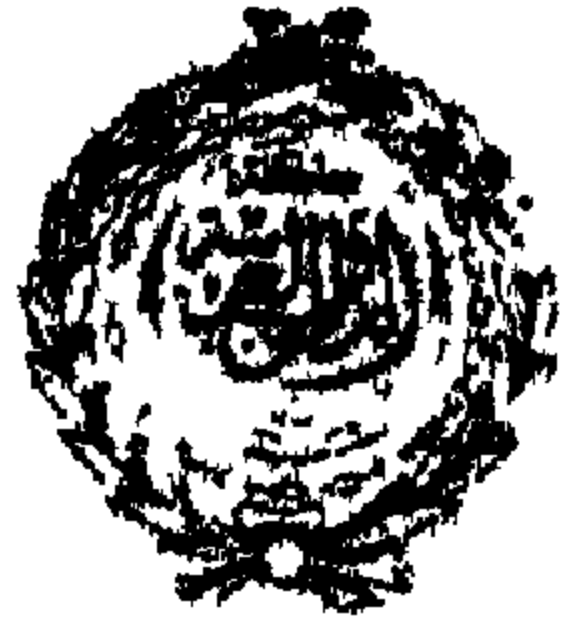
- وإذا ما كان العمل المشترك لا يقوم إلا على دعائم راسخة من العمل القطري ، فإن المسار الثاني الذي لم نسلكه بإصرار وعزم حتى الآن هو رسوخ القناعة على كل المستويات بأن للعلم دورا في تحقيق نهضة الأمة العربية وإقالتها من كبوتها . ونحن لا نتحدث هنا عن شعارات يطلقها الساسة والقادة في المناسبات معلنين إيمانهم بأهمية العلم ، وإنما نعني أفعالا تعكس قناعة حقيقية بهذا المنطلق . ولا مجال هنا لترديد ما نعرفه جميعا من قصور في الانفاق على العمل العلمي وتعجل لعطائه وضيق بمطالباته . □

ولقد غلت هذا الموقف نزعة غير صحيحة تقتضيها الأمانة أن نشير إليها بشجاعة من منطلق الاحساس بالمسئولية . فلقد عمدت هذه المنظمات إلى أسلوب احتواء العناصر القيادية بإغراءات المزايا المادية والمعنوية التي تملك توزيعها ، وبإضفاء هالة زائفة على إمكانيات هذه المنظمات وحجم إنجازاتها وأهمية أعمالها . ولسنا نزعم أن الكل قد انتقاد لهذا الإغراء أو أن العرب الذين التحقوا بالعمل بهذه المنظمات أو تعاونوا كانوا كلهم أدوات سهلة التوجيه . ولكننا لا نملك ، في الوقت نفسه ، إلا أن نواجه وجود شيء من هذا وأن ننظر في أسبابه وسبل تصحيحه .

ولم تكن كل المنظمات الدولية على علاقات عمل صحيحة مع المنظمات العربية تقدر الأولوية التي توليها لمشاكلنا ومواقفنا القومية . فلقد رأت بعض هذه المنظمات الدولية في الهيئات العربية منافسا لها يغتصب قدرا من المكانة التي تريد أن تنفرد بها على الساحة العربية ، فنشأت بينها صراعات حادة ومدمرة أحيانا . ولقد وقفت الحكومات العربية مواقف غير حاسمة في هذه الصراعات ولم تكن راغبة - على الأقل حتى الآن - في تأكيد شخصية منظماتنا العربية ، وتدعيم مكانتها . وقد يكون لها بعض العذر في هذا ، فمنظماتنا لم تثبت كلها كفاءة الأداء والفاعلية التي تؤهلها للدور الذي نريده لها . والملاحظ أن المنظمات العربية التي حققت هذه المكانة استطاعت أن تتعامل من موقف قريب من موقف التكافؤ والتدنية مع نظيراتها الدولية .

أما علاقات العمل العربي المشترك مع التنظيمات الإقليمية ، فأمهما في نظرنا هو ما دار بعد حرب أكتوبر في إطار الحوار العربي الأوروبي . ونقصر النظر هنا على اللجان المرتبطة بالعلم والتقنية ، فنلاحظ أن الموقف العربي اتسم بالعضوية في هذه اللجان ويعدم الأعداد الجيد له ويتغير الشخصيات العربية المشاركة فيه إلى الحد الذي لم يحقق موقفا عربيا متناسقا أو مطردا . وحتى وقت قريب جدا لم يهتم العرب عموما بالعلاقات بالعالم الثالث أو النامي ، ولم ينشطوا بشكل ملحوظ مثلا في النشاطات التخصصية لمجموعة دول صدم الانحياز ، ولم يحاولوا إقامة علاقات مع دول أمريكا اللاتينية أو جنوبي شرق آسيا

الجامعة
العربية
ببغداد
عام ١٩٨٥



مؤسسات التعاون العربي الأفريقي ملاحظات أساسية

بقلم : حلمي شعراوي

إذا لم يسلم القارىء ببعض الأوليات حول حتمية وجود حد

أدنى « للتعاون العربي - العربي » أو « بالضرورة التاريخية » لقيام « المؤسسات

العربية المشتركة على الأرض العربية » أولا ، فإن تردده أمام هذه

« المسلمات » سوف يوقعه في حالة من الاحباط ويمنعه من الاستمرار في

مطالعة هذا المقال ، وخصوصا وأن تأمل الموقف على الجانب الأفريقي

بدوره لا يقل اهراء بالاحباط .

العربي والأفريقي - معا وعلى حدة - بل يرى المجموعتين في حراك دائم ، وسط تجمع آخر لعدم الانحياز وثالث للدول النامية ، ورابع لمتجى البترول والمواد الخام ، وخامس في الجامعة الدولية للأمم المتحدة

ومعنى ذلك أنه يتوفر للمجموعة العربية والأفريقية من الساحات لتحقيق أوزانها ما لا يتوفر لأية مجموعة أخرى غير الأوروبية - نقيضنا التاريخي حاليا - وإن تنسيق التعاون بين العرب والأفارقة خصوصا فيما

لو أن ما يقوم من مشكلات يرجع إلى صعوبات التضامن بين ٦٤ دولة عربية وأفريقية هي مجموع دول القارة والوطن العربي - أو أن هؤلاء جميعا لم تجمعهم أية موائيق مشتركة أو ساحات وهموم وثقافات موحدة بطبيعتها ، لترك القارىء لانفعالاته ضد منطق التوقع لما لا ينتظر ، أو احباطه لتناجح الفرض المتوقعة في العلاقات لكن القارىء الذكي لن يطلق مشاعره لمثل هذه التوجهات في التفكير ، وهو يرى أمامه هذه المؤسسات الجامعة على المستوى

نسبية « بمأسسة » العلاقات بينها على النحو الذي تم - نسبيا - يعتبر كسبا خاصا وسط هذه التجمعات الدولية ، وهذا ما يضاهف من عبء التأمل فيه والمحاسبة على نتائجه . .

البدايات

لم تكن الاحداث بين عامي ١٩٧٧/٧٣ اذن في حياة العلاقات العربية الافريقية مجرد أحداث عارضة أو غير ذات دلالات مستقبلية فقد توجت باجتماع رؤساء الدول العربية والافريقية بالقاهرة في مارس ١٩٧٧ ليضعوا ميثاق التعاون الاربعة الشهيرة ، وعلنوا الالتزام « الجماعي » بمخططات وبرامج متفق عليها ، ويؤكدوا أدوار جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الافريقية في تنسيق هذا العمل ، تسندهما لجنة دائمة للتعاون العربي الافريقي من ٢٤ دولة (١٢ عن كل طرف) ويقسمون مجالات العمل على ٥ لجان فرعية ، ويحددون جدولاً زمنياً لاجتماع كل هذه الهيئات من قمة الرؤساء (كل ٣ سنوات) الى قاعدة اللجان (كل ستة شهور) . . . واستبشر الجميع خيراً . . .

فها هي أموال البترول وقد استقرت مجارياً في يد العرب وعدد من الدول الافريقية أيضاً . . . وها هي بعض الدول العربية والافريقية ذات طاقات تنفيذية لا يستهان بها

وها هي مجالات العمل بين ٦٤ دولة تزخر بالأيدي العاملة ، والمواد الخام ، والمساحات الزراعية الشاسعة ، ثم تأتي أخيراً مرحلة « المأسسة » لكل ذلك ، باقامة هيكل ومؤسسات تضمن ضبط كل هذه الأطر وفق ميثاق ١٩٧٧

فكيف مضت الامور ؟ وأين نجد أنفسنا من كل ذلك بعد ثمانى سنوات خلت ؟

وما هي حدود مسئولية « المؤسسة الرئيسية » . . . جامعة الدول العربية ؟

لن أمضي هنا كثيراً في تفاصيل عاجلتها كثرة من الكتابات والدراسات حول « الأموال » كيف صرفت أو الاجهزة كيف صُرفت ؟ ولكن ونحن بصدد الجانب « المؤسسي » للموضوع ، فانا سنركز على بعض هذه المؤسسات التي كنا نتوقع أن تجعل التعاون

بين « كتلتى » العرب والافارقة - بما توفر لها من ظروف - مثلاً بمجندي قيا يسمى بخوار الجنوب / الجنوب ، أو الحوار الثنائي الخاص وسط محاولات « العالم الثالث » المقهور للتحرر من السيطرة المركزية المعروضة عليه . . .

وهنا تقفز أسماء هيئات أساسية في التعاون مثل « الامانة العامة لجامعة الدول العربية » ومقابلها في منظمة الوحدة الافريقية ، « والمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في افريقيا » وصندوق المعونة الفنية للدول العربية والافريقية ، « وجهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية » بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الى جانب المنظمات العربية المتخصصة الاخرى . . . وهي التي تعتبر المؤسسات الفاعلة للجان الدائمة والفنية والاجهزة المنفذة للتوصيات والقرارات . . . « الجماعية » . . .

النقد من الداخل

أمانة جامعة الدول العربية : لا بد أن يلاحظ القارئ أنها جامعة « الدول » العربية وليست « الجامعة العربية » ويقدر أثر « النزوع القطري » المبكر في أسس قيام هذه المؤسسة ومعنى ذلك أنها ليست ذات سلطة أو امكانيات « فوقية » تمكنها من عمل جماعي يتجاوز « افراد » الجامعة ، فهي لاتدعو لجنة لايوافق عليها « جميع » الاعضاء ، ولا تفض مشروعا لايلقي تأييدهم « جميعا » !

ولم يمض وقت طويل على تطلع هذه المؤسسة للقيام بدورها بعد القرارات « الجماعية » في مارس ١٩٧٧ حتى تفجرت مسألة كامب ديفيد فامتنع عقد لجنة التنسيق واللجنة الدائمة للتعاون العربي الافريقي فيما بين ١٩٧٩ و ١٩٨٢ ، وساعد تفجر مسائل « الصحراء الغربية » « تشاد » - اي النزاعات العربية / العربية على استمرار الجمود ثم كانت « أفارقة » هذه النزاعات جميعا مما جعل الافارقة يصرخون في كل مكان أن العرب يصرون مشاكلهم للقارة التي لاتنقصها المشاكل !

وبخبرني هنا تحذير بعض علماء الشريعة من أن « المقهور » يظل يتمثل مطوك قاهره حتى يتبناء قواما ،

تلقا وعمررا ورغم أننا لا نتمنى حدوث ذلك بالطبع فإننا نندمش أننا لا نتمثل من السلوك الأوروبي الرغبة في الرغبة واستهلاك « معداته » دون تحمل « أدواته » في السيطرة على بيئاته وإدارة مصالحه .

وتظل « إدارة السوق الأوروبية المشتركة » مثلا ناصحا لنا جميعا رغم الاختلافات بين أعضائها . ورغم غرامنا باستيراد المعدات والحديث الدعائي عن « استيراد » الأفكار فإننا لم « نستورد » ما ينفع من أداة المصالح المشتركة في مجال هام مثل التعاون العربي الأفريقي . .

ولم ندرس مثال « شيسون » حين اختلف معه الرئيس ميران كوزير لخارجيته فاعاده لإدارة التعاون الأوروبي مع العالم الثالث . . تخصصه المفضل والناجع !

الظروف الضبابية

في هذه الظروف من الضبابية العربية بذلت أمانة جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية أقصى جهدهما لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من آثار التشرذم العربي والأفريقي . وحين كنت أراقب اجتماعات لجنة التنسيق بالخرطوم في مارس ١٩٨١ ، وهي لا تنضم إلا رئيسي الجانب العربي والأفريقي في اللجنة الدائمة مع الأمين العامين للمنظمتين وبعض رؤساء المنظمات المتخصصة ، كنت أشفق تماما على أمانتي المنظمتين وتوقعاتهما في جولا يستطيعان فيه جمع اللجنة الدائمة بسبب عضوية مصر فيها ، ثم ما أصاب منظمة الوحدة نفسها بسبب مشكلتي الاعتراف بالجمهورية الصحراوية وتشاد لكن هاهي الأيام تمضي فتزوس الأمانتان علاقاتها الثنائية باتفاقيات التعاون ، وصياغة اتفاقيات مقاطعة النظامين العنصريين في فلسطين وجنوب أفريقيا ، وتنسيق اتفاقيات المنظمات العربية المتخصصة مع منظمة الوحدة الأفريقية ، مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة العمل . . . الخ

وتتبع الأمانتان في عقد اللجنة الدائمة للتعاون العربي الأفريقي ثلاث مرات بعد عام ١٩٨٢ كما تمضي العلاقات المباشرة بين الأمانتين بشكل مطرد . لكن أية اتفاقيات لا تستطيع إلا أن تبقى في الحيز

المعنوي للعلاقات والتعبير عن السطوحات « الجماعية » وهيكله مؤسسات التعاون وأعدادها للمستقبل وأما الواقع فيمضي بعيدا عن ذلك ، فلا الأمانتان هما مجموع الدول الأعضاء ، ولا القرار السياسي في المجموعتين أصبح جماعيا في حدوده الدنيا وكامب ديفيد العربية تكاد تستقر في الواقع العربي مثيرة للزبد من الانقسامات ، يقابلها كامب ديفيد أفريقية في الجنوب الأفريقي . ولعل كل ذلك هو الذي أدى مؤخرا لشكل جديد يصيب عمل الأمانتين اللتين ترقبان دفعة جديدة باجتماع المجلس الوزاري المشترك للمنظمة الأفريقية والجامعة العربية في طرابلس إبريل ١٩٨٥ واذ بالاجتماع يؤجل إلى أجل غير مسمى بسبب ضرورة حضور الجمهورية الصحراوية مع الجانب الأفريقي على الأقل ، وهو حضور مرفوض من قبل عدد من الدول العربية . . من هنا وبدون اجتماع مجالس التصديق النهائي على هذا النحوفانه يتوقع شلل كبير في عمل الأمانتين . فما هو دور المؤسسات الأخرى ، على المستوى الجماعي والذي يتوقع أن تمضي بها الأمور متجاوزة العقبات « الفردية » بين الدول الأعضاء ؟

المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا : يبدو من اسمه أنه ليس مشروعا عربيا أفريقيا مشتركا وإنما هو « مصرف عربي » للتنمية « الاقتصادية » موجه لأفريقيا ، وترجع أسباب ذلك إلى نزوع بعض الدول العربية الغنية لضمان تصريف أموالها من جهة ، ونزوع بعض الدول الأفريقية الغنية (نيجيريا - الجابون مثلا) إلى عدم الرغبة في المشاركة بأموالها خلال موجة تحميل البترول العربي وحده كل مسئولية اللازمة الاقتصادية في العالم الثالث على نحو ما أرادت ذلك الحملة الدعائية في السبعينيات . بل وقد كانت بعض الدول العربية تدفع فكرة « الصب » في « بنك التنمية الأفريقي » بإيدجان وحده ، لترضية الأفارقة وليس صياغة لعمل عربي أفريقي تعموي مشترك .

والمصرف العربي الذي يعتبر عملا « اقتصاديا » ناجحا وبحق ، والذي يبلغ رأسماله حوالي ٨٠٠ مليون دولار ، وأصبح يسهم في أكثر من ٨٠ مشروعا اقتصاديا أفريقيا ، لا يستطيع وحده أن يكون نقطة

● التعاون العربي الافريقي

لا يملك نظرة استقلالية تحمي المال العربي من الاستيعاب في الشركات العالمية، ومتعددة الجنسية، مقابل تنمية دور شركات وطنية قادرة أو تتدرب على القدرة، مهما تحملت من خسائر، فالمقصود «بمأسسة» التعاون العربي الافريقي ليس فقط زيادة استثمار الاموال، وانما نمط وطني في دفع عملية التنمية، ومع ذلك، فالمصرف يقود حملة جذب رأس المال العربي لافريقيا وسط مخاوف غير مبررة كثيرًا لدى هذا الراسمال الى حد أن مؤتمر المستثمرين العرب والافارقة لم يستطع الانعقاد حتى الآن لاذابة مابين الطرفين من «جليد الخوف»، كما وان تضاعف الازمة الاقتصادية والفساد السياسي في افريقيا لا يساعد على خلق الثقة من جهة بل لا يساعد على توفير البنية المناسبة لاستثمار واسع على نحو ما يتطلع اليه المال العربي من جهة اخرى. ولذا نقول ان بناء الثقة يحتاج لعمل سياسي معمق - شعبي وثقافي - وبناء البنية التحتية يحتاج لتوجه تنموي للتعاون اكثر من التوجه الاقتصادي السائد.

ولذا نكرر أن المسؤولية مزدوجة على الجانب العربي والافريقي، وانه آن اوان قيام المشروع المشترك الكبير الذي يقي تاريخيا في ذهن الشعوب وعلى خريطة التنمية الحقيقية، وليست أمثلة السد العالي وسد الفولتا بعيدة...

- صندوق المعونة الفنية للدول العربية والافريقية: هو أحد اجهزة الامانة العامة لجامعة الدول العربية، وهو ايضا من القصص الدرامية في واقع التعاون العربي الافريقي... فقد انشئ الصندوق بناء على قرار من القمة العربية بالرباط ١٩٧٤، وبرأسمال مقدر بحوالي ٢٥ مليون دولار على أن تعد ميزانيته ونفقاته السنوية بعد ذلك في حدود ٥ ملايين دولار سنويا، وكان مقدرًا أن يكتسب المشروع قوته من مصدر القرار وهو القمة العربية، كما أنه قد قام على مبدأ «تقديم الخدمات الفنية والعلمية البشرية للدول الافريقية وسوف يكون مجال اتصال واسع على المستوى الانساني والاجتماعي بين العرب والافارقة»، ومجالا لتوجيه العون دون طمع في الربحية او الطرفية...

انطلاق رئيسية في تقييم التعاون الاقتصادي العربي الافريقي...

ان القارة الافريقية التي تعاني من خطة رأسمالية عالية لحفض أسعار المواد الخام بينها التزايد فلكيا في أسعار المواد المصنعة... قد وصلت فيها عملية التنمية الى طريق شبه مسدود. فالديون على الدول النامية أصبحت تزيد على ٤٥٠ مليار دولار وسداد الديون نفسه يحتاج الى أكثر من مائة مليار في العام...

ويكفي لتصور «الظلم العالمي» أن تعرف أن المعجز في ميزان مدفوعات الدول الغربية مجتمعة حين وصل الى ٥٠ مليارات عام ١٩٨٠ اتخذت من الإجراءات الحمائية ضد وارداتها من العالم الثالث ما جعل المعجز ينخفض مباشرة في العام التالي الى ٣١ مليارات بينما يرتفع المعجز في دول العالم الثالث من ٥٣ مليارات ١٩٧٠ الى ٤٦١ مليارات عام ١٩٨٠، ومع ذلك تلهث دول العالم الثالث «لتنظيم» علاقتها بالدول الغربية في ذلك الاتفاق المجحف المسمى باتفاقية «لومي» فقط لتنظيم الاجحاف...

من هنا فانه بدون نظرة تنموية حقيقية في العالم العربي وافريقيا، فانه لا يجدي اقامة مصرف لاغراض اقتصادية بحتة، حتى لو كان هو بيت الخبرة العربية المنظمة على نحو ما يبدو فعلا.

سيولة عربية لافريقيا

ان «المصرف» يملك أية أداة تنسيقية لسيولة حوالي ٨ مليارات دولار عربية اتجهت لافريقيا في السنوات الثماني الماضية عبر قنوات معظمها «دولية» وقليلها محلي، والمصرف لا يملك نفوذا يستثمر به خبرته المتراكمة كاحدى مؤسسات التعاون العربي الافريقي ليوزع الاموال العربية توزيعا عادلا، فلا تتركز في مراكز النفوذ الامريكية والفرنسية على نحو ما حصلت عليه زائير والسنغال وغينيا بعد توجيهها الجديد في عهد توري ومالي حيث حصلت كل منها على حوالي نصف مليار دولار من القروض والمساعدات، وهي لا تتحكم في وسائل استثمارها والمصرف نفسه - وهو القائم على أساس اقتصادي - لا تنموي - (الربحية وتمويل التجارة)

المعونة الفنية والتدريب . . . والقومية

ولكن منذ البداية تجاهل الجانب العربي تأكيد هذه الروح ، فلم يتم تصور أي تكرين مشترك (عربي / افريقي) للصندوق ، وإنما يديره الجانب العربي كإدارة في الجامعة العربية من ممثلي « المسؤولين » كمجلس إدارة بأكثر من ممثلي الكفاءات العربية وهرثات المعونة الفنية العربية المعروفة . ومنذ البداية شعر المسئولون العرب بأن مبلغ ٢٥ مليون دولار أكبر من أن يقتصر على إفريقيا ، فأدرجوا فيه المساعدة الفنية للدول العربية التي تقوم بعملية التعريب كعون « فني » عربي في المجال وليس كقضية قومية تحتاج إلى تمويل خاص أكثر من نصيبها مع ٤٠ دولة إفريقية أخرى في مبلغ متواضع مثل رأس مال الصندوق ! ومع ذلك لم يخصص تمويل الصندوق وتشجيعه على الاستمرار بسهولة كأداة عربية في دفع الجانب الفني والاجتماعي للتعاون العربي الإفريقي فسرعان ما تراكت العقبات ولم تستطع مؤسسة الجامعة أن تدفع « المؤسسات » الاقتصادية إلى مشاركتها هذا المهم . ومع أن مجلس الجامعة العربية هو الذي قرر في دورته ٦٧ لعام ١٩٧٧ بالقاهرة « بأن تؤول فوائد صندوق الاقتراض والبالغة ١٣,٣ مليون دولار إلى صندوق المعونة الفنية ، وأن تعتبر كإنصبة إضافية دون أن تحتسب ضمن مساهمات الأعضاء في رأس المال الأصلي » إلا أن هذا التقليد لم يتبع تطبيقه من مؤسسة الجامعة بعد ذلك لأعلى أرباح المصرف العربي للتنمية في إفريقيا ، ولا باقتناع الدول العربية المانحة للقروض في إفريقيا بتخصيص جزء من أرباحها لمثل هذا الهدف الفني والاجتماعي .

أقول ذلك ونجت يدي التقرير الأخير للصندوق عن نشاطه حتى عام ١٩٨٤ ، والمفروض أن يقدم للقمة العربية المنتظرة حالياً مستعرضاً المسئولين العرب بإتخاذ هذا الكيان الذي يكاد يتوقف تماماً كما سنرى بما سيشكل هيباً مشيناً في وجه العرب جميعاً على الساحة الإفريقية . . . فما الذي تصرخ به حقائق هذا التقرير :

• إن رأس المال الأساسي (٢٥ مليون دولار) لم يدفع منه حتى عام ٨٤ إلا مبلغ ١٤,٩ مليون دولار

• أن المساهمات الدورية التي قررت منذ انعقاد مجلس الجامعة في مقديشو ١٩٧٩ بمبلغ ٥ ملايين

سنوياً على مجموع الدول العربية لم يجمع منها حتى ١٩٨٤ وهي المقدرة بمبلغ ٣٠ مليون دولار - إلا بمبلغ ٤,٧ مليون دولار !

• لم يتخذ الصندوق إلا حملة تبرعات في مؤتمر القمة بعمان سنة ١٩٨٠ جمعت مبلغ ٢٠ مليون دولار .

• إن مجموع ما كان يجب أن يكون في الصندوق كالتزامات بأشكالها المختلفة على الدول العربية خلال السنوات الثماني هو ٩١ مليون دولار لم يسدد منها إجمالاً إلا ٥٢ مليون دولار جمد منها في القاهرة بعد نقل الجامعة إلى تونس حوالي ١٧ مليون دولار ولم يصرف فعلياً على المساعدات الفنية إلا مبلغ ٣٦,٨ مليون دولار

ولن أزعج القارئ كثيراً بتفاصيل أخرى تقول إن أكثر من ٥٠٪ من هذه المبالغ وجهت لالتزامات ذات طابع عربي قومي أساساً ، وهي التعريب في الصومال وجيبوتي وموريتانيا وجنوب السودان ، إن الباقي المحدود الموزع على أكثر من ٤٠ دولة إفريقية خلال ثماني سنوات جعل حضور الفنيين العرب الموفدين من مؤسسات التعاون العربي الإفريقي هزيباً إلى درجة لم يزد فيها عدد الفنيين العرب في مجموع الدول الإفريقية غير العربية في أية سنة عما يتراوح بين ١٠٠ - ١٥٠ خبيراً أو مدرساً إلى جانب بعض المسح التدريبي أما الأرقام الأخرى فتخص معلمي العربية في الصومال وموريتانيا وجيبوتي أو الأراضي الفلسطينية المحتلة .

أقول هذا وأمامي أيضاً تقارير أخرى تتحدث عن الخبراء الاسرائيليين في إفريقيا فترة انقطاع العلاقات المزعومة معها في السبعينيات حيث بلغوا حوالي أربعة آلاف خبير منهم ٢٠٠٠ في نيجيريا و ٤٠٠ في زائير وحدثهما !

أنا - وعلى الأقل مثل اسرائيل - نذكر الأهمية الحضارية لوجود الخبراء الوطنيين في البلاد الصديقة ، ووجود المتدرب الإفريقي في بلادنا ، ونذكر أن المشاريع الاقتصادية حتى بالمنطق الرأسمالي وفي بلاد الرأسمالية التي « نعتز » بالعلاقات معها ، حيث تحول المؤسسات الاقتصادية عمليات العون الفني والثقافي ، وتقدم المنح الدراسية وتمول الدراسات

وثمة غزو ثقافي استعماري يعمل على التأثير فيها بالسلب ضد العرب ، وثمة مؤسسات ثقافية ومجموعات من المثقفين القيايين راغبين في احياء هذه العلاقات ، سواء منهم من يتصرف وفق للمنطق الديني البحت او من يتصرف وفق لمنطق علماني لمفهوم الثقافة العصرية كعنصر التقاء دينامي في حد ذاته من اجل التحرر الانساني المشترك . . .

وعلى الجانب العربي نجد نفس الاعتبارات والاتجاهات تقريبا تدعّمها ظاهرة حيوية مثل التعاون العربي الافريقي ، وحاجة ملحة في الثقافة العربية تدفعها للحوار مع الثقافات الاخرى والانفكاك معا من ميراث التبعية الثقافية الثقيل للثقافات « العالمية » المهيمنة .

لكن كل هذه الاعتبارات لم تقنع الأجهزة العربية المسئولة بالمسارعة بتمويل المشروع فبدأ بعون من صلب ميزانية المنظمة العربية لجهازه الاداري والفني ، ثم وقعت اتفاقية بين المنظمة وليبيا ضمنت له بعض الحراك في السنوات الثلاث التالية في حدود مبلغ ٢,٥ مليون دولار . . . فقط .

ان قصر العلاقات والحوارات الثقافية والحضارية والاقتصادية في اتجاه مؤسسات السيطرة الاوروبية القديمة على نحو ما يتم لن يتيح للعرب فرصة بناء مستقبلهم في الحوار مع شعوب العالم الثالث وتبشير الازمة الاقتصادية والثقافية الحالية الى توقع موجة من الخضوع الكامل نعود معها جميعا الى « قنصل قيم القاهرة » على نطاق أوسع . وهو مالا نتمناه ، أو موجة من التحرر الوطني ، اقتصادية وثقافية نحتاج الى « تأسيسها » جيدا من الان عبر أجهزة عربية قائمة بالفعل ولاشك في أنها تعرف طريقها ، ولكننا نأسى لوضعها المالي الحالية التي لا تسمح لها باي دور

والبحوث بما يعرفه اي مثقف وفني في بلادنا . والمشكلة الان أن صندوق المعونة الفنية يكاد يتوقف تماما منذ عام ١٩٨٤ بعد أن سحب العديد من الفنين العرب في الدول الأفريقية ، واصبحت ميزانيته بالسالب أي أنه لا يستطيع تمويل الا مرتبات جهازه الاداري . . وفي انتظار رحمة القمة العربية المنتظرة . فهل يمكن أن تتوقع دعم عمل قومي مؤسسي بهذا المنطق ؟

نشر الثقافة العربية الاسلامية

جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية والاسلامية : هو جهاز ملحق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، احدى منظمات الجامعة العربية ، قام على أثر تصاعد الرغبة في دعم العلاقات الثقافية العربية الخارجية عامة ليس فقط مع افريقيا ولكن نعمة العمل في افريقيا تكاد تكون هي السائدة فيه استجابة لروح التعاون العربي الافريقي النامية . وكان المؤتمر الكبير الذي اقامته المنظمة في نوفمبر ١٩٨١ وجمع كبار المتخصصين والمفكرين العرب المتحمسين لفكرة « نشر الثقافة العربية بالخارج » هو نقطة الانطلاق في هذا العمل ، حيث توجه الجميع الى الدول العربية والاسلامية بالنداء لتمويل المشروع ودعمه . وكان الاغراء لنجاح هذا المشروع هو حجم العلاقات الحضارية والدينية والثقافية الفعلي القائم مع العديد من شعوب افريقيا ، ومع الجاليات العربية بأفريقيا وامريكا اللاتينية واوروبا ومع الشعوب الاسلامية في آسيا . .

ويزخر الواقع الافريقي بوجه خاص بعناصر الاغراء للتحرك في هذا المجال ، فثمة تراث ديني وحضاري ولغوي مشترك يبرر تنشيط هذه العلاقة ،

حقيقة المال

يقول ابن سينا : المال بمنحنا مظاهر الاشياء دون جوهرها : انه بمنحنا الطعام لا الشهية ، والدواء لا الصحة ، والمعارف لا الاصدقاء ، والخدم لا المخلصين ، والمرح لا السعادة .

دفع أبو حيان التوحيدي

عن إحراقه لكتبه

لم ينصف الوزراء أبا حيان التوحيدي فكتب في نقدهم . ولم يجد في الناس من يستحق قراءة كتبه فجمعها وأحرقها في لحظة يأس واحباط شديدتين ، فضاعت آثاره . لكن التاريخ حفظ لنا رسالة لابي حيان تتضمن دفاعه عن هذا الانتحار المعنوي .

بقلم : الدكتور جعفر هادي حسن

المهلي ، فطلبه فاستتر عنه ، ومات عن نيف وثمانين عاما ، سنة ٤٠٤ هـ .

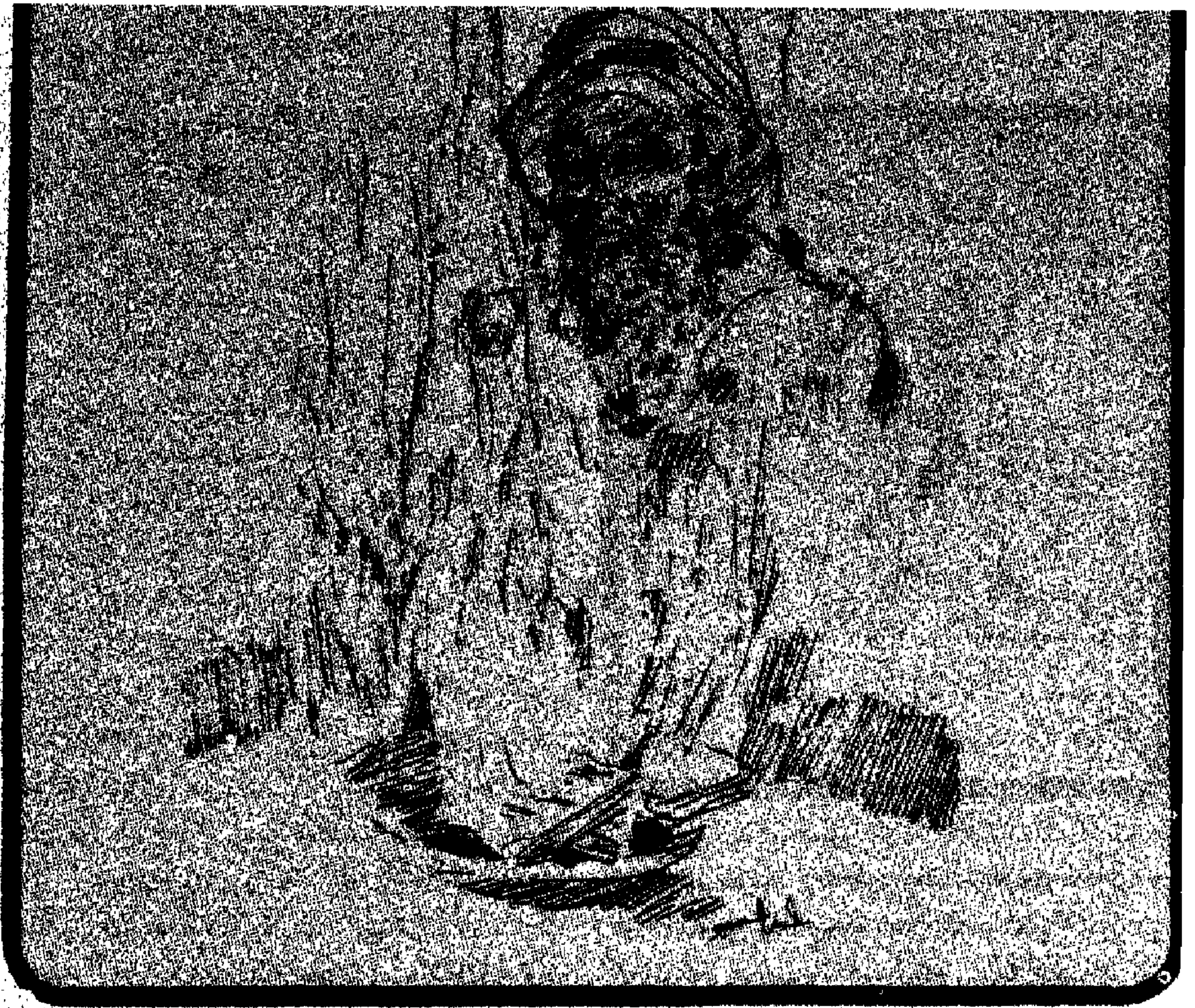
ألف أبو حيان مجموعة من الكتب ، منها المقابسات والبصائر والذخائر ، والمحاضرات والمناظرات ، والامتاع والمؤانسة ، والصدقة والصدق ، والاشعارات الالهية . وقد وصلت اليها هذه المؤلفات ، ومن يقرأها لا يسعه الا أن يعجب بموهبة أبي حيان وأسلوبه البليغ ، الذي لا يقل روعة وجمالا عن أسلوب الجاحظ .

لقد كان أبو حيان معجبا بالجاحظ ، وكتب رسالة في مدحه عنوانها : « رسالة في تقرير الجاحظ » . عاش أبو حيان عمره المديد فقيرا محارفا مع علوكعبه في العلوم والادب والفلسفة . وقد حاول أن يحيا حياة هاتئة يتوسل إليها بثقافته ، إلا أن الحظ لم يجالسه والتوفيق لم يساعده . وكان من جملة من جرب حظه معهم الوزير ابن العميد والوزير ابن عباد ، ولكن

أبو حيان علي بن محمد بن العباس مؤلف مشهور ، وكاتب معروف ، له باع طويل في الادب والفلسفة والتصوف ، قال عنه ياقوت في معجمه : « وكان مضمنا في جميع العلوم من النحر واللغة والشعر والادب والفقه والكلام . . . فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الادباء وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين ، وأمام البلغاء . . . فرد الدنيا الذي لا نظير له ، ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة ، كثير التحصيل للعلوم ، في كل فن حفظه ، واسع الدراية والرواية »

بين الثقافة والوزارة

ولد أبو حيان في الربع الاول من القرن الرابع الهجري . قلم الى بغداد وأقام بها مدة ، وسافر الى مكة وإلى الري والسيراف . ثم ولى الى الوزير



خلكان لم يذكره في وفياته الا عرضا . ومما ذكره عنه أن كتابه (مثالب الوزيرين) من الكتب المحدودة ، مملوكة أحد الا تعكست أحواله . وقال : لقد جربت ذلك وجريه غيري على ما أخبرتني من أثق به .

وقد ذكر السيوطي في « بغية الوعاة » : (أن الأيام قد انقضت بابي حيان وإن كتبه لم تنفعه ، وضمن بها على من لا يعرف قدرها ، فجمعها وأحرقها فلم يسلم منها غير ما نقل قبل الاحراق) ، ومن حسن الحظ أن وصلتنا الرسالة التي كتبها أبو حيان ردا على رسالة صديقه أبي سهل على بن محمد ، الذي لاقه فيها على إحراق كتبه . وقد ذكر ياقوت الرسالة كاملة في ترجمته لابن حيان : أقول من حسن الحظ لأن الرسالة بجانب كونها قطعة نثر فنية فإنها أيضا تكشف الأسباب التي أرغمت هذا العالم الأديب على الاقدام على مثل هذا العمل ، حيث لا يضطر للتخمين أو الظن والتكهن . ولقد كتب أبو حيان رسالته هذه في رمضان عام ٤٠٠ هـ في العشر التاسع من عمره كما ذكر هو ذلك

نتيجة هذه التجربة كانت على عكس ما يرجو ويأمل الى الحد الذي جعله يكتب كتابا في نقدهما والنيل منها أسماء كتاب « مثالب الوزيرين أو أخلاق الوزيرين » ولا تخلو كتب أبي حيان من الإشارة الى حاله هذه ملمحا تارة ومصرحا أخرى .

ومما ذكره أبو حيان صراحة عن فقره أن القومس الفيلسوف قال له يوما : (ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من انسان ما يبلغ مني) ان قصدت دجلة لأغتسل فيها نضب ملؤها ، وان خرجت الى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلدا أملس) . فقال أبو حيان : (ما أعرف لك شريكا فيما أنت عليه وتقلب فيه وتقاسيه سوى ، ولقد استولى على الحرف (أي الحرمان) وتمكن مني نكد الزمان الى الحد الذي لا أسترزق مع صحة نقل ، وتقييد حظي ، وترويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف ، يمثل ما يسترزق البليد الذي ينسخ النسخ ويمسح الأصل والفرع) وقد وصل به سوء الطالع الى أن ياقوتا الحموي لم يعثر على مؤلف ترجم له كما ذكر ذلك في معجمه . بل حتى ابن



ان الرسالة طويلة نوعا ما ، ولذلك فاني سوف
أقتصر على ذكر أسباب دفاعه عن احراق كتبه :

رسالة التوحيدى

يبدأ التوحيدى رسالته بقوله : حرسك الله أيها
الشيخ من سوء ظنى بمودتك وطول جفاكك ، وأعانى
من مكافأتك على ذلك وأجارنا جميعا مما يسود وجه
عهد ، إن دعيته كنا مستأنسين به ، وإن أهملناه كنا
مستوحشين من أجله . وأدام الله نعمته عندك
وجعلنى حل الحالات كلها فداك . وأفادنى كتابك غير
محسب ولا متوقع على ظمأ برح بى إليه . وشكرت الله
على النعمة به على . وسألته المزيد من أمثاله ، الذى
وصفت فيه ذكر الشوق الى والصبابة نحوى مانال
قلبك والتهب فى صدرك من الخبر الذى نعى اليك فيها
كان منى من إحراق كتبى النفيسة بالنار وغسلها
بالماء . فعمجت من انزواء وجه العذر عنك فى ذلك ،
كأنك لم تقرأ قوله جل وعز : (كل شيء هالك إلا
وجهه ، له الحكم وإليه ترجعون) . وكأنك لم تأبه
بقوله تعالى (كل من عليها فان) . وكأنك لم تعلم أنه
لا ثبات لشيء من الدنيا وإن كان شريف الجوهر
كريم العنصر مادام مقلبا بيد الليل والنهار ، معروضا
على أحداث الدهر وتعاود الايام) .

ويذكر أبوحيان بأن ما قام به لم يكن هينا عليه ،
وإنما هو عمل كان مكرها عليه مضطرا اليه فهو
يقول : (ثم انى أقول ان كان - ايدك الله - قد نقب
خفك ما سمعت به فقد أدمى أظلى ما فعلت) .

وهو يقول أنه لم يكن ، ليقدم على ما أقدم عليه الا
بعد أن فكر فى الامر كثيرا . وقد أخذ منه ذلك ليالى
وأياما يقرب الامر على وجوهه ، وهو لم يصل الى تلك
النتيجة إلا بعد أن استخار الله عز وجل فى ذلك فهو
يقول لصديقه : (فليهن عليك ذلك ، فما انبريت له
واجترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه أياما
وليالى ، وحتى أوحى إلى فيه فى المنام بما بعث راقدا
العزم ، وأجد فاطر النية ، وأحيات الرأى ، وحث
على تنفيذ ما وقع فى الروح وتربيع فى الخاطر) .

ومن الاسباب التى يذكرها أبوحيان اعتقاده بأنه لم
يقرب علمه بعمله ، وأن عمله كان قاصرا عن
علمه ، وما أن الحال كذلك فالأولى بذلك العلم أن

يحرق فهو يقول : (العلم أحاطك الله يراد للعمل ،
كما أن العمل يراد للنجاة . فإذا كان العمل قاصرا عن
العلم كان العلم كلاً على العالم . وأنا أعوذ بالله من
علم عاد كلا وأورث ذلاً وصار فى رقة صاحبه
غلاً) .

وأحد الاسباب التى يذكرها أبوحيان هو أنه لم يكن
يرغب أن يترك كتبه لاناس لا يستحقون ذلك
ولا يحرصون عليه بل غير راغبين فيه .

ومما قاله بهذا الصدد (ان هذه الكتب قد حوت من
أصناف العلم سره وعلايته . فأما ما كان سرا فلم
أجد له من يتحل بحقيقته راغبا . وأما ما كان علانية
فلم أصب من يحرص عليه طالبا) .

ثم ان أباحيان يذكر سببا آخر يحجم كثير من الناس
عن ذكره فى حال شبيهة بحال أبى حيان ، ويحاولون
أن يخفوه وراء ظلال من الاسباب والتعليقات غير
الصحيحة . ولكن أبا حيان كان صريحا مجاهرا لم ير
مانعا من ذكره أو التنويه به والافصاح عنه . فهو
يعترف بأنه كان يطمح بأن يتبوأ مكانة مرموقة بين
الناس ، وجاها عريضا يبرز به أقرانه ويقوق به
أصحابه ، ولكنه لم يحصل على شيء مما أتعب نفسه
فيه على هذا أوداك . وهو يقول عن ذلك : (على أنى
جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد
الرياسة بينهم ولما الجاه عندهم فحرمت ذلك كله) .

● دفاع أبي حيان التوحيدى

ويقال له تاج الامة ، طرّح كُتبه في البحر وقال
يناجيها : « نعم الدليل كنت ، والوقوف مع الدليل بعد
الوصول عناء وذهول وبلاء وخول » ، وهذا يوسف بن
أسياط حل كُتبه الى غار في جبل وطرّحها فيه وسد بابها
فلما عوتب على ذلك قال : « دُلنا العلم في الاول ثم
كاد يفضلنا في الثاني فهجرناه لوجه من وصلناه وكرهناه
من أجل ما أردناه » ، وهذا أبو سليمان الداراني جمع
كُتبه في تنور وسجّرها بالنار ثم قال « والله ما أحرقتك
حتى كدت أحترق بك » وهذا سفيان الثوري سرق
ألف جزء وطيرها في الريح ، وقال « ليت قطعت من
هنا بل من ههنا ولم أكتب حرفا »

يضاف الى ذلك أن أبا حيان كان قد زهد في آخر
أيامه ، واعتقد بأن الكتب جزء من حطام الدنيا
ويهرجها وإن جامعها كجامع الذهب والفضة يقول في
ذلك : (وهل أدرك السلف الصالح في الدين
الدرجات العلا إلا بالعمل الصالح ، وإخلاص
المعتقد والزهد الغالب في كل مارق من الدنيا وخدع
بالزبرجد ، وهوى بصاحبه الى الهبوط ؟ وهل وصل
الحكماء القدماء الى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في
السعى ، والا بالرضا المسور ، والا ببذل ما فضل
عن الحاجة للسائل والمحروم ؟ فأين يذهب بنا وعلى
أى باب نحط رحالنا ؟ وهل جامع الكتب إلا كجامع
الفضة والذهب ؟ وهل المنهم بها إلا كالخريص
الجشع عليها ؟ وهل المغرم بحبها إلا كمكائرها ؟
هيهات الرحيل ، والله قريب ، والشواء قليل ،
والمضجع مقص ، والمقام ممض ، والطريق مخوف ،
والمعين ضعيف ، والاغترار غائب ، والله من وراء
هذا كله طالب) .

ثم يختم أبو حيان رسالته بما يلي : (على أنى لو
علمت في أى حال غلب عليّ ما فعلته وعند أى مرض
وعلى أية عسرة وفاقة ، لعرفت من عذرى أضعاف ما
أبديته ، واحتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته ، وإذا
أنعمت النظر تيقنت أن الله جل وعز في خلقه أحكاما
لا يعااز عليها ولا يغالب فيها ، لأنه لا يبلغ كنهها
ولا ينال غيبها ولا يعرف قابها ولا يقهر بابها ، وهو تعالى
أملك لنواصيتنا ، وأطلع على أدانيها وأقصينا ، له
الخلق والأمر ، ويده الكسر والجبر ، وعليها الصحة
والصبر ، الى أن يوارينا اللحد والقيبر) . □

والسبب الآخر يذكره أبو حيان هو أنه لم يكن له ولد
يورثها له ، أو صديق عزيز يستفيد منها ، ولم يكن عليه
أن يتركها لقوم لا يعتمد عليهم ولا يأمن جانبهم . فهو
يقول : (ولما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب
عنه أنى فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحباً قريبا
وتابعاً أديبا ، فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها
ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها ، ويشمتون بسهوى
وخلطى إذا تصفحوها ، ويتراءون نقصى وعيبي من
أجلها) .

آلام أبي حيان

ثم يسترسل التوحيدى في نقد المجتمع الذى عاش
فيه نقدا لاذعا يتسم بالمرارة والألم ، ويكشف في
الوقت نفسه عما كان يعانيه أبو حيان ويحز في نفسه
حيث يقول : (فان قلت ولم تسمهم بسوء الظن
وتفرع جماعتهم بهذا العيب ، فجواب لك ان عيان
منهم في الحياة هو الذى يحقق ظنى بهم بعد الممات .
وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة ، فما صح
لى من أحدهم وداد ، ولا ظهر لى من أناس منهم
حفاط ، ولقد اضطرت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في
أوقات كثيرة الى أكل الخضر في الصحراء ، والى
التكفف الواضح عند الخاصة والعامة ، والى بيع
الدين والمروءة ، والى تعاطى الرياء بالسمعة
والنفاق ، وما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم ،
ويطرح في قلب صاحبه الألم) ويقول في مكان آخر من
الرسالة : (وماذا أقول وسامعى يصدق أن زمانا
أحوج مثل الى ما بلغك ، لزمان تدمع له العين حزنا
وأسى ، ويتقطع عليه القلب غيظا وجوى وضنى
وشجى) .

ثم يذكر أبو حيان بأنه لم يكن فردا في عمله هذا ،
وإنما قد سبقه الى عمل ذلك أو ما يشابهه علماء
معروفون مشهورون ، فهو يرى أن مقام به لم يكن
شاذاً أو استثناء . فيقول عن ذلك : (وبعد فلى في
أحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم ويؤخذ
بهديهم ويعشى الى نارهم منهم أبو عمرو بن العلاء
وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ،
دفن كُتبه في بطن الارض فلم يوجد لها أثر وهذا داود
الطائي وكان من خيار عباد الله زهدا وفقها وعبادة



وفساد اغذاء النباتات

بقلم : الدكتور حسين العروسي

« الاغذية ، نباتية كانت أو حيوانية بحالتها الطبيعية كانت أو بعد معاملتها

معاملات خاصة للتصنيع ، معرضة للفساد بفعل الكثير من الميكروبات التي تعجز

أعيننا عن رؤيتها . فإين تكون هذه الأحياء الدقيقة وما هو أثرها وكيف تحول

غذاءنا الصحي الى طعام غير مقبول ؟ » *

مستسلمين لتلك الميكروبات تاركين لها عداها
لنستكمل نوعها حتى ننتهي من استعماله ، ثم تنتقل
به بوسيلة أو بأخرى حتى نجد غذاء آخر تستسيغه ،
فجعل به ما فعلت بسابقه

لا يقتصر هجوم الميكروبات على الساعات في أثناء
نومها ، بل يستمر في ذلك بعد جمعها أو
حصادها . . بعد أن تصبح ثمرا نافعا وغذاء شهيا ،
فتهاجم المحصول بعد جمعه بضراوة أشد من هجومها
عليه وهو في أوج حيويته عندما كانا محمولا على
نباتاته ، . . . متلفة ما جمعناه وسوقناه قبل أن يصل
إلى أفواهنا .

ان الكثير من المنتجات النباتية والحيوانية التي
نستعملها غذاء أو شرابا هي في نفس الوقت
غذاء تمتع لكثير من الأحياء الدقيقة التي تكون عادة
هذه الأغذية ولا تراها عيوننا المحردة ، بل نرى لها
آثارا ، قد تكون على الطعام ، وقد تكون على
الرائحة ، وقد تكون على القوام

فما كان لنا غذاء شهيا أصبح بعد فواتكثير تلك
الكائنات فيه طعاما غير مقبول . . . غير مستسيفين
لطعمه . . كارهين لرائحته . . . غير تواقين لمظهره .
وقد يصبح الطعام في وجود تلك الميكروبات داء
معرضا لوسا قاتلا ، فنلقي بقوتنا في سلال القمامة ،



شكل (١) . فطر اسبرجيللس

النشاط في ظروف قاسية

أحيانا ، تمرى على تلك الأغذية بعض المعاملات لتصبح صالحة للتسويق أو لإطالة أمد حياتها والاقبال من أضرار الميكروبات عليها ، ومع ذلك فإن من الميكروبات ما يتمكن من تلك النباتات (المعاملة) رغم أن ظروف معيشة تلك الميكروبات قاسية وغير ملائمة لنشاط معظمها .

وقد يحدث فساد طبيعي فسيولوجي للمنتجات النباتية بعد فصلها عن النبات الأم وذلك نتيجة للنشاط الحيوي للانسجة الحية ، إلا أنه في كثير من الأحوال تتدخل بعض الميكروبات فتعجل من حدوث الفساد ، وتغير من صور ذلك الفساد . وقد يساعد على ذلك وجود الجروح ، التي قد تكون ناتجة عن منطقة الانفصال عن النبات الأم أو نتيجة للمعاملات المختلفة التي يتعرض لها الجزء النباتي في أثناء الجمع والتسويق والتخزين ، أو بفعل بعض الحشرات أو الحيوانات أو الطيور . والميكروبات التي تحدث الفساد تكون مصادرهما عادة التربة أو الهواء أو الماء ،

وتكون موجودة قبل الفساد عادة ، على الأسطح الخارجية للأجزاء النباتية في أثناء الجمع وبعده . فمحاصيل ثمار الفاكهة والخضراوات التي تكون طبيعيا فوق سطح الأرض تكون ملوثة عادة بميكروبات الهواء ، زيادة على تلوثها في أثناء العمليات المختلفة ببعض ميكروبات التربة . ومحاصيل مثل البطاطس والبطاطا والفجل والجزر والبسر تنمو تحت سطح التربة ويعلق بها كميات من الطين عند جمعها تكون عادة ملوثة بميكروبات التربة . كذلك فإن ماء الري في الأراضي الزراعية يكون مصدرا لتلوث المحاصيل الأرضية والنامية قريبا من سطح التربة . أيضا ، فإن عمليات غسل المنتجات النباتية التي تتبع عادة بالنسبة لبعض المحاصيل تساعد كثيرا على تلوث تلك المحاصيل بميكروبات الماء ، وخصوصا إذا كان الخسيل بماء التربة والقنوات . وعموما فالماء إذا كان نقيا فإنه يقتل أعداد الميكروبات كثيرا ، إلا أنه في نفس الوقت يساعد على تنشيط ونمو ميكروبات الهواء والتربة الطلوة للمنتجات النباتية ، فتتكاثر بنشاط وترفع

معدلاتها ثانية بسرعة . وقد درست متوسطات أعداد البكتيريا الموجودة على البازلاء الخضراء المعدة للتجميد في عدد من المصانع فوجد أن معدلاتها لكل جرام من المحصول كانت حوالي أحد عشر مليوناً عند دخولها للمصانع ، ثم انخفضت عقب الغسيل إلى حوالي مليون فقط ، ثم انخفضت ثانية عند غسلها بالماء الساخن أو البخار إلى حوالي عشرة آلاف فقط ، ألا أنها ارتفعت ثانية خلال العمليات التالية فوصلت لحوالي سبعمائة ألف عند بدء تجميدها ، ثم انخفضت ثانية مع التجميد فصارت حوالي نصف مليون من البكتيريا لكل جرام من البسلة .

فساد الأنسجة

لا يعني تلوث المنتجات النباتية بالميكروبات ضرورة حدوث الفساد ، إذ أنه لا بد من وجود الميكروبات الخاصة بحدوث التلف لذلك المحصول ، كما أنه لا بد من توفر استعدادات خاصة لدى المحصول النباتي لحدوث العدوى ونجاحها . يتلاءم نشاط كثير من الميكروبات مع ارتفاع نسبة الماء في الأنسجة النباتية ، وارتفاع درجة حرارة ورطوبة الجو . لهذا نجد أن المنتجات النباتية الغضة أسرع تلفاً من المنتجات ذات المحتوى المائي المنخفض فحبوب القمح والشعير أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من درنات البطاطس وثمار الموز ، والأخيرة أكثر مقاومة لفعل الميكروبات من البصل وثمار التفاح ، والبصل والتفاح أكثر مقاومة من الكرنب والسبانخ .

ولهذا نجد أن فترات التخزين تتناسب عكسياً مع معدلات الماء في المحصول ، فحبوب القمح والشعير تتحمل التخزين أكثر من البطاطس وثمار الموز ، والبصل وثمار التفاح أقل تحملاً ، أما الكرنب والسبانخ فتسوق سريعاً لسرعة تلفها . ولهذا السبب ولتقليل معدلات الماء . . اتبعت طريقة التجفيف لإطالة أمد تخزين بعض المحاصيل كما يتبع في البصل .

أما درجات الحرارة والرطوبة فنخفضها يؤدي إلى تقليل تعرض الميكروبات للتلف ، ولهذا يطال أمد

تخزين كثير من المحاصيل مثل البطاطس والتفاح والكمثرى بحفظها في ثلاجات ، راعي في خفض درجات الحرارة والرطوبة حدوداً معينة لا تتعداها ، لأن خفض الزائد يؤثر على الصفات الطبيعية للمحصول المراد المحافظة عليها .

وهناك ميكروبات أخرى تعيش داخل أجسام بعض الحشرات أو على سطحها ، وتقوم تلك الحشرات بنقل ما تحمله من ميكروبات من مكان إلى آخر ، وكثيراً ما تضع الحشرة حولتها الميكروبية على الجزء النباتي الملائم لنشاطها . وقد تمىء الحشرة لتلك الميكروبات فرص حدوث العدوى ، وذلك بأن تثقب خلايا النسيج النباتي . . . واضحة الميكروبات في وسط النسيج القابل للاصابة . . . وقد تضع الحشرة بيضها حيث وضعت الميكروبات ، فيفقس البيض وسط النسيج النباتي الملوث بالميكروبات ، وتخرج اليرقات وتتغذى على الأنسجة النباتية ، متحركة بينها موزعة الميكروبات داخلها . وكثيراً ما تنتج عن اليرقات حشرات جديدة حاملة ميكروب المرض . ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك حالات العفن الطري الذي شاهده على كثير من متحاثنا الزراعية مثل البصل والبطاطس والخس والجزر والذي ينتج عنه تلف سريع للمحصول يظهر في صورة عفن طري ذي رائحة كريهة مميزة وتلون داكن للأنسجة المصابة ، والذي يتسبب عن ميكروب بكتيري وحيد الخلية يعرف باسم أروينيا والذي تنقله بعض الحشرات ومنها حشرة الذباب المنزلي .

أكثر من الإتلاف

بعض تلك الميكروبات المهاجمة للغذاء تتعدى في آثارها الضرر علينا حد إتلاف الغذاء ، فقد تحدث زيادة عن تلك الخسائر المادية ضرراً خطيراً بآكلها ، فتمرضهم وقد تقتلهم . إذ أن البعض من الفقراء أو ممن يجهلون تلك الميكروبات وأضرارها ، قد يتحملون على أنفسهم ، ويأكلون ما اشتروه أو صنعوه من غذاء ، رغم ما يلاحظون عليه من تغير في الطعم أو اللون أو الرائحة أو القوام ، مفضلين التوضحية بالصحة عن التوضحية بلئال . كثيراً ما يمر الأمور دون ما ضرر ملحوظ ، مما يشجعهم باستمرار السير على



شكل (٢) . فطر بنيسيليوم

على دقيق فول سوداني مستورد من أفريقيا وأمريكا الجنوبية ، وبدراسة على مادة العلف تلك ، اتضح أنها مصابة بفطر اسبرجيللس فلافس الذي أمكن عقب ذلك فصل مادة سامة منه سميت افلاتوكسين . وقد ثبت أنها من المواد المحيطة للسرطان في كبد الانسان . وقد أثبت العلم أن الفطريات المنتجة لهذا السم تنمو في محاصيل أخرى منها الارز والقمح والذرة وفول الصويا والباذلاء والفاصوليا .

ومن السموم الفطرية الأخرى التي تتكون على منتجات نباتية (مادة الباتيلولين) ويكوّنُها فطر من نوع بنيسيليوم بسبب عفنا في ثمار التفاح . ولهذا السم تأثيره كمضاد حيوي يوقف نمو كائنات حية دقيقة أخرى ، الا أن له تأثيرات سرطانية .

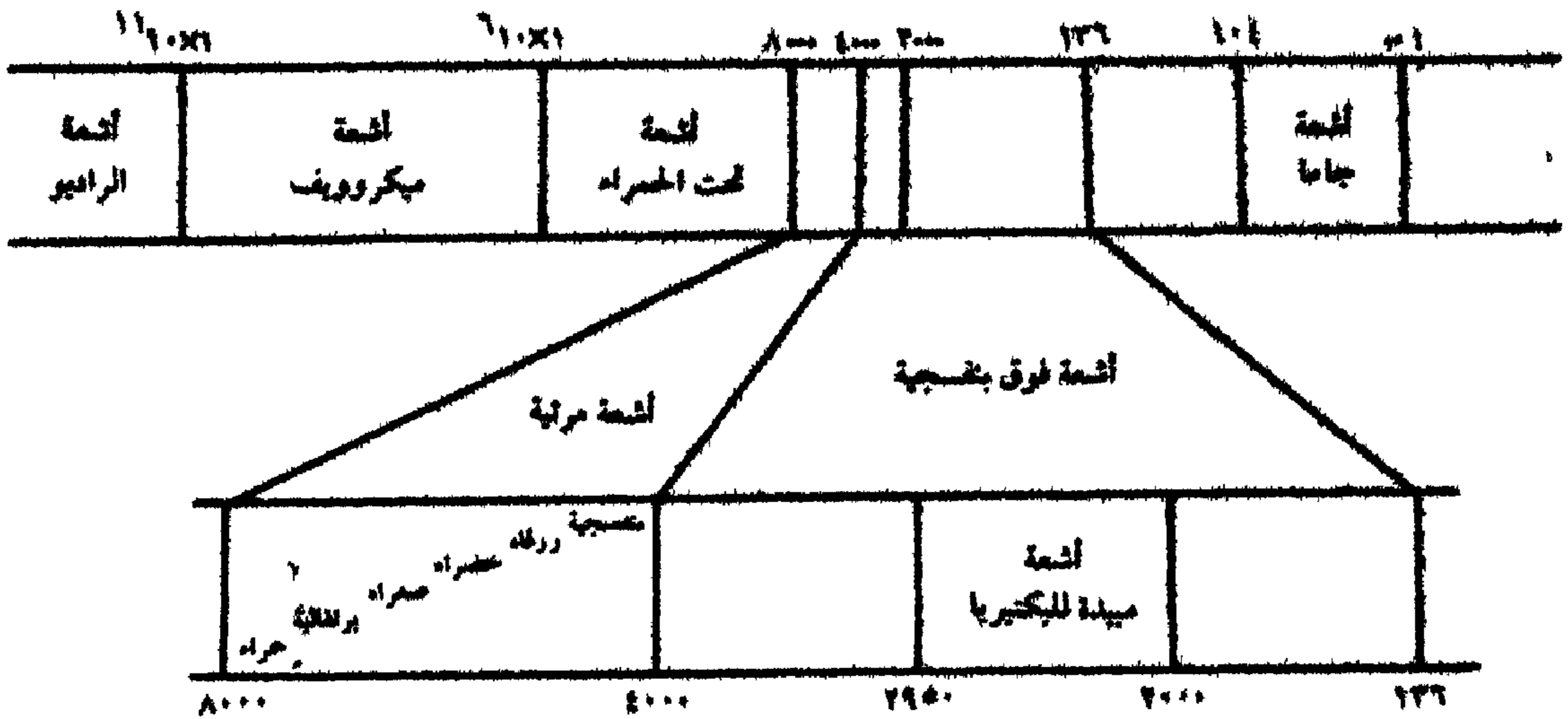
دورهم وقاية

لم يقف العلم هكذا مكتوف اليدين أمام هذا الهجوم الكاسح من الميكروبات ، بل قد توصل الى طرق عديدة لمنعها والحد من أضرارها . وتختلف

هذا الموال الحاطيء ، الا أنه قد يحدث الضرر فجأة ، اذا وجد في الغذاء نوع أو أنواع معينة من الميكروبات الضارة بصحة الاسنان أو المميتة له مباشرة أو عن طريق سمومها .

تصاب ثمار الفاكهة ومحاصيل الخضراوات ، عادة بأنواع من الفطريات والبكتيريا بعد أيام قليلة من وجودها على درجة حرارة الغرفة ، وأحيانا تصاب في الشلاجات وخصوصا اذا ارتفعت درجة الحرارة قليلا . كذلك فان عصير الفاكهة معرض للفساد الميكروبي ، وقد يحدث له تخمر مصحوب بتضاعف غازات نتيجة للاصابة بفطريات الخميرة .

بعض الفطريات التي تنمو على النباتات ومنتجاتها تنتج مواد ضارة أو سامة للانسان وبعض الأحياء الأخرى . فمن عصور قديمة عرف تسمم الأرجوث الذي ينتج عن التغذية بحبوب نجيلية مصابة بفطر يسمى كلايفيس ، وقد سجلت عنه أريمنون الف حادثة تسمم أدت الى وفاة ، سنة ٩٤٣ م بفرنسا . وفي سنة ١٩٦٠م مات أكثر من مائة ألف من الدواجن الرومية بزرع الجلتر نتيجة تغذيتها



شكل (٣) : موقع بعض الأشعة ، وبخصوصا المستخدمة في تعقيم الغذاء ، من الخريطة الطيفية مقيسة بالانجستروم

السكر كما في عمل المربيات ، أو بزيادة تركيز الاملاح كما في صناعة المخللات وتعليق الاسماك ومع دخولنا عصر الذرة ، اتجه كثير من الابحاث الى الانتفاع بالاكتشافات الذرية الجديدة في نواحي الحياة المختلفة ، ومن ذلك استخدام الاشعة في تعقيم المواد الغذائية مما بها من ميكروبات .

التعقيم البارد

تختلف الاشعة وفقا لطول موجاتها ، وتقدر أطوال الموجات بوححدات الانجستروم . والانجستروم يعادل جزءا من عشر مليون جزء من المليمتر الطولي . وجزء بسيط من أشعة الشمس هو الذي يمكن رؤيته ، وهو يتراوح ما بين ٤٠٠٠ الى ٨٠٠٠ انجستروم ، وما عدا ذلك من الاشعة لا ترى بالعين .

والاشعة التي تستخدم في التعقيم تقع ضمن الاشعة غير المرئية ، نذكر من ذلك أشعة الميكروويف وهي أشعة طويلة الموجات تقع بين الاشعة فوق الحمراء وأشعة الراديو ، وتستخدم في تعقيم مواد غذائية مختلفة منها الخبز والمشروبات الكحولية ، أما

الطرق المتبعة للوقاية حسب نوع الغذاء المراد حمايته ، وحسب الغرض من استعماله ، وحسب درجة تلوث الغذاء بالميكروبات ونوع ذلك التلوث . وكثيرا ما تتبع أكثر من وسيلة لحفظ الغذاء بعيدا عن متناول الميكروبات كلها أو بعضها ، ولا يقف نشاط ما تمكن منها من غذائنا .

وتعتمد طرق حماية الغذاء على عاملين أساسيين . أول هذين العاملين يعتمد على قتل الميكروبات الملوثة للغذاء ، أو الإقلال منها أو منع وصول ميكروبات جديدة اليه ، ومن ذلك تعقيم المواد الغذائية بالتعرض لدرجات حرارية مرتفعة تقتل الميكروبات ولا تضر بالغذاء ، أو ترشيح المشروبات خلال مرشحات تفصل الميكروبات ، أو إضافة بعض الكيماويات الى الأغذية بغرض قتل ما بها من ميكروبات ، أو إيقاف تلك الميكروبات ومنع نموها ميكروبات جديدة تصل اليها .

ويعتمد ثاني هذين العاملين على حفظ الأغذية بطريقة لاتتلاءم مع النشاط الميكروبي كما في حالات الحفظ تحت درجات حرارية منخفضة ، أو بتقليل كمية الماء في الغذاء ، أي بالتجفيف كتجفيف الاسماك وبعض ثمار الفاكهة ، أو بزيادة تركيز

ومن عيوب التعقيم بالأشعاعات وخصوصا باستخدام أشعة جاما ، تأثيرها السيء على القائمين بالتعقيم ، مما يتحتم معه اتخاذ كافة الإجراءات الوقائية للحيلولة دون تعرض القائمين بالعمل لتلك الأشعاعات . ويفضل البعض استخدام أشعة الكاثود رغم ضعف تأثيرها في تعقيم الأغذية لكونها أقل خطورة على القائمين بالعمل .

وحتى الآن لم تظهر أية آثار ضارة على المستهلكين لتناول الأغذية المعاملة بالأشعاعات ، إلا أن الكثير من تلك الأغذية يتأثر من المعاملات الإشعاعية حيث تحدث تغييرات غير مرغوبة في الطعم أو اللون أو الرائحة أو خواص الغذاء الطبيعية . وقد نجحت المعاملة بالأشعاعات مع بعض الأغذية ، ولم تنجح مع البعض الآخر . ومن الأغذية التي ثبت نجاح تعقيمها بالأشعاعات البطاطس والقمح ومنتجاته والموالح والفراولة والخوخ والفاصوليا والزبيب والقراصيا □

تأثير أشعة الميكروويف فهو تأثير حراري ، معظم عمليات التعقيم بالأشعة تستخدم فيها الأشعة القصيرة ، وتشمل الأشعة فوق البنفسجية . وأهم أنواع الأشعة القصيرة استخداما في التعقيم الغذائي هي ما تعرف بالأشعاعات ، وهي ذات الموجات التي تقل عن ٢٠٠٠ نانجستروم وتشمل أشعة الفا وبيتا وجاما .

وحيث أن هذه الأشعاعات تحدث تعقيا دون أحداث حرارة في المادة (المعاملة) لهذا سميت العملية بالتعقيم بالبارد .

وقد اتجهت الانظار الى بعض الأشعاعات ذات القدرة العالية على التغلغل في المنتجات الغذائية ، ومن ذلك أشعة جاما التي تنتج في الانفجارات الذرية عن النشاط الإشعاعي لعنصر اليورانيوم . وحاليا يستخدم الكوبلت المشع الذي يعرف بكوبلت ٦٠ وكذلك سيزيوم ١٣٧ كمصدر لتلك الأشعاعات . وتؤثر هذه الأشعاعات في معظم الأغذية حتى عمق ١٤ سنتيمترا ، إلا أن تأثيرها يضعف كلما ازداد العمق .

عجائب أسماء

أولاد الحيوانات



يقال لولد الفرس : مهر .. ولولد الحمار : جحش .. ولولد البقرة : عجل ... ولولد الناقة : حوار .. ولولد الماعز : جدي .. والآنثى : عناق .. ولولد الضائية : حمل .. والآنثى : رخل .. ولولد الشاة : سحلة .. ولولد الظبي : خشن .. ولولد الأرنب : الحزق .. ولولد الثعلبية : التفل .. ولولد الخنزير : الخنوص .. ولولد القرد : الفشة .. ولولد الضبع : الفرغل .. ولولد الأسد : الشبل .. ولولد الفأرة : الدرص .. ولولد الضب : الحسل .. ولولد الذئب : السمع .. ولولد النعام : رأل .. ولولد الحباري : النهار ..

أب ت ث ج ح خ د ذ ر س ش ص

قاموس العربي

« أ »

إمبريالية

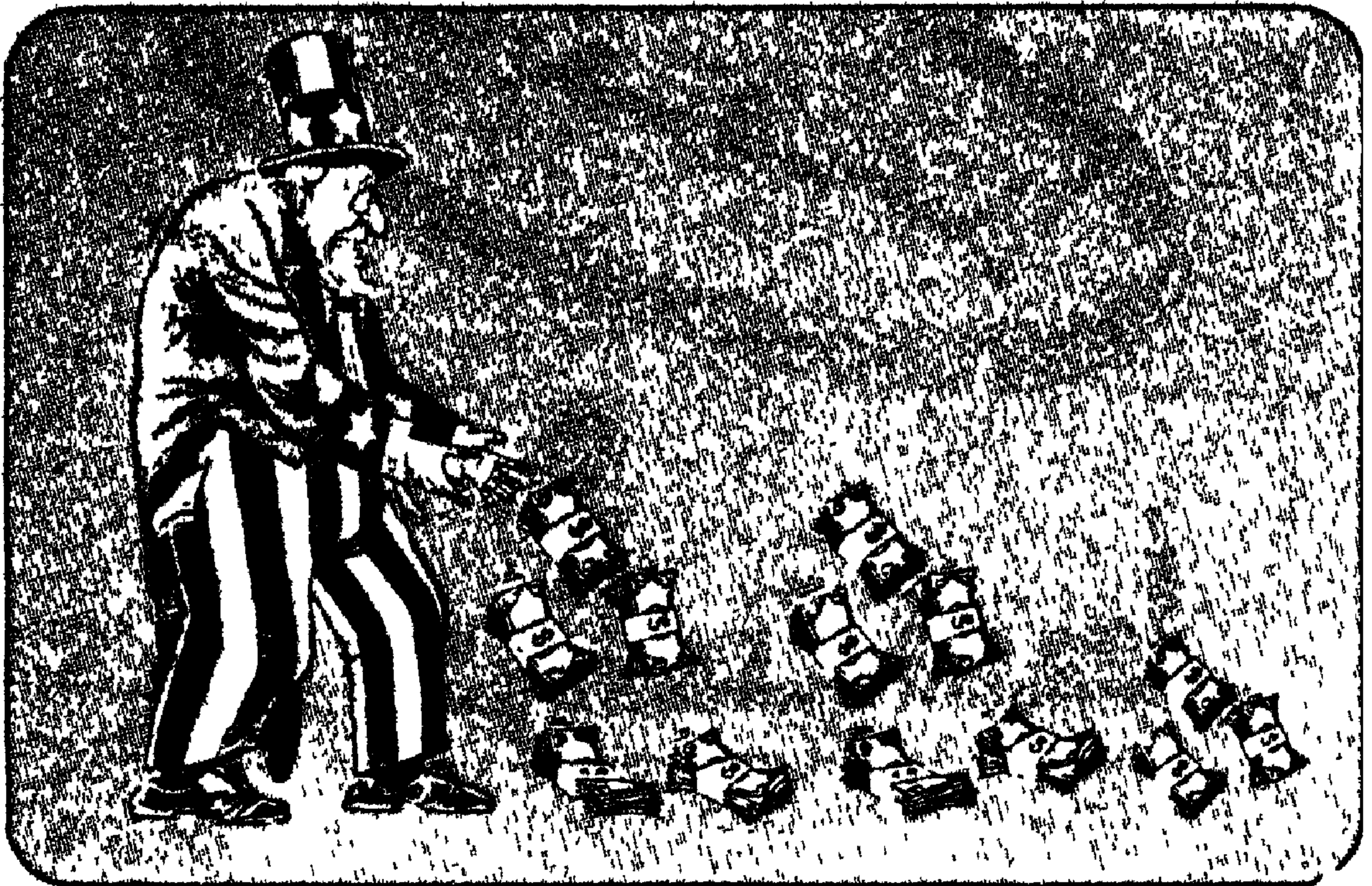
وقد مرت الامبريالية كظاهرة سياسية أفرزها النظام الرأسمالي العالمي بعدة مراحل : المرحلة الاولى هي التعاظم الشديد والانطلاق : وهي مرحلة الامبراطوريات والشركات الاحتكارية ، وفرض الهيمنة السياسية والاقتصادية والعسكرية على المستعمرات ، وتمتد هذه الفترة من القرن الثامن عشر حتى الحرب العظمى الاولى ، وكان عالم ما بعد الحرب حتى نهاية الحرب العظمى الثانية مرحلة مخاض حقيقية . . . فقد عان فيها النظام الرأسمالي العالمي من ويلات الحرب ونتائجها ، ثم الازمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ بالإضافة الى نشوب الثورة الاشتراكية في روسيا القيصرية ، وظهور الوعي القومي والنضال الوطني في المستعمرات ، فظهر ما عرف بمؤتمر الأمم المضطهدة والفقيرة الذي عقد في باريس سنة ١٩٢٠ م .

المرحلة الثانية وهي مرحلة انتهاء الامبريالية التقليدية ، وقد بدأت عقب الحرب العظمى الثانية التي خرج منها الحلفاء منتصرين ، فتم الاستيلاء على مستعمرات ألمانيا وإيطاليا ، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الأمريكية أن ورثت الامبراطورية البريطانية والفرنسية .

مجموع سياسات (اقتصادية - عسكرية - سياسية - ثقافية) تمارسها الدول الكبرى تهدف الى التوسع وفرض سيطرتها على شعوب وأراضي الغير لاستغلالها ونهب ثرواتها واستغلال امكانياتها الجغرافية والطبيعية والشرية .

وقد نشأت الامبريالية كظاهرة سياسية مع عصر التحول الصناعي والاكتشافات العلمية في بدايات القرن الثامن عشر تقريبا ، فلقد صاحب هذه الفترة زيادة عدد السكان وزيادة الانتاج ، والحاجة الى مواد خام ووقود ، وفي نفس الوقت الحاجة الى ايجاد أسواق للمواد المصنعة وذلك لتصدير الفائض الانتاج ، وتصدير رأس المال المتراكم ، واعادة تشغيله مما يعني مزيدا من الارباح ، واستيعب ذلك السماح لمواطني الدول الامتعمارية بالهجرة وحرية الاستيطان ليتمكنوا من السيطرة على الموارد في المستعمرات ، وتنظيم التجارة وحمايتها . ولم تظل الظاهرة في هذا الاطار بل تجاوزته الى العمل العسكري لتحقيق الأهداف الاقتصادية ، وقد كان التنافس الشديد بين المحتكرين ، والرغبة الحادة في الاحتكار وطرد المنافسين وفرض الهيمنة هو الذي حدد طريق القوة العسكرية لحماية المصالح .

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و و ل ا ي



القوة العسكرية اذا ما عهدت مصالحها أو تعرضت للخطر .

وعلى نفس المستوى مارست المؤسسات الامبريالية غزوا ثقافيا لدول العالم النامي ، تمثل في تقديم أعمال فنية وثقافية تبشر بقيم وانماط سلوك ، وتشجع عليها وتدعمها مما يسهم في إحداث تغير قيمي في المجتمعات النامية ، وهو تغير ليس في صالحها على الإطلاق ، ويتوازي مع هذا الغزو وتشجيع المؤسسات الامبريالية لهجرة العقول من العالم الثالث الى العالم الغربي ، ولعل انتشار العديد من الأسماء اللامعة في الغرب التي تعود بأصولها الى دول نامية ، دليل على حرص الامبريالية على أن تبقى الدول النامية صغيرة تابعة .

وعلى الرغم من كل الاتهامات التقدمية التي تشن نضالا وطنيا ضد التفلغل الامبريالي ، فإن الامبريالية مازالت هي ظاهرة العصر الذي نعيش فيه بعلمها استبدلت أدواتها ، فاستبدلت بالجندي السلعة ، وبالبنديّة الاعلان الجذاب

□

المرحلة الثالثة : ظهور الامبريالية الجديدة وهذه مرحلة تزعمتها الولايات المتحدة دون جدال ، وتميزت هذه المرحلة بسمات ومظاهر متعددة ، فقد حاولت الامبريالية ان تستفيد من دروس الماضي ، وحاولت التكيف مع الواقع الجديد للعالم . فنحت جانبا فكرة الاستعمار من خلال التواجد العسكري ، واستبدلته من خلال توسيع نطاق الاحتكارات والسيطرة ، فامتدت أصابع بيوت المال العالمية داخل المصارف الوطنية ، وتغلغلّت الشركات الاحتكارية في اقتصاديات البلدان النامية كموزع وحيد للسلع وكمشتري وحيد للمنتجات الخام ، واقرن الاحتكار الاقتصادي بالضغط السياسي ، وتفتتت في ابتداء السبل لابقاء الدول النامية في مكانها كدول صغيرة ، ومحكوم عليها أن تظل صغيرة وتابعة . . . واتبعت الامبريالية سياسات الاغراق بالديون وتشغيل الفائض . . . وأبقت دول العالم النامية في دائرة تبعية مفرغة . وعلى الرغم من هذا التجديد في العلاقة فإن الامبريالية الجديدة لا تتردد ولا تتوانى في استخدام



حقائق البحر المتوسط

بقلم : الدكتور محمد بركات*

نشرت وسائل الاعلام في الفترة الأخيرة معلومات تتعلق بزيادة

انتشار مرض أطلقت عليه اسم « التهاب الأغشية المصلية » أو « حُمى

البحر المتوسط » .

فما هذا المرض ؟ ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟



يحيط بالأعضاء الداخلية في تجاويف الجسم أغشية رقيقة شبيهة شفافة تعرف باسم الأغشية المصلية . ومن خصائصها البيولوجية أنها تسمح بمرور السوائل المصلية بمحتوياتها المذابة عبرها ، إضافة الى كونها تشكل عازلاً طبعياً يمنع

تسرب الجراثيم الى داخل التجاويف الجسدية . وأكبر هذه الأغشية هو الغشاء البريتوني الموجود في التجويف البطني ، يليه من حيث الأهمية والحجم الغشاء البلوري (غشاء الجنب) الذي يحيط بالرتين داخل التجويف الصدري ، والغشاء السحائي الذي يغلف

* استاذ الامراض الباطنية ورئيس قسم لجهاز الهضمي بكلية الطب جامعة الكويت .

الدماغ والجبل العصبي داخل العمود الفقري : ويوجد كذلك غشاء مصلي يطن تجويف كل مفصل من مفاصل الجسم الكثيرة . وهذه الأغشية مثلها مثل أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة تصاب بشق أنواع الالتهابات والأمراض سواء كان ذلك بسبب إصابة الأعضاء المجاورة كما يحدث حينما يصاب الغشاء البلوري في أثناء النزلة الرئوية أو كما يحدث للغشاء البريتوني إذا انفجرت الزائدة الدودية في التجويف البطني ، أو أن تكون الإصابة محصورة في واحد أو أكثر من هذه الأغشية المصلية : ولعل مرض « حمى البحر المتوسط » هو أحد الأمراض القليلة التي تصاب فيها تلك الأغشية دون أعضاء الجسم الأخرى بالتهاب حاد مؤلم .

هل هو مرض عرقي ؟

وقبل الخوض في بحث هذا المرض لا بد من التوقف قليلا أمام هذا الاسم « الروماني » ، ان التسمية توحي بان ثمة علاقة سببية بين هذه « الحمى » وبين البحر الأبيض المتوسط . والعلاقة هذه - إن وجدت - هي علاقة ظرفية فقط ، كان أول من أشار إليها جملة من الأطباء الفرنسيين العاملين في بلدان الشمال الأفريقي على الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط في أوائل الخمسينيات من هذا القرن . وقبل ذلك التاريخ عرف هذا المرض بأسماء أخرى وصفية . ولما كانت الغالبية العظمى من المرضى حتى أواخر الخمسينيات قد صودفت في بلاد المغرب العربي وسوريا وفلسطين ولبنان وتركيا ، وكلها تقع على شواطئ المتوسط بدا اسم « حمى البحر المتوسط » جذابا لبعض الباحثين رغم الاعتراضات على مثل هذه التسمية . لكن بغض النظر عن الأسماء فإن من الحقائق المؤكدة الآن أن هذا المرض يكاد يكون حصرا على جنسيات عرقية محدودة تشمل الساميين بما فيهم من عرب ويهود خصوصا الشرقيين منهم والأرمن والآثراك وهي شعوب لها إمتداد جغرافي يمتد أحيانا آلاف الكيلومترات عن شواطئ المتوسط كما هي الحال في أرمينيا السوفيتية والتركية وهضبة الاناضول وأقاصي الصحيد وشرقي العراق ، وكلها أماكن

يتواجد فيها هذا المرض . هذا إضافة الى ان أبناء وأحفاد الجاليات المهاجرة من هذه الشعوب الأربعة الى كلتا الأمريكتين وأوروبا يصابون بهذه الحمى دون سواهم في أماكن معيشتهم الجديدة . هاتان الحقيقتان تشيران الى ان هذا المرض هو مرض عرقي ووراثي ينتقل بواسطة الجينات من جيل الى جيل مع الصفات الوراثية الأخرى . وتحت ظروف معينة تظهر الأعراض المرضية . وتجدر الإشارة هنا الى ان درجة انتشار هذا المرض وتوارثه بين العرب غير متساو في الأقطار العربية المختلفة فبينما هو شائع الانتشار بين عرب مصر وفلسطين ولبنان وسوريا أقل بكثير بين عرب شمال أفريقيا والعراق ونادراً بين عرب الجزيرة ، وغير موجود عند عرب السودان . ومثل هذا الاختلاف في درجات الانتشار لا يسره الاختلاف المناخي أو الجغرافي لأن درجة انتشاره بين الجاليات العربية الوافدة الى الجزيرة العربية وبلدان الخليج العربي توازي درجة انتشاره في مواطنها الأصلية .

نظريتان في الأسباب :

ان أسباب هذا المرض مازالت غير واضحة وإن كانت النتائج الأولية للأبحاث العلمية الجارية تشير الى وجود خلل خلقي في بعض خلايا الجسم الضرورية لتمثيل مركبات الأدرينالين والنورأدرينالين أو نقص في بعض عناصر المناعة في الكريات الدموية البيضاء ، وهاتان النظريتان ليستا متعارضتين علميا بالصورة التي يمكن أن يوحى بها هذا العرض للقارئ ، فهما مساران علميان قد يؤديان في النهاية الى تحديد مكان الخلل ونوعه وكمه .

لقد أشرت في البداية الى كون هذا المرض نوعا من الالتهاب يصيب واحدا أو أكثر من الأغشية المصلية المذكورة تحت ظروف معينة ، تتج عنه بالتالي الأعراض المختلفة التي يمكن ان يحس بها المريض ويلاحظها الطبيب . ويحدث هذا الالتهاب فجأة وعلى شكل نوبات حادة متكررة قد تتعاقب أسبوعيا أو شهريا أو مرة كل بضعة شهور وربما مرة كل ستة أو ستين . وتستمر كل نوبة في العادة فترة تتراوح بين

يوم وأربعة أيام ، وتعتمد نوعية الأعراض خلال النوبة على المكان المصاب وعمر المريض وأحياناً على نوع الجنس ذكراً أو أنثى . والمرضى هذا يصاب به الذكور والإناث وفي أعمار مختلفة تمتد من الأشهر الأولى من سن الرضاع إلى ما بعد سن الأربعين . ودغة في التسهيل يمكن تقسيم أعراض هذا المرض إلى ثلاثة أقسام :

الأعراض :

أولاً : الأعراض البطنية : وهي أكثر الأعراض شيوعاً إذ يندر أن ينجو منها مريض خلال النوبات التي يتعرض لها عبر سنوات المرض الطويلة . وتبدأ النوبة في مثل هذه الحال بآلم حاد في أي مكان من البطن ما يلبث أن يتشر إلى أماكن أخرى قد تشمل البطن بأكمله . ويزداد الألم شدة ليصل خلال ساعات قليلة إلى درجة يصعب فيها احتمالته . ويصحب الألم عادة ارتفاع في درجة حرارة الجسم قد تبلغ الأربعين درجة مئوية . وقد تسبق هذه الحمى قشعريرة . وأغلب الأحيان يشكو المريض إضافة إلى ذلك من إنتفاخ وغثيان مصحوباً بالتقيؤ . ويبدو المريض عادة في حالة صحية سيئة تجعله يستغيث إذا كان قادراً على الاستغاثة بحكم سنه . وينتهي المطاف بزيارة الطبيب الذي لا يستطيع والحال هذه إلا النصيح بإدخال المريض إلى المستشفى . فإذا كانت هذه النوبة تحدث لأول مرة لا يسع أي طبيب يقوم بمعاينة المريض إلا الاعتقاد بأنها حالة جراحية مستعجلة كالتهاب الزائدة الدودية أو التهاب المرارة الحاد أو التهاب البنكرياس أو انفجار قرحة معوية أو ما شابه ذلك . ولهذا فإن نسبة عالية جداً من المصابين بهذا المرض يتعرضون لعمليات جراحية استكشافية بسبب مثل هذه النوبات .

وعادة يصاب الجراح بخيبة أمل وإحباط حين لا يجد في بطن المريض غير إحضان حاد في الغشاء البريتوني ، ولكن خيبة أمل المريض وفؤيه تكون أعظم بكثير حينها تعاوده النوبة بعد فترة زمنية محددة تتكرر ألامها المبرحة دون تشخيص واضح أو علاج مانع لها .

ثانياً : الأعراض الروماتيزمية (المفصلية) : وهذه تصيب الأطفال والبالغين عادة ويندر أن يصاب بها أحد بعد سن الخامسة والعشرين . وفي مثل هذه الحال يشكو المصاب من ألم وتورم في واحد أو أكثر من المفاصل الكبرى في الأطراف كمفصل الركبة أو العقب أو كوع الذراع . وتكون مثل هذه النوبة عادة مصحوبة بحمى خفيفة أو عالية الأمر الذي يوحى للطبيب أنه بصدد حالة من حالات الحمى الروماتيزمية ولكون مثل هذه النوبات تحدث في سن مبكرة فقد ينصح الطبيب بإعطاء المريض حقن البنسلين شهرياً ، وقد ينصح باستئصال اللوزتين نظراً لتكرر النوبات إلى أن تختفي تلقائياً بعد عدة سنوات ليعقبها بعد ذلك بفترة (قد تمتد عدة سنوات أخرى) الأعراض البطنية .

ثالثاً : الأعراض الصدرية : تحدث هذه نتيجة لالتهاب الغشاء البلوري المحيط بالرئتين حيث يشكو المريض من آلام وتخزبة في أي مكان في الصدر أو الظهر أو الكتفين ، تزداد شدة في أثناء التنفس أو السعال أو حتى الحركة . والفحص السريري وأشعة الصدر لا يظهران في أغلب الأحيان أي دليل مرضي باستثناء ارتفاع في درجة الحرارة مما يجعل الطبيب يميل إلى تشخيص الحالة على أنها التهاب فيروسي .

وجدير بالذكر أن الأنواع الثلاثة من الأعراض قد تظهر معاً عند بعض المرضى في أثناء كل نوبة أو قد يظهر منها نوعان دون الثالث ، أو قد تبدأ الأعراض بصورة معينة تختلف مع الزمن من نوبة إلى أخرى ومن صورة إلى أخرى .

تشابه الأعراض وخطأ التشخيص :

إن الأعراض التي سبق وصفها تشبه أعراض عدة أمراض أخرى أشير إلى بعضها ، ولهذا لا يسهل التأكد من حقيقة نوع المرض عند حدوث النوبة الأولى . وبما أن الأمراض التي يشبه بها هي في العادة من النوع الجراحي المستعجل كالتهاب الزائدة الدودية أو المرارة أو انفجار في المعدة أو الأمعاء فإن حالة المريض تستدعي تصرفاً مستعجلاً قد ينتهي بالمريض إلى غرفة العمليات قبل وضوح التشخيص . أما إذا دخلت النوبة من الأعراض الجراحية فإن

● حمى البحر المتوسط

أن أعراض المرض لا بد أن تظهر في كل جيل من الأجيال أو في كل الأبناء إذا وجد في أحد الأبوين . ولذا فإن المرض يتواجد عند أكثر من شخص واحد في العائلة الواحدة في حوالي ٥٠٪ من الحالات . أما بقية المرضى فلا يوجد ما يدل على أن أحداً آخر من أفراد عائلاتهم أصيب أو مصاب بالمرض . وتزداد احتمالات الإصابة بالطبع إذا وجد في العائلة شخص آخر مصاب به وذلك نتيجة منطقية لوجود الجينات الوراثية الخاصة بالمرض في الأسلاف ولذا يصبح التزاوج بين أفراد مثل هذه العائلة أمراً غير مرغوب من الناحية الطبية .

أما في حالة ظهور الأعراض المرضية فإن العلاج الآن ينحصر في اتجاهين : الأول منها معالجة الأعراض المؤلمة الحادة والثاني لمنع تكرار النوبات . لقد ظل الأطباء طوال الثلاثين عاماً يعالجون هذا المرض بشق أنواع العقاقير المتوفرة لهم بدءاً بالأسبرين ومشتقاته والمضادات الحيوية بأنواعها ومضادات الحساسية وانتهاء بمركبات الكورتيزون دون أي دليل على فعالية كل هذه الأدوية . وبحض الصدفة وجد أحد الأطباء الأمريكيين أن عقاراً قديماً يستعمل في علاج مرض التقرص يمنع تكرار نوبات حمى البحر المتوسط . كان ذلك سنة ١٩٧٢ ، ومنذ ذلك التاريخ أثبتت عشرات التجارب ومعالجة آلاف المرضى أن هذا العقار المعروف باسم كولشيسين (Colchin) (Cine) يحمي من حدوث النوبات المؤلمة وتكرارها في أكثر من ٩٠٪ من الحالات ، واتضح من خبرة السنوات الثلاث عشرة الماضية أن استعمال هذا الدواء بصفة دائمة في الأطفال والبالغين لا يقترون بأية مضاعفات أو آثار جانبية سيئة مادام المريض مواظباً على مراجعة الطبيب المعالج بصورة منتظمة . لقد ثارت بعض المخاوف في البداية حول ما إذا كان استعمال عقار كولشيسين يقلل من خصوبة الرجال أو نحو الأطفال لكن لم يظهر إلى الآن أي دليل علمي يثبت ذلك ، وتبددت هذه المخاوف بعد سنين من متابعة درجة خصوبة الرجال ومعدل نمو الأطفال المعالجين مقارنة بغيرهم من الأصحاء . على أن ثمة تحفظاً مازال قائماً حول إمكانية استعمال هذا الدواء في أثناء فترة الحمل فقط . □

الأمراض المشابهة تدور عادة ما بين الحمى الروماتزمية أو الروماتزم المفصلي أو الالتهابات الرئوية بأنواعها . ومع أن نتائج الفحوص السريرية والمخبرية عادة تكون سلبية إلا أن الكثير من المرضى يعالج كما لو كان يعاني من أحد هذه الأمراض . وصعوبة التشخيص هذه ناتجة عن الافتقار إلى فحص مخبري خاص « لحمى البحر المتوسط » كما هي الحال في كثير من الأمراض المعروفة . ولقصر فترة النوبة فإن المريض والطبيب يشعرون بعدم الحاجة إلى مواصلة البحث عن السبب مادام قد تحسن وأصبح معافى . ويحدث النوبة التالية تعاد الكرة دوايك إلى أن يشعر المريض وذووه باليأس والطبيب بالإحباط . وخلال سنوات المرض ونوباته المتعاقبة تجري للمريض عشرات (وأحياناً مئات) الفحوصات المخبرية والشعاعية تكون نتائجها دائماً غيصة للتوقعات ، وتوصف له أنواع عديدة من العقاقير والأنظمة الغذائية والوصفات الطبية الشعبية وجميعها تكون بلا فائدة . وتنتهي دوامة اليأس والأمل هذه عادة بالصدفة إذا التقى مريض بمريض آخر سبق أن عرف مرضه أو بطبيب له خبرة بهذا المرض .

لقد أشرت قبل قليل إلى صعوبة تشخيص المرض نظراً لعدم توفر فحص مخبري خاص به ، ولكن فريقاً من الباحثين العرب توصل إلى استنباط وسيلة للتأكد من التشخيص تعتمد على استغراز عناصر المرض عند المريض وإحداث نوبة مرضية خفيفة لا تدوم أكثر من ساعات قليلة ، لقد أثبتت أبحاث هذا الفريق وباحثين آخرين في أماكن مختلفة إمكانية الاعتماد على هذا الفحص في أكثر من ٩٥٪ من الحالات وهي نتيجة ممتازة في عالم الطب . وإنطلاقاً من نتائج هذه الأبحاث أصبح لدينا الآن أمل كبير أن نتوصل إلى إيجاد الفحص المخبري المنشود في وقت قريب وكذلك إلى معرفة أسباب هذا المرض إذا توفرت لأبحاثنا الإمكانيات المادية المناسبة .

العلاج بعقار قديم :

أشرت في سياق الحديث عن أسباب « حمى البحر المتوسط » إلى كونها مرضاً وراثياً بوساطة الجينات من أحد الأبوين إلى الأبناء فالأحفاد . لكن هذا لا يعني

الرأي ، والرأي الآخر . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات

النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي

الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .



مشهد العربي

قضية

لغة الإعلام بين الفكر والمجتمع

بقلم : الدكتور محمد سيد محمد

محروماً من مثل هذه الوسيلة الناجعة للعمل . فتاريخ البشرية منذ بدايته يفترض وجود لغة منظمة ، وما كان في وسع الانسان أن يسير في طريق التطور دون اللغة . ويقسم « شوشار » التعبير عند الانسان الى خارجي يتيح لنا الاتصال والابلاغ ، والى داخلي يفصح عن عقولنا وعن مدى ادراكنا .

وتلعب معظم أدوار اللغة بين محورين رئيسيين : هما : الفكر من جانب ، والمجتمع من جانب آخر . وترتبط اللغة بالفكر ارتباطاً مباشراً وثيقاً ، وتفسر هذه العلاقة موضع اختلاف فلسفي و « ايدولوجي » يعكس الخلاف بين الفلسفة المادية والفلسفة المثالية من جانب ، واختلاف الفلاسفة من جانب آخر ، ولكنه يؤكد العلاقة بين اللغة والفكر . فاللغة كما

في فجر التاريخ الانساني كان الإعلام قائماً على المشاهدة ، الى جانب الاشارات والحركات التعبيرية . من ذلك نستنتج مباشرة أن لغة الاعلام كانت أقرب ما تكون الى لغة التخاطب اليومي العابرة . نقول أقرب إحتراساً ، فربما كان المنادي أو الخطيب يحاول انتقاء تعبير الاستغاثة أو التحذير أو ابتهاج فرصة الصيد . ولولا هذا الاحتراس لقلنا ان تطابقاً كان بين لغة التخاطب اليومية وبين لغة الاعلام في فجر التاريخ الانساني .

فاللغة - وهي أداة الفكر ومساعدته - هي التي مكنت الانسان من الشعور بذاته ، ومن الاتصال بأمثاله ، وجعلت من الميسور تكوين الجماعات . ومن العسير أن نتصور حالة أولية للانسان كان فيها

يصنفها « كارل ماركس » هي حقيقة الفكر المباشرة ،
و « ستالين » يوضح هذا المفهوم الماركسي في قوله :
« يقولون ان الأفكار تتكون في عقل الانسان قبل أن
تصبح ألفاظاً وأساليب تعبير ، وانها توجد عارية
تماماً ، دونما أي حاجة الى أجهزة اللغة . ولا شك أن
ذلك القول ينطلق من خطأ بين ، فمهما كانت الأفكار
التي تتجمع في عقل الانسان فهي لا تستطيع أن تولد
ونحيا الا من مصدر الفاظ وعبارات اللغة ، فلا وجود
للأفكار العارية ، المتحررة من أجهزة التعبير . . وان
حقيقة الفكر تظهر في التعبير . ولا وجود أيضاً لأفكار
بدون التلفظ بها » .

ويرى انصار المذهب المادي أن المخ يفرز الأفكار
كما تفرز الكبد الصفراء .

ولقد أظهر « دي لاكروا » العلاقة بين اللغة
والفكر قائلاً بأن الفكرة تُكوّن اللغة بعد أن تكون قد
تكونت بواسطة النطق .

وينسب الى « سقراط » قوله : حينما يفكر العقل
يتكلم الى نفسه . ولقد صاح سقراط في رجل
صامت : يا هذا تكلم حتى أراك . « وجيته » يقول
نحن أحياء فقط عندما نتكلم . وقال « هوبز » ان
المعرفة ما كانت لتأتي الى حيز الوجود بدون اللغة .
ووافق « لوك » الذي قال ان الحاجة الى الاتصال هي
منبع اللغة ، وان اللغة تولّد الفكر بدورها ، وان
الناس ليطالبون في بيان أفكارهم عون اللغة أكثر مما
يستعينون بالطبيعة الحقيقية المحددة للأشياء كما هي .
وقال « كونديلاك » ان المرء لا يفكر دون عون اللغة .
ويرى « وارد » انه في الوقت الذي أصبح من المؤكد
فيه أن الفكر لا يتم الا باللغة كما يبدأ الفن
بالأدوات ، تساعدنا اللغة مع هذا على أن نتقدم
بعملية التفكير تقدماً عظيماً الى الأمام ، وجاء
« ستاوت » بعد ذلك ليسأل : ما الوظيفة الخاصة للغة
في تفكيرنا ؟ ويحيب أن للغة وظيفة تعبيرية ، فالكلمة
أداة للتفكير في المعنى الذي تعبّر عنه . ويسرى
« برجسون » أن اللغة وسيلة رئيسية يستطيع الذكاء
بها أن يتحرر من روابط الغريزة . ويقول « كروتشي »
إنه يبدو واضحاً أنه اذا لم يتكلم الانسان فلن يفكر .
وذهب « واطسون » الى القول بأن ما نسميه تفكيراً
ليس الا كلاماً صامتاً . و « برتراند راسل » يقول :

يكاد كل النشاط الذكائي الأهل أن يكون مسألة
كلمات . وقال « فرويد » ان النشاط العقلي يصير
نشاطاً عقلياً شعورياً الى حد انه يظهر في شكل صور
نطقية . ولقد شرح « بنكام » هذه الفكرة بقوله . إن
الأفكار أحلام ما دامت لم تكسها الكلمات وما دامت
عارية منها ، وهي تطفو في العقل حيناً ، وتختفي منه
حيناً آخر ، كما يفعل السحاب في السماء . وكان
« اوسكار وايلد » يقول ان الأفكار تولد دائماً مكسوة لا
عارية .

و « ميرلو-بونتي » يقول ان الفكر لا يوجد خارج
العالم أو بمعزل عن الكلمات . وما نقع فيه من وهم
يجعلنا نعتقد بوجود فكر لذاته قبل التعبير . انما
الأفكار التي انتظمت من قبل وعبر عنها من قبل هي
التي نستطيع أن نستدعيها اليها في صمت ، وبها نوهم
أنفسنا أن لنا حياة داخلية بغير لغة . والحقيقة ان هذا
الصمت الظاهر يعج بالكلام . وقال بونتي انه ليس
بين الفكر والكلام علاقات خارجية زمانية أو
مكانية ، ليس الفكر قبل الكلام ولا خارج الكلام ،
انما الفكر في الكلام ، وقد انطوى كل منهما في
الأخر . وشبهها بالتمجد النفس والبدن .

واهتمام الفلسفة باللغة يبلغ مداه في دلالة
الألفاظ . « ان الموضوع الحقيقي للفلسفة هو دراسة
المعنى . والفيلسوف لا يدرس هذا المعنى بصفته واقعة
نفسية أو عقلية ، بل يدرس وحسب الجانب المنطقي
منه . ولا يوجد المعنى المنطقي خارج بناء اللغة ، ولذا
فان عمل الفيلسوف هو دراسة المعنى اللغوي ،
بتحليل العبارة المختلفة ، سواء كانت تقريبية ، أو
خلقية معيارية ، أو قانونية الخ . ليعرف كيف يتحقق
المعنى في كل استخدام . وهو لا يهدف من وراء هذا
الجهد الى اضافة معلومات جديدة الى العلم الطبيعي
أو الأخلاق ، أو سواهما ، بل يرمي الى توضيح
وايضاح غايات اللغة ، أو الطرق التي تتمكن بها من
تحقيق هذه الغايات ، وهكذا - كما يقول لودفيج
فنجشتين - فان الدلالة اللغوية هي الموضوع الأول
للفلسفة .

واذا كان الفكر هو المحور الذي دارت حوله معظم
أنوار اللغة فان المحور الذي يناظره هو المجتمع . وفي
معرض تحليل العلاقة بين اللغة والمجتمع يبرز علماء
اللغة للرباط الوثيق الذي يشدهما وهو ربط

« لنشتغل الآن كما يشتغل ... » وتوقف عن النطق بكلمة « الزنجي » فكان توقفه عن النطق مشيراً الى أنه فطن الى ما تحمله الكلمة من زراية وامتهان لصديقه ، وهو ان الزنوج هم وحدهم الذين عليهم ان يقوموا بأشق الأعمال التي يترفع عنها الأوروبيون ، وفهم الصديق الزنجي أموراً كثيرة تواردت على خواطره : خلفية الفرنسي البرجوازي ، وتمييزه بين الأبيض والأسود . استتارت الكلمة المحبوسة هذا الجوكلة ، ودلت على أن المتحدث اغما يعبر عن أفكار فرنسية وعقلية برجوازية، وكانت القطيعة بين الصديقين بسبب هذه الكلمة التي لم ينطق بها . وكان لسان حال الزنجي يقول للفرنسي انك لم تتحرر يا صديقي من أفكارك المسبقة التي تشير اليها لغتك الفرنسية فحرر لغتك حتى تستطيع أن تحرر فكرك . والفيلسوف الألماني نيتشه يقول أن اللغة تلازم الفرد في حياته وتمتد الى أعماق كيانه . وتبلغ أخفى رغباته وخطراته . انها تجعل من الأمة الناطقة بها كلاماً متراصاً خاضعاً لقوانين ، انها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان .

ولقد ربط بعض المفكرين والفلاسفة بين قضية اللغة أو ما أسموه ثورة في اللغة ، فمن اللغة تبدأ ثورة التجديد ، لأن اللغة عندهم هي الفكر ، ومحال أن يتغير هذا بغير تلك . فقد تسود العصر روح دينية صوفية تبحث عن الخفاء وراء الظهور ، وعن المطلق وراء الجزئي ، وعن البقاء وراء الفناء ، فعندئذ يتعكس هذا كله على طريقة استخدام الناس للغة في مدارج الثقافة العليا لا في تصارييف الحياة اليومية فيجعلون اللغة للايجاء لا للدلالة . وقد تسود العصر روح علمانية واقعية . يشتغل الناس فيها بالعلوم الطبيعية والرياضية أكثر مما يشتغلون بالوجد الصوفي فعندئذ يتعكس ذلك على اللغة فنرى أصحابها يتخذون منها أداة ترمز الى الواقع المحسوس .

والدكتور زكي نجيب محمود يحترس من التعميم القاطع فيقول : ذلك على وجه التعميم الذي لا ينبغي أن يتأثر في الحسالة الاولى أفراد أشبه بالعلماء في استخدامهم للغة كما لا ينبغي أن يكون في الحالة الثانية أفراد أشبه بالشعراء في صياغة القول . ان اللفظ في اللغة تكمن فيه الثقافة التاريخية .

الاتصال . فيرون أن الطرق الخاصة للتفكير اغما تشيع في المجتمع بواسطة الاتصال . هذا الاتصال الذي يشمل الى جانب اللغة ، الرموز التصويرية ، والطقوس ، ولكن تظل اللغة هي الوسيلة الرئيسية لهذا الاتصال ، ومن ثم تظل الوسيلة الرئيسية للتأثير في الإدراك . وهي رباط تذكير الماضي عند الفرد والجماعة ، ورباط الوعي بالحاضر والتنبؤ بالمستقبل فالفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نشأ فيه .

وتمثل الثقافة مرحلة جديدة في تطور الانسان وهي مرحلة القدرة على الحصول على المعلومات وتخزينها وتبادلها ومن ثم نقلها للجيل التالي ، بحيث أن الفرد في الجيل التالي لا يحتاج الى أن يعيد اكتشاف تلك المعلومات وتعلمها من جديد . وتطور الثقافة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالرموز وخصوصاً المتعلقة بلغة الكلام والكتابة الى جانب الرسم والموسيقا وغير ذلك . ولكن اللغة هي أهم الرموز وهي التي تمجمل النشاطات الأخرى ممكنة .

ويقول سابير (١٩٢٩) العالم اللغوي أن بني الانسان لا يعيشون في العالم المحسوس الخارجي وحده ، ولا في عالم النشاط الاجتماعي - كما يفهم عادة - وحده ، بل يكونون - الى درجة كبيرة - تحت رحمة اللغة الخاصة بهم ، والتي أصبحت وسيلة الاتصال في مجتمعاتهم .

وأغلب ظننا أن « ماكلوهان » عندما قال ان الطباعة هي التي انشأت القوميات كان متأثراً بقول بنيامين عالم اللغة : ان اللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار بل انها هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار . فنحن نقسم الطبيعة أو العالم بموجب الخطوط التي ترسمها لنا لغاتنا القومية . ان المرء يفكر بلغته . ولغة المرء انعكاس لثقافته . ولقد ضرب لنا سارتر مثلاً في محاضرة له (عن دور المثقف في المجتمع) عن طالبين صديقين كانا يدرسان الطب في باريس أحدهما فرنسي والآخر زنجي . وكان الفرنسي يعتقد أن ميوله بعيدة عن التمييز العنصري ولكنه تكلم مع صديقه مرة حين أرسل نفسه على سجيته . فشرع يقول العبارة الفرنسية الجارية على الألسنة « لنشتغل الآن كما يشتغل الزنجي » ، ولكنه بدأها قبائلاً :

النفس ، أو عالم من علماء الاجتماع فيظهر لنا أثر التنظيم الاجتماعي في تطور اللغات ، أو مؤرخ فيصنف اللغات في أسر ويحدد توزيعها الجغرافي . كل واحد من هؤلاء يستطيع أن يكتب كتاباً يدخل في علم اللغة ولو أن نقطة البدء التي صدر عنها توجد خارج هذا العلم ، والنتائج التي يصل إليها تمتد حتى تخرج من حدوده .

وهكذا تبدو اللغة بحراً مترامياً الأطراف ، فما هي علاقتها بالاعلام ؟ وأين تتجه ؟ ان الهدف الأساسي لهذه العلاقة هو اجلاء نقطة التماس بين دائرة الاعلام ودائرة اللغة ، وكيف يمكن شحذ هذه النقطة لتولد مجالاً إيجابياً بين الدائرتين ؟ . ومن ثم تصبح نقطة التماس بين دائرتي اللغة والاعلام ، قنطرة لإثراء وتطوير وترقية المجالين ، مجال اللغة ومجال الاعلام . □

ومن بين مفردات اللغة ما يعتبر وثائق تاريخية ومنها ما ينطلق بمواصفات اجتماعية خاصة بكل شعب ، كما أن منها ما يحمل شحنة عاطفية لا تدري عادة لماذا اختصت هذه الكلمة أو تلك بحملها .

واللغة كما يصورها بعض علمائها مركب معقد تمس فروعاً من المعرفة مختلفة ، وتعنى بها طوائف متفرقة من العلماء . فهي فعل فسيولوجي من حيث انها تدفع عدداً من أعضاء الجسم الانساني الى العمل ، وهي فعل اجتماعي من حيث انها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الانسان، ثم هي في النهاية حقيقة تاريخية لا مراء فيها نعتز عليها في صور متباينة وفي عصور بعيدة الاختلاف على سطح المعمورة قاطبة . ومن ثم كان لنا أن نتصور دراسة للغة يقوم بها عالم من علماء وظائف الأعضاء ، فيصنف الطرائق التي تؤدي بها أعضاء الكلام وظيفتها . أو عالم من علماء النفس فيحلل حركة التفكير مهتدياً بنتائج علم

منتدى العرب تعقيبات



« الحساب الفلكي في بداية الشهور القمرية »

تأكدت من أسماء الأشهر الحرم الأربعة وذلك بالنظر في تفسير الجلالين ، فتأكدت أن الأشهر الحرم هي (رجب ، ذوالقعدة ، ذوالحجة ، المحرم) أي ان شوال ليس شهراً حراماً ، وهذا يتوافق حرمتها وسلامة الحجاج في الأشهر الثلاثة المتصلة « هذا رجب » ، وهي أشهر الحج بحيث يتسنى للحجاج حسب المواصلات القديمة « الجمال والخيول » من الذهاب الى الكعبة والعودة سالماً . ويتابع المقال حتى

نشر الدكتور عبدالمنعم النمر مقالا في مجلة العربي ، العدد ٣١٩ حل عنوان (الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية) وقد ورد في فقرة بدء الشهور العربية العبارة التالية : « إن بدء الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » . وبين الرسول أسماء هذه الأشهر الحرم ، وهي رجب وشوال وذو القعدة وذو الحجة . . انتهت العبارة .

يُبعد القمر عن الشمس « الزاوي » أقل من خمس درجات كما أوضح الدكتور وذلك لأسباب اورد بعضها :

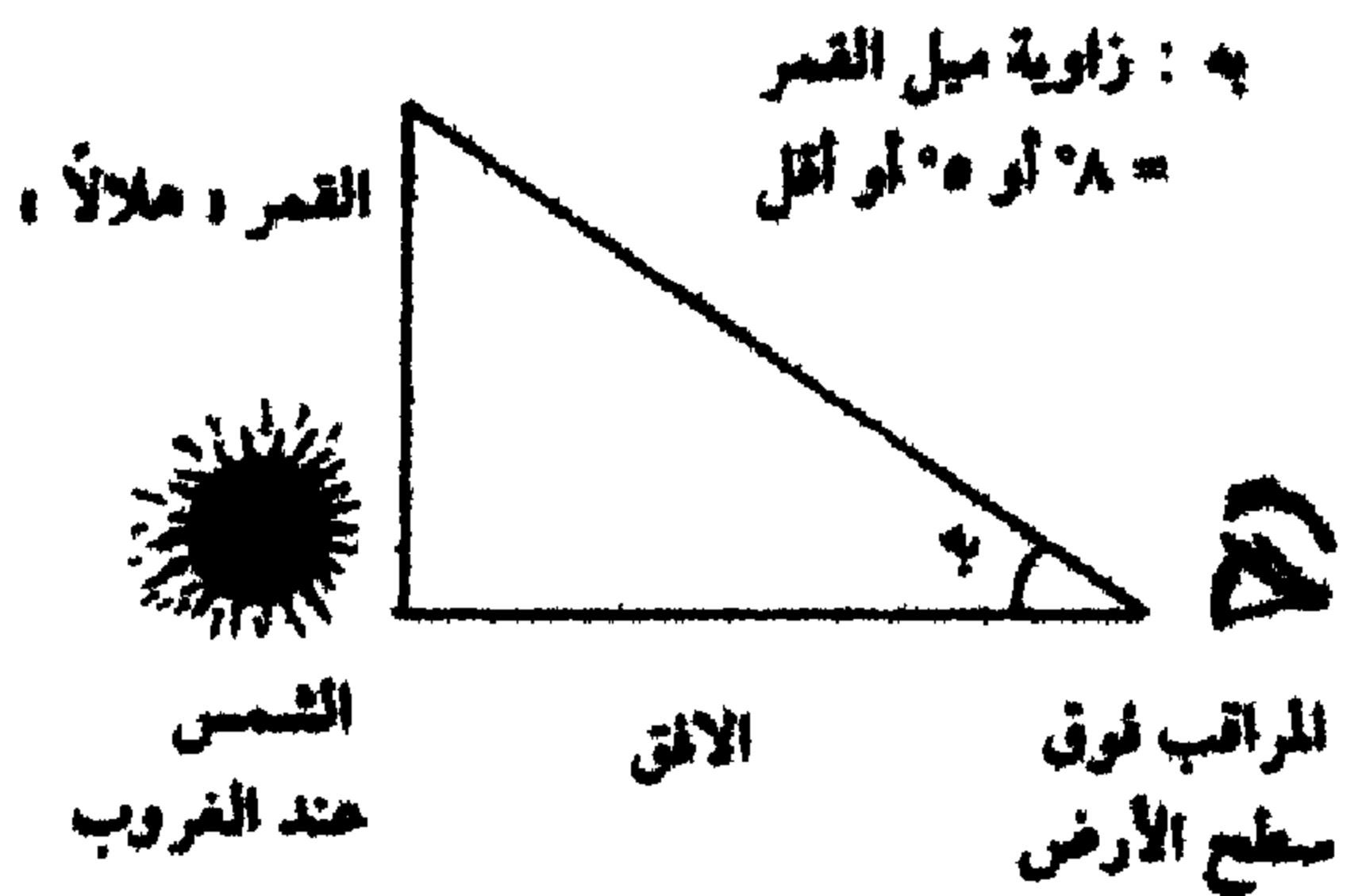
أولاً : يستمد القمر ضوءه من الشمس ، ولكن الجزء المضاء من القمر والذي يرى من سطح الأرض (عندما يقترب القمر من وضع المحاق) صغير ويتناسب صغره طردا مع اقتراب القمر في نهاية الشهر القمري .

ثانياً : في اثناء غياب الشمس واحتجابها تحت الافق « والقمر قريب منها أقل من خمس درجات » لا ننسى الضوء غير المباشر الناتج عن تشتيت الأمواج الضوئية الصادرة عن الشمس - وخصوصا القصيرة منها - بواسطة جزيئات الهواء التي تؤلف الغلاف الجوي الأرضي ذا السماكة الكبيرة . ونظرا لصغر المساحة المضاءة من القمر والتي يجب أن ترى من الأرض (ذات استطاعة ضوئية صغيرة) ولكون عاكسية القمر الضوئية منخفضة بسبب انعدام الغلاف الجوي القمري (لأن أشعة الشمس عندما تسقط على القمر ترفع درجة حرارته فلا يعكس الا قسما بسيطا منها ثم يمتص هذه الحرارة على شكل أمواج كهرومغناطيسية تحت حمراء « غير مرئية ») ، ونتيجة لهذا يمكن أن تطفئ الأشعة المتشتتة عن جزيئات الهواء (في الغلاف الجوي الأرضي) على الضوء المنعكس عن الجزء المضاد من القمر .

للاسباب السابقة تتعذر رؤية القمر بالعين المجردة ، والاعتماد على الحساب الفلكي والوسائل العلمية الحديثة يجعلنا نتحقق من بداية ونهاية الشهر القمري ، ولا نكون في موضع شك من هذا . □
عبدو الاحمر

الصفحة (٣٢٦) ، وبالتفريق في الرسم المرفق الذي بينه الدكتور نلاحظ أنه لا يطبق على الشرح في البحث ولا على المراد منه ، فالرسم يبين أن الزاوية بين القمر والشمس عند الغروب تساوي ٩٠ درجة ، فكان يجب أن ترسم الشمس في الطرف الآخر للافق فيتحقق ذلك مع الشرح حيث يبدو للمراقب على سطح الأرض أن الزاوية بين القمر والشمس أو ميل القمر = ٨ درجات أو (٥) درجات حسب أدنى مسافة بين القمر والشمس . ويمكنه أن يرى القمر بالعين المجردة « وربما أقل من خمس درجات » .

في الرسم الموضح : نسقط القمر والشمس على مستوى عمودي على المستوى الافقي .



أما عن أهمية أخذ المسلمين بالحساب الفلكي ، والاستعانة بالوسائل العلمية الحديثة ، فمع الكاتب كبل الحق . وذلك من أجل معرفة بداية الشهر القمري ونهايته بكل دقة ، لأن العين المجردة تقف عاجزة في أغلب الأحيان عن رؤية الهلال فيما لو كان

قال ابن عطاء : ان للدهاء أركاناً ، واجنحة واسباباً واوقاتاً ، فان وافق أركانه قوى ، وان وافق مواعيته فاز ، وان وافق أسبابه نجح فاركانه حضور القلب ، واجنحته الصديق ، ومواعيته الأسعار ، وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

منتدى العربي تعقيبات



حول موضوع : تَلَوُّثُ البِيئَةِ وَالتَّسَمُّمُ الغِذَائِي وَسُوءُ اسْتِعْمَالِ الدَّوَاءِ ..

بقلم : د . نيه الغبرة

ما بين قضايا التلوث والتسمم الغذائي .
فالتلوث ، يعني تلوث بيئة الانسان (الهواء والماء والتراب) بأية مادة ضارة بصحة الانسان أو الحيوان أو النبات ومنها فضلات المصانع ونفاياتها وتسرباتها ، والمبيدات الحشرية التي ركز عليها الدكتور في مقالته بصورة خاصة ، كما أن منها النفايات الصناعية وتسرباتها ، ومنها وهو الأهم في البلاد المتخلفة تلوث بيئة الانسان بالاقذار والنفايات البشرية التي تجعل البيئة مرتعا للحشرات والقوارض والجراثيم والطفيليات وتجعل الأمراض المستوطنة في هذه البلاد مشكلة المشاكل والعقبة الكبرى التي يجب التخلص منها ، فترى النهر مثلا يصدر من منبعه عذبا فراتا فلا يسير بين المجمعات السكنية بضعة كيلومترات حتى يصبح مليشا بالاقذار وبالجراثيم والطفيليات المسببة للمرض .

بهذا التعريف للتلوث تخرج مواضيع التدخين - وإن كان هو القاتل الأول في العالم كما تسجيته منظمة الصحة الدولية - وانتهاك البيئة واستنزافها . إن معالجة التلوث تكون بجعل البيئة صحية ، ومنع تلوثها أو تخفيفه على قدر الامكان . ومثل هذا

كان حديث الشهر للدكتور الرميحي في العدد ٣١٦ - جمادى الآخرة ١٤٠٥ - آذار ١٩٨٥ - بعنوان : « التلوث ، الدواء الفاسد ، الغذاء المسموم » . ولاشك أن الموضوع مهم بالغ الخطورة له آثار سلبية كبيرة ، وخصوصا في المجتمعات المتخلفة ، ولكن من الممكن معالجته أو التخفيف من آثاره إن أحسن تدبيره .

ولقد أحببت أن اشارك في هذا الموضوع بصفتي المهنية - لانه في الاصل موضوع صحي طبي ، وإن كانت له جوانب أخرى كثيرة ، لأنني وجدت في المقالة كثيرا من النقاط التي تحتاج الى شيء من التحديد والايضاح . فقد وجدت الدكتور يلوم المؤسسات الغربية بصورة خاصة وكأنها المصدر الوحيد لمصائب التلوث والغذاء الفاسد والدواء المسموم مع أن البلاد المتخلفة هي التي تتحمل الوزر الأعظم وعليها أن تحمل مسؤولياتها .

فمن الناحية الفنية كنت أفضل الفصل بين المواضيع الثلاثة التي جعلت عنوانا للمقال . وأن تبحث مشكلات كل موضوع على انفراد . وإن كان هناك أحيانا شيء من التداخل فيما بينها ، وخصوصا

العمل الضخم لابد فيه من مؤسسات حكومية فنية متخصصة . ولابد لتجنيته من . تجارب الناس السلوكي والوجداني والايجابي . فمستلزمات حذرت اليابان المواطنين مثلاً من خطر غازات احتراق عوادم السيارات وشجعتهم على ركوب الدراجات شاهدنا أن الشعب استجاب وأقبل على ركوب الدراجات . وأن بلاداً شرقية - مثل سنغافورة - لا ترى فيها قمامة ملقاة في الطريق ولا مجمعات مياه قذرة ولأفباب ، مضاهية في ذلك البلاد الغربية . ففيها وزارة خاصة بالبيئة تسهر على صحة البيئة ومنع تلوثها البشري . وأما بالنسبة للتلوث الصناعي فهو موضوع واسع لا تزال تعاني منه البلاد المتقدمة ايضاً ، ويجب على كل حكومة محلية أن تسعى للتخفيف من أخطاره .

أما الغذاء الفاسد : فيحسن ان يستخدم للدلالة عليه تعبير التسمم الغذائي أو التسمية الفنية : « الامراض الناجمة عن الطعام » ، ويقصد بها كل مرض أو أذية تنجم عن الطعام ، وهذا لا يقتصر على تلوث الطعام بالسموم الكيماوية الصناعية ، وفساد المعلبات بل يشمل - وهو الأهم وخصوصاً بالنسبة للبلاد المتخلفة - الأمراض السوبائية والطفيلية والتسممية الناجمة عن تناوله . وهذه الآثار السيئة تحصل بطرق مختلفة وكثيرة يأتي في مقدمتها فساد الأطعمة العادية وتلوثها بدءاً من نشأتها ومروراً بإعدادها وحفظها وانتهاء باستهلاكها . ويزداد الخطر طبعاً عندما يكون الطعام معداً للجماهير . في المدارس والمعاهد والمشاقي والمطاعم والفنادق والرحلات السياحية والطائرات ومجمعات الجنود وصوامع الحبوب وغيرها .

وأما الامراض والتسممات الناجمة عن الأطعمة المحفوظة فهي واردة بلا شك ولكنها ليست بالشكل المخيف . فالصناعات الغذائية هي الاولى من حيث الضخامة في العالم الغربي بل في العالم أجمع . وعليها يقوم توفير الأمن الغذائي للعالم . وبدونها لا يستطيع المرء أن يتصور حلاً . وأن المعارف والتجنية الحديثة مسخرة لنجاح هذه الصناعة . وهنا ترى أن مصلحة المستهلك والصناعة تسير جنباً الى جنب . فحفظ الطعام الجيد يعني بيعه والأسفانة منه . ولا اعتقد ان

هناك مرجعاً علمياً معتمداً يقول بخطر الأطعمة المعلبة بشكل مطلق ، فكل بلاد العالم تسعى وراء هذه الصناعة اليوم لتوفير الطعام للناس . ولكن قد تسيء بعض البلاد المتخلفة استعمال الأطعمة المحفوظة بالتبريد مثلاً ، وهنا يكون الذنب ذنبها . فمن الواجب أن يكون في كل بلد مؤسسات فنية متخصصة لمراقبة الطعام المستورد والمتج ويترك الامر للأفراد .

ان القوانين الموضوعة في العالم المتقدم اليوم لحماية الطعام - ومنه المعلبات والمحفوظات - على غاية من الدقة والاحكام ، والتطبيق والمراقبة - وهي الأهم بالطبع - بحيث يطمئن الانسان الى استعمالها ، فنحن نصف ونستعمل الحليب المعبى والطعام المعبى والمحفوظ - وان كنا لانشجعه الا في الظروف والاحوال الاضطرابية . وكلنا اطمئنان الى سلامته وجودته . وحول ماجاء في مقالة الدكتور في مطلع الصفحة ١٩ : « الزبدة - والحليب المجفف . . منتجات حضارية رغم مضارها الكبيرة على صحة الانسان » ، او « الوجبات الغربية قاتلة » . (ص ١٩ سطر ١٩) فانا أتصور أنه قد يكون هناك غش واحتيال وتأمر . ولكن يجب على كل عيون حكومة محلية أن تكون متفتحة ساهرة على أمن غذاء شعبها فهذا من اولى واجباتها .

وأما الموضوع الثالث الذي طرحه الدكتور بشكل رئيسي بعنوان الدواء المسموم فيمكن القول ان له جانبين : جانب فني وجانب اجتماعي .

فالجانب الفني هو من اختصاص المهن الطبية والعاملين على انتاج الدواء . وعلى هؤلاء السعي لاجتاد الدواء الفعال المأمون بقدر الامكان .

ونستطيع القول بايجاز ان الدواء بوجه عام هو في الأصل مادة سامة ، ولا يعطى الا بمقادير محددة . فاذا اعطي بأيد أمينة حسب المقادير المحددة لم يحدث عند تعاطيه أي أذى أو ضرر . ولكن مع كل التقدم العلمي يبقى لبعض الأدوية تأثيرات سمية عند بعض الناس تسمى بالآثار الجانبية وهي قد تكون قليلة هيئة وقد تكون كثيرة وخطرة ، ولكن الطب لا يستغنى عن هذه الأدوية لعدم وجود بدائل لها . وكلما وجد البديل الافضل استغنى عن القديم المفضول ، فالأدوية الكيماوية السرطانية مثلاً ذات آثار جانبية شديدة

● متدني العربي

خسة وعشرين جزءاً من الأسباب المشوهة الأخرى .
وبالطبع لا يوصف الدواء إلا في الضرورة القصوى .

وهنا نستطيع القول - كما قلنا - في موضوع
الطعام ، إن الاحتياض والغش والتأمر والاستغلال
أمور واردة بلا شك ولكن على الحكومات المحلية أن
تراقب الاتجار بالدواء وسلامته .

وأما الجانب الثاني في قضية الدواء فهو الجانب
الاجتماعي - ان صح التعبير - واقصد به سوء
استعمال الدواء وتعاطيه وصرفه . وهذا الجانب يمثل
مشكلة كبيرة ، وفي كثير من البيئات المتخلفة على
ما اعتقد . وهو الذي يؤدي الى مصائب لها أول وليس
لها آخر . فيع الدواء بدون وصفة وكأنه طعام أو
مأكلة هو المشكلة التي يجب العمل على تدارك
مخاطرها ، ولا أريد أن أطيل في هذا الموضوع فكل من
يعيش في بلد يصرف فيه الدواء بدون مراقبة فنية دقيقة
يدرك خطورة الموضوع ، فسوء استعمال الدواء هذا
هو الذي يجب العمل على تنبيه الرأي العام اليه
والعمل على إيقافه .

إنها مواضيع هامة وخطرة ويحذر أن تعقد حول كل
مشكلة من مشاكلها الندوات واللقاءات
والمناقشات . □

وخطرة ولكن لا يستغنى عنها ، حتى الاشعة والمواد
المشعة لابد وأن نلجأ اليها عند الضرورة .

كما أن لكثير من الأدوية مضادات استطباب ، أي
التحذير من استعمال الدواء عند المكبوت ، أو المصاب
في كليته أو عند الحامل أو المرضع ، وهكذا . وعلى
كل طبيب أن يعرف مضادات الاستطباب كما يعرف
الآثار الجانبية .

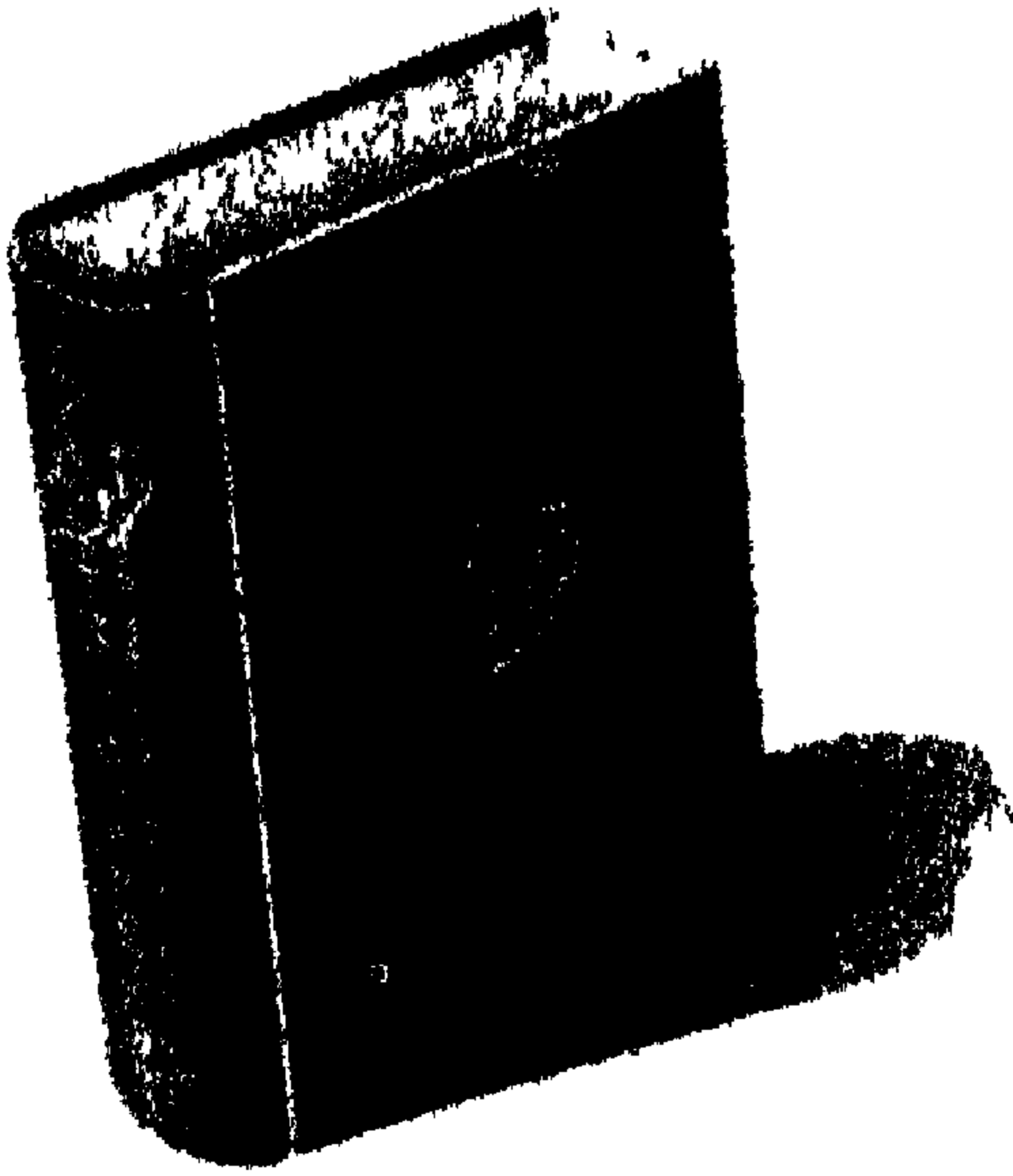
فالطبيب ليس بغافل عن تعاطي الادوية وهو يأخذ
من الاحتياطات الشيء الكثير كما يقوم بالدراسات
والتجارب قبل البدء باستعمال الدواء الجديد بما فيه
الكفاية وزيادة . وعلى كل طبيب أن يكون على وعي
كامل بكل دواء ومخاطره حين وصفه وخصوصاً
للحامل . واعتقد ان علينا أن نطمئن القارئ الى أن
الدواء الذي يقرر عدم تناوله أو عدم صنعه أو انه قد
ظهرت له بعض التأثيرات غير المعروفة سابقاً
وماشاكل ، انه في مثل هذه الاحوال تصبح جميع
الهيئات الصحية والاطباء في العالم على دراية وعلم
بالموضوع . فالبلاغات والتعميمات بهذه المسائل
ليست وقفاً على عدد من الدول بل هي للعالم اجمع
وغالباً ما توزع مثل هذه المعلومات عن طريق الصحة
الدولية

ولتطمئن الأمهات ان التشوهات التي تنجم عن
الدواء لا تشكل الا نسبة ضئيلة جداً ، هي جزء من

اسمه أكثر من ثمنه :

صاد أعرابي سنورا . . ولم يكن يعرفه أو رآه من قبل .
فقابلته رجل وقال له ممازحاً : ما هذا السنور ؟ ولقيه آخر . . فقال له :
ما هذا القط . . ولقيه ثالث . . فقال : ما هذا الهر ؟ . . ولقيه رابع . .
فقال : ما هذا الجذع ؟ ثم لقيه خامس ، وقال : ما هذا الزنم ؟
فقال الأعرابي في نفسه : أحله فأبيعه فيجعل الله منه لي مالا كثيراً .
فلما أتى السوق . . قالوا له : بكم هذا ؟
قال بمائتي درهم .

فقالوا له : انه لا يسلوي أكثر من نصف درهم لمن أراد أن يشتريه . .
فرماه الأعرابي على الأرض . . وقال : ما أكثر أسماكك وأقل ثمنك . .



البَيِّنَاتُ

فِي أَسْبَابِ

نَزْلِ الْقُرْآنِ

بقلم حسين احمد امين

الخوارق ، مما يحافى غوانين الطبيعة ، فأبى الله أن يجيبهم الى سؤالهم ، وهو الذى خلق لهم من العقول ما يمكنهم باستخدامها التمييز بين صحيح العقائد وفاسدها ، وصادق الرسالات وكاذبها دون حاجة الى الاستعانة على هذا التمييز بضروب من الخوارق والسحر .

والواقع أنه ليس ثمة كتاب مقدس هو أحفل من القرآن الكريم بالآيات التى تحض الناس على النظر والتفكير وتحكيم العقل ، والا أحوى منه على عبارات مثل : أو لم ينظروا .. فلينظر الانسان .. أفلا يتنبهون .. أفلا يعقلون .. لعلمهم يتفكرون .. لو كانوا يفقهون .. أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف .. فهنا ثقة مطلقة بأن قلب النظر وأعمال الفكر والرأى والنقاش القائم على مقارعة الحجة بالحجة ، أمور كفيفة وحدها بالافتقار بالرسالة ، والهداية الى الدين الحق . (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك إلا البلاغ) .

قوله تعالى : (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) البقرة ١٠٨

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش ، قالوا : يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً ، ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلافاً لنؤمن بك . فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال غيره : ان اليهود وبعض المشركين طالبوا الرسول بأن يبرهن على صدقه بأن يأتيهم بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة ، وقيل ان عبد الله بن أبي أمية قال له إئتنا بكتاب من السماء فيه : من رب العالمين الى ابن أبي أمية ، اعلم انى قد أرسلت محمداً الى الناس ، وقيل بل إن بعضهم قال له : لن نؤمن لك أو تأنى بالله والملائكة قبيلاً ، فأنزل الله هذه الآية .

على أى حال ، فان المفهوم الواضح من الآية وتفسيراتها أن بعض قوم النبی عليه الصلاة والسلام اشتراطوا عليه حتى يؤمنوا بدهوته أن يأتي ببعض

ان قدرة الخالق انما تتجلى في انتظام عمل قوانين الطبيعة لاني تعطيلها . وقد وضع الله هذه القوانين من أجل تحقيق مقاصد وغايات ، ولا يُقبل - عقلا - أن يعطل بعض الناس عمل هذه القوانين بسبب رغبات لهم خاصة ، أو غايات عارضة ، أو أن يصرفوا الله - سبحانه وتعالى عما يصفون ويعتقدون - عن قصده ، ويغيروا له ارادته .

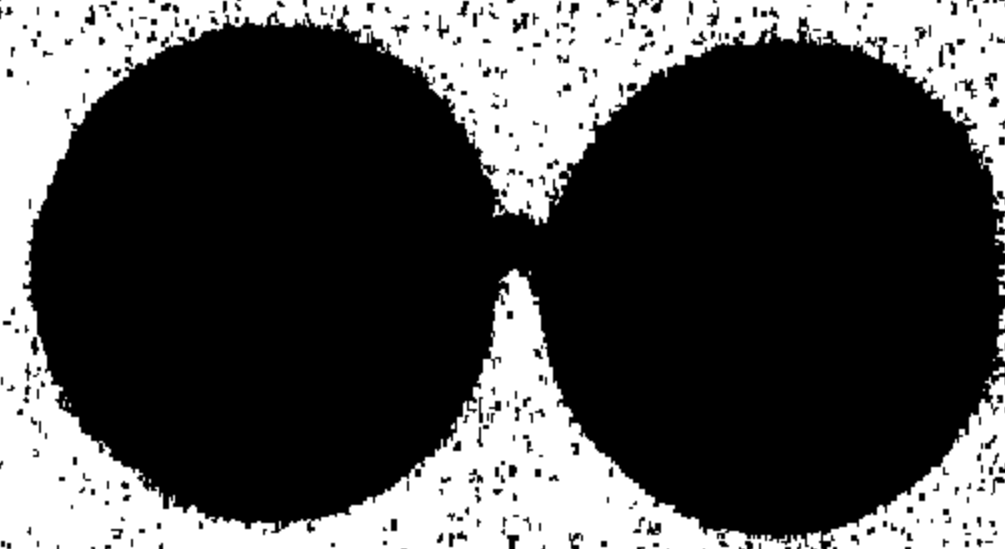
وقد كان عبد الله بن أبي أمية في طلبه من النبي عليه الصلاة والسلام أن يجعل من الصفا ذهباً ، أو يفجر الأنهار في مكة ، وفي تعليقه الايمان بالدين الجديد على شرط تحقق مطالبه ، انما يعبر تعبيراً صادقاً عن نظرة الجاهليين الى الدين وإلى الآلهة . فعبادة الأرباب لديهم انما كان الدافع الرئيسي وراءها تحقيق مآرب شخصية أو قبلية ، يستعان عليه بالتوسل وتقديم القرابين والنذور . وقد ذكر ابن سعد والجاحظ وابن أبي الحديد مثلاً لذلك أنهم كانوا في الجاهلية اذا اشتد الجذب وامتنع المطر اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر ، ثم عقدوا في أذنابها وبين عراقيها فروع الشجر ، ثم صعدوا بها في جبل وعرج واشعلوا فيها النيران . واذ يصرخ البقر من الألم يضيغ الناس معها بالصراخ والدعاء والتضرع ، فيرتفع صراخ الكسافة إلى الآلهة ، فتدخل قلوبها الشفقة وترسل المطر .

وقد شاء الله تعالى بهذه الآية الكريمة التي نتحدث عنها أن ينبه الناس إلى أنه ليس ثمة علاقة ، ولا ينبغي أن تكون هناك علاقة بين الايمان بالحقيقة الدينية وبين الاستجابة أو عدم الاستجابة لمطلب مثل الانتصار على عدو ، أو سقوط مطر ، أو زيادة كسب ، أو الابلال من مرض . فالرضا بقضاء الله وقدره على أية

صورة يتخذها هذا القضاء ، وحتى ان جاء هل خلاف ما يهوى الفرد ، هو أصلق دلالة على الايمان الصادق . وقد دعا السيد المسيح ربه وهو في محنته ان يمنه شرب ذلك الكأس ، غير أنه سرعان ما تراجع عن دعائه هذا الذي كان يهدف به إلى التأثير في الارادة الالهية ، فهذب قائلاً : - ارادتك يارب ، لا ارادتي .

كذلك استكر النبي عليه الصلاة والسلام هذا المنحى غير العقلاني من الجاهليين ، وحاول التصدي للطقوس الجاهلية بالتهذيب وباستئصال مظاهرها الممجية المحضة ، وهو موقفه صل الله عليه وسلم من كثير من عادات قومه التي كان من العسير القضاء عليها دفعة واحدة . فقد كان الرسول أروع مثال للتأني والصبر ، وأعلم الخلق بطايع الخلق ، وأرفقهم أخذاً بأيديهم ، إذ يتنزل بهم من طور إلى طور ، وأدراهم بمقتضيات الحكمة والسياسة ، مع التزامه دوماً بالهدف الأسمى الذي يتوخاه . وكان يدرك أن غرس المفاهيم الجديدة لا بد له من درجة فائقة من الترفق واللين ، فلم يهضم بالحقيقة كلمة مشاعر الجاهليين . وكان يؤمن بأنه في هذا العالم المجبول على الجهل والخرافة والنقص لا بد من التدرج والمداواة في سبيل الهداية . ولا شك عندى في أنه - وهو الذي جاء يبلغ أحرص الرسائل على إعمال الفكر والمنطق والاحتكام إلى العقل - كان يأمل في أن يؤدي الرقي التدريجي للامة إلى استئصال كل الانحجافات والمواقف التي لا تعنى في الواقع غير خرق قوانين الطبيعة التي هي من صنع الله ، وتعطيلها ، وتعنى إمكان تأثير البشر عن طريق اعمال السحر في الارادة الالهية . □

قال « البروفسور شيريل » عميد كلية الحقوق في جامعة فيينا : إن البشرية لتضجر بانتساب محمد إليها ، ذلك الأمي الذي استطاع أن يأتي بشريعة منكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفي عام .



العربية
عيوننا
على العالم

بومبارك تحت العاصفة

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر





حين توهج الشمس . . وتبلغ الحرارة اللاهجة أقصى درجاتها . . تأتي الرياح الموسمية

مؤججة من بحر العرب ، لتهب على السواحل القارية لشبه القارة الهندية ، مستأنفة سيرها بعد ذلك

من الجنوب الى الشمال الى ما وراء سفوح الهيمالايا . . وحين تنفض الحقول عن نفسها المياه الرطبة

وتنبت القمح ، يكون الفلاحون في سباق مع الزمن . . يحرثون الارض ويبنون البذور ويفرسون

شتلات الارز ، « فالمونسون » تلك الرياح الموسمية المتوحشة التي تسوق أمامها الغيوم الداكنة المليئة

بالماء . . تقترب في بطن لتهمر أمطارها دون أن تحدد لخطوطها أى زمان أو مكان . . ففى كل عام

تتجاوز بعض المناطق حتى لتمز عليها قطرة الماء وتموت من قسوة الجفاف . بينما تفرق أراض أخرى

غرقا تماما يبلغ حد الكارثة . أما فيما بقى من الارض فهي تغلق عليها الخصب والنماء والحياة . . فتبدو

حسب عقائد الهندوس وكأنها « شيفا » اله الخصب والنماء . . الخالق الحافظ المدمر ، الذي يحى

الأرض أو يميتها بريح أنفاسه المتطلقة من بين شفثيه . .

وكما يحدث كل ذلك في شبه القارة الهندية وماحولها ، فانك تستطيع أن تشهد صورة مصغرة من

ذلك الحدث الكبير . : إذا انطلقت مع الصيف ونفحة الحر الى بومباي . .



إذا اردت أن تعرف بومباي على حقيقتها . . فتأمل بيضة مليئة وجدتها أمامك وأنت جائع . . سجدت قشرتها الخارجية ناعمة ملساء ناصعة البياض . . وستجد أنها تغريك بحماها وتستثير لفتك الى ما في داخلها من مخ وزلال حتى . . يجد متفهم من خلال مسام القشرة ما بقيت سليمة لم تدفها بأصابعك فتكسرها . . ولم ينقرها فرخها من داخلها ليخرج الى الحياة . .

ولكنك لن تتروك أن هذه القشرة خادعة . . فالبيضة قد ظلت مهملة لمدة طويلة ملقاة تحت حجر الحر بلا عناية ولا تبريد . . فإذا ما بداخلها قد فسد بحيث لم يعد يتحرك فيه سوى سائل مقيم فقد لزوجه وساح فيه الملح على الزلال . . وماتت في غلاية الحياة . . وأصبح بكم ربحا كريه . . تنقلب لها الأمعاء ، وتفسد بها كل الأجود . .

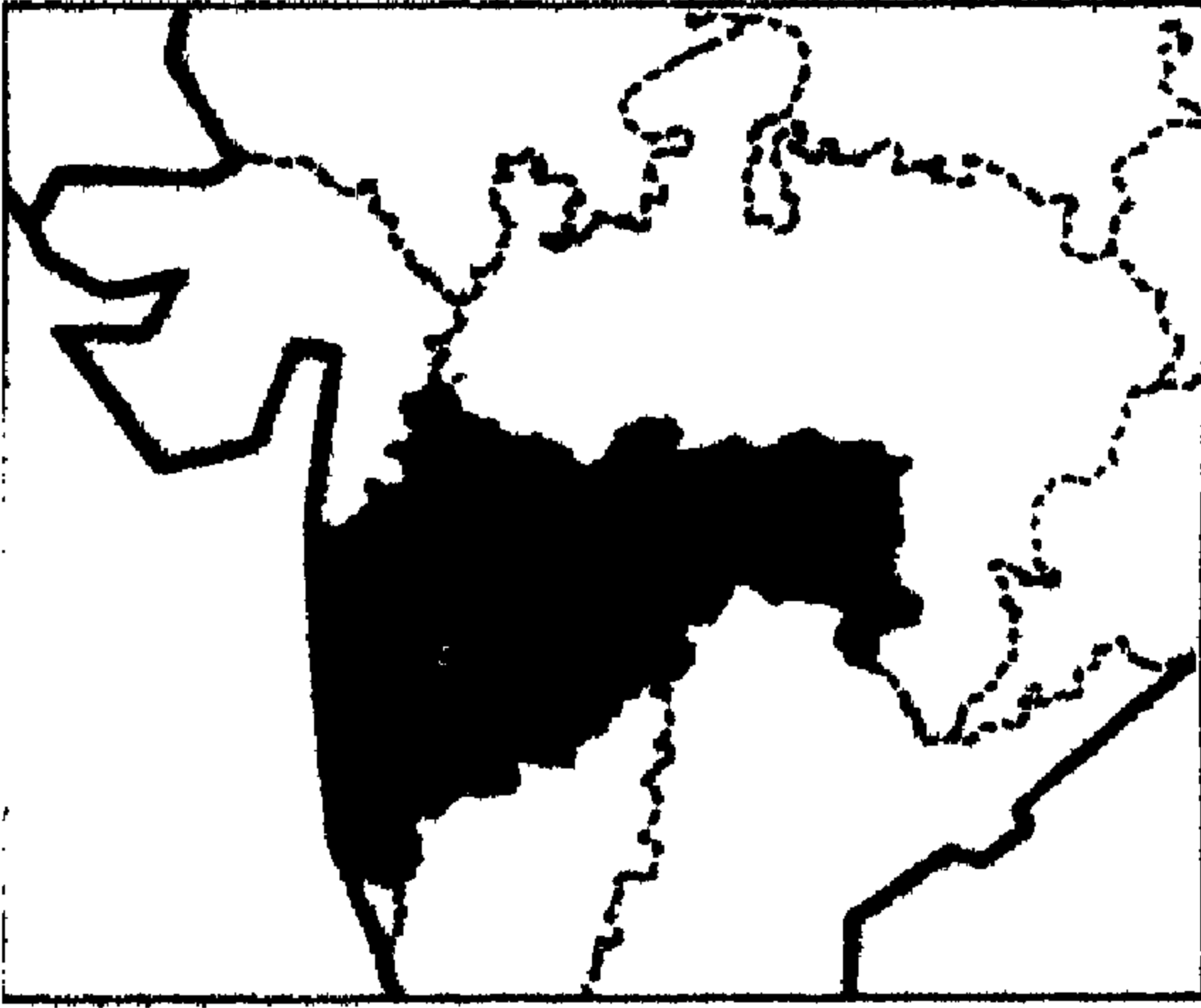
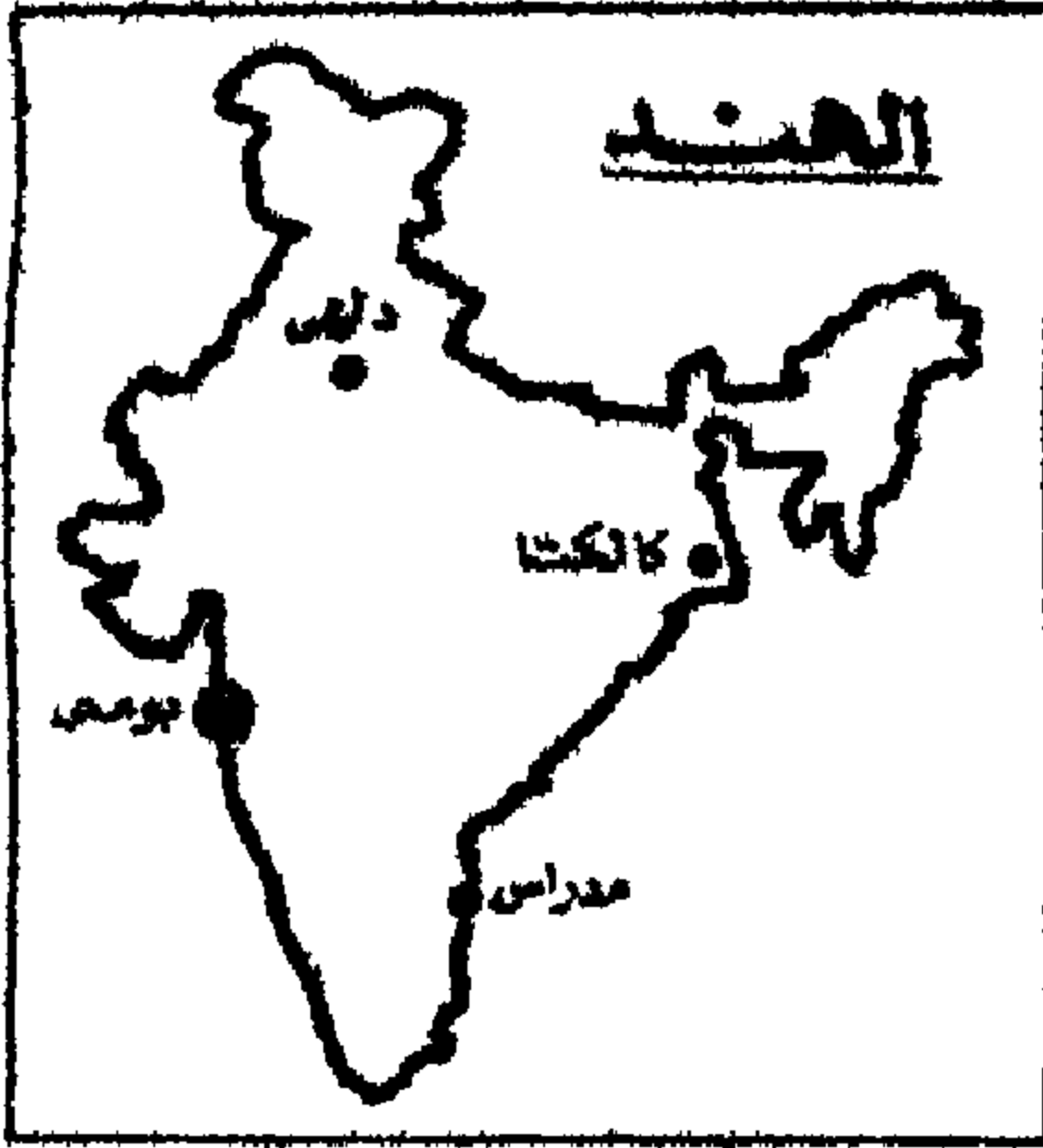
تلك البيضة . . هي صورة مصغرة من . . بومباي . . !

هذه الرياح الممطرة

وحين انطلقنا الى بومباي - بوابة الهند الغربية ومينائها البحري الرئيس وعاصمة ماهاشيترا المطلة على بحر العرب - لم يكن هدفنا ان نتحسس نعومة القشرة الملساء التي يزدحم بها مشهدها الخارجى ولا كان في نيتنا أن نخوض في سرايب الشوارع الخلفية ، ونفحص في خضم ذلك الحشد الرهيب من البشر بكل ما يحيط بهم من فقر وجوع ومعاناة . . ولكننا حين اتينا الى بومباي . . كان لنا هدف آخر . . فها كنا في الحقيقة نريد أن نلاحق بدايات « المونسون » .

والمونسون - كما يطلق عليه الجغرافيون وكما

خريطة الهند
وتبدو بومباي
على الساحل
الغربي والى
أسفل ولاية
مهاراشترا
(المظلة)



سر « المونسون »

ولكن ماهي الاسباب والبدايات ؟
في فصل الصيف الشمالي .. تتعاهد الشمس على مدار السرطان وتتكون مع ارتفاع درجة الحرارة فوق القسم الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية منطقة عظمى من الضغط المنخفض .. ومن ثم تنجذب اليها الرياح الآتية من فوق المسطحات المائية والمحملة بالرطوبة . فتتساب الرياح التجارية الجنوبية الشرقية من مناطق الضغط المرتفع المدارية نحو الشمال .. ثم سرعان ما تتحرف على يمين اتجاهها بعد أن تعبر الدائرة الاستوائية وتصبح جنوبية غربية ، وتسمى هنا باسم الرياح الموسمية الصيفية . وتسقط هذه الرياح الموسمية الجنوبية الغربية أسطارا غزيرة فوق الساحل الغربي . وتقل كمية الأمطار فوق مناطق ظل المطر ثم تنطلق نحو المناطق الشرقية . وعندما تمر هذه الرياح فوق مياه خليج البنغال وتعظم بها نسبة الرطوبة من

يسمونه في جنوب شرق آسيا وحتى جبال الهيمالايا والصين في الشمال - هو اللفظ المأخوذ من كلمة « موسم » العربية ويعني به موسم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية المطيرة .. التي تنطلق مزججة مع بدايات يونيو كل عام لتستمر الى أكتوبر .. مرسله سيول أمطارها ومطلقة رعودها وبروقها لتحول في كثير من الأحيان الى عواصف وأعاصير .. ويستقبلها الناس بترحاب رغم كل ما ينتج عنها من فيضانات مدمرة وإغراق للحقول واكتساح للبيوت وضياع للنفوس ، حتى لتجاوز عدد ضحاياها في أحيان كثيرة بضع مئات من الغرقى ومئات الآلاف من المشردين . رغم كل ذلك فالناس يستقبلون « المونسون » مهللين شاكرين باعتبارها هبة الخير من السماء ، وكما قال الشاعر الهندي « كاليدسا » قبل ألف وخمسمائة عام :

« هذه الرياح تتقدم بغيومها الثقيلة كالفيلة المنطلقة الى الامام .. عظيمة هائلة عملة بالأمطار الخيرة تتقدم وكأنها ملوك على رؤوس جيوشهم .. البروق أعلامهم ... والرعود طبولهم » .

ويحدثنا الجغرافي العربي الدكتور حسن ابو العينين عن المونسون فيقول :

هذا الفصل المطير الذي يسيطر على بومباي وعلى شبه الجزيرة الهندية كلها في الغالب يمتد من يونيو الى أكتوبر ... ويبدأ هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال الاسبوع الاول من يونيو .. وتبلغ سرعتها نحو ٤٠ كيلو مترا في الساعة على طول الساحل الغربي .. ولكن هذه السرعة تتجاوز الضعف وأكثر عندما تتحول الى عواصف رهيبة تكتسح أمامها كل شيء .. وإن كانت تقل كلما اتجهنا نحو الشرق . ويختلف طول الفصل للمطر من مكان الى آخر تبعاً لآثار الموقع الجغرافي والظروف المحلية .. فتسقط الأمطار فوق إقليم بومباي خلال الاسبوع الاول من يونيو وتنتهي مع نهاية الاسبوع الثاني من أكتوبر .. بينما يمتد الفصل المطر فوق إقليم البنغال وبنجلاديش من منتصف يونيو وحتى نهاية أكتوبر .. وفوق إقليم البنجاب من اول يوليو الى اواخر سبتمبر .





الحوص في الماء أصبح عادة عند سكان المدينة لا يسمعون من الوصول الى أعمالهم وليس معها أن يصلوا الى العمل
والماء يقطر من ملابسهم فالجميع سواء حتى ولو بدون حذاء والمطلة فيها الكماية ولو كان لرحل المرور



وسط مدينة بومبي كان كل شيء يغرق تحت وابل من الأمطار .

وقال لنا سائق السيارة : انه اول يوم تهطل فيه الامطار بهذه الغزارة فلأيام طويلة سابقة لم تسقط على بومبي قطرة ماء واحدة . . وكان كل شيء يتسم ريح المونسون . . وها قد جاء الخير أخيراً مع قلوبكم . .

هكذا كانت الصورة في صباح ذلك اليوم الباكر من يونيو وسائق السيارة يقطع بنا الطريق من المطار الى الفندق . . الامطار تسقط بغزارة لم نشهد مثلها من قبل . . الماء يتدفق ويرتطم بزجاج السيارة وكأنه سيول من قطع الثلج تنال من السماء . . .

السائق يتراقص بسيارته غير عابيه بالدفق المائي الذي يهطل بشدة . . الفرحة تكاد تطير بالرجل وهو يتغنى بأغنية لم نفهم معناها ولكنها بلاشك تحية للسماء أن أرسلت هذا الفيض المنهمر الذي يتظره ويتمناه الجميع . .

لانكاد نقطع عشرة كيلومترات حتى نجد انفسنا ونحن نخوض نفس الطريق على طول مجرى قناة ماهيم ، ولكن الماء قد ارتفع حتى وكأننا داخل غواصة تسير على سطح مجرى مائي عريض . . . جميع انواع المركبات تتراحم وهي تسير بسرعة بينها الحافلات والباصات والسيارات ولوريات النقل وعربات التونجا التي تجرها الثيران وعربات الراكشودات الثلاث عجلات والدراجات البخارية والموتارية ، كلها في سباق مجنون لا يوقفه الا تاكسي او سيارة تعطلت هنا او هناك بسبب وصول المياه الى محركاتها وتكون فرصة لنسترد انفسنا قبل أن يستأنف السائق طيرانه ويواصل أغانيه . .

هنا على الجانبين تقوم اكواخ واكشاك بعضها من الصفيح وبعضها من الخشب ، وكلها مغطى اما ببقايا اسبست او بأغصان اشجار او بقطع من الخشب واحواد الليرة ولغائف احواد الارز . . وهي كلها لا تستطيع ان تحسول دون تسرب الماء الى داخل الاكواخ ، فكأنها والطريق الموصل الغارق في الماء سواء . . . لا فرق بين من يقيمون بداخلها وبين من ينطلقون في الطريق واغلبهم بلا مظلات ، ومن يحرون العربات باجسادهم النحيلة التي لا تغطيها

جلية ، تتجه بدورها نحو الشمال الغربي جنوب مناطق الضغط المنخفض العظمى . . ومن ثم تسقط أمطاراً غزيرة فوق الخوض الأدنى لنهر الجمانجز والسفوح الجنوبية لمرتفعات الهيمالايا في نيبال وماوراءها جنوبي الصين .

وحين نسأل رجال الأرصاد يقولون أن المشكلة تكمن في ضخامة التنبؤ ببداية سقوط الأمطار الموسمية . . وكمية ما تسقط من المياه في مختلف الاقاليم والدول التي تهب عليها الرياح الصيفية . ويرغم الاستعانة بمختلف اجهزة الرصد والكمبيوتر والاقمار الصناعية فما تزال هناك مشكلة عدم إمكانية التنبؤ بدقة الا لعدد قليل من الايام . . حتى ان رجال الأرصاد يقولون انه كلما ازدادت المقارنات بين توقعاتهم وبين البدايات الواقعية للمونسون يجدون أن الأمر أصبح أكثر تعقيدا . . ويسدو لهم وكأنهم يتعاملون مع مشكلة لاهل لها .

هذا الاضطراب في تحديد مواعيد هبوب الرياح المحملة بالامطار الموسمية ، وتوقع كمياتها ومدى تحولها الى عواصف وماقد يتج في نفس الوقت من اعاصير ، هو مايشير الأمل المخطط بالقلق بين السياسيين والاقتصاديين والزراعيين والفلاحين في جميع انحاء آسيا حيث تعتمد الزراعة . . وبالتالي حياة نصف سكان الارض البالغ عددهم في هذه المناطق ما لا يقل عن ٢٥٠٠ مليون نسمة - على المونسون . وتتخذ قرارات سياسية واقتصادية مصيرية ، وينجح سياسيون ويسقط آخرون ، بسبب قلة أو زيادة كميات الامطار التي تسقطها هذه الرياح الموسمية . .

بومبي تستقبلنا بالامطار :

كل ذلك كان في تقديرنا ونحن ننطلق الى بومبي لتأدية بدايات المونسون .

كان الوقت في الصباح الباكر من السابع من يونيو . . نفس الفترة التي يتوقعون فيها بداية هطول الامطار مع هبوب الرياح الموسمية .

واستبشرنا خيراً . . فمع لحظة وصولنا ادركنا اننا قد بدأنا رحلتنا مع المونسون . . وعلى طول الطريق الذي يمتد ٣٠ كيلومترا من المطار الدولي في ساغار الى

● بومباي تحت العاصفة

وكأنما لم نكن قد تنبهنا - ونحن نحلم بالمونسون - الى ما يتميز به فندق تاج محل الذي يعرفه كل زائر لبومباي ، كواحد من ابرز معالم المدينة . فقد اقلعه رجل اعمال ثرى اسمه « جي تاتا » عام ١٩٠٣ ليضاف اليه مبنى اضافي عام ١٩٧٢ يمثل اخر صيحة من الهندسة المعمارية الحديثة ، عبارة عن مبنى شاهق الارتفاع تتجاوز طبقاته ٢٥ طابقا ، ويملك حين تطل الى المينين القديم والحديث تشعرا انهما بلخصان لك تاريخ بومباي .

وتتحرك ليكون اول لقاء لنا مع بوابة الهند ، اشهر معالم المدينة ورمزها المميز ، البوابة تشبه « الماربل آرش » او قوس الممر في لندن ، وقد بنيت تخليدا لذكرى الزيارة الملكية الأولى لبومباي عام ١٩١١ التي قام بها الملك جورج الخامس والملكة ماري . البوابة مشيدة على الطراز الهندي من البازلت الاصفر المحلي مع ملامح خليطة من الفن الهندي والفن الاسلامي . نعيم الطريق لتقترب اكثر ، الساحة المواجهة لبوابة الهند تؤكد لنا اننا الان في اعماق الهند . لوحة كاملة لكل ما نعرفه عن هذا البلد الذي يعيش على ارضه اكثر من سبعمائة مليون نسمة ، اغلبهم من الفقراء الذين يمارسون جميع مظاهر الفقر برغم ما تنعم به بلادهم من سحر وجمال وتاريخ . ومئات العقائد والعبادات .

زحام الساحة يشكل لوحة سكانية من مختلف الاجناس والاشكال والالوان . هنود من مختلف الولايات الهندية جاؤوا الى المدينة للعمل والاقامة . البعض سود البشرة والبعض اكثر بياضا . وقوس قزح من الالوان الزاهية التي يرتديها قادمون وقادمات من الكوجارات الصحراوية القاحلة ليعملوا في التجارة او الصناعة وهم غالبا من اتباع العقيدة الجاتية . وكثيرون آخرون من « الماهاراسا » من نسل المحاربين الأشرار الذين جعلوا الحياة في غاية الصعوبة سواء للمغول او الاتجليز . إضافة الى وجوه متباينة من الهندوس والمسلمين والسيخ . ثم البارسيون اتباع ديانة زرادشت مع سلاح من جميع الجنسيات .

ولانكفي الساحة هؤلاء وحدهم ، بل هناك ايضا جمال وفلاحون وفاقون ومتسولون من جميع الاعمار ، وصبية وفتيان يطلقهم قهار السوق السوداء

الملابس الداخلية الممزقة التي تلتصق بأجسامهم او من يحملون اطفال المدارس لعبروا بهم الطريق بين هذا الزخم الغريب من الحركة التي لا تنقطع . . وتنطلق الكاميرا في يد زميلي المصور وقد غطى رأسه بالغطاء الواقي من المطر ، وأدخل آلة التصوير في كيس من النايلون فتح للعدسة فيه منقذا وراح يسجل اللقطات الأولى لامطار المونسون .

ووصلنا الى الفندق . واهى السائق بشدة - الا بعد الحاح شديد - ان يأخذ منا اجر انتقالنا من المطار الى الفندق . . فالبشرى قد جاءت معنا . . . وما دما قد جئنا مع البداية الغامرة بالامطار . . . فذلك هو الأجر الذي كان ينبغي ان يحصل عليه ولا مزيد . . ولو درى السائق المسكين ما كانت تحمله الايام القليلة التالية ، لأخذ منا الأجر عشرة اضعاف . . فقد كان ذلك اليوم هو اليوم الوحيد الذي هطلت فيه الامطار على بومباي طوال اسبوع . . وكانت الشمس طوال الايام التالية مشرقة محرقة . . والسماء صحوا صافية ليس فيها اثر لاي سحابة ولو بيضاء . . تحمل على الأقل قطرة ماء . .

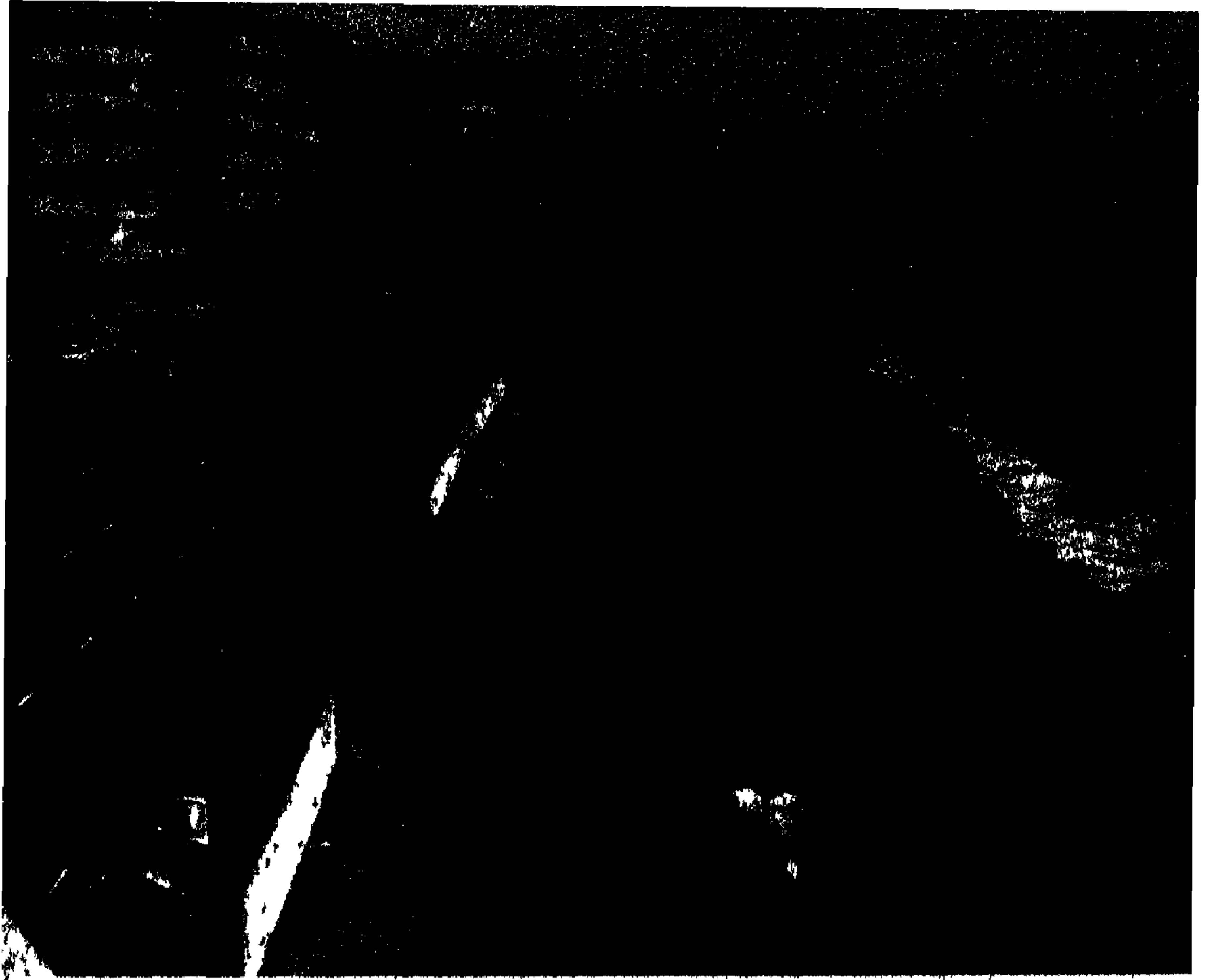
وفي ذلك الاسبوع بالذات . . كانت الانباء تتوالى عن الفيضانات والسيول والأعاصير التي اكتسحت خليج البنغال وبنجلاديش . . وادت الى كوارث رهية في الارواح والممتلكات . . والى اغراق الحقول واكتساح البيوت والحيوانات في السفوح والسهول وحول مجاري الانهار على حد سواء .

ولم نكن قد نسينا بعد . . انه في نفس الوقت من العام الماضي - وكنا في جزر المالديف - كانت رياح المونسون تفرق الارض والجزر بامطار لا تنقطع ليل نهار . . وكان الناس يستقبلونها استقباهم لفيض من الخير يبط عليهم من السماء .

بوابة الهند :

قالت لنا مرافقتنا وقد مضى اليوم التالي لوصولنا والسماء صحوا والشمس مشرقة ولا اثر لغيوم المونسون :

- لماذا لا نتجهزون الفرصة فقوموا بجولة لمشاهدة معالم بومباي وما تزخر به من الوان القننة والجمال ؟ ولعل اولها ذلك الفندق الذي تقيمون فيه ؟



طريق «عقد الملكة» أو القشرة الخارجية لبحيرة بومباي على طول الطريق الساحلي الذي يحيط بالمدينة ويتوسطه بوابة الهند



فندق تاج محل حيث يقوم المهيّج الحديث إلى جوار القديم أمام بوابة الهند . وثقال للمهااتما غاندي رمز الهند وصاحب سياسة اللاعننف وإلى أقصى اليسار صورة من الرقص الشعبي الذي يعتبر نوعا من العبادة في الهند



وراء السلاح لستبدلوا منهم الدولارات والجنهيات والمراكات بالروية الهندية بأرخص الاسعار . يخلط بكل هؤلاء باحة الزهور والفاكهة ، مع مسخرة وضخون في مزاميرهم لتخرج الكويرا الراقصة ذو وسها من السلال مقابل حفة من الروبيات ، بينما رجال مرفهون او سائقون يتزلون من السيارات حاملين اكياما مليئة بالخلال يثرونها امام المكات من الحمام الذي يطير ويحط وسط الساحة في امن وسلام .

ونلقي نظرة الى بعيد على طول الشاطئ الممتد لتواجه المشهد العام للقشرة الخارجية « ليضة بومباي » .

طريق ممتد ينحني مع طول الساحل ، تطل عليه بنايات حديثة شامخة يبدو جمالها ورونقها اكثر جاذبية عندما يأتي الليل وتسلال الاضواء مشكلة ما يشبه العقد حتى اطلقوا عليه طريق « عقد الملكة » . من هنا ونحن نطل الى بعيد ، نستطيع ان نتصور تفاصيل القصة الحقيقية لتاريخ بومباي . .

أصل الحكاية :

كانت بومباي هي الجزيرة الرئيسية بين جزر سبع منفصلة بخلجان صغيرة واسعة .

والجزيرة نفسها عبارة عن سهل منبسط منخفض يقع حوالي ربعة تحت مستوى سطح البحر . ويحد السهل سلسلتان متوازيتان من التلال المنخفضة ، حيث تقترب الصخور في الجنوب من سطح الماء ويسبب تطورهما على الملاحة كان لابد ان تقام فوقها منارة ويبلغ طول الجزيرة احد عشر ميلا ونصف ، وتراوح عرضها ما بين ثلاثة وأربعة اميال ، وتغطي مساحة قدرها ٢٥ ميلا مربعا . .

بدأت المدينة تاريخيا ربعا مهملا ينغمرون حماية بيهام المد الذي من بحر العرب . وكان صائدو الاسماك هم السكان الوحيدون في مجموعة الجزر السبع المحيطة بشبه القارة الهندية . ويسبب المناخ الحار والرطوبة العالية وتعرضها المستمر للعواصف البحرية الآتية من بحر العرب ، لم يتم بها البرتغاليون - الذين كانوا قد استولوا على جوا - حين تنازل لهم عنها السلطان بهادور شاه كرجارات عام

١٥٣٤ . وقد اعطوها بسهولة لشارل الثاني ملك انجلترا كجزء من مهر هروسه كاترين برجانزا اخت ملك البرتغال . وفي الثاني من ابريل ١٦٦٢ تقدمت حملة على رأسها السير ابراهيم شيمان مبحرة الى بومباي لتسلمها . . . ولكن فايروي انطونيو البرتغالي رفض ان يسلمها ولم يسمح للاتجليز بالرسو . . وظل على رفضه لمدة ستين واربعة شهور حتى احتلها همفري كوك باسم الملك . وفي عام ١٦٦٨ ضمت بومباي رسميا الى شركة الهند الشرقية البريطانية بإيجار سنوي يشر السخرية . . عشرة جنيهات فقط بشرط ان تدفع ذهباً . . . !!

اما الاسم « بومباي » فيقال انه مأخوذ عن اللغة البرتغالية « بومبايا » وتعني المرسى الواسع ، ولكن الصيادين يصرون على أنه تحريف لاسم الهة الصيد « بمباي » .

معالم حديثة

اتخذت الجزيرة مقرا رسميا لشركة الهند على الساحل الغربي عام ١٧٠٨ . وكان لهذا اثر عظيم في ان تطير شهرة بومباي لتصبح ميناء مهما ومركزا تجاريا كبيرا . وشهدت المدينة فترة جديدة من الازدهار والاهمية تحت قيادة اول حاكم لها ، الملازم الفينسون ، وانتظم الطريق البحري الشهري بين بومباي وانجلترا عن طريق قناة السويس والاسكندرية ، وكانت الرحلة تستغرق ٤٥ يوما تم اختصارها الى ثلاثين يوما بافتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ . . . وفي تلك الاثناء بدأ مد خطوط السكك الحديدية ليتم نقل القطن الخام الى المدينة لتزويد الصناعة الرئيسية في البلاد . وبعد عامين تحت إقامة محطة فكتوريا للسكك الحديدية على أرض مستصلحة .

وبعد عدة أعوام ازداد الازدهار التجاري عندما احتكرت بومباي تجارة القطن العالمية بعد قيام الحرب الأهلية الأمريكية . وخلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر تحولت المدينة تحولا كبيرا . فقد اقيمت على طول طريق مهاتما غاندي مجموعات رائعة من البنايات ، بينها مقر ضخيم لسكرتارية الحكومة ومقر للمحكمة العليا ومكتبة الجامعة والمجلس الاهل

● بومباي تحت المصفاة

من الزوار . وهو يضم أنواعا من القردة والنسائس والبيخاوات . . ويحرم هنا بيع الثعابين ، وإن كان ساحر الكوبرا هنا يواصل النفع بمزمارة لشرقص الكوبرا على أنفله . .

ومثل الباحة الجاثلين ويسائي مروج ريش الطاووس ، فإن لطيب او حكيم السوق ركنا خاصا به . ومن بين العقاقير التي يهسرفها هذا الطيب لمرضاه مسحوق رأس السلحفاة وجوز الهند ودهن الوفق المخلوط بقطرات الندى ، ومن ورق المانجو والذي يوصي به لمرض الروماتيزم . وعلى سوق كراوفورد يطل مسجد الجمعة في بومباي حيث يزدحم فيه المصلون المسلمون . . وهو ازدحام يفترق لثله مسجد الحاج على الذي وافته المنية وهو في طريقه لأداء فريضة الحج ، فأقيم له ضريح داخل المسجد الذي تصعب زيارته الا في اوقات الجزر لانه مبنى عند اقدام البحر .

عند شاطيء تشاوباتي وعلى تل ملبار يمكن الوقوف لالقاء نظرة شاملة على المدينة من على . وتقوم على هذا التل مبان جميلة كالقصر الحكومي . . كما يوجد ملعب الاطفال المعروف باسم « كمالا نهرو بارك » نسبة الى زوجة جواهر لال نهرو . . وتوفر الحدائق المعلقة في هذا المكان فرصة طيبة للتنزه وسط النباتات التي تشذب على شكل حيوانات مختلفة . كما ان بينها كوخا طوليا على شكل حذاء برقبة هو مجال رائع لتسلية الاطفال . . والى جوار المكان توجد عطيفة الاسماك على شاطيء تشاوباتي . .

البارسيون وأبراج الصمت

في الجهة المقابلة وداخل الحديقة القائمة على تل ملبار تقوم « أبراج الصمت » الخاصة بفئة البارسيين ، من اتباع الديانة الزرادشتية ، الذين جاء اجدادهم من فارس هاريين من وجه المد الاسلامي ، واستقروا في جنوب غرب الهند وخصوصا في بومباي التي يعيش فيها ٧٠ ألفا من البارسيين البالغ عددهم في جميع أنحاء الهند حوالي ١٠٠ ألف .

وأبراج الصمت ليست أبراجا حقيقية ولكنها عبارة عن جدران دائرية توضع على قممها حيث المون لتبشها جوارح الطير ، حتى لا تفسد العناصر

للجامعة وبرز الساحة ومكاتب الاشغال العامة والبريد ومبنى سوق كراوفورد .

كل هذه المعالم الأخيرة البارزة كانت بعض ما شاهدناه ونحن نواصل جولتنا في المدينة التي تزخر بتراث غني من المعمار القوطي الجديده الذي ورثته من الحكم البريطاني ، والذي يمثل في محطة السكة الحديدية التي تعتبر إحدى أبهى محطات السكك الحديدية في العالم حيث خرج منها أول قطار عام ١٨٥٣ .

اما برج الساعة المعلقة بأعلاها فيزيد طول قطر دائرتها عن ثلاثة أمتار . كما يمثل الفن القوطي في مبنى المحكمة العليا ومشاها الذي يرمز للعدالة والرحمة .

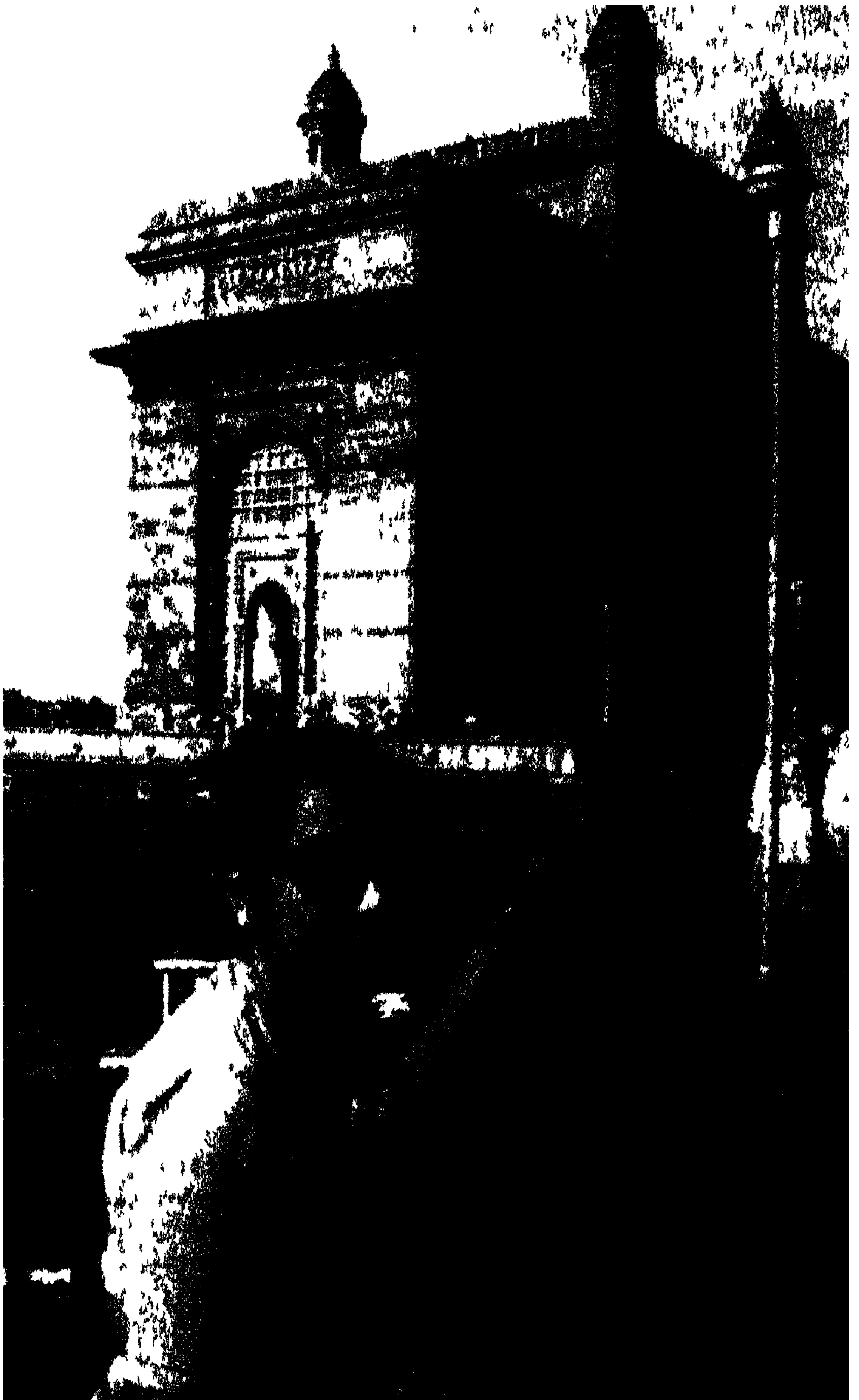
على بعد خطوات يقوم متحف امير ويلز الذي يمتاز بمظهر خارجي ذي طابع هندي اسلامي في غاية الروعة والفتنة . اما في داخله فذخيرة حية تعبر عن الفن الهندي والمغولي مع لوحات مغولية نادرة . وتوجد قطع بارزة من احجار الزبرجد والزمرد الكريمة الساحرة ونماذج مثيرة من التاريخ الطبيعي . وقرب المتحف يقوم برج راجاباي الذي يرتفع ٨٥ مترا ويطل على الملعب البيضاوي الواسع المفتوح . وعلى بعد خطوات قليلة تقع ينابيع فلورا او « هوتا نما جوك » التي تعتبر مركز بومباي النابض بالحياة .

سوق كراوفورد

اما سوق كراوفورد الذي شيد عام ١٨٦٧ ففي أعلى صالته المركزية تقوم ساحة أخرى معلقة لعلها تسترعي انتباه هؤلاء الذين يسلمو انهم لا يهتمون كثيرا بالوقت . والسوق يزخر بالحركة والنشاط . . . وهو يعج بالبائعين والمشتريين والطباخين والمتسولين طوال ساعات الليل والنهار .

وفي سوق الفاكهة نجد اشخاصا حفاة يحملون على رؤسهم السلال الثقيلة من الموز والاناناس والبطيخ والمانجو وما عداها من فواكه المناطق الحارة . . وفي سوق السمك نجد البومفريت المفضل لدى السكان وه بطة بومباي ، وهذه لا علاقة لها بالبط وإنما هي سمكة صغيرة الحجم تباع مملحة .

اما سوق الحيوان فهو الذي يجتذب العدد الأكبر





بوابة الهند . . . تقف شاحنة رمزا لمدينة بومباي (الي اليمين) ومشهد من سوق الملابس (اهل)



في سوق كراوفورد . . . كل شيء
يساع لاخرق بين الفاتكة
والخضراوات . . . والاحذية ولا
شيء ييم .



القلبيين المؤمنين ، وراحوا يعبدونهم مخلصين لهم العبادة ، يقيمون لهم الشعائر . لكنهم اعتبروا هؤلاء المؤمنين انفسهم خاضعين للتناسخ ولم يعبدوهم مخالفين للعالم ، او سادة عليه .

سألنا فتاة كان من الواضح انها ذات ثقافة عالية وكانت قد ادت عبادتها داخل المعبد فقالت : اننا نحن الجانتيين نرى ان الطريق المؤدية الى الخلاص هي توبة تقيسية مع الامتناع عن ابداء أي كائن حي . ولزام على كل متقشف جانتي ان يأخذ على نفسه جهودا خمسة . . . الا يقتل كائنا حيا ، والا يكذب ، والا يأخذ مالم يعطه ، وأن يصون عفته ، وأن ينبد الامتناع بالأشياء الخارجية كلها . ولهذا فالزراعة حرام على الجانتي لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان . والجانتي الصالح يرفض اكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية ان يقتل ما حياء ان يكون كامنا فيه من كائنات ، ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء احياء عالقة فيقتلها ، ويحيط مصباحه بستار حتى يقي الحشرات لذع النار .

كل هذه الجولة حول معالم بومباي وماتزال امطار المونسون لا يظهر لها بشير بعد . . . واذن فثمة مكان لا بد من مشاهدته ، وان كان يبعد عن شاطئ بومباي عند بوابة الهند بمسافة حوالي عشرة كيلومترات . . . انه جزيرة القانتا . . . حيث المعابد الشهيرة المحفورة في الصخور الكهفية التي يرجع تاريخها الى القرن السابع .

كهوف القانتا :

قالت لنا مرافقتنا وهي تدعونا الى الا ندع هذه الفرصة نفوتنا :

- حين تتأخر امطار المونسون ، فان الناس هنا من الهندوس يتجهون الى معابد القانتا ليؤدوا صلاة استسقاء للاله شيفا استدرا لرحته حتى يأمر الامطار بالسقوط . . . ستشهدونهم اذا ذهبتم الى هناك ، وسيفعل مثلكم كثيرون من الاجانب والاهالي . من أمام بوابة الهند . . . تحرك القارب البخاري يمحطنا الى جزيرة القانتا . . . هناك تبدأ عملية صعود طويلة على درجات ترتفع حوالي ٧٠ مترا على سفح

المقدسة بدفها في الارض لو حرقها في الهواء . . . وهذه العناصر اربعة هي الماء والهواء والارض والنار . ولا يسمح لأي انسان من غير اليازيين بدخول ابراج المعبد . . . تماما كما لا يسمحون لاحد بدخول معبدهم حيث شعلة النار تظل مشتعلة ابدا . وهم يقولون انهم يقدسون النار ولكنهم لا يعبدونها لانها مقدسة كرمز . من اجل ذلك فقد تحملوا التبعة التي القاهها زرادشت على اكتائهم بالاحتفاظ بشعلة النار مضطرة بالمعنى الرمزي والمعنوي ، فراحوا يوقدونها ابدا ويحعلونها تتأجج في صدورهم كما في معابدهم .

واذا كان البارسيون يشكلون مجتمعا صغيرا بالنسبة لسكان بومباي البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة اغلبهم من الهندوس ، الا انهم يملكون ناصية المال والتجارة والصناعة في المدينة . ومع ذلك ويرغم انهم يعتقدون ان عقيدتهم هي افضل عقيدة في العالم ، الا انهم لم يعلموها للهندوس او يجذبوهم اليها . وليس هذا فحسب ، بل انهم يحرمون على أي انسان لم يولد بارسيا ان يعتنق هذا الدين .

في المعبد الجانتي :

غير بعيد عن الحدائق المعلقة ندخل معبد الجانتيين . والمعبد الجانتي نسبة الى العقيدة الجانتي التي وضع أسسها فتى ثري ، خلع في شبابه عن جسده كل ثيابه وراثته ، وطرح العالم كله واساليب العيش فيه ، وراح يجوب ارجاء الاقليم زاهدا متقشفا يشدد تطهير نفسه من ادراها ، قاصدا ان يزداد لسر الوجود فيها وعليا . وبعد ان قضى في افكار ذاته على هذا النحو ثلاثة عشر عاما ، أعلنت جماعة من اتباعه انه « جنا » اي معلم من عظماء المعلمين وسموه « ما هافيرا » أي البطل العظيم ، وانخلوا لانفسهم اسما اشتقوه من اسم عقيدتهم فأطلقوا على انفسهم اسم « الجانتيين » ، وقامت عقيدتهم على اساس افتراض عالم لم تسبقه اسباب ولم يخلقه خالق ، وان الكون موجود منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لا نهاية لها ترجع الى قوى كامنة في الطبيعة اكثر من ان تعزي الى صناعة اله . ولما افرغ الجانتيون السماء من الهها لم يلبثوا ان صمروها من جديد بطلائفة من

الجبل ، لنجد أنفسنا امام كهف محفور كله داخل صخور الجبل . . . الكهف عبارة عن معبد كان مكرسا للاله شيفا « الخالق الحافظ المدمر » في عقيدة الهندوس . . ولكن العبادة لا تجري فيه الآن لانهم يعتبرون ان قدسيته قد تدنست عندما دخله البرتغاليون وحطموا اغلب تماثيل الاله وارتكبوا فيه الموبقات . .

اهم الكهوف الموجودة التي يزورها الناس هو الكهف رقم ١ . . . هنا حفرت تماثيل شيفا في صخور الجبل . . تماثيل متعددة تستعرض حياته ورؤوسه الثلاثة التي تجمع بين الثالوث « شيفا وبراها وفشنو » وحين ننظر الى الوجه نحس انه يحمل نظرات بعضها غاضب وبعضها مبتسم ، بينما تماثيل زوجته برافاتي يبدو الى جواره اقل حجما . . كما حفرت تماثيل اخرى تمثل شيفا نصفه الأيمن في جسد رجل ونصفه الأيسر في جسد امرأة . ويتوسط الكهف ما يسمونه قدس الاقداس حيث وقف بعض الهندوس يواجهون تماثيل شيفا وهم يقدمون له الابتهاالات في صلاة استسقاء من أجل أن يسقط العنان لريح المونسون . .

الصحراء بعيدا في الشمال . . يتابع الانسان من خلال تقارير الارصاد أنباء الرياح الموسمية على الشواطئ الغربية والشرقية ، حيث تهب فجأة وتتقدم على مدى واسع من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي . . وحين كنا هناك وجدنا الأمطار وقد انقضت في غزارة لعدة أيام لم تكذ تقطع ، ونحن نتنقل بين دلفي وأجرا وفانجبورسكري ، ثم ونحن على طول الطريق الى سريناجار عاصمة كشمير . .

كانت أمطار المونسون تنفض على الأرض اقلها وراء اقليم . . ولم يكن انقضاؤها يمنع الفلاحين وخصوصا على سفوح الجبال من مواصلة العمل بعد أن يضعوا على رؤوسهم أغطية من السعف أو أوراق البوص المجدولة بطريقة تحمي رؤوسهم وظهورهم المسحبة على الأرض من المياه الغزيرة . . ثم فجأة تفيض الأنهار لتكتسح أمامها كل شيء . . حتى البيوت والدواب والانسان نفسه . ولكن أحدا لا يتم بحجم الكارثة الا من تصيبه في حياته وماله وبيته . . بينما الآخرون يمللون ويصخبون ويضحون استقبالا وترحيبا بالمونسون . .

وفجأة تنقلب الغيوم الداكنة السوداء فتغير اتجاهها مع الريح بقوة دراماتيكية ، لتتوقف الأمطار ويتحول الهواء رطبا جافا ، حتى لا يكاد الانسان يستطيع التنفس الا بصعوبة شديدة ، بينما يفرق في عرقه الذي يهف مع السخونة تاركا خيوطا من الأملاح على جلده . وتلك الحالة المتغيرة تستمر طوال الموسم الذي يمتد لاربعة شهور وتزيد . . ورغم أن الأمطار لا تهطل كل يوم فان الجو يظل مشبعًا بالرطوبة العالية ، ولكن تتحول الأراضي والسفوح لتخضر وتزهر وتظل الأنهار متخمة بالماء . طوال ذلك الموسم تحتضن رياح المونسون الهند كلها مثل حبيب مشتاق .

المونسون والتاريخ

والحقيقة ان الرياح الموسمية التي تترك آثارها على الحياة وعلى الانسان . . كان لها أيضا آثارها على تاريخ الهند .

فحين لم يكن الانسان في الهند يعرف شيئا عن الحرث أو فلاحه الأرض ، كان يتجنب السهول التي كانت كثيرة التعرض للرياح الموسمية . وعندما

ولكن الايام تمضي . . وما تزال الشمس ساطعة والسماء صافية ولا اثر لسحابة ولو من بعيد . . وكان علينا ان نواصل متابعتنا لنشاط الرياح الموسمية المطيرة . . ان لم يكن الآن في بومباي . . فلنأخذ طريقنا الى الشمال ، ولتكن بعد ذلك عودة الى بومباي . .

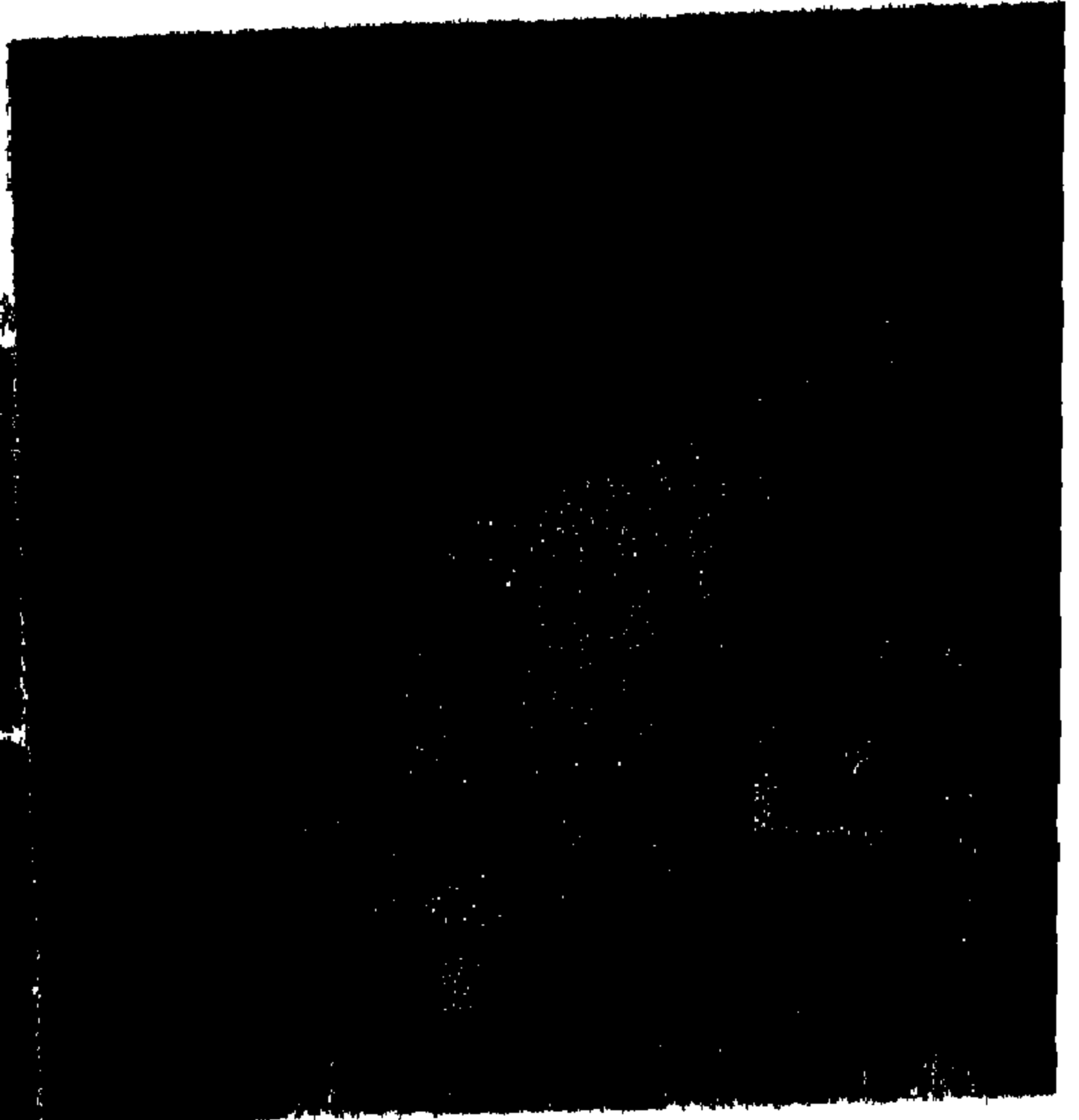
المونسون في الشمال :

وبدأنا جولة جديدة . . كان واضحا خلال جولتنا في الهند وحتى كشمير ونيبال على سفوح الهيمالايا انهم هناك يتوقعون رياح المونسون دائما ، ولكن لا يمكن التنبؤ بشدتها أو اتجاهها . انهم يدركون أنها ستأتي حتما ، ولكنها قد تكون هادئة أو عاصفة تضج بالرهود والأمطار ، وقد تستمر الأمطار أياما وأسابيع ، وحين يبدأ هطول الأمطار مرة أخرى فانها تسقط بغزارة وعنف تنسي المرء كيف يمكن أن تبدو الأرض جافة متشفقة من العطش في يوم من الأيام . .

وفي العاصمة نيودلهي التي تستلقي على حافة



رحام في أحد الطرقات الرئيسية في موساي حيث مختلف الأحاس والالوان



مكان الأرضة لاهمهم شيء
عن النوم على حبات الطريق
وعند نقل البضائع من مكان
لآخر فكل شيء مباح

الى الزراعة تملأ في القرن السابع قبل الميلاد بدأوا يكونون دويلات وامارات اعتمادا على قيام جماعات قروية مستقلة بعضها عن بعض استقلالاً نسبياً ، وراحوا يزرهون الأراضي الخصبة بقدر ما يستطيعون بين نهري الجانجس والجمونا في شمال الهند . وظلت الأرض الشرقية أيضا على مدى هجماتهم ، وتلك هي أحسن الأراضي المزروعة حاليا حيث يزرع الأرز بشكل واسع ، وهي أيضا أكثر المناطق ازدهارا بالسكان . . فحيثما انتعشت زراعة الأرز انتعشت معها حياة الانسان . .

الزراعة والحضارة

ومنذ ذلك الوقت ومع استخدام الهنود الأريين للآلات الزراعية التي توصلوا الى صنعها ، اتسع نطاق زراعة الأرز في كل المناطق حيثما نزلت الأمطار . . ولم يشمل ذلك المناطق الشرقية فحسب ، بل شمل المناطق الغربية أيضا . وظلت حياة الانسان الرئيسية من حيث الاقتصاد والسياسة على صورة واحدة لا تتغير ، فكانوا يربون الماشية ويستحلّمون البقرة دون أن ينزلوها من أنفسهم منزلة التقديس ، ويأكلون اللحم أينما استطاعوا اليه سبياً . أما الحقول والأراضي الزراعية التي اعتمدت على المونسون وفيضانات الأنهار ، فكانت الجماعة القروية تقسمها بين عائلاتها على أن يقوم الكل برىا . وكانت الكثرة الغالبة من الناس فلاحين يملكون أرضهم التي يفلحونها لأن الأريين كانوا يعلنونه عارا أن يعملوا لقاء أجر يتقاضونه .

في كل من هذه المناطق قامت ممالك وامارات حيث الاعتماد الأساسي على الزراعة التي لا تزدهر الا من خلال الأمطار الموسمية وفيضانات الأنهار وخصوصا على ضفاف الجانجس . . ثم كان بعد ذلك قيام الامبراطورية العظمى للامبراطور أشوكا في القرن الثالث قبل الميلاد حيث امتدت أملاكه من البنغال الى الهندكوش وجنوب الهند .

حكم أشوكا مدة خمس وثلاثين سنة . وبعد أن خاض غمار الحروب وانتصر في غزوات كثيرة جريا على السياسة التقليدية في الهند . . أثر في نفسه ما تخلفه الحروب من بؤس وشقاء وخصوصا للفلاحين

اخترع الآلات التي عرف عن طريقها كيف يتغلب على شواغفه ويستغل الأرض الخصبة ، تقدم بسرعة الى هذه المناطق مقلدا ممالك وامبراطوريات ، حيث كانت زراعة الوديان الهندية هي التي قادت الى قيامها .

كانت الأمطار في هذه الفترة تسقط على شمال الهند ، وكانت الأرض الغنية بالخصوبة في دلتا الأنهار الخمسة العظمى سهلة الاستغلال . ولكن سهول نهر الجانجس كانت في ذلك الحين مليئة بالغابات الكثيفة حيث لم يجرؤ الغزاة المستعمرون على الاقتراب منها واختراقها . ولكن عندما حلت فترة حديدية من القحط والجفاف بسبب تجاوز الأمطار الموسمية لهذه المناطق ، أدى ذلك الى انهيار الحضارة وإزالة الغابات التي كانت تقف حاجزا أمام الشماليين المهاجرين الذين جاءوا من المنطقة القزوينية التي كانت تسمى « ايرانا فيجو » ومعناها الوطن الآري . فكانوا يسمون أنفسهم الأريين . وأصبحوا قادرين على انحداد طريقهم نحو الشرق ليحدوا ممالك صغيرة في سهول الجانجس الخصبة . في البداية كان هؤلاء المهاجرون الفساة الحدد يرحضون وهم يسوقون أمامهم ماشيتهم . وفضلوا البقاء في أرض الأنهار الخمسة (البحاب) التي تسقيها منابعها العظمى . وقد أدت لهم خصائص الوحشية ويسر الحياة الرراعية الحصنة في الأرض التي غروها الى السيادة عليها ، ولم يحفوا اندادهم من أنهم ارادوا أرضا ومرعى لماشيتهم ومزيدا من الأبقار والماشية . ومع استقرارهم وتحولهم



اقتصاديات البلاد . . مع وضع الموانئ التجارية تحت السيطرة الكاملة .

بومباي والشوارع الخلفية

كان لابد لجولتنا أن تنتهي وأن نمود مرة أخرى الى بومباي لتابعة المونسون . الآن كل شيء غارق تحت الأمطار الموسمية التي انقضت بكل قوتها لتصبح صاحبة السيطرة على كل مقدرات المدينة . . شدة هطول أمطار المونسون لم تعد تلك التي شاهدناها عندما جئنا في أوائل الموسم ، فقد تحولت الرياح والأمطار المرافقة لها لتصبح عواصف مستمرة تفرق المدينة كلها بفيضانات وسيول لا تكاد تنقطع . . وفي مثل هذا الوقت تصبح الصورة أقدر على التعبير في الشوارع الخلفية لبومباي . . .

هنا . . في الشوارع الخلفية . . وبين سكان المدينة البالغ عددهم تسعة ملايين نسمة ، يعيش أكثر من مليوني إنسان تحت مستوى الفقر ، بالإضافة الى بضعة ملايين يندرجون تحت خانة الفقر المدقع .

كانت بداية هذا المجتمع السكاني في بومباي مع بدء تطور المدينة عندما استقرت فيها رئاسة شركة الهند الشرقية . كان عدد السكان في ذلك الوقت لا يتجاوز ٦٠ ألف نسمة . ومع الازدهار التجاري الذي صاحب بروزها كمركز تجاري وميناء رئيسي ، وبعد مد خطوط السكك الحديدية الى المناطق الداخلية واحتكار بومباي لتجارة القطن العالمية . . وأصبحت المدينة منطقة جذب لمئات الآلاف من المهاجرين والمهاجرين من المناطق الصحراوية القاحلة والباحثين عن عمل . . وبلغ عدد السكان في عام ١٩٠١ حوالي ٨٤٠ ألف نسمة كان أغلبهم يعيشون في عشش وأكواخ من الصفيح أو البامبو أو في ظل الواح من الخشب يجمعونها من بقايا المصانع ونفاياتها . . وبرغم الخطط الكثيرة لأقامة التحسينات اللازمة لمواجهة السيل الجارف من القادمين الجدد وما يصحب ذلك الازدهار الشديد عادة من القذارة ونقص الخدمات اللازمة لحياة الإنسان . . كان لابد من توسيع قاعدة المدينة واستصلاح المزيد من أراضي البحر لأقامة مساكن لعشرات الآلاف من العاملين في المصانع ، بينما لم يكن من الممكن إيجاد مساكن تؤوي مئات

البلين عجزوا كثيرا عن استغلال أراضيهم بسبب استمرار الحروب وتخريب الحقول . وقد أدى هذا الى أن عاف أشوكا الحروب والغزوات وانصرف عنها ، ثم التحق بالبوذية ولبس عسج الرهبان حينما من الزمن ، وأبطل الصيد وأكل اللحم وجعل على نشر الديانة البوذية في ربوع الهند . وبدأ أشوكا يعني بوجه خاص بتأكيد الأعراف عن استعمار العنف ويدهو الى الرأفة بجميع الأحياء . . وبدأ الاهتمام يتجه من جديد الى الأرض الزراعية وزراعة الأرز مع سيطرة النزعة الى السلم والبعد عن العنف . . وكانت هذه النزعة أيضا هي التي ترسمتها الممالك والامارات في خطى الامبراطور أشوكا . واستمر السكان حياة الدعة والسلم وانجهوا بكل امكاناتهم نحو الانتاج الزراعي والسلم الاجتماعي والاستغراق العقائدي وأصبح الهندي يعني بواجباته الادبية والطريق الذي يسلكه في الحياة ، أكثر مما يعني بتنوع الحكم وأسلوبه . لم يعد بعد يشغل باله كثيرا بالدفاع عن الحكومة القائمة مما يفسر بعد ذلك سهولة سقوط الامبراطوريات المتوالية نسبيا في الهند والانتصارات التي كان يحرزها الغزاة القادمون سواء من الشمال الغربي برا . . أو من الجنوب الغربي بحرا . . هؤلاء الذين جاءوا الى الهند على طريق الرياح الموسمية القادمة عبر بحر العرب والمحيط الهندي .

هل أن هذا الاعتماد على الحياة الزراعية المرتبطة بالرياح الموسمية المطيرة ، والنشاط التجاري المرتبط بالاستعانة بالرياح الموسمية في دفع اشرعة السفن التجارية بين موانئ الهند ومراكز التجارة غربا وشرقا ، قد جعل حكام الهند ومقاطعاتها يستكينون الى هذه الدعة التي استسلمت لها شعوبهم . . فلم يلقوا بالا الى ضرورة العمل لمواجهة أي عدوان بحري ، ولم يهتموا بإنشاء أسطول بحري قوى يستطيع حماية شواطئهم الواسعة ، وما عملوا على أن تكون لهم قوة بحرية للدفاع عن مصالحهم التجارية في بحر العرب والمحيط الهندي . . فلما جاءت القوى الاستعمارية الأوروبية على اختلاف انوائها لغزو الهند ، لم تجد أدنى مقاومة . . بل ان بعضها لم يتم بالغزو العسكري اذ وجد في الغزو عن طريق الشركات التجارية طريقا سهلا للسيطرة على

الآلاف من الزاحفين العاطلين عن العمل .

كانت جاذبية المدينة كمركز تجاري وصناعي وميناء رئيسي تستدعي كل هؤلاء ، وكانت قطارات السكك الحديدية الممتدة الى جميع أنحاء الهند تقذف كل يوم بعشرات الآلاف من القادمين الجدد على رصيف محطة فكتوريا ، بالإضافة الى اللوريات والحافلات المحملة بكل أنواع البشر . وإذا كانت بنايات القشرة الخارجية « لييفية بومباي » قد استوعبت كبار الموظفين والقادرين وقيادات العمل في الميناء ومصانع القطن والنسيج والجلود والكيمويات والنفط ومختلف أنواع التجارة المرتبطة بالتصدير والاستيراد بجميع نوعياتها . . . فقد كان لابد للآلاف المؤلفة من العاملين والبنائين وصغار الموظفين والحمالين والسائقين وعمال التنظيف والنقل وكل النوعيات التي ترتبط بأعمال مدينة تجارية صناعية ضخمة كبومباي ، أن يجدوا مكانا للسكن والمأوى . وإذا كانت المستعمرات والمجمعات العمالية التي أقامتها المصانع لاستيعاب بعض عمالها قد استوعبت الكثيرين رغم أنها لا تكاد تفي بإمكانيات الأيواء والمعيشة ، إذ هي من عشش الصفيح كل عشة صغيرة يقيم فيها عشرات من البشر . . . الا أن الباقين من أصحاب الأعمال الدنيا ومن العاطلين والباحثين عن الرزق اليومي مع أسرهم لم يكن لهم سوى الشوارع الخلفية . . . والنوم على الأرصفة وامام واجهات المصانع والمحال ومحطات الحافلات وأي فجوة في أي طريق أو مبنى يمكن أن يستوعب بضعة اجساد يتلاصق بعضها مع بعض .

سكان الأرصفة . .

ان ٧٥٪ من سكان بومباي يسكنون فيما يسمى « بالشاولات » . . . وهي مجمعات سكنية ترتفع حوالي خمس طبقات مقسمة الى غرف لكل عائلة غرفة . . . وحوالي ١٥٪ يسكنون مع أسرهم في أكواخ من الصفيح والخشب والبوص كتلك التي كانت تطل على « مجرى ماهيم » حيث كل كوخ يقيم به أسرة كاملة وهو لا يزيد عن ثلاثة امتار مربعة . وهي كلها تفتقر الى مرافق الصحة والصرف واداء احتياجات

الانسان . . كما أنها مرتع خصيب لجميع احجام الفئران والحشرات . الى جانب كل ذلك فهناك ٢٪ على الأقل ليست لهم مساكن لا يوالهم ما يجعلهم ينامون على الأرصفة وتحت أسقف مواقف السيارات ومحطات السكك الحديدية واركان الشوارع ، أما الباقون وهم ٨٪ فقط فهم الطبقات القادرة التي تسكن البنايات . . أما الذين يعيشون من هؤلاء في مستوى الفقر فهم القادرون نسبيا على الحصول على أجر شهري من خلال العمل في المصانع يصل الى ٥٠٠ روبية (حوالي ٦٠ دولارا) أما الذين يعيشون تحت مستوى الفقر وهم كما تؤكد الأرقام لا يقلون عن ٢٠٪ عن يمكنهم الحصول على أجر ضئيل . إذا اتاحت لهم الفرصة ليوم عمل - يتراوح بين ١٠ روپيات و ١٥ روبية (١,٢٥ الى ٢ دولار) ومثل هؤلاء جميعا لا يمكن تصور أن يكونوا قادرين على الحصول على ملابس تستر اجسادهم هنا ما يستقر على هذه الاجساد طوال شهر من ملابس رثة ممزقة أو ما يعيشون عليه في نفايات وبقايا المزابل أمام مباني أصحاب القمة .

ولكن ماذا عن سكان الأرصفة وجوانب الطرقات وفجوات البنايات ؟ الواقع أن مشكلاتهم مع افتراش الارض والتخلف الساء هي أبسط ما يعانون ، لأن الجوع بالنسبة لهم محتمل في أغلب شهور السنة ، حيث لا يحتاجون الى غطاء ثقيل يقيهم البرد . . . ولكن الشقاوة الحقيقية هي في موسم الرياح الموسمية المطيرة خصوصا عندما تستمر الأمطار لأيام متواليات دون أن يتقطع هطولها ، ودون أن تترك مكانا جافا يتيح لهم الحصول على أروصفة مريحة . هكذا شاهدنا معاناتهم والأمطار تهطل بعضها الشديد . وان كان ذلك يتيح لهم فرسا جديدة ، إذ يتقدمون لحمل من يريد العبور من رصيف الى رصيف أو من منزل لآخر أو بين المحلات مقابل روبية أو أقل .

أما الذين لا يجدون عملا . . فيتسولون . . الآلاف من المتسولين يفاجئونك وأنت تسير في الطريق أو عند تقاطع الطرقات . . أو عند مواقف اشارات المرور لاستجداء وكتاب التاكسي وسائقى السيارات . . ولعل من الأسباب الأخرى التي تشجع



والباحثون هن العمل من أفقر أنحاء الهند . . رجال يخلفون وراءهم زوجاتهم حتى يجهلوا العمل المناسب . . وشباب يطمعون بالعودة الى قراهم للبحث عن عروس مناسبة بعد أن يتمكنوا من ادخال ما يكفي لبناء اسرة جديدة . . تكون هذه الصورة طبيعية ، خصوصا مع لجوء بعض العائلات الفقيرة للتخلص من بناتهم ، أو مع انتشار مافيا خطف البنات من القرى والمناطق المجاورة وبيعهن الى أصحاب هذه البيوت ، الذين كانوا يجسسون الفتيات وراء هذه القضايا ليمنعوهن من الهرب حتى يتمودن على الإقامة فيها ، حيث لا مورد آخر ولا عائلة ولا غذاء ولا كساء . . وليس لمن لوهربن الا أن يصبحن بعضا من الآلاف من سكان الارصفة ، حيث تتعرض النساء عادة خلال الليل للاعتداء من بعض معلومي الضمير . . بلا ثمن .

ومع هذا فهي هوليود الشرق

الحقيقة ان السلطات في بومباي لا تقف مكتوفة الايدي أمام كل هذا الذي يجري في الشوارع الخلفية ، سواء في موسم الرياح الموسمية ، أو فيما بقي من شهور السنة الأخرى . . وإذا كانت هذه السلطات لا تملك شيئا لمواجهة الاندفاع المستمر لعشرات الآلاف من القادمين الجدد كل يوم . . وما يخلق ذلك من أعباء بسبب الازدحام الشديد الذي يتكاثر باستمرار ، وما يتبعه من عجز في قدرة الخدمات والمرافق العامة على مواجهة هذا التدفق الذي لا ينقطع من البشر . . بحثا عن فرص عمل قد لا يكون أغلبها متاحا اليوم . . الا أن الحكومة المحلية تبدل كل ما في جعبتها لتمكن تحسين صورة المدينة ، مع التوسع في الميادين الصناعية والتجارية والثقافية ، وإنشاء المزيد من المجمعات السكنية

ويرغم كل ذلك فإن جهود الحكومة المحلية - وهي ممثلة في دائرة البلدية التي تعتبر واحدة من أقدم السلطات في الهند وأقواها أثرا ويتنخب أعضاؤها من جميع أنحاء المدينة - تصنع ما يشبه المعجزات ، لتظل بومباي مركزا تجاريا مرموقا نابضا بالحياة والحركة والحياة . . ولتكون جديرة بالتسمية التي يطلقونها عليها . . هوليود الشرق ،

□

على التسول أن من عادات الهندوس الاحسان للتسولين ومنحهم العطايا كقربان للالهة . ولهذا أصبح المجتمع الهندوسي في بومباي لا يرفض وجود التسولين . ولكن أغلب هؤلاء التسولين المتخصصين في المدينة وخصوصا الاطفال منهم اتخذوا هذا العمل مهنة يتم التدريب عليها وامتثالها تحت قيادات هي نوع من عصابات المافيا . وهذه العصابات تقوم عادة باختطاف الاطفال دون أن يتم اهلهم بالبحث عنهم لكثرة ما لديهم من أبناء يعجزون عن الانفاق عليهم عن فقر أو املاق . ويتلقى هؤلاء الصغار دروسا فيها يشبه مدارس التسول والنشل لتعليمهم الطرق المثلى للقيام بمهمتهم الجديدة وكيفية اختيار زبائنهم وأماكن تواجدهم .

كل ذلك لا يمنع من وجود تسولين حقيقيين وباعداد تتجاوز الآلاف . فبعض عائلات الفلاحين في المناطق القاحلة في ماهاراشترا يضيقون ذرعا بكبار السن من آبائهم ولا يتحملون الانفاق عليهم . فيذهبون بهم الى بومباي ويتركونهم لمصائرهم في شوارع المدينة . ولا يكون أمام هؤلاء مع عجزهم عن العمل وضعفهم الا أن يتسولوا ليبقوا على بعض رفق الحياة . وهناك أيضا زوجات فقدن أزواجهن هربا أو موتا في المدينة فلم يعد أمامهن - وبين أيديهن أطفال صغار - الا أن يتسولن للحصول على ما يقيم أودهن وأود صغارهن .

ويقودنا ذلك الى أبشع مآساة هذه الشوارع الخلفية في بومباي . . فئة النساء المتحرفات في حي كاماتيورا واللواتي تزددن تجارتهن خلال موسم المونسون .

قالت لنا مرافقتنا من مكتب سياحة حكومة الهند في بومباي ، وهي تشيخ بوجهها قليلا ، ونحن نفحص سيارتنا في الطين تحت وابل الأمطار خلال شارع فورش الخلفي الضيق ، الذي تطل عليه من الجانبين بيوت خشبية من طابقين ، وتقف عند أبوابها نساء في ملابس صارخة الألوان ، بينها النوافذ ذات القضايا كأكفاس الحيوانات تحتلء بوجوه فتيات تملؤها الاصباغ ، وكلهن غير عابثات بالمطر المتهمر .

في مدينة بومباي تزدد فيها نسبة الرجال هن النساء حتى ليقابل كل ألف رجل ستمائة وخمسون من النساء . . وفي مجتمع يأتي اليه المهاجرون

في يوبيله
الفضلي

السد العالي يتحرك

استطلاع : نجاح عمر

عدسة : محمد يوسف

لا يكن السد العالي معركة عند البناء فقط ، ولكن
معركة مستمرة حتى اليوم مع كل مايشهه لمرحلة وعهد
وفكر واتجاه .. وكأن السد هدفا لتصفية
الحسابات .. كل الحسابات .. حتى جاء البرد
حارر عددا من السد .. البنيان والرمز .. بعض من
زحلت أحصافه وانشعق الجوع .. وه بعض عن السد
بعد .. الأربع قرود



نحن الآن على ضفاف أحدث بحيرة عربية ..
 نحن الآن على ضفاف ثاني أكبر بحيرة صناعية
 في العالم ، بحيرة ناصر التي تفتتح ببلدين عربيين ..
 مصر .. والسودان ومسافة خمسمائة كيلومتر .
 سطح المياه هاديء .. الامواج ودیمة .. النهر
 المأدر - في شهور الصيف - يتأوب في البحيرة ..
 يحبس السد ، ينعطف الى الجبل في مجرى جدهد غير
 الذي عرفه منذ آلاف السنين .

قال لي مرافقي ونحن نقف فوق جسم السد العالي .. « لكن ههوه المياه يخفي الكثير .. مدينة كاملة هي النوبة ، ومعارك طاحنة هي معارك السد طوال ثلاثين عاما بدأت مع الثورة المصرية ، واستمرت حتى المجاعة الافريقية هذا العام ، وقال المرافق ... »

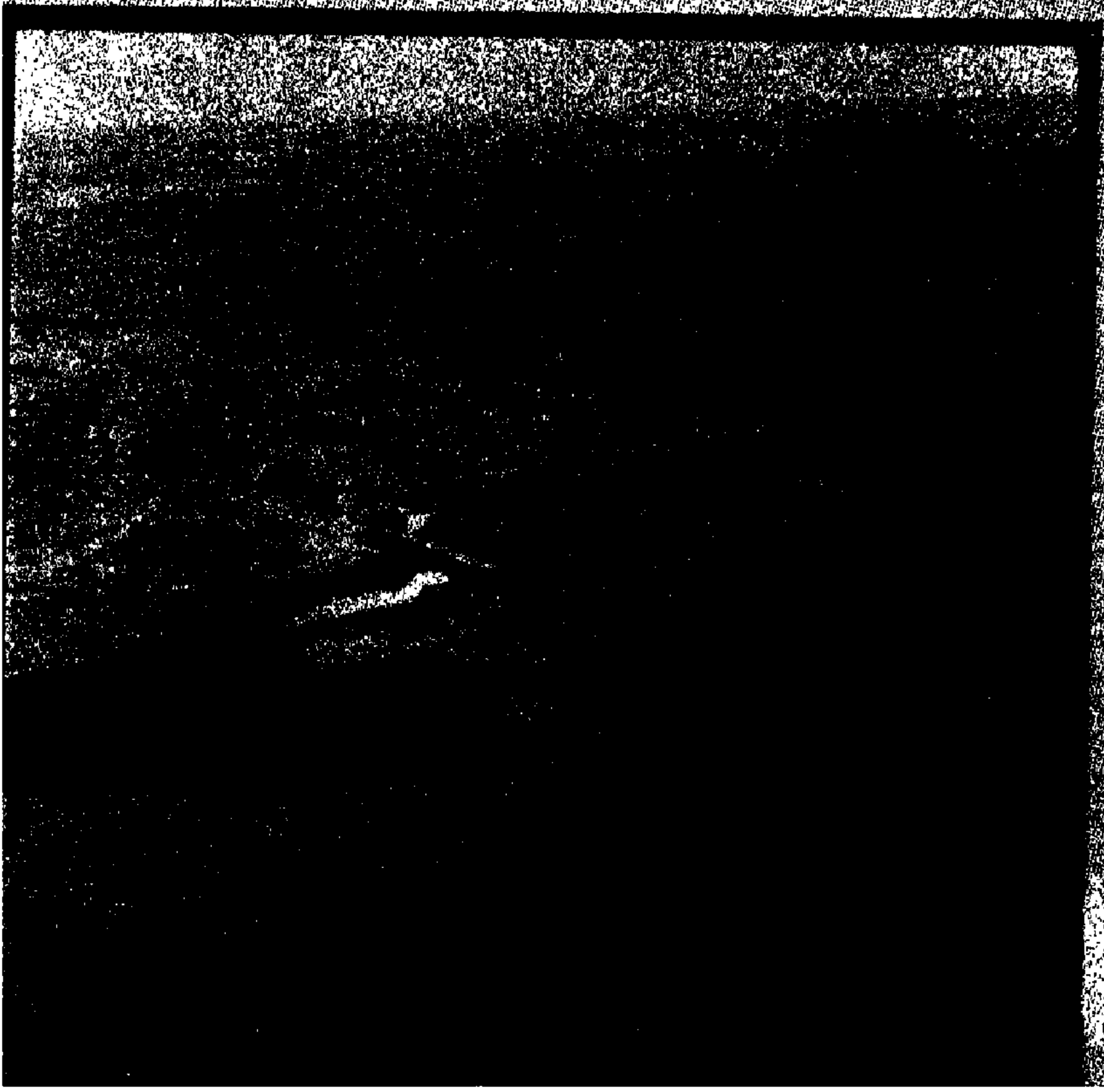
لكن آخر المعارك هي معركة السد مع الاحتمالات
المقبلة .. الزلازل .. والجفاف .. وسكت الاسوائى
العجوز ، ورحت أبحث عن السد ... المعركة ..
لم يسبق لمشروع عربي أن أثار هذا القدر من
الجدل ..

ولم يسبق لمشروع عربي أن تحول لسلسلة من
المعارك السياسية .. والعسكرية .. والاقتصادية كما
حدث للسد العالي ، وذلك فضلا عن معاركه الدائمة
مع الطبيعة . ففي هذا الموقع انتقل الجبل الى
النهر .. وانتقل النهر الى الجبل . ورغم هذا لم يكن
ذلك اصعب المعارك !

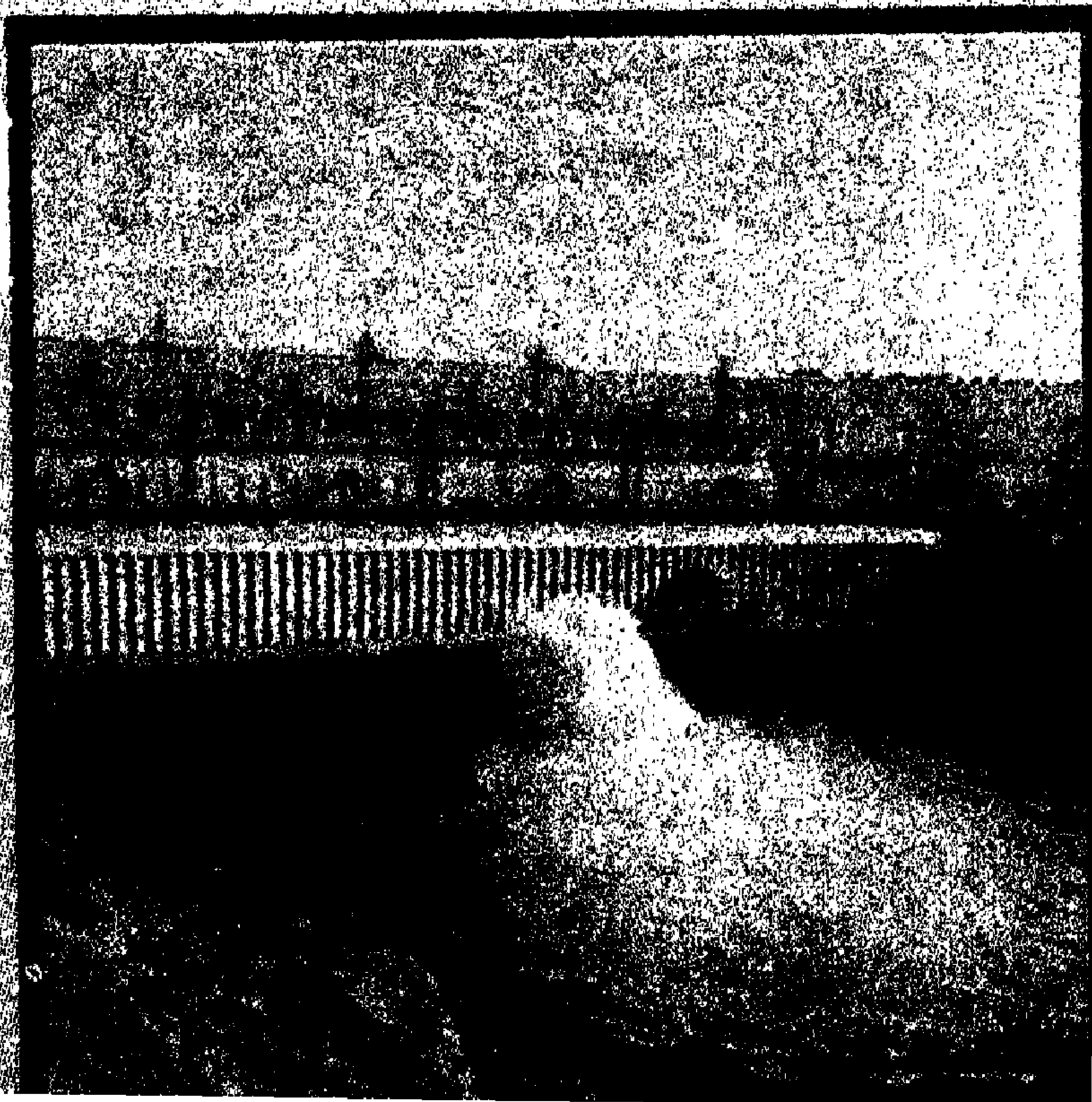
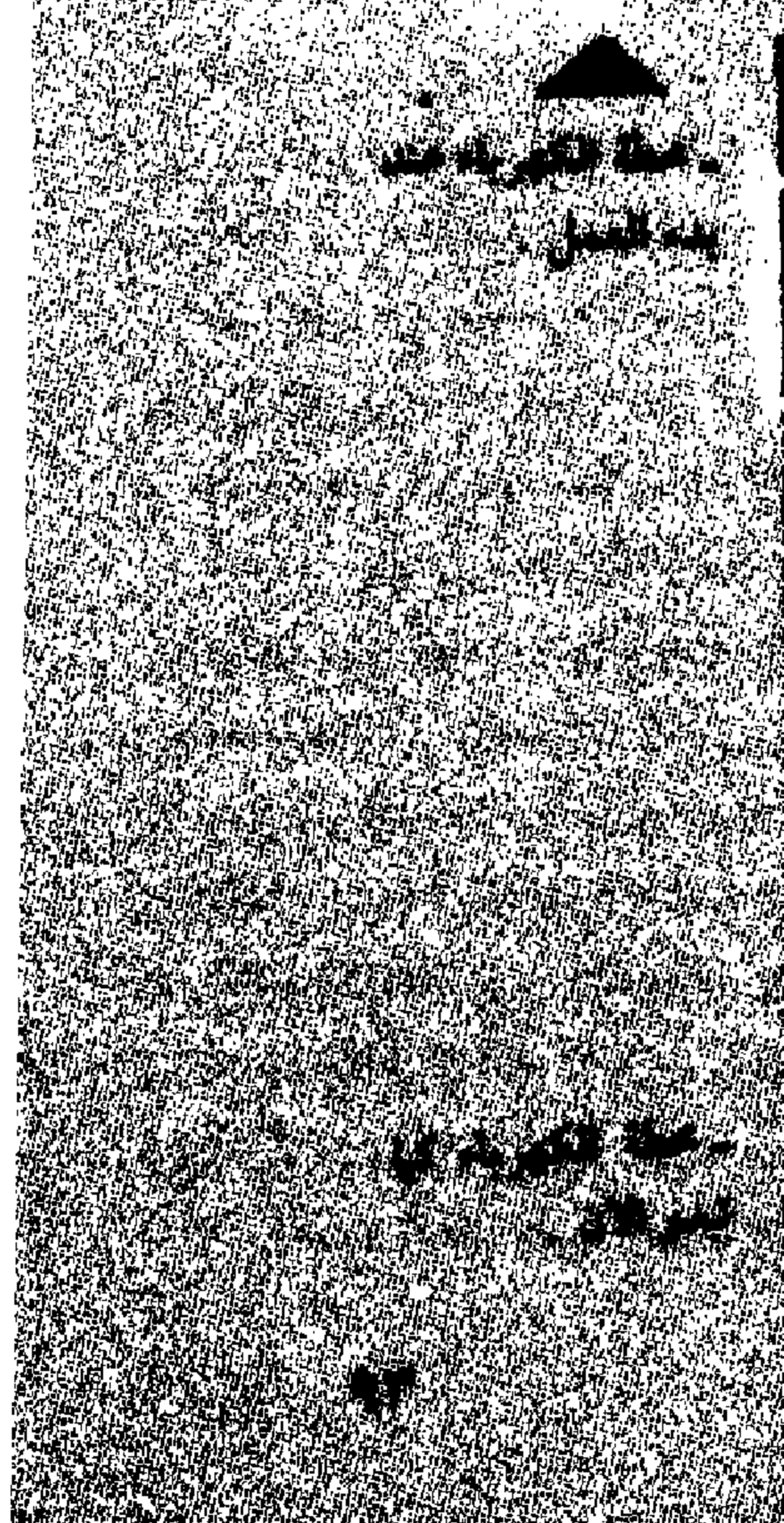
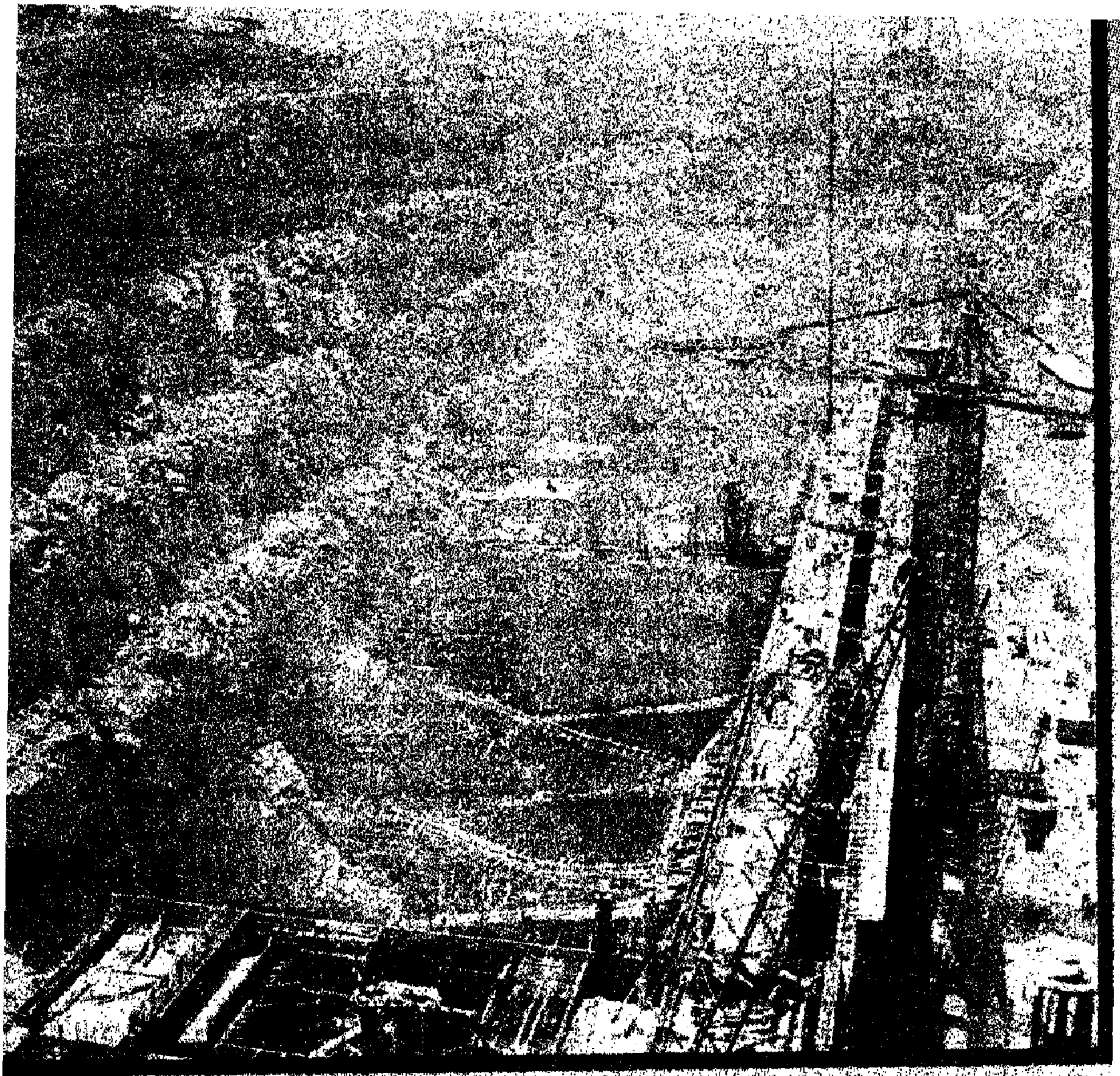
من أجل السد نشبت الحرب وهدمت جيوش
بريطانيا وفرنسا واسرائيل ثلاث مدن مصرية
(بورسعيد - الاسماعيلية - السويس) وهاجرت
آلاف الاسر . . وسقط مئات الشهداء وتحول خزان
الماء . . والكهرباء . . الى معركة عربية من المحيط
الى الخليج .

من أجل السد .. حدث التحول الشديد في
« مجرى الثورة المصرية داخليا وخارجيا » ذلك
المجري الذي أرادوا تعكيره بعد أن رحل الزعيم
فخرج من بقول ... :





Handwritten text in Arabic script, appearing to be a list or a series of entries, located on the right side of the page. The text is written in a cursive style and is somewhat faded and difficult to read. It appears to be organized into several lines, possibly representing a table or a list of items.



« أقنعوا السد .. وحاكموا الذين بشوه » .
ولم يكن ذلك غريباً .. فالسد العالي هو أحد رموز
ثورة يوليو ذات التوجهات المصرية .. وعدم
الانحياز .. ودعم حركات التحرر الوطني ..
والاعتماد على الذات .. لذا .. وجب « هدمه » !!
ولنفس الأسباب .. كان - ومازال - السد العالي
معركة مستمرة ..
هذا فضلاً عن كونه معركة مع النهر ..
والصخر .. والجبل ..
هو معركة منذ أن كان جسراً ..

السد والتاريخ

التاريخ: قبل الميلاد عندما حاول الفراعنة أن
يضحوا مشروعا كان في عداد عجائب الدنيا ، في عهد
أمنحتب الثالث ، استعمل الفراعنة بحيرة موريث
لتخزين مياه الفيضان واناقاذ البلاد من أخطارها .
ويقول هيرودوت ...

« انهم أحاطوا البحيرة بجسر طوله سبعون ميلا
ووصلوا بين البحيرة والنيل بترعتين .. أنشأوا على
كل قنطرة تستخدم احداها لاختزان المياه ، والاخرى
لصرفها ، ومن أجل هذا حاول الفراعنة دراسة النهر
والالام به وبأطواره ، ورصد مناسيبه وتسجيلها على
مقاييس خاصة أقاموها لهذا الغرض في عام ٦٤١ قبل
الميلاد .

وهو معركة منذ أن كان فكرة تشتعل أحيانا ، وتهدأ
أحيانا .. ولكنها في كلتا الحالتين معركة تستمد
ضراوتها من صعوبة العمل ذاته ، فليس سهلا
ترويض نهر عمره يقرب من خمسين ألف عام ، ويزيد
طوله عن ٤١٦٠ ميلا ، وتبلغ مساحة حوضه
مُشر (بلم) القارة الافريقية كلها ، ويمر بسبعة
بلدان هي كينيا .. والكونغو واوغنده والحبيشة ..
وتنجانيقا .. والسودان ومصر .

ومن هنا كان السد العالي حلما صعبا ، فشلت أحزاب
ماقبل الثورة في تحقيقه واكتفت منه بمناورات حزبية في
المناسبات فقط ، وخزان صغير هو خزان أسوان الذي
حجز جزءا من مياه النهر .

ثم ..

أصبح السد معركة كبرى بعد أن تحولت الفكرة

بعد الثورة الى مشروع يبحث عن « تحول » .
روي لي المهندس زكي قناوي وزير الري السابق
وأحد بنائى السد هذه الواقعة ... « وقف عبد الناصر
وأعلن تأميم قناة السويس وفي اليوم التالي ذهبت الى
مكتبي في خزان أسوان ، فوجدت الخبراء الفرنسيين
يجمعون حقائقهم ويستعدون للرحيل ..
فسألت : .. الى أين ؟

قال أحدهم .. سنرحل .. ولكننا سنعود بعد
فترة قصيرة .. ونحن نرتدي ملابس الحرب ! » .
وبالفعل لم تمض شهور على تأميم قناة السويس
حتى عاد الفرنسيون ضمن حملة العدوان الثلاثي :
« فرنسا .. إنجلترا .. واسرائيل » .

كان العدوان ردا على تأميم قناة السويس ..
وكان التأميم نتيجة انسحاب أمريكا من تمويل السد
بعد رفض عبد الناصر شروط البنك الدولي .. والتي
كان الصلح مع اسرائيل واحدا منها !!
رفض عبد الناصر الخضوع .. اتجه الى الاعتماد
على الذات فألم القناة ليأخذ من دخلها مايفي به السد
العالي كجزء من بناء الاقتصاد المصري المستقل .
وكانت الترجمة الرقمية حينذاك تعني ...

• زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ١٨ مليون
جنيه ، بعد تنفيذ المرحلة الاولى من السد .
• أراضي مستصلحة مساحتها مليون فدان .
• زيادة في الدخل الحكومي مقدارها ٢٣ مليون
جنيه .. وزيادة في الدخل القومي تصل الى ٣٥٥
مليونا وذلك عند استكمال محطة توليد الكهرباء .
• التوسع في الزراعة بمساحة مليون فدان .
• ضمان الزراعة في فترات المياه الشحيحة .
• الوقاية من خطر الفيضان .

• القفز بنصيب الفرد من الكهرباء الى ٤٠٠
كيلووات ساعة بدلا من ستين كيلووات قبل السد .
كذلك اتجه عبد الناصر شرقا ليطالب من الاتحاد
السوفيتي الاسهام في تمويل السد العالي . وهنا نترك
السطور لهذه الشهادات :

شهادة رقم (١) :

بروسيا أيضا المهندس زكي قناوي :
عندما زار نيكسون عبد الناصر ذهب الى أسوان

الذين يبحثون عن أضرار السد

السد العالي ليس مشروعا ركاميا من صخر أصم .. انه جبل وضع أقدامه في منطقة لن يطلها انسان بعده .

وكننت واحدة من هذا الجبل ..

وقفت في قاع النهر . رأيت آلاف العمال ينقلون الجبل . وآلاف أخرى وهي تصنع للنيل مجراه الجديد ، زرت مدينة هي الآن في قاع بحيرة ناصر كانت تسمى يوما « بالنوبة القديمة » ، ومشيت في طريق شقه الرجال في صدر الجبل هو الآن قاع نهر النيل بعد تحويله من مجراه الأصلي .. حيث ينزل مسقط مائي يفيض ضوؤه على العيون .. والقلوب .

كنت وصحفي امريكي وهدفا غير مشترك .. أنا .. أبحث عن المستقبل بين الصخور المتضجرة وحبات العرق .. وآلاف العمال الذين كانوا يبدون من أسفل كنقط سوداء متحركة تحيط بأعلى الجبل . وهو .. ليبحث عن أضرار السد .. كان يريد أن يثبت أنه لافائدة من السد العالي .. فالطمي سوف يرتفع في قاع البحيرة وغياب الطمي سوف يفسد الارض الزراعية على طول الوادي وعرضه .

يومها .. كانت الابحاث والدراسات العلمية تقول .. نعم سوف يصبح الطمي مشكلة أمام السد .. ولكن بعد خمسمائة عام .. نعم ستخلو المياه من طمي النيل ولكن مصانع كيميا سوف تفي بالغرض وتؤدي مهمة الطمي بالنسبة للارض الزراعية .

والغريب .. أنه رغم مضي واحد وعشرين عاما على هذا الحوار الا أن الموقف الامريكي كما هو .. لم يتغير .. « البحث عن أضرار السد » .

عندما وقع زلزال أسوان .. كان الامريكان أول من أسرع بالحضور الى القاهرة ، لاختوفا على السد .. ولكن بحثا عن « آثاره الجانبية » .. الى أسوان توجهت بعثة أمريكية مولتها بعض المكاتب الامريكية العلمية !! للبحث عن العلاقة بين الزلزال والسد . ثم أعلنت هيئة المعونة الامريكية عن منحة مقدارها ستة ملايين دولار لتمويل الدراسات الزلزالية للسد العالي .

ورأى السد العالي على الطبيعة ، واستمع على مدى ثلاث ساعات لشرح رئيس هيئة السد العالي .. يومها قال رئيس الولايات المتحدة الامريكية .. « نحن آسفون لاننا لم نأخذ هذه العملية » .

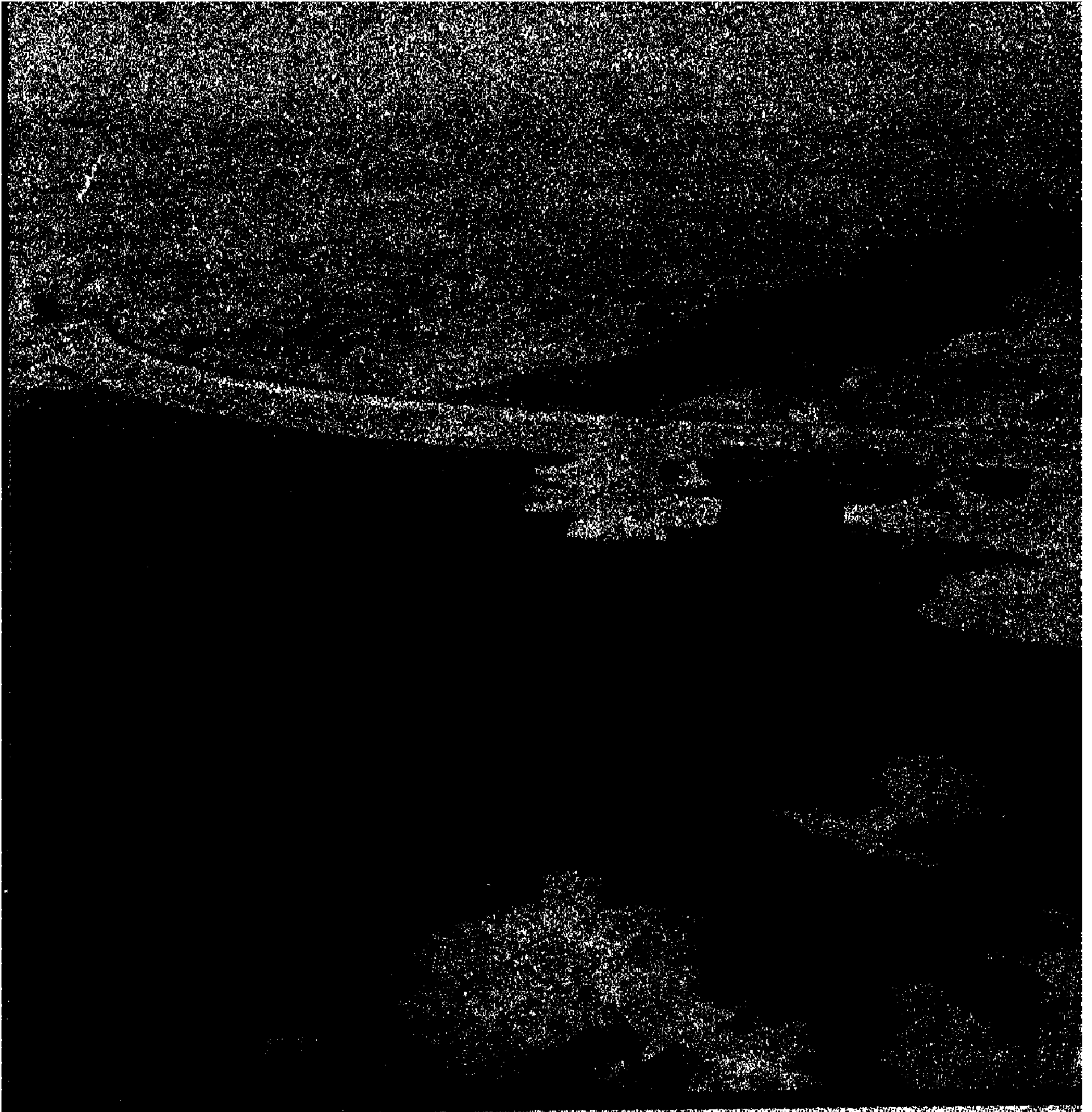
شهادة رقم (٢) :

من الاوراق القديمة الخاصة بالمرحوم المهندس عبد العظيم أبو العطا وزير الري السابق وأحد الذين حاصروا مراحل بناء السد العالي والذي كان يعمل مديرا لمكتب وزير السد العالي خلال فترة المفاوضات التي جرت قبل البدء في تنفيذ المشروع .. ثم سكرتيرا للجنة بناء السد العالي ثم وكيلًا لوزارة السد في أثناء عملية التنفيذ .

أوراق هذا الرجل - ومضابط مجلس الشعب عام ١٩٧٨ التي سجلت رده على أحد الاعضاء المطالبين بهدم السد العالي ومحكمة المسؤولين عن تنفيذه - تشهد على قدرة المصريين المفاوضين .. وعلى رأسهم القيادة السياسية التي تركت الفرصة واسعة أمام الفنيين دون أي محاولة للتدخل في سير المفاوضات ، حتى عندما تعثرت المفاوضات عام ١٩٦٠ ، وذهب المهندس عبد العظيم أبو العطا الى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وأطلعه على نقاط توقف المفاوضات .. ورأي المفاوضين المصريين ... فلم يكن من جمال عبد الناصر الا أن أمر بالسير في المباحثات على ضوء مايراه الفنيون ..

وتشير التقارير المرسلة من موسكو في تلك الفترة أنه خلال الخلاف بين عبد الناصر وخروشوف ، كانت بوامج العمل في السد العالي لتوريد المهمات والالات وفتح الاعتمادات وإبقاء الخبراء ، واجراء الدراسات والابحاث كلها في واد والمعركة السياسية في واد آخر .

ورغم الخلاف .. وبمساعدة الدكتور مراد غالب سفير مصر في موسكو في تلك الفترة .. حصلت مصر على قرار برفع قيمة القرض بما يسمح بتوريد مائة وعشرين ألف طن اضافية من المهمات الخاصة بكهرباء السد العالي ولولا ذلك لأظلمت مصر خلال حرب الاستنزاف .



● السد العالي .. يتحرك ..

يفي على شكل نصف دائرة وبالتالي لا تهتأ الحركة حتى
ستميتين كل عام لان ذلك يؤيده صلابة .
ويقولون أيضا .. ان جوانب النهر تتحرك ..
أقول : لماذا الان بالذات تثار مثل هذه الشائعات
ولماذا هذا الخوف .. ان البحر الاحمر يتحرك
ستميتين كل عام ولم يتكلم أحد !
ثم ..

يعود بذاكرته الى الوراء .. الى خمسة وعشرين
عاما مضت ..

« الحكومة لم تبدأ في عمل السد من فراغ ، لقد
عملت في عهد عبد الناصر كل ما يمكن من أبحاث
لاستكمال جميع المواصفات اللازمة للسد ومعرفتها بما
فيها » التخزين القرفي « أرسلنا المبعوثين صفارا وكبارا
الى اغلب بلاد العالم بصرف النظر عن مبدئها
السياسي .

أنا زرت عشرين بلدا في أوروبا .. وتقدم من
الابحاث مايزيد عن ١٢٠ بديلا للمشروع الحالي من
جهات ولجان متعددة .. منها لجنة كبرى مكونة من
خبراء أمريكيين وفرنسيين وألمان وسوفييت .

رأيت أشياء كثيرة في أمريكا .. ولم أر احتياطات
مثل تلك التي عملت للسد العالي ، حقا تحت السد
بطبقات رملية بعمق ١٨٠ مترا ، وكنا نحضن كل
خسة أمتار ، ثم وجدنا أن هذا لا يكفي فكان الحقن
كل مترين وتلك عملية فنية تمنع تسرب المياه من جسم
السد .

وسأله : ماذا تعني « بالتخزين القرفي » ؟

قال : أعني تخزين المياه لعدة سنوات تصل الى
سبعة أعوام .

وقلت : اذن هل يعني ذلك أن مصر في منطقة
الآمان بالنسبة للجفاف ؟

قال على الفور : لا .. مازال الخطر قائما .. نحن
لا نستطيع الآن أن نؤكد الآمان ، وللعلم هذا الخطر
منذ خسة أعوام ، ولكن لم يشعر به أحد بفضل السد
العالي ، لقد سحبنا من « بنك المياه » (يقصد بحيرة
ناصر) ما قيمته اثنان وعشرون مليار متر مياه مكعب
في العام الماضي .

في السنوات الخمس الماضية .. وصل جملة
ماسحب من هذا البنك الى سبعين مليار متر وكان
الرصيد تسعين مليار متر ويبقى من التخزين الحي

البعثة مازالت موجودة حتى الآن ، وسوف تستمر
حتى ديسمبر القادم .. و .. الى أن تنتهي الدراسات
حتى نستطيع أن نقرأ معا تقاريرها المبدئية التي كانت
تقدمها مرة كل ثلاثة شهور .

شهادة رقم (٣) :

الشهادة للمهندس زكي قناوي .. لا بصفته
واحدا ممن ارتبطت أسمائهم ببناء السد العالي في
مراحله المختلفة .. ولكن كعضو اللجنة الفنية
المشتركة التي تتولى هذه الدراسات . يقول شيخ
السد ..

« يسرني أن أقول ان النتيجة النهائية التي ستقدم في
ديسمبر القادم ، سوف تشير الى كفاية السد العالي
وقدرته على تحمل الزلازل .. حتى الزلزال البالغ قوته
سبع درجات بجهاز ريختر .. لن يستطيع أن يمز
صخرة واحدة من جسم السد .

وقد اجتمعت البعثة الامريكية أربع مرات ..
وكان بودها أن تقول ان السد هو السبب فيما حدث
من زلازل لكنها لم تستطع ، فعل ملهى عام كانت
اللجنة المشتركة والتي شكلت لهذه الدراسة
بالتحديد .. تكتب تقاريرها كل ثلاثة أشهر وبعد
الكشف الجيولوجي تبين أنه يتحمل هزات أرضية
حتى سبع درجات .

قلت : ماسبب الزلازل .. هل كان السد وراء
ذلك ؟

قال الخبير ذو الثمانين عاما .. ؟

لماذا يكون السد هو السبب واذا كان الامر كذلك
فمن كان وراء زلزال عام ١٩٢٧ و ١٩٥٥ .. ؟ لقد
حدثت زلازل عدة قبل أن يبني السد ، كان أحدهما
من العنف بما جعل الناس يقدفون أنفسهم في
النيل .. ولم يكن السد قد أقيم بعد .

قلت : .. يقولون ان السد يتحرك .. فهل هذا
صحيح ؟

قال زكي قناوي مبتسما : لقد سمعت ذلك على ما
أذكر منذ أيام .. ذهني أقل .. : نعم انه يتحرك ،
وكل مبنى يتحرك ، الحركة بالنسبة للسد العالي
لا نهتأ فقد صممناه بطريقة تزيد الحركة صلابة ، لقد



.. مياه السد تكاد تغطي التحيل وترحب نحو القرية

الواحد كان يمكن أن يهدم كل مائيه ، هذا المتر يعني
٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه لمدة أشهر ١١ ،
ومن الفيضان .. الى الجفاف ..
من الماضي الى الحاضر يقفز زكي قناوي مشاهدته
يقوله .

« لولا السد لما زرعتنا أرزا .. ولاخزة ..
ويكفي السد فضلا أننا نزرع الارز في أيام الجفاف
على مدى خمس سنوات متتالية ، والفيضان لا يأتي بما
نحتاجه ، نحن نستهلك ٥٥ مليار متر مكعب
مياه .. بينما وارداتنا لا تزيد عن ٣٣ مليارا فقط ..
فأين لنا بهذا الفرق لو لم يكن السد العالي ؟
في عام ١٩٨٣ كان المنصرف ٣٦ مليار متر مكعب
ماء .. وفي عام ١٩٨٤ كان ٣٣ مليارا فقط ..

قلت : وهذا العام ؟
قال : مازال الخطر قائما .. ومازلنا معرضين
للجفاف ، أقول أننا لا نزال في محنة وأن علينا الترقب

عشرون مليار متر ..
سألته : هل يوجد تخزين حي .. وآخر ميت ؟
قال : نعم .. ان سعة البحيرة ١٦٠ مليار متر منها
ثلاثون مليار متر ميت .. أي طمس .. وحجر ...
ثم يكمل :

كان عام ١٩٦٨ أول عام نجبر فيه مياهنا .. في
ذلك العام وقعت قصة غريبة .. كان ارتفاع السد
يومها ١٢١ مترا ، وكنا في شهر يوليو والجميع في اجازة
ولا يوجد غيري وعدد قليل من العاملين ، كنت
أتوقع فيضانا غير معتاد ، وانتابني خوف من أن تفيض
المياه فوق السد وتهدم كل ما بنيناه ، فأمرت بتعليق
السد مترين .. وأمرت بتحويل كل الجمرات
والشاحنات الكبيرة الى هذا العمل .. ولحسن الحظ
انتهينا من ذلك قبل أن يكتمل تخزين السد وبالفعل
وصل منسوب ذلك العام الى ١٢٢ مترا .. أي بزيادة
متر واحد عن الارتفاع الاصلي ، لكن هذا المتر

عقل اليكتروني

لرصد الزلازل

اشرفت اللجنة الفنية للدراسات الزلزالية للسد العالي على الانتهاء من دراساتها الفنية وكتابة التقرير النهائي بتلخيص هذه الدراسات . سوف تقدم اللجنة الى الجهات المصرية بتقريرها هذا في ديسمبر القادم . وكانت اللجنة قد شكلت من خبراء دوليين .. من كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية .. واليابان .. ومن المعروف أن هيئة المعونة الأمريكية قد أسهمت في تطوير هذه الدراسات بمنحة قيمتها ستة ملايين دولار في صورة أجهزة ، بينما وصلت الحكومة المصرية ثمانية ملايين جنيه لإنشاء أول شبكة رصد زلازل تضم اثني عشرة محطة تم توزيعها حول السد وداخله تعمل بالعقل الإلكتروني بالتركيز الاقليمي للزلازل في أسوان .

آخر هذه المعارك أو أحداثها .. دراسة لتطوير مجرى النيل بلغت تكلفتها ٤ ملايين دولار قدمتها الحكومة الكندية كمنحة لمشروع ضخم قدرت تكاليف جزء منه .. محطة كهرباء وقنطرة بحوالي ٢٥٠ مليون دولار ..

ومن معارك السد مع الطبيعة يشهد الدكتور محمود أبو زيد رئيس مركز بحوث المياه .

« ان السد العالي يعد الصمام الذي ضمن لمصر حجباً سنوياً ثابتاً من المياه ومكثناً من التحكم في مياه النيل ، ولذلك سيظل لسنوات طويلة هو مفتاح التنمية الزراعية لمصر .

ولقد مكن السد مصر حتى الآن من تحويل أراضي الخياض في مساحة مليون فدان الى ري دائم ، بالإضافة الى استصلاح نحو مليون فدان جديدة ، وبالإضافة الى مشروعات السد من محطة كهرباء تد

والعناية والانتظار .. هذا فضلاً عن الاحتياطات اللازمة ..

قلت : هل تعني ترشيد استهلاك المياه ؟
اجاب : لا .. لوجو الغناء كلمة ترشيد ، فالمحالة خطيرة ، تفرض أن الفيضان جاء بستين مليار متر من الماء .. في هذه الحالة لابد ألا يزيد للتصرف عن خمسين ملياراً وحتى يتم ذلك لابد من ..

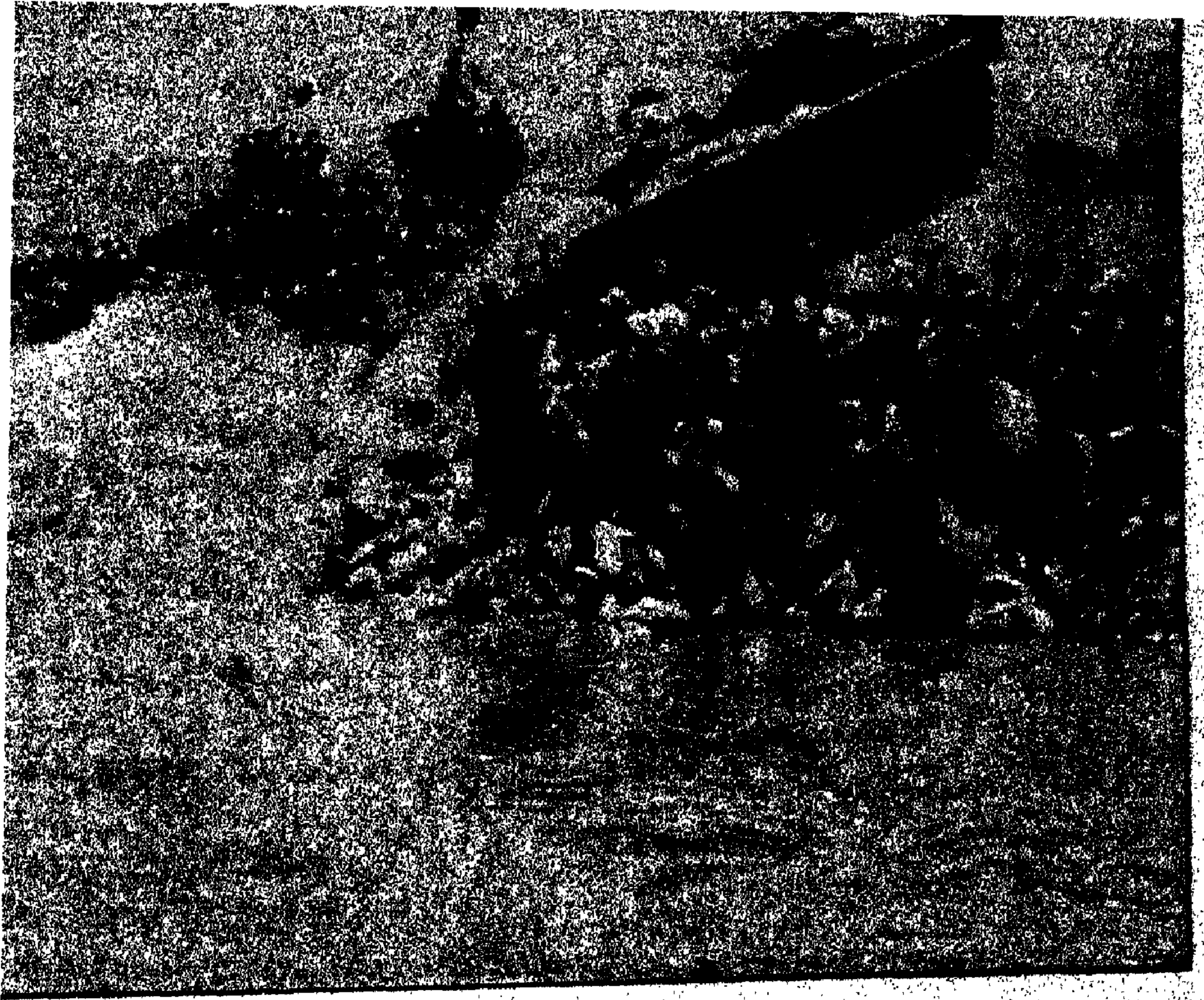
- التقليل من زراعة الارز .
- التقليل من مياه الري .
- استعمال مياه الصرف في الري .
- منع زراعة قصب السكر فيها يسميه الزراعيون « العروة الجديدة » .
- التحكم في مياه الري والشرب .
- تبطين بعض الترع الكبرى .
- منع المفقود من الاسماخيلية والذي يصل الى مليار متر سنوياً .
- تخفيف البحيرات الداخلية .

ثم ..
● تقليل التوسع الافقي في الزراعة والاكثر من التوسع الرأسي ، ذلك أن الاول يحتاج الى مياه .. بينما الثاني لا يحتاج الى كميات كبيرة من المياه في الوقت الذي يتج فيه محصول أكبر .

قلت : والصيادون الى أين يتجهون ؟ ..
قال : اذا كان لدينا آلاف الصيادين .. فعندنا أيضاً مشاريع البحر الاحمر .. وبحيرة ناصر حيث تتوافر أكبر ثروة سمكية كان يمكن أن تزيد لولا الجفاف الذي أدى الى انخفاض منسوب البحيرة والذي أثر بدوره على ما فيها من أسماك لذلك لابد من الاتجاه الى عمل مزارع سمكية في أحواض خاصة بالبحيرة بمجرد ارتفاع منسوب المياه مرة أخرى .

شهادة رقم (٤) :

مازال السد العالي معركة .. معركة سياسية تصدى لها للهنس عصام راضي وزير الري المصري في مجلس الشعب هذه الأيام ...
ومعركة علمية يخوضها العلماء والباحثون ...
والخبراء ...



.. لحظة الانتهاء : آخر دفعة من خور يتم القاؤها في النهر ليلتحم .

بالكرة الأرضية ، فحجم المياه على سطح الأرض ثابت رغم التغيرات الكثيرة التي تتدخل في الصور المختلفة لهذا الماء .

فلذا ما تناولنا ما حدث في أفريقيا في الأعوام القليلة الماضية وبالأذات في حوض النيل نجد أن معطيات النيل ومعظمها من أمطار الهضبة الاستوائية ، كانت دون المتوسط خلال ست السنوات الماضية ، ومن المعروف أيضا من خلال أرصاد النيل في مدة مائة العام الماضية أن اختلاف هذه المعطيات يتبع دورة غير متماثلة تتوالى في مجموعات من السنوات العالمية أو المنخفضة وفضانات غطقة ، وقد يكون طول كل دورة أربع سنوات أو حسا ، إلا أن توالي الانخفاض بالدرجة التي عرفت خلال ست السنوات الأخيرة لم يحدث من قبل إلا نادرا .

ويطرح كذا لوجود السد العالي الأثر الأساسي في حماية مصر من خطر الجفاف نظرا لوجود بحيرة ناصر التي امتلأنا بالفرق من حصتنا المقررة طوال هذه .

مصر بـ ٦٠٪ من احتياجها السنوي بالكهرباء .. بدأت وزارة الري في وضع تفاصيل خطة لتطوير مجرى النيل مائيا .. وكهربيا .. وسباحيا . ولقد أعدت المخطوط الرئيسية لهذا المشروع بمساعدة فنيين كنديين ، ويشمل استغلال أقصى طاقة كهربية في جميع الأعمال الصناعية ، بالإضافة إلى إنشاء مجرى ملاحي من الدرجة الأولى يسمح بمرور البواخر الكبيرة بغاطس مائي طوله متران ونصف . وقد أعلن التصميم النهائي في عطاء علي . قلت : والجفاف كظاهرة عالمية .. أين السد العالي منه ؟

قال : ظهر الجفاف كظاهرة في أماكن كثيرة من العالم ، وهو ظاهرة طبيعية شاعها على القارات ، ويحدث من الجفاف في مناطق كثيرة من العالم ، ونظرة أعمق على هذه الظاهرة من منطقة لأخرى ، أو من قارة لأخرى .. ولكن من المؤكد أن حدوث فضائات في منطقة ما يقابلها جفاف في مكان آخر

● السد العالي .. يتحرك .

عربية للخبرات الفنية في مجال السدود .
قلت : بهفتكم رئيس مركز أبحاث علمية ..
هل تمت دراسة الآثار الجانبية للسد العالي أو التنبؤ
بها ؟

قال : مركز البحوث المائية يضم أحد عشر معهد
بحثا من بينها معهد خاص لدراسة الآثار الجانبية قبل
السد وبعده وتناولت هذه الدراسات أموراً كثيراً
منها .. أثر الطمي وترسبه في البحيرة ، تأكل جوانب
النهر خلف السد ، نوعية مياه النيل وتأثيرها داخل
البحيرة وعلى طول المجرى الشروة السمكية ، وقد
تولت هذه الدراسات في مؤتمرات دولية ، ومازال
بعضها تحت البحث في معهد دراسة الآثار الجانبية
للسد العالي والجامعات .. وأكاديمية البحث
العلمي .

شهادة رقم (٥) :

مر الوزير فرأي أحدهم يرتدي جلبابا أبيض
وعبادة ويجلس دون عمل فسأله :
أنت صاحب هذه الأرض ؟

قال : نعم ... منذ الخزان الاول !!

سأله الوزير : ولماذا لم تزرعها حتى الآن ؟

أجاب الرجل : على الحكومة أن تزرعها .

و ... دار حوار بين النوبي والوزير كان الاول
يعبر خلاله عن مجتمع كسول .. يستورد العمالة من
« أسوان » لتزود الأرض .. وصاحبه رجلا الى
القاهرة بينما تظل النساء لترعى الأسرة .

ولم تكن النوبة غريبة في هذا الكسل .. كانت
أسوان مجتمعا طاردا تحول بعد السد الى شيء آخر .
فقد ازداد عدد السكان .. وتغيرت نوعيتهم ..
تحولت المنطقة الى مجتمع صناعي به معهد لتدريب
الفنيين في السدود والتضخيمات .. به مصنع .. بل
مصانع ونقابات ..

تعاملت النوبة مع الآلة والثلاجات .. والبواخر
الكبيرة .. ووسائل النقل الحديثة .. انتقلت
النوبة من مجتمع الكسل الى مجتمع نشط لا يربطه
بالقديم الا تلك الرسوم التي تشير من فوق الجدران
الجديدة الى الاصل القديم .. لكنها فقط .. على
سبيل الذكرى . □



قلت : ماذا عن السودان والسد العالي ؟
- من المعروف أن متوسط تصريف نهر النيل
السني خلال مائة العام الماضية يبلغ ٨٤ مليار متر
مكعب مقدرًا عن أسوان ، وهي الأساس الذي
صُمِّمَتْ عليه سعة خزان السد ، وأي فيضان أقل من
هذا القدر يعد دون المتوسط .. هذه الكمية ٨٤
بليار متر مكعب ، تقسم بين مصر والسودان طبقا
لاتفاقية مياه النيل عام ١٩٥٥ ، فإذا كان الفيضان
دون المتوسط فإن مصر تستكمل حصتها من المخزون
في البحيرة ، وهذا ما حدث خلال خمسة الأعوام
الماضية ، حتى أصبح حجم المخزون الآن في البحيرة
عشرين مليار متر مكعب .

قلت : ما موقف السد عربيا في رأيك ؟
قال : لا شك أن الخبرة التي اكتسبها المصريون في
إنشاء القامة السد تعتبر ذخيرة لكل من يعمل في هذا
المجال ، ومنهم من يسهم في أعمال مشابهة في البلاد
العربية وكثير من دول العالم .. لي أن السد مدرسة

لسان الدين ابن الخطيب والنقد

بقلم : الدكتور احسان عباس

لسان الدين ابن الخطيب مكانة لا تخفى في تاريخ الفكر الأندلسي ، فقد كان ذا مواهب متعددة وقدرات متنوعة ، واستطاع رغم ما اضطلع به من مسؤوليات سياسية كبيرة أن يترك تراثاً ضخماً في التاريخ والتصوف والطب والشعر والترسل والفكر السياسي وغير ذلك من الفنون . فهل كان للنقد في تراثه نصيب ؟

تفرد به الأندلس والمغرب ، بل كان أنصاره في المشرق هم اصحاب الغلبة في تاريخ النقد الأدبي .

القرينة الشعرية :

فاذا كان لسان الدين وابن خلدون من آراء في النقد فذلك متصل في الدرجة الأولى - بثقافتها الأدبية ، ويكون كل منها مارس نظم الشعر ، وفي هذه الناحية الثانية يتفوق ابن الخطيب على صديقه ابن خلدون الذي تعمّر عليه قول الشعر بعد فترة من الزمن ، وعلم فلان بان محفوظه من المتن الفقهي والنحوي وغيرها قد علق قريحته عن الفيضان ، وخدش وجه الملكة الشعرية لديه . فلما ابن الخطيب

لم يمنح النقد الأدبي قسطاً وافراً من جهده ، شأنه في ذلك شأن معاصره وصديقه ابن خلدون ، ولكن من السهل أن نعدّ هذين الرجلين ممثلين لطبيعة الذوق الأدبي - في عصرهما - في الأندلس والمغرب ، ذلك الذوق الذي لخصه ابن خلدون حين حدثنا أن شيوخه كانوا يرون : أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء ، لأنها لم يجريا على أساليب العرب ، وهو حكم عجيب ، غير أنه لا ينبغي عن ضيق صدر بالفلسفة في ذاتها ، فقد كان كثير من أولئك الشيوخ - كما كان لسان الدين وابن خلدون - من طلاب الثقافة الفلسفية ، وانما هو تعبير عن عدم الارتياح إلى وضع الفكر المفلسف في نطق الشعر (كما فعل كل من المتنبي والمعري) ، وذلك شيء لم

فقد استمرّ يحاول التوفيق بين شئى ملكاته ، ومنها الشعر ، حتى آخر أيام حياته ، ولم يواجه تصعباً أو تعسراً في نظمه ، رغم أنه كان يحفظ متوناً أكثر مما يحفظ ابن خلدون ، مثلاً أنه عانى نظم متون في الطب والتاريخ . فالتون ليست وحدها سبباً في إقبال القرينة ، ولا بد من أن تجتمع إليها أسباب أخرى نفسية واجتماعية واقتصادية .

ولعلّ مما أسرع في تقصير فترة الانتاج الشعري لدى ابن خلدون غلبة الميل الفكري لديه على كل ميل آخر ، وهذا استدعى منه أن يتحى في كتابته منحى عقلانياً خالصاً . وفي دور مبكر كان يؤمن بالفصل التام بين الأسلوب الثري والأسلوب الشعري « إذ الأساليب الشعرية تناسها اللوذية ، وخلط الجذّ بالهزل ، والاطناب في الأوصاف ، وضرب الامثال ، وكثرة التشبيهات والاستعارات ، حيث لا تدعو الى ذلك ضرورة في الخطاب » فأخذت الملكة التصويرية لديه بالضمور . أما لسان الدين فظلّ يمنح العنصر الجمالي التصويري في نثره اهتماماً خاصاً غير عابىء بموقف صديقه من الفصل العامد بين الشعر والنثر ، فبقي على مستوى الانشاء الثري شاعراً مصوراً ، وبقيت ملكة التصوير لديه تتمتع بقوتها على مرّ الزمن ، وكان مما يرفد هذا الجو الشعري من حوله عوامل أخرى لم تتوفر لابن خلدون منها شمولية اطلاعه على التيار الشعري في عصره ، واهتمام بتدوين تراجم معاصريه وأشعارهم ، هذا بالإضافة إلى اطلاع على الشعر العربي في كل عصره . وكان بحكم منصبه السياسي عمداً يستقطب كثيراً من قصائد معاصريه ، كما كان يرى أنه مسؤول عن تربية الذوق الفني أو على الأقل يميل إلى إشباع رغبة ذاتية لديه في انتخاب الأشعار والموشحات ووضعها في مجموعات خاصة (مثل كتابه جيش التوشيح) ، فكل هذه العوامل شجعت لديه الجانب النقدي ، فظلّ اتجاهه « شعرياً » - إن صحّ القول - حين أصبح اتجاه صاحبه « فكرياً » .

الشعر ظاهرة انسانية :

ويلتقي ابن الخطيب مع نقاد سابقين - وخصوصاً فريق النقاد المتألفين - في قوله إن الشعر بالمعنى

المطلق ظاهرة انسانية لا يمكن ان تحصر ضمن شكل محدد ، فالشعر بهذا المعنى لا يوضع في إطار وزن معين أو قافية مرسومة ، لأنه أوسع حدوداً من ذلك ، وعلى هذا الأساس لا يمكن ان يكون وفقاً على أمة دون أمة أو على صنف من البشر دون غيره . وهو إذن يشمل « الصور الممثلة ، واللعب المخيلة ، وما تأسس على المحاكاة والتخييل مبناه ، ككتاب كليله ودمته وما في معناه » . فما هذا الذي يعنيه لسان الدين بالصور الممثلة واللعب المخيلة ؟ إن كانت الصور لديه تعني الرسم ، واللعب تعني التماثيل والدمى ، فالشعر في نظره هو جماع الفنون ، وإن كانت تلك الصور واللعب تعني ضروب « النشاط المسرحي » في عصره ، وكان أقوى ما يمثلها « خيال الظل » أو لعبة اليهودي « حسب تعبير الأندلسيين ، فالشعر يتناول كل تصوير تعبري قائم على المحاكاة والتخييل .

ولكن هناك مفهوماً للشعر أقلّ شمولاً ، لأنه يقتصر على ما عناء العرب انفسهم حين استعملوا لفظة « شعر » وعنوا بها « كل كلام يحضره الوزن والقافية ، ويقوم الروي بجناحه مقام الخافية » ، فكيف تكون أحكامنا على هذا اللون المحدد من الشعر ؟ عيب أن متذوقاً أراد ان يختار لابنه أو لبعض الناس عدداً من القصائد ، فما هي المعايير التي يعتمد عليها في الاختيار ؟ هنا يطالعنا لسان الدين بفهم دقيق لطبيعة الشعر الذي يحكمه الوزن والقافية ، فهناك شعر مغرق في الشعرية « وهو ما جنح الى التخييل والتشبيه ، وأحلّ الاستعارة بالمحلّ النيبه » وهناك شعر مستحسن مرضي قعد عن التشبث بالاستعارة والتخييل ، وإنما عدته العرب شعراً لخصائص أخرى فيه تميزه ، ولا يجوز ان ننزع عنه اسم الشعر وإن وقع في المنزلة الثانية . وتتميزا هذين النوعين أحدهما عن الآخر يسمى لسان الدين النوع الأول باسم « السحر » ويسمى النوع الثاني باسم « الشعر » (وليته اختار لفظة أخرى ليقبى لفظة « شعر » شاملة للنوعين معاً) .

إن اختيار لفظة « السحر » عودة الى أصول بدائية في تصوير أثر الكلمة التي تستطيع أن تحدث تأثيراً بالغاً (أو تفسيراً للمواقع) ، ثم ارتبط ذلك مع الزمن بالتعبير عن الاعجاب الغامر الذي لا يجد له المتلقي

وحسب من شيوع التغني بالموشحات الأندلسية التي لم تكن تصلح إلا للغناء ، بل هو صادر عن تجربة أثر الغناء بعامة في تعميق تأثير الشعر في النفوس .

أذواق مختلفة :

هل هذا المعيار الذي وضعه لسان الدين قابل للتطبيق على المستوى النظري ؟ كل شيء قد يبدو سهلاً ، ولكن كيف يمكن للناقد أن يفرز ما هو سحر مما هو شعر ؟ لقد أحس لسان الدين بصعوبة ذلك وعبر عما أحسّه بنوع من الاعتذار حين ذكر أن الفرق بين هذين النمطين « كثير الدقة واللطافة » وأحال الأمر على قاعدة النسبية ، وأن ما يراه أحد سحراً لا يجده الآخر كذلك ، وأضاف يقول : « إن أشخاص المحبوبات تقع بينها وبين النفوس التي تكلف بها وتتعلق بسببها علاقات لا تُدرك ، ومناسبات يعجز وعي المدارك عنها فتترك ، وكثيراً ما عُشِق الغُفْل من الجمال لهذا السبب ، وأخلاق نفوس البشر مثار العجب » .

ولا يلبث لسان الدين - بعد هذا الاعتذار - من أن يأخذ نفسه بتطبيق المعيار الذي وضعه ، فهو يميز السحر من الشعر في ستة من الفنون وهي المدح (والفخر لاحق به) والرثاء والنسيب والوصف (على تشعب مذاهبه) والملاح والحكم والجد . وسرعان ما أخذت الصعوبات تواجهه متلاحقة ، فقد شاء أن يفتح باب المدح بمختارات في مدح الرسول ، وفتش وأطال التفتيش فلم يجد قصيدة واحدة أو قطعة من قصيدة يمكن أن تُدرج تحت عنوان السحر ، فلما أعياه الأمر اضطر إلى البحث عن العلة ، فاهتدى إلى أن امتناع وجود « قسم السحر » في مدح الرسول إنما يعود إلى أن الشعر يعتمد المحاكاة والتخييل ، ووقار جناب الرسول ﷺ يهز النفس ويمنع من استرسالها في ذلك ، ولذلك كان أقصى ما يستطيعه الشاعر في ذلك المجال أن يعتمد على نصاعة اللفظ وقصد الحق وقرب المعنى وإثارة الجدل . ولما انتقل إلى باب الفخر لم يجد على أن يقسمه في صنفين : سحر وشعر . فترك تمييز ذلك للقاريء ، لأنه أحس - بزعمه - أن السحر والشعر يتنازعان هذا الباب بحيث لا يمكن من يميز بينهما من خلط أحدهما بالآخر . □

تجسلاً لإزاء نص من النصوص ، وعن الحيرة التي تشعلك ذلك المتلقي وهو يحس بنشوة طافية آثارها ذلك الإعجاب ، وفي مرحلة فنية متأخرة تقترب لفظة « السحر » بالكشف عن « الرائع » أو « الرفيع » أو « المعجز » في الآداب والفنون . ولعل الكثيرين يذكرون موقف الوليد بن المغيرة حين سمع آيات من القرآن الكريم لأول مرة ، فقد رفض أولاً أن يطلق على ما سمعه اسم « السحر » فلما لم يجد لفظة أخرى تؤدي ما يحس به قال : والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق (ويروى لغدق) وإن فرعه لجناة . . . وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو « سحر » .

وفي استعمال كلمة « السحر » كان لسان الدين يستلهم أيضاً الموروث النقدي الأندلسي ، حسبما بلغ إليه من تطور في القرن السابع ، وخصوصاً لدى ابن سعيد المغربي الذي رأى أن ما يستحق اسم الشعر أحد نوعين : وهما المرقص والمطرب . والأول يتمتع بالجدة والغربة ، فلا يعتمد على محض التشبيه بل على « غريب التشبيه » أو غريب الصور ، ويبلغ من تأثيره في المتلقي أن يعبر عن إعجابه بالرقص . والثاني أقل تأثيراً من الأول ، فهو يبحث في النفس هزة ارتياح ونشوة طرب ، ولذلك فهو « مطرب » لكنه لا يخرج المتلقي إلى حال الرقص ، والتفاوت بين النوعين هو التفاوت في درجة الغوص على التشبيه والتمثيل ، فأما ما يجيء بعد هذين النوعين فقد يكون في رأي ابن سعيد من المقبول أو المسموع أو المتروك .

ولا يتركنا لسان الدين نتأول السبب الذي من أجله اختار مصطلح « السحر » للدلالة على تميز أحد نوهي الشعر لديه بل هو يسط ذلك شارحاً . فالسحر حين يسلط على شيء ما ينقل هيئته من حال إلى حال ، وكذلك الشعر ، فتحت تأثيره تتم تحولات ما كانت لتتحقق بدونه : فهو الذي يشجع ويدعو إلى الاقتسام ، ويسهر ويشوم ، ويحبب السخياء إلى النفس ، ويضحك حتى يلهي ، وهذه قوى سحرية ومعان بالاضافة إلى السحر حقيرة ، فمن الواجب أن يسمى المصنف من الشعر الذي يخلب النفوس ويستفزها ، ويثني الأعطاف ويهزها باسم السحر ، ويرى لسان الدين أن قوة الشعر في التأثير وفي إحداث التحولات تزداد إذا اقترنت بالألحان ، وهذا ليس نابغاً

شعر الأصمعي عند العرب

بقلم : د. توفيق الفيل*

قالوا عن الشعر إنه ديوان العرب ، سجل حياتهم . فهل عبر

الشعراء عن جوانب انسانية غير ما عرفناه من الوقائع والحروب

والغزل ونحوه ؟ وهل كان لهم نوع من الكوميديا التي تثير

الضحك ، وتعبّر عن الجوانب الاخرى في الانسان ؟ ذلك ما يتحدث

عنه هذا المقال . .

اليهم مالم يقوموا به من أمور . واذا لحقت بهم الهزيمة
عمل على التماس الأسباب التي يرجع اليها ذلك ،
 وجهد في دفع ما قد يظن بأن ذلك حدث عن تراخ من
قومه ، أو عن وهن في نفوسهم . وأيا كان الرأي
الذي نراه أو يراه غيرنا من الباحثين ، فقد خلف
اسلافنا تراثا غنيا عبروا فيه عن كل نواحي الحياة . .
 ما كان موجودا عنها ، وما تأقت نفوسهم لوجوده .
 فكان من بين هذا التراث ما حين يولد بين الناس في
قوته وضعفه ، في حضوره وغيابه . في تعلقه بغيره .

اتخذ العرب من الشعر قالباً فنيا يعبرون من خلاله عن أفكارهم ومشاعرهم ، ويثبون في ضروبه وبحوره ما يريدون أن ينقلوه للساس . وقد شاع بين الناس أن الشعر ديوان العرب . وعلى الرغم مما نجده في الشعر العربي من تسجيل لوقائع أجدادنا وأيامهم ، وما نقرؤه من حديث عن معاركهم وانتصاراتهم ، تبقى لدينا قناعة بأن الشعراء لم يكونوا يهتمون بالتسجيل فقط ، بل إن الشعر إذا كان الشعر سجلت قوته بالغ نوحا غلبوا ، غلب إذا كان الشعر سجلت قوته بالغ نوحا غلبوا ، غلب

(*) استاذ البلاغة والنقد الادبي المساعد - كلية الآداب - الكويت - دكتورة عن القيم الفنية المستجدة في الشعر المعاصر - له عدة بحوث منشورة في الادب والنقد .

في جده وعزله . . ولعل الجانب الآخر هو ما يعنينا في هذه الدراسة . ذلك لأن مظاهر الحياة والنفس حظيت بكثير من الدراسات ، والتي عليها الباحثون العديد من الأصواء . . لكن الجانب الهزلي من حياة العربي لم يأخذ ما يستحق من الدراسة ، على الرغم من كثرة النتاج الأدبي الذي خلقه القدماء في هذا الجانب .

وعلى الرغم من أن ما خلقه العرب يجعلنا نقف على الشخصية السوية عندهم . فليس صحيحا أن العربي القديم عاش حياته كلها بين طعن القنا ونحق البنود . . . وإذا كان العرب لم يعرفوا « اللهة » كما كانت عند شعراء اليونان من أمثال : اسخيلوس وغيره ممن وضعوا أصول هذا الفن . ليحالجوا من خلاله القضايا عن طريق الضحك . فإن العرب قد عرفوا لونا من ألوان الشعر يهددون به النفوس ، ويثيرون به الضحك . . ولعل أول ما نصادف في هذا المجال . . ذلك الهجاء الذي لا ينحرقه الشاعر منحي هجاء الخطيئة في الجاهلية وصدور الاسلام ، أو منحي شعراء التفاضل الذين كانوا يجعلون شعرهم إلى السباب والقذف أقرب منه إلى الفن بما يرمي إليه من تهذيب النفوس ، وتأديبها وتنقيتها من العيوب التي علفت بها .

وإذا كان الجاحظ قد اثار سخريتنا ، وضحكتنا من أنماط البخلاء التي قدمها في كتابه الجليل ، والتي كشف عن طريقتها كثيرا من المرض النفسي لدى بعض الناس ممن سيطر المال عليهم ، وحولهم إلى عبيد له ، إذا كان الجاحظ قد فعل شيئا من ذلك . . فقد أدلى الشعراء بقلوبهم في هذا المجال : فهذا شاعر يصف بخل صديق له تزل عليه . على الرغم منه . فأنخذ يسأله عن السبب الذي رمى به إليه . وحول الشاعر أن يلتبس فضيلة للسفر من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . لكن المضيف تم له الحديث بما يفيد أنه لن يقدم له شيئا من الطعام . يقول عبدالمحسن الصوري .

واخ مسه نزولي بفسح
مثل ما مسني من الجوع فسح
فيسل لي آتة جواد
والفني بعثريه بخيل وشح

بت ضيفا له كما حكم الدهر
وفي حكمه على الحر قبيح
قال لي إذ نزلت وهو من الك
رة والهم طافح ليس يصحو . .
لم تغربت ؟ قلت : قال رسول
الله والقبول منه فصيح ونجح
« سافروا تغنصوا » فقال وقد قا
ل تمام الحديث « صوموا تصحوا » .

ولعل ما يعنينا فيما نحن بصلحه ، ذلك التلطف في التعبير عن الشح الذي وقر في نفس هذا الرجل ، والحرص الشديد الذي دفعه إلى علم تقديم شيء يسد به هذا الصديق ومقه . . كما تجدر الإشارة إلى هذا النوع من التضمين الذي يلجأ إليه الضيف ، في اظهار جوعه ورغبته في القرى ، والايحاء إلى الصديق بذلك . ويلجأ إليه المضيف في ادخال اليأس في قلب الرجل ، والإشارة إلى أنه لن يقدم إليه شيئا .

لما أبو نصر « كشاجم » فيقدم لنا نموذجاً آخر من نماذج البخل ، وهو ذلك الصديق الذي دعه فكان منه أنه لم يهذه الدعوة . وذهب إليه . وقدم الرجل الطعام لكنه كان في هذا يجاهد نفسه ، ويجعلها على غير ما تبت له ، واستقر في أعماقها من الشح إلى الحد الذي جعله يرى في كل لقمة يتناولها الضيف قطعة من جسمه يأكلها ، ولهذا يتلىء بالقيظ ، ويبس عبه .

لقد كان أبو نصر جائعا ، وهو مضطر إلى أن يأكل . ولم يعد أمامه غير أن يختلس الطعام اختلاسا ويغافل مضيفة متبها لذلك ، وكان يحسن الرقابة ، فينظر إلى الشاعر بغيظ ، ولا يجد صاحبا حيلة سوى أن يعث بالبقول ، ويصطنع اللعب . ولا شك أننا لا نريد أن نقصد على القارئ متعة من جمال التصوير ، وحسن التعبير والتلطف فيه ، وخصوصا حين يصور الشاعر هواجس النفس ورغباتها ، ولما نحيله على هذه المقطورة التي انشأها أبو نصر كشاجم والتي يقول فيها .

صديق لنا من أبرع الناس في البخل
وأفضلهم فيه ، وليس بلي فضل
« صلي » كما يدعوا الصديق صليبه
فجئت كما يلى لمشله مثلي

فلما جلسنا للطعام رأيت
يرى انه من بعض اهلنا
ويغتاض احبنا ، ويشتد عيبه
واعلم ان الغيظ والشتيم من اجلي
فاتقيت استل الطعام خلة
والحفاظ عني رقيب على فعلي
امد يدي سرا لاسرق لقمة
فيلحظني شذرا فاصبت بالبقول
الى ان جئت كفي لحبي جنابة
وقلت ان الجوع اهلني عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة
فجرت - كما جرت يدي - رجلها رجل
وقلم من بعد الطعام حلاوة
فلم استطع فيها امر ولا احلى
وقمت لو اني كنت بيت نية
ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

ولتقف قليلا ننعم النظر في هذه المرأة القبيحة التي
صورها زوجها عظمة البطن مسرطنة ، معوجة
العظام والمفاصل ، مشوهة الخلق منفرة ، تأكل ما
يأتي به زوجها من الطعام ولا تترك له ولا لعياله شيئا
منه ، ثم تضطجع بعد أن تفرغ منه . وهي لا تكفي
بذلك بل تغضب حين يراجعها الزوج فيها بدم منها من
تصرفات وترفع أنفها في استكبار ، وتتوجه اليه
بالحديث محقرة له ، متهمة اياه بما لا تهتم به الكريمة
زوجها .

واذا كان لنا أن نقف عند تعبير أبي دلالة ، وما
يسهم به من رسم هذه الصورة العجيبة لأسرته ،
تلك الاسرة التي تشابه في قبح الوجوه ، وبشاعة
الأساء ، ثم تتفرد فيها الأم بما سلفت الاشارة اليه
من الاوصاف ، ويتفرد الأب بالمهانة والهران على
امراته بل نفسه ، وجلنا تلك الحركة المضحكة التي
تصطنعها (أم الدلالة) حين الرد على زوجها
(واخرنطمت ثم قالت وهي مغضبة) ولا شك أن
هذه الحركة قد زادت من قبح أم الدلالة ، وانتزع
الشاعر بذلك الضحكات من القلوب . ثم نجد من
الالفاظ وشوهد مشتهر وغيرها من الالفاظ التي
جلبها الشاعر من أجل تمهيد صورة القبح عند
زوجها .

فلما جلسنا للطعام رأيت
يرى انه من بعض اهلنا
ويغتاض احبنا ، ويشتد عيبه
واعلم ان الغيظ والشتيم من اجلي
فاتقيت استل الطعام خلة
والحفاظ عني رقيب على فعلي
امد يدي سرا لاسرق لقمة
فيلحظني شذرا فاصبت بالبقول
الى ان جئت كفي لحبي جنابة
وقلت ان الجوع اهلني عقلي
فجرت يدي للحين رجل دجاجة
فجرت - كما جرت يدي - رجلها رجل
وقلم من بعد الطعام حلاوة
فلم استطع فيها امر ولا احلى
وقمت لو اني كنت بيت نية
ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

ويلفت النظر ما يقوم به كل من الرجلين من
حركات تثير الضحك ، فالضيف يغافل لاسرق
والضيف ينظر شذرا ، ويحكم الرقابة ، ويرند
الضيف عما كان عزم عليه من سرقة اللقمة لكن
الجوع يدفعه لحينه ، ويجر رجل الدجاجة ، واذا
بالمضيف يجر رجله ، ويحول بينه وبين ما يريد ،
ويصنع الضيف والمضيف مواقف وحركات كوميدية
تثير الضحك ، وتصور خلجات النفس . ولون آخر
من الران الاضحك يلجأ اليه ابو دلالة ، ويتوجه به
الى الخليفة لينال عظامه ، أو بالاحرى ليخدع به
الخليفة ، وهو يتخذ السخرية من نفسه وزوجه وعياله
ليثير ضحك الخليفة . يقول .

إن الخليط أجدهم البين فانتجعوا
وزودوك جننا لا بش ما صنعوا
والله يعلم ان كانت لبيبتهم
يوم القراق حصاة القلب تصدع
عجبت من صبيتي يوما وامهم
أم الدلالة لما حاجها الجزع
لا يبارك الله فيها من متبهاة
هبت تلوم عيالي بعدما هجموا
وتحن مشبهو الالوان لوجهنا
سود قبح وفي اسمائنا شفع

ويقال إن أبا دلامة حمل إحدى بناته فبالت عليه ،
فقال :

بالتت هلي - لا حييت - ثوب
فبال عليك شيطان رجيم
فبا ولدتك مريم أم عيسى
ولا ربك لقمان الحكيم
ثم قال لأحد جلسائه أجز فقال :

صدقت أبا دلامة لم تلدها
مطهرة ولا فحل كريم
ولكن قد حوتها أم سوء
إلى لبائها وأب لثيم

ولا يسلم أبو دلامة من نفسه ، بل يسخر منها لثير
الضحك ، ويتخلص من مأزق وجد نفسه فيه ،
وذلك أنه دخل على المهدي - فيما يروي أبو الفرج
الاصفهاني - وعنده اسماعيل بن محمد ، وعيسى بن
موسى ، والعباس بن محمد ، ومحمد بن ابراهيم
الامام وجماعة من بني هاشم . فقال له المهدي ، انا
اعطي الله عهدا لئن لم تهج واحدا من في البيت
لاقطعن لسائك - او قال : لا ضربن عتقك - فنظر اليه
القوم ، فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه
رضاء ، فلم يرمقرا من هجاء نفسه ، فقال :

الا أبلغ اليك أبا دلامة
فليس من الكرام ولا كرامة
إذا لبس العمامة كان قردا
وخنزيرا إذا نزع العمامة
جمعت دمامة ، وجمعت لؤما
كذلك اللؤم تتبعه الدمامة
فلن تلك قد اصبحت نعيم دنيا
فلا تصرخ فقد دنت القيامة

يقول أبو الفرج : « لقد ضحك القوم عند سماع
هذه الابيات ، ولم يبق منهم احد إلا أجاز أبا
دلامة » .

لقد كان أبو دلامة يمتاز بخفة الروح ، وحسن
المناخمة ، وكان بطلفه يتنزع الضحكات ، وهو ينتهز
أي فرصة تواتره ليوظفها في هذا السبيل . فما يروي
عنه أن المهدي خرج يوما للصيد ومعه هلي بن
سليمان ، فسمح لها فطبع من الظباء ، فأرسلت
الكلاب ، وأجريت الخيل ، ورمى الخليفة المهدي

ظييا فصرعه ، ورمى سليمان بن علي فأصاب أحد
الكلاب فقتله ، فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدي ظييا
شك بالسهم فزاده
وهلي بن سليمان
رمى كلبا فصاده
فهنيئا لها كل
امرى يأكل زاده

ولم يكن أبو دلامة علما معردا على الاضحاك في
شعرنا العربي القديم ، فنحن نجد من الشعراء من
يقف أغلب شعره على الهزل والسخرية ، ويتعد به
عن أي مظهر من مظاهر الجد ، ويرى أنه بذلك يجبر
نقضا في الحياة ، ويصور جانبها من جوانبها ، فالحياة
ليست جدا خالصا ، بل هي مزيج من الجد والهزل .
ويصور ذلك قول الشاعر :

وللجد مني ساعة لا أضيعها
وللهزل مني والخلاعة جانب
ولا يقلل مثل هذا الشعر من قيمة هذه الأمة ، بل
على العكس من ذلك يكشف عن سلامتها النفسية ،
ويظهر وجهها الحضاري والانساني ، ويبين المدى
الذي وصلت اليه من التفتح والسماحة .
ولعلنا نجد في مثل الحسين بن الحجاج نموذجاً
للشاعر الذي يتخذ من الهزل والسخرية شعاراً له .
ويرى أن شعره في السخف والهزل ضرورة تكتمل بها
الحياة الفنية . يقول :

وشعري سخفه لا بد منه
فقد طبنا وزال الاحتشام
وهل دار تكون بلا كنيف
فيمكن عاقلا فيها القمام
ويقول ...

تراني ساكنا حانوت عطر
فان انشدت ثار لك الكنيف
وعلى الرغم من سقوط الفاظ ابن الحجاج ،
وسخفه في شعره نجد من النقاد من يضعه في مرتبة
بين الشعراء . بل يمتدحه على نحو ما نجد عند
الثعالبي الذي يقول عن ابن الحجاج ، ومناظره في
خروجه « ابن سكرة الهاشمي » : ان زمانا جاد بابن
سكرة ، وابن الحجاج لسخي جدا ، وما اشبهها الا
بجرير والقرظق .

● شعر الاضحك عند العرب

كل العجائب قد سمعت، ولا أرى
أني سمعت لشاعر قرن
قرن يحك به السسيلة، ومثله
فنسب يسزور الخبوت في الأزمان
واذا تحدث أحدثت لهواته
فتسرى الانوف تلوذ بالأردان
وتسرى أخادعه تعط كبارنب
عكفت عليه مناسر العقبان

ولون آخر من ألوان السخرية والاضحك بجده
عند « أبي الشمقمق » فهذا الشاعر يتخذ من الفقر
موضوعا يثير الضحك . انه يحول مأساته الى
كوميديا ، وذلك من خلال المبالغة وخفة الروح اللتين
يصور بها هذه المأساة .

حقيقة تشب عبارة أبي الشمقمق عن الألم ، وتنم
عن الحزن ، لكنها تقتل بالسخرية المرة : يقول
مصورا الفضاء الذي يعيش فيه :

برزت من المنازل والقباب
فلم يعسر على أحد حجاي
فمنزلي الفضاء، وسقف بيبي
سواء الله أو قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيبي
على مسلما من غير باب
لاني لم أجد مصراع باب
يكون من السحاب الى التراب
ومن الواضح أن بيت أبي الشمقمق كان ذلك
الفضاء ، أي أنه لا بيت له يؤويه ، على الرغم من
شاعريته ، وعلى الرغم مما يراه من سيادة من لا
يستحق السيادة . والذي يقول عن مثله :

وراكب فوق طرف
كأنه فوق طرفي
له قذال عريض
يجل عن كل وصف
يلوب شوقا اليه

نعلي ، وخفي وكفسي
وسيادة من لا يستحق السيادة ، وغول أهل
النهاة والعقل كانت من أبواب الفن التي وجد فيها
الشعراء فرصة للتصوير والاضحاك . فهذا الذي
يركب طرفا وهو لا يستحق الركوب لم يسلم من

واذا كان ابن الحجاج قد سحر من تقاليد الفن
الشعري ، ولم يعن بسمو الغرض أو جزالة الالفاظ ،
أو شرف المعنى ، وحول الشعر الى مادة للاضحك
والسخرية ، اذا كان هذا اسلوب ابن الحجاج فان
ابن سكرة الهاشمي قد وجه جانباً من شعره للسخرية
من قبلة سوداء يقال لها « خرة » وقد جعل منها ابن
سكرة هدفاً للمحبة وطرائفه ، وعبث بها وضحك عليها
في مثل قوله :

غشت خيرة يوم العرس حاجبها
بريقها وأتتني وهي محتضبة
فقلت للزوج لا تعمررك همرتها
فأنا القفل موضوع على خربة
كما يقول فيها :

حسي سواك وبثي من وصالك لي
شغلت عنك بمن أهواه فاشتغلي
لا تعذلي علي ماكان من ملل
من ذا يراك فلا يصبو الى الملل
هرمت حتى تناسيت اللحن مما
وصرت مفرغة الاحساظ والمقل
ان كنت أبصرت أشنا منك في بصري
فلا بلغت الذي أهواه من أملي

فهو يجسد ما كانت عليه هذه القبلة من القبح ، أو
بعبارة أخرى هو يرسم لها صورة قبيحة تنفر منها
النفس . ففي ليلة عرسها لا ينسى أن يكشف عن
الدمامة التي حاولت ان تخفيها بالخضاب ، والتي
نصح الزوج بعدم النظر اليها لأنها لا تنم عن حقيقة
هذه القبلة التي تشبه « الخربة » . كما نجده يعود اليها
فيبين كم هي عملة ، ولا يجدها انسان او ينظر اليها
دون ان تحتل نفسه بالملل . . فقد أصبحت هرمة ،
لا تعرف من اللحن شيئا ، وغارت عيناها ولم يعد
شيء أشنا منها . وبلغت النظر تعبيره عن دماستها ،
وكما سخر ابن سكرة من خرة ، واتخذ منها مادة لبث
طرائفه فعل بغيرها . فهو يضحكنا من احد الشعراء
فيجهد في رسم صورة قبيحة له ، ومضحكة في نفس
الوقت ، فلهذا الشاعر قرن وذنب ، ورائحته كريهة
تجعل من يستمع الى حديثه يلجأ الى ثيابه فيسد أنفه
بها ، وأخادعه تعط كما تعط ارنب عكفت عليها
العقبان . يقول :

سخرية أبي الشمقم ، وانتهى به الأمر الى أنه غبي ، هكذا تنبأ الكناية في قول الشاعر له قذال عريض ، وهو يستحق الصنم بالنعيل والخف والكف . على أية حال كان الشعراء يرفضون أن يسود أمثال هذا الغبي الجاهل ، أو أن يظهر مثله في ثياب أهل الفضل والسيادة . وهم قد تصدوا لكل من كان هذا شأنه ، ومزقوا الأستار عن زيفه وجهله . وأبو اسحق الصابي يتحدث لنا عن واحد من هذه الفئة يلبس عمامة مروية ، على الرغم من أنه يحمل رأسا فارغا . يقول :

يأمن نعيم فوق رأس فارغ
بعمامة مروية بيضاء
حسنت وقُبِح كل شيء تحتها
فكأنها نور على ظلمة
لما بدا فيها أظلمت تعجبي
من شر شيء في أجل أنه
لو أنني مُكُنْتُ كما اشتهي
وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها
في رأس حر من خوي العملياء
أما الشاعر : « عبدان الأصمهاني » فيجد ابن أحد
الحلاجين قد سما به دهره ، وارتفع به زمانه ،
وأصبحت تعد له للطايا ، ولم يعد القطن المنذوف
يمسك بوجهه وعينه ، كما لم يعد صوت المحلاج هو ما
يقطع عليه صمته ، فيتعجب من تلك الحال ، ويمجد
القضية في قوله : إن ارتفاع مثل هذا الوضع إنما هو
دليل على اتضاع آخر عالي الهمة ، نابه العقل ،
يقول :

أقول وقد قالوا ابن مأسدة غدا
على مركب لا من حير أبيه
ولا الصوت ، علاج ، ولا السرج لوحة
ولا حب قطن كالشمير بفيه
مقال الوليد البحتري فاته

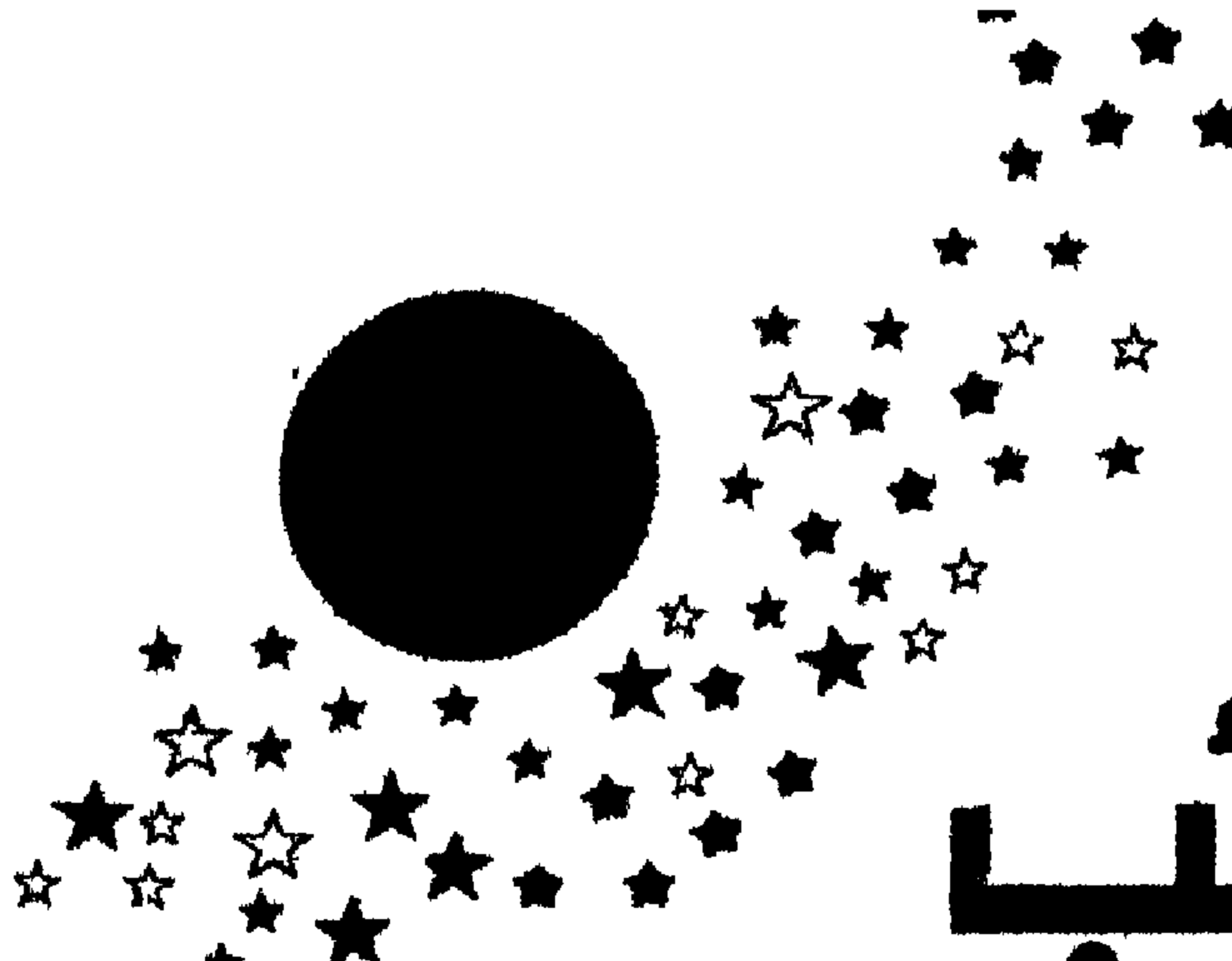
قد انبأنا عن مثله وقويه
(متى لوت السيفيا نباهة خاسل
فلا ترتقب الا حول نبيه)
وإذا كان هذا الشاعر يعتمد مقالة الوليد
البحتري ، ويجعل ارتفاع من لا يستحق الرفعة
يقتضي أن ينحط الرفيع عن درجته ، فإنا نجد
شاعرا آخر يرى في مثل هذه الحالة انكاسا للزمان .
حتى ليصبح وكأنه يمشي على رأسه ، ويرفع رجليه الى
الأعلى . .

لقد أصبح السفل في الأعلى وأصبح الأعلون في
السفل . يقول الشاعر :

أرى زمنا نوكله أسعد أهله
ولكننا يشقى به كل عاقل
مشى فوقه رجلاه ، والرأس تحته
فكَبُ الأوالي بارتفاع الأسافل
ولقد كان الشعراء على صواب في بعض ما ذهبوا
إليه من سخرية ، وما نحسه من المראה في أقوالهم ،
فقد وجدوا في زمان وصل فيه الى سدة الحكم من
قلعت به همته ، ولم تؤهله قدراته لغير التافه من
الأمور . . لقد اشغلوا بالصغائر ، فجعلوا من
أنفسهم هدفا لسخرية الشعراء على نحو ما نجد في
قول أبي الطيب الطاهري ، في أحد الحكماء الذي
شغل عن مصالح الناس بصيد البط :

طال غزو الأمير لبط حتى
ماله من عاداته أقفال
فهنيئاله . . هنيئا مريئا
كل قرن لقرنه قتال
ويدل هذا الشعر بما يشتمل عليه من التضمين على
اتساع ثقافة هؤلاء الشعراء واستحضارهم لشعر
سابقهم ، واسقاط هذا الشعر في الموضع الذي
يلتزمه ، والذي يفتق مع الغاية منه .
وأخيرا يدل هذا الشعر على عمق في الخيال ،
وحسن التلطف في إيراد للمعنى . □

عرف المسلمون مهنة التمريض وإن فيها الكثير من الثواب والتقرب الى الله ،
وقد سموا الممرضات بالأواسي والأسيات ، وذهبوا في ذلك كثيرا حتى أن الإمام
أحمد بن حنبل قال : بأنه يجوز للمرأة أن تخدم الرجل المريض وأن ترى منه عورته .



عجائب

الكون الشلاب

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل الحسن

إن الكون المترامي الأطراف الذي نعيش في جزء صغير جدا منه مليء

بالنجوم والكواكب المنتشرة في هذا الفراغ الهائل ، فمجردتنا « طريق التبانة »

وحدها تحتوي على ما يقرب من (٢٥٠) ألف مليون نجم ، واتساعها يقدر

بحوالي مائة ألف سنة ضوئية فكيف يتظم هذا الكون وما هو السر في ذلك ؟

الكثافة والحرارة والسطوع ، وتعتبر هذه المرحلة في حياة النجم مرحلة متوسطة أو مرحلة الشباب والنضوج إن صح التعبير ، ونمر شمسنا في الوقت الحاضر في هذه المرحلة من التطور ، التي تستمر لعشرات الملايين من السنين ، وتستمر خلال هذه الفترة التفاعلات النووية ، التي تؤدي لإنتاج ضغط حراري هائل داخل النجم ، وتؤدي كذلك لتحصان في كتلة النجم ، وتحول الكتلة المفقودة لطاقة تنتشر في الكون . إن الطاقة الحرارية التي تصلنا من الشمس وتبعث الضوء في أروشنا تنبع من جراه ما تفقد الشمس من كتلتها ، إذ أنها تفقد ما يقرب من أربعة ملايين طن من كتلتها في كل ثانية ، وتحول

هنالك عدد كبير جدا من المجرات المنتشرة في هذا الفضاء الهائل ، والتي قد يصل عددها إلى (عشرة آلاف مليون مجرة) وبالتالي فإنه يتعذر معرفة عدد النجوم والكواكب الموجودة في هذا الكون .

يمر كل واحد من هذه النجوم في مراحل مختلفة من التطور ، فيبدأ النجم بالتكون من سحب من الغبار تتكون أساسا من غازي الهيدروجين والهيليوم ، وهما أبسط الغازات المعروفة ، ويكون النجم في مرحلة التكون هذه باردا نسبيا وكثافته صغيرة جدا ، وتبدأ طاقة النجم الحرارية بالزيادة بتعاقب ومرور ملايين السنين ، وتبدأ أيضا داخل النجم تفاعلات نووية تزيد من درجة حرارته ، وتحول إلى نجم متوسط

هذه الكتلة المفقودة إلى طاقة تنتشر في الكون ، ولا يصل إلى كوكبنا إلا جزء صغير جداً منها .

تفاحة نيوتن والجاذبية

إن قوة الجذب بين الأجسام المختلفة معروفة منذ القدم ، ولقد استقطبت هذه القوة تفاحة نيوتن الشهيرة ، وتعتبر هذه القوة أصغر وأضعف القوى الأربع المعروفة في الطبيعة ، ولا يكون تأثيرها محسوساً إلا إذا كانت كتل الأجسام ضخمة كما هو الحال في النجوم والكواكب ، ولكن لا تؤثر هذه القوة على النجم عندما يكون في مرحلة الشباب ، لأن الضغط الحراري الهائل والنتائج عن احتراق وقوده النووي يعادل قوة السحب نحو الداخل ، ويبقى النجم في حالة اتزان خلال هذه المرحلة .

ومع مرور السنين يستنفد النجم وقوده النووي ، ويتمد بالتالي حدة التفاعلات النووية بداخله ، ولا يستطيع توليد الضغط الحراري الهائل واللازم لتوازن قوة الجذب أو السحب نحو الداخل ، ويخضع النجم في هذه المرحلة التي تعرف بمرحلة النهاية والقضاء إلى قوة سحب نحو المركز ، تؤدي لانفجار وانكماش النجم على نفسه ، فيصغر حجمه وتزداد كثافته وتزداد أيضاً سرعة التحرر ، أو سرعة الانفلات من مجاله الجذب ، وتعرف هذه السرعة بأنها أقل سرعة لازمة لانطلاق جسم من على سطح النجم ، لكي يغادر المجال الجذب للنجم نهائياً ولا يعود إليه .

ويعتمد المدى الذي ينكمش إليه النجم في مرحلة النهاية على كتلته ، وهناك ثلاث حالات مختلفة :

الحالة الأولى : إذا كانت كتلة النجم تساوي كتلة الشمس أو تزيد عنها قليلاً (يجب أن لا تزيد كتلة النجم عن سبعة أضعاف كتلة الشمس) فإن انكماش النجم على نفسه يؤدي لزيادة الكثافة بشكل كبير ، وإنتاج ضغط داخلي في النجم ، وهذا الضغط ليس له علاقة بدرجة الحرارة ، ولكنه يتج بفعول وجود الإلكترونات السريعة ، يتعادل هذا الضغط اللاحراري عند مرحلة معينة من الانكماش مع قوة الجذب الداخلي ، ويصل النجم لحالة من الاستقرار بعد أن يكون قد صغر حجمه كثيراً جداً ، يسمى هذا النوع من النجوم بقزم أبيض وتكون كثافته كبيرة

جدا ، وقد تصل إلى مليون مرة أكبر من كثافة الماء ، إن هذا يعني أن ما يملأ علبة ثقلاب عادية من مادة هذا النجم قد تصل كتلته لأكثر من ٢٥ طناً ، ويتوقع علماء الفلك وجود مئات الآلاف من هذه النجوم ، ولقد اكتشف منها بضعة مئات حتى الآن .

الحالة الثانية : إذا كانت كتلة النجم أكبر من الحالة السابقة أي حوالي ضعف أو ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، ولكنها لا تزيد عن ذلك ، فإن قوة الجذب التي تسبب الانكماش تكون أكبر كثيراً من الحالة السابقة ، ولا يستطيع الضغط الإلكتروني معادلتها أو إيقافها ، بل تحطم هذه القوة التركيب الإلكتروني للذرات ، وتتصور بعض العلماء أن هذه القوة تدمج الإلكترونات الذرية مع البروتونات النووية ، وتحولها معاً إلى نيوترونات ، وتصبح مادة النجم عبارة عن نيوترونات مترصة بعضها بجانب البعض ، ويترن النجم بعد أن تصبح كثافته عالية جداً ، وتساوي كثافة نواة الذرة ، إن كثافة مثل هذه النجوم أكبر بمائة مليون (مليون مليون) مرة من كثافة الماء ، والمدهل أن كتلة ما يملأ صندوقاً أو علبة الثقلاب العادي من مادة النجم النيوتروني قد تصل إلى (المين وحسمائة مليون طن) ، ولقد اكتشف حتى الآن ما يزيد عن ٣٠٠ نجم نيوتروني ، وتبين أن هذه النجوم ترسل نبضات قصيرة السعة ، وتختلف من نجم لآخر ، ولكنها غاية في الدقة ، وتصل دقتها إلى واحد من مليون من الثانية ، ولذلك تعتبر كساعات كسوية ، والسبب الحقيقي لهذه النبضات غير معروف ، ولكن يعتقد أنها تنتج بسبب الكثافة العالية والدوران السريع لهذه النجوم . ولقد اكتشف أول نجم نيوتروني عام ١٩٦٧ .

الثقوب السوداء

الحالة الثالثة : إذا كانت كتلة النجم تزيد عن ثلاثة أضعاف كتلة الشمس ، فإن قوة الجذب نحو الداخل (عندما يفقد النجم وقوده النووي) هائلة ، ولا يمكن إيقافها ، وينكمش النجم إلى حجم صغير جداً بالنسبة لحجمه الأصلي ، ولدرجة أن سرعة الانفلات أو التحرر من مجاله الجذب (والتي تزيد مع نقصان نصف القطر) تصبح أكبر من سرعة الضوء ،

وكروسي وحيوان و

هل هي موجودة حقاً ؟

والسؤال الذي لا شك أنه يتبادر الى الذهن الآن هو : هل هذه النجوم الغريبة موجودة فعلاً ؟ وكيف يمكن الكشف عنها والتعرف عليها اذا كانت لا ترى ولا يمكن أن يفادها شيء ؟ إن الكشف عن الحفر السوداء - من الناحية النظرية - سهل وذلك من خلال مجاها الجذبي الكبير الذي يؤثر على جميع الأجسام المحيطة بها ، ولكن ذلك صعب من الناحية العلمية ، وخصوصاً اذا كانت الفجوة السوداء عبارة عن نجم مفرد ، ويعود ذلك لبعدها الشاسع عن مجموعتنا الشمسية ، حيث يتوقع علماء الفلك أن تكون الفجوات السوداء - ان كانت حقيقة - على بعد ملايين السنين الضوئية من مجموعتنا الشمسية ، أما اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج - Dou-ple star ، وهذا ما يتوقعه علماء الفلك ، فإن الكشف عنها يصبح ممكناً ، وذلك بدراسة طيف النجم المرئي في أوقات مختلفة ، وباجراء بعض القياسات الفيزيائية التي يمكن من خلالها استنتاج كثير من صفات النجم ، مثل درجة الحرارة والتكوين والكتلة ونصف القطر وغير ذلك ، ويمكن معرفة ما اذا كان هنالك جزء غير مرئي تابع للنجم ، أي حفرة سوداء أم لا .

والاحتمال الآخر - اذا كانت الحفرة السوداء جزءاً من نجم مزدوج - أن يؤثر المجال الجذبي الكبير للحفرة السوداء بقوة هائلة على الغاز الذي يتكون منه الجزء الثاني من النجم ، ويجذبه نحو الحفرة السوداء ، وعند وصوله اليها ترتفع درجة حرارته بشكل كبير ، وتصدر منه أشعة سينية X-Ray ، ومن أشهر النجوم التي يُعتقد انها حفرة سوداء مجموعة نجوم تدعى كوكبة الدجاجة ١ - Cygnus حيث قرر الباحثون أن احتمال كونها حفرة سوداء هو ٩٠٪ ، ولكن الدليل غير قاطع على أنها كذلك .

وتبقى الحفر السوداء أغرب ما انتجته النظريات العلمية على الإطلاق ، ويتسابق علماء الفلك في مختلف أنحاء العالم لاثبات وجودها بصورة علمية وقاطعة ، ولكن بدون نتيجة حتى الآن . □

والتي تساوي ٣٠٠ ألف كيلومتر / ثانية ونعتبر الحد الأقصى للسرعات ، ان هذا يعني أن الضوء لا يستطيع أن ينطلق أو يتحرر من هذا النجم بل يتجزأ بداخله ، وهو نتيجة لذلك لا يمكن أن يُرى ، لأننا نرى الأجسام من خلال الأشعة التي تصدرها ، أو تنعكس أو تشتت عنها ، فهو لذلك أسود ، ولا يمكن أن يُرى ، ويطلق على هذا النوع من النجوم اسم ثقب أو حفرة سوداء black hole ، وسبب التسمية واضح ، اذ ان هذا النجم لم يعد جزءاً من الكون ، بل اخفى أو انتهى ، وترك مكانه حفرة أو فجوة ، وهو أسود لأن الضوء لا يمكن أن يفادها وهو بالتالي لا يرى .

اذا تحول نجم كتلته عشرة أضعاف كتلة الشمس الى حفرة سوداء فإن هذا النجم يصبح عبارة عن كرة ذات كثافة عالية جداً وغير مرئية ، ويقل نصف قطرها قليلاً عن ثلاثين كيلومتراً ، علماً بأن نصف قطر الشمس يقرب من حوالي ٧٠٠ ألف كيلومتر ، وهذا قد يوضح لنا المدى الذي تنضغط اليه المادة في الحفرة السوداء ، وللتوضيح أكثر نأخذ الكرة الأرضية كمثال علماً بانها لا يمكن أن تتحول - من ناحية نظرية على الأقل - الى حفرة سوداء ، وذلك لأن كتلتها أصغر من كتلة الشمس ، ولكن اذا تخيلنا أنها تحولت الى حفرة سوداء (مثلاً بفعل ضغط خارجي كبير جداً يؤثر على سطحها الخارجي) فإن هذا الكوكب الضخم بما عليه من جبال وبحار ومدن وغير ذلك يتحول الى كرة صغيرة وأصغر من كرة تنس الطاولة (كرة البنج بونج) ، قد يبدو هذا الكلام خصباً من الخيال ، وليس من العلم في شيء ، لأن العقل لا يستطيع أن يتصوره ، وهذا ما عناء البعض عندما قالوا إن الحفر السوداء تحول العلم الى خيال .

لا أحد يعرف شيئاً عن تركيب المادة داخل الحفرة والفجوة السوداء ، لأن ما يدخلها مفقود ولا يمكن أن يعود إطلاقاً ، ولكن نتيجة لانضغاط المادة بصورة كبيرة جداً ، وارتفاع الكثافة بصورة غير مألوفة ، فإن تركيب المادة في هذا النجم الغريب يختلف بالتأكيد عن تركيب المادة المعروفة ، ويُعتقد أن الأشياء تفقد ماهيتها وأصلها في داخل الحفرة السوداء ، ولا يمكن التمييز والتفريق بينها ، وتصبح جميعاً بعد دخولها سطح الأفق وكأنها شيء واحد لا فرق بين شجرة

والد



قصة : اناييس نن

ترجمة : محمود منقذ الهاشمي

وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٨٣ ومن أشهر أعمالها «اليوميات» وعدد من الروايات منها «القلب ذو الحجرات الأربع» و«أولاد القطرس» و«عين في منزل الحب» و«الملصقات»

وخلال سنواتها الأخيرة حاضرت في فترات متقطعة في جامعات الولايات المتحدة، وفي ١٩٧٣ نالت الدكتوراة الفخرية من كلية فيلادلفيا للفن، وفي ١٩٧٤ انتخبت عضوا في الجمعية الوطنية للفنون والآداب. وتوفيت سنة ١٩٧٧. □□

ولدت اناييس نن في باريس سنة ١٩٠٣، وهي من أصل إسباني وقد أمضت طفولتها في أقطار أوروبية متعددة، وفي الحادية عشرة من عمرها غادرت باريس لتعيش في الولايات المتحدة، وبدأت تكتب بالانكليزية وهي في السادسة عشرة، نشر كتابها الأول في الثلاثينيات. وتحظى كتبها الآن بشعبية كبيرة سواء بين الطلبة أو الجمهور العريض. وقد ترجمت أعمالها إلى ٢٦ لغة، والكتاب الذي ترجم لها إلى العربية هو «رواية المستقبل» الذي صدر عن



كنت منهكة، وعروقي تتفخ في توتر، جاهدت بكل كيان، جاهدت كأنني أردت أن يخرج هذا الطفل من جسدي وينطلق في عالم آخر.
«اضغطي، اضغطي بكل قوتك».
أكنت اضغط بكل قوتي؟ كل قوتي؟
لا، فجانب مني لم يشأ أن يضغط على الطفل ليخرج، وعرف الدكتور ذلك، وهذا هو سبب

قال الدكتور «الطفل ميت».
أنا ممثلة على منصة ليس لدى مكان أريح عليه ساقاي، على أن أبقيهما مرفوعتين، انحنيت فوقي عرختان، وأمامي جلس الدكتور الذي له وجه امرأة وعينان ناشتان بال غضب والخوف. ظللت ساعتين أبذل جهدا عنيفا. وكان للطفل في داخلي ستة أشهر من العمر، ورغم ذلك فهو كبير جدا بالنسبة إلى.



البرد ، فتلتقطه أيد غريبة ، ويدفن في أمكنة غريبة ،
ويضيّع ، ويضيّع ، ويضيّع ، وعرف الدكتور
ذلك . كان قبل بضع ساعات يتم بي ويخدمني ، وهو
الآن غاضب ، وأنا غاضبة وغضبي الأسود هو على
هذا الجانب من السدي رفض أن يضغط ، أن
يفصل ، أن يفقد .

« اضغطي ، اضغطي ، اضغطي بكل قوتك »
ضغطت بغضب ، بياس ، باحتياج ، أشعر أنني
سأمت من الضغط ، كمن يلفظ آخر أنفاسه ، ذلك
أنني وعدت أن أخرج كل مائي داخل ، وأن أخرج
روحي في السماء المحيطة بي ، وأعطي قلبي في

غضبه العامض . « كان يعرف » جانب مني متمد
بسلية ، لا يود أن يقذف أي شيء ولا حتى هذا الجزء
الميت مني ، ليخرج إلى البرد ، ليخرج من كل ما
أختار أن يحتفظ ، ويهدد ، ويعاقب ، ويحب ،
كل ما حل في ، وثأير ، وحى ، كل ما سر في العالم
كله بحنانه المقد ، هذا الجانب مني لا يريد أن يدفع
الطفل إلى الخارج ، ولو مات في داخل ، ولو هدد
حياتي لما استطعت أن أقطعه ، أنزعه ، أنفصل عنه ،
أنتزل عنه ، أنفتح وأتوسع وأخل عن هذا الجزء من
الحياة الذي هو جزء من الماضي ، وهذا الجانب مني
تمرد على طرح الطفل ، لو أي شيء ، لثلا يخرج إلى

داخلها ، وأن يفتح جسدي ويرفع الدخان ،
وأشعر بالحدة القصوى للصوت .

مالت الممرضات عليّ وتحدثن مع بعضهن حين
أخذت استراحة ، ثم ضغطت حتى سمعت عظامي
تطلق عليّ ، حتى انضخت عروقي . اغمضت عيني
فرايت بصعوبة ومض الأحمر والأرجواني وأواجه .
وكان في اذني اضطراب قرع متكرر كأن الطبله
ستتمزق . أغلقت شفتي بإحكام شديد فصار الدم
يقطر ، كانت ساقي تشعان بثقل شديد ، كأنها
عمودان من الرخام وكعمودين هائلين من الرخام
تعصران جسدي . فأخذت التمس أن تمسكها
أحداهن . ووضعت الممرضة ركبتيها على بطني
وصاحت : « اضغطي ، اضغطي ، اضغطي »
وتصبب عرقها على .

وراح الدكتور يذهب ويجيء بغضب ، بنفاد صبر
« سنمضي الليلة كلها هنا ، مضت الآن ثلاث
ساعات . . . »

كان الرأس ظاهرا ولكنني كنت مغمى عليّ ، وكان
كل شيء أزرق ، ثم أسود ، والالات تومض امام
عيني . والسكاكين مشحونة في اذني . الجليد
والصمت ثم سمعت اصواتا تتحدث الى اولا بسرعة
بالغة لأفهم ، وانشقت الستارة ومازالت الاصوات
تتمثر ببعضها وتسقط سريعا كالشلال ، ذي
البروق ، وتخرق اذني . وكانت المنضدة تدور بلطف
وتدور . والنسوة يتمددن في الهواء ، والرؤوس
الرؤوس معلقة حيث علقت المصابيح الكهربائية
البيضاء . وظل الدكتور يسير ، وتحركت المصابيح ،
واقتربت الرؤوس ، اقتربت كثيرا ، واقبلت
الكلمات شديدة البطء .

كن يضحكن وكانت إحدى الممرضات تقول :
« حين وضعت أول طفل لي تمزقت اربا اربا ،
فخاطوني من جديد ثم وضعت طفلا آخر ،
فخاطوني ، ثم وضعت طفلا آخر . . . »

وقالت عرضة أخرى : « ولأدني مرت كمرور
المغلف في صندوق البريد . ولكن بعد ذلك لم يشأ
الكيس أن يخرج . لم يشأ الكيس أن يخرج . يخرج
يخرج »

لماذا يكررون انفسهن ، والمصابيح تدور ،
وخطوات الدكتور سريعة جدا ، سريعة جدا .

« لا تستطيع أن تجهد نفسك أكثر ، الطبيعة
لاتساعدنا في ستة أشهر ، يجب أن نحقق مرة
أخرى . . . »

احسست بالأبرة تنغرز ، كانت المصابيح ساكنة ،
والجليد والزرقة اللذان كانا يحيطان بي ، اخترقا
عروقي ، وقلبي خفق بشدة . وكانت الممرضات
يتكلمن : « الآن طفل السيدة ل الذي كان سوف
يظن أنها صغيرة جدا في الأسبوع الماضي سيراهامرأة
ضخمة على هذا الشكل » امرأة ضخمة على هذا
الشكل . . . وظلت الكلمات تدور ، كأنها في اسطوانة
كن يتكلمن ، كن يتكلمن ، كن يتكلمن .

أرجوكم امسكوا بساقي ، أرجوكم امسكوا
بساقي ، أرجوكم امسكوا بساقي ، أرجوكم امسكوا
بساقي ، انا مستعدة من جديد . وبالثقاة رأسي الى
الوراء استطيع أن أرى الساعة . جاهدت أربع
ساعات ، أفضل أن أموت . لماذا اعيش واجاهد
يأس ؟ لم استطع أن اتذكر لماذا علي أن اعيش . لم
استطع أن اتذكر أي شيء . كان الدم والام هما كل
شيء . علي أن اضغط ، علي أن اضغط ، تلك هي
النقطة السوداء الثابتة في الأبدية . عند نهاية نفق
طويل مظلم وصوت بقول : « اضغطي ،
اضغطي ، اضغطي » وركبة على بطني ومرمر ساقي
يعصرني والرأس كبير وانا علي أن اضغط .

أنا اضغط أم أموت ؟ الضوء في الأعلى ، والكرة
الضخمة التي تتوهج بالضوء الأبيض تشربني .
تشربني بتمهل وتنشربي في المكان . ولو لم اغمض
عيني لشربتي كل . اتسرب الى الأعلى ، في خيوط
جليدية ، شديدة الخفة ، ومع ذلك فالنار في
الداخل ، والاعصاب تدور ، وليس من بقية لهذا
النفق الطويل الذي يجبرني ، ام اني اضغط نفسي
لاخرجها من النفق ، ام ان الطفل يخرج مني ، ام ان
الضوء يشربني ؟ انا أموت ؟ الجليد في العروق ،
قطعة العظام ، الضغط في الظلام ، بمسلة صغيرة
في عيني كحد السكين ، الاحساس بسكين يقطع
الجسد ، الجسد في مكان ما يتمزق كأنما يحترق
باللهب ، في مكان ما يتمزق جسدي والدم ينفوخ .

وبدأت الممرضات يتحدثن من جديد . قلت : دعوني وحدي ، وبسرعة بالغة وضعت كلتا يدي على بطني ، وبأنامل قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت قرعت على بطني بشكل دائري هنا هناك بسرعة بعينين مفتوحتين في صفاء كبير . الدكتور يقترب وعلى وجهه انشدهاء . الممرضات صامتات . . . قرع . . . قرع . . . قرع . . . قرع . . . قرع . . . أنا مستعدة ، الممرضة تضغط ركبتيها على بطني والدم في عيني ، نفق ، اضغط ، في هذا النفق ، واضع شفتي واضغط . هناك نار وجسد يتمزق وماس هواء ، الخروج من النفق ، كل جماعي تراق . اضغط ، اضغط ، اضغط ، انه آت . انه آت . انه آت . احس بالانزلاق ، ذهب الثقل . أسمع اصواتا ، أفتح عيني ، اسمعهم يقولون : « انها طفلة صغيرة ، الافصل الانريها اياها » تعود كل قوتي ، أنهض في حلستي ، فيصيح الدكتور « لاتنهضي » . « أربي طفلي » .

تقول الممرضة : « لاترها اياها فستكدر » تحاول الممرضة أن تعيدي الى الاستلقاء . قلبي يحقق بشكل مرتفع فأكاد لاسمع نفسي وأنا أكرر : « أربي الطفلة » . فيمسكها الدكتور ويظهرها لي ، انها تبدو قائمة وصغيرة ، كرجل مصغر جدا . ولكنها طفلة انثى ، لها اهداب طويلة على عينيها المغمضتين ، وقد خلقت خلقا سويا وتكلا لا يكاملها بمياه الرحم . □

وأنا اضغط في الظلام ، في الظلام المطبق . اضغط حتى تنتفخ عياني وارى الدكتور يمسك بأداة طويلة يفرزها في بسرعة فيجعلني من الألم أصرخ . صيحة حيوان طويلة . ويقول للممرضة : هذه ستجعلها تضغط ، ولكنها لاتجعلني كذلك انها تشلني بالآلم . ويود أن يعيد الكرة . فأنهض جالسة واصيح فيه بعصب شديد لاتحاول ذلك مرة اخرى ، لاتحاول وتدفعني حرارة غصبي ، ويذوب كل الجليد والوجع في الغضب . وبالفريزة شعرت أن مافعله ليس ضروريا ، وانه ماقام بذلك الا لانه مختاظ ولان عقارب الساعة ماتزال تدور ، والفجر آت ، والطفل لم يأت ، وانا افقد قوتي والحقنة لاتحدث السوية .

انظر الى الدكتور يسرع في السير ذهابا وايابا ، أو ينحني ليطر الى الرأس الذي يظهر حاسرا . ويبدو مرتبكا ، كأنه امام لغز وحش ، ويربكه هذا الصراع . ويود أن يتضارب مع ادواته ، على حين اني اصارع مع الطبيعة ، ومع نفسي ، ومع طفلي والمعني الذي وضعته فيه ، مع رغبتني في أن اعطي وان احتفظ ، في ان أبني وأن افقد ، وان احيا وأن اموت ، لأداة تعيي . عيناه عاضتان . يسود أن يأخذ سكيبا ، وعليه أن يراقب ويستظر .

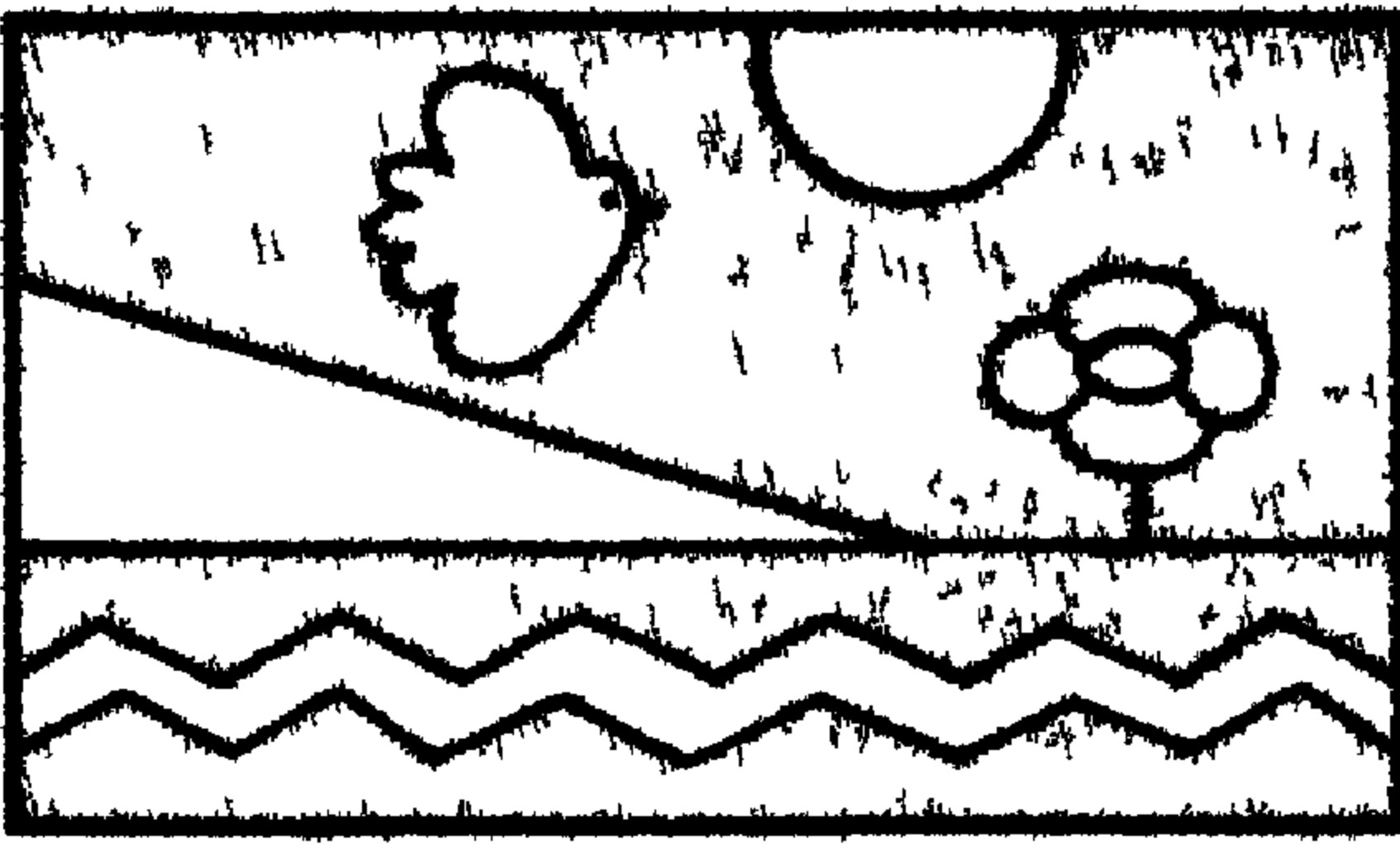
وطوال الوقت اريد أن اتذكر لماذا يجب أن اعيش ، كل اوجاع ومامن ذكرى ، وكف المصاح عن شربي ، وارهقني أن التحرك ولو نحو الصوء ، أو أن استدير لانظر الى الساعة ، وفي داخل جسدي ، نيران ، احتراقات ، والجسد يتوجع . والطفل ليس طفلا ، انه شيطان يخنقني ، والشيطان يضطجع جامدا عند باب رحمي ، يسد الحياة ، ولا يستطيع التخلص منه .

قال طاغور :

ان الله حين اراد أن يخلق حواء من آدم لم يخلقها من عظام رجله حتى لا يدوسها ، ولا من عظام رأسه حتى لا تسوده ، وانما خلقها من أحد اضلاعه لتكون مساوية له قريبة الى قلبه .



طاغور



سرامية البشيرية فجب سرامية البيئية

الفرع من « القات » في العاصمة البريطانية

اتحاد الاحراءات الحادة المناسبة في الوقت المناسب ،
واسرى الاطباء والمحتصون يتحدثون عن
القات والادى الذى يلحقه بالدمى عليه .
فذكر أحدهم أن القات منه وأن أثره يشبه كثيرا أثر
الامفيتامين وهو منه اصطناعى قد يؤدي الى
الموت . اذا تناول المرء كميات كبيرة . ويشير
هذا الطبيب الى اليمى الذى صرعه القات والذى
عالجه في مستشفى ليبربول .

وتحدث طبيب آخر عن المصاعف النسيجية التى
يحدثها الادمان على القات . والتى تشمل فيما تشمل
روح العدوان والريية والخرع . وأكد هذا الطبيب
أن القات ادمانى بالمفهوم السيكلوحي ، ان لم يكن
بالمفهوم السيكلوحي أيضا . . . وانه قد يسبب الذهان
والذهان آفة عقلية كالحنون - للمدمى عليه . .
هذا الى جانب الاوهام والاصاليل التى تجعلهم
يشعرون وكأنهم مصطهدون . .

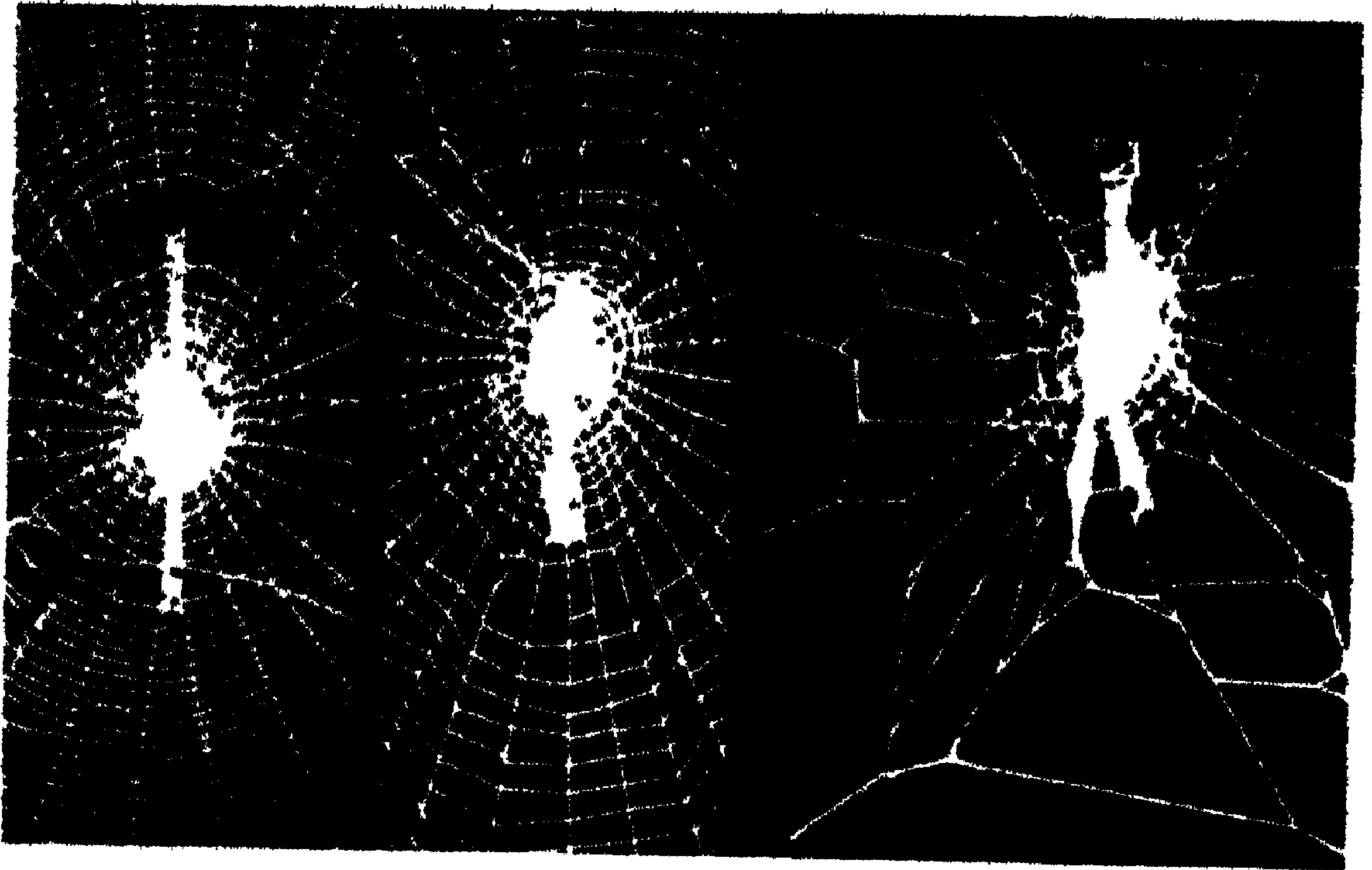
وأشار طبيب ثالث الى ما يسببه الادمان على القات
من أمراض الاسنان وتشمع الكبد والعقم
الخنسى . . ساهيك بارتفاع ضغط الدم والصداع
النصفى ونزيف المخ ، أما الآفات التى يسببها القات
للجهاز الهضمى فلعلها أكثر شيوعا من كل ما ذكرنا
وهي في منأى عن كل شك ويُذكر هذا الطبيب بأن
هذه الاضرار كلها قد ورد ذكرها في تقرير هيئة الأمم
صدر سنة ١٩٨٠ . . .

والجدير بالذكر أن القات محطور في أكثر البلدان

ما كنا لتعرض للحديث عن القات - وهو
موضوع حساس للغاية - لولا قصة تسره الى
العاصمة البريطانية في مطلع هذه السنة
(١٩٨٥) . والقصة معروفة للجميع ولا ريب .
ولسا بحاجة الى أكثر من الاشارة الى أن التاجر
المستورد لورق القات انما هو عربى يعي يعيش في
لندن ، وأن أكثر عملائه إنما هم من الجاليات العربية
والجالية اليمنية بصفة خاصة . وان الشحنة
الاسبوعية التى يستوردها بالطائرة صم صناديق
كرتون . . يبلغ وزنها الاجمالى ٥٠ كيلو . لا تلت
أن تعد كلها قبل وصول الشحنة التالية بأيام . هذا
بالرغم من أن الرزمة الواحدة (٢٠٠ غرام) أو ما
يكفى لتعزينة واحدة ، كما يقولون ، تناع في لندن
بحمسة جنيتها استرلينية :

الا أن ما يلفت النظر في هذه القصة هو القلق
والفرع الذى عم الاوساط الصحفية والحكومية في
لندن . . فقد انطلقت الصحف . . الصنداي تايمز
خاصة . . نشرت من المعلومات الاضاحية عن
القات ما قد لا يجده المرء في أكبر المراجع .

وتحدث بأصراره ومخاطره . . وحدرت الحكومة
البريطانية من مخسة السكسوت على استيراده
واشتاره . . هذا على الرغم من أن الصحيفة تؤكد
أن شراب القات ما زال وقتها على الجاليات العربية حتى
الآن . . وكان للمضجة أثرها فقد علق تالوق رسمي
بلسان وزمرة الداخلية على هذا الموضوع بقوله : « لم
نر شيئا من القات حتى الآن . . ولكننا لن نتردد في



• تفك المخدرات بالجهاز العصبي المركزي . انظر كيف اخفق العنكبوت في نسج بيته
فعلت القمص على الاتسجام وذلك بسبب المخدر الخفيف الذي أعطوه اياه بمقتدير ضئيلة .

فقد حظرت المملكة السعودية منذ نحو ثلاثين عاما ..
وعرضت عقوبة السجن لمدة ٢ - ١٥ سنة ، على
المخالفين ، وقد حظرت اليمن الشعبية الجنوبية في
أواخر السبعينيات ولكن هذا الحظر غير شامل ..
والقات مباح هناك في أيام الخميس والجمعة ..
وحظرت الصومال أيضا سنة ١٩٨٣ ..

أخبار هامة للمدخنين :



يجب للبعض أن الحسبث عن أضرار
التدخين حيث عشوائي لا يستد لي حقائق
علمية ثابتة ولا يعلو كونه دعاية يقصد منها
تغيير الناس من حالة التدخين . ولعل في الآلة
للدخنة التي ترأعا في الصورة طيلا على خطأ
لذلك البعض .. فهذه أجهزة وآلات صممتها
وابتكرها العلماء ، لأجراء التجارب العلمية
الدقيقة ، وقد كاد لها التعيب الأول في
الكشف عن أضرار التدخين ، وما يحويه من
طيران ونيكوتين وغير ذلك .

الحديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعلابي

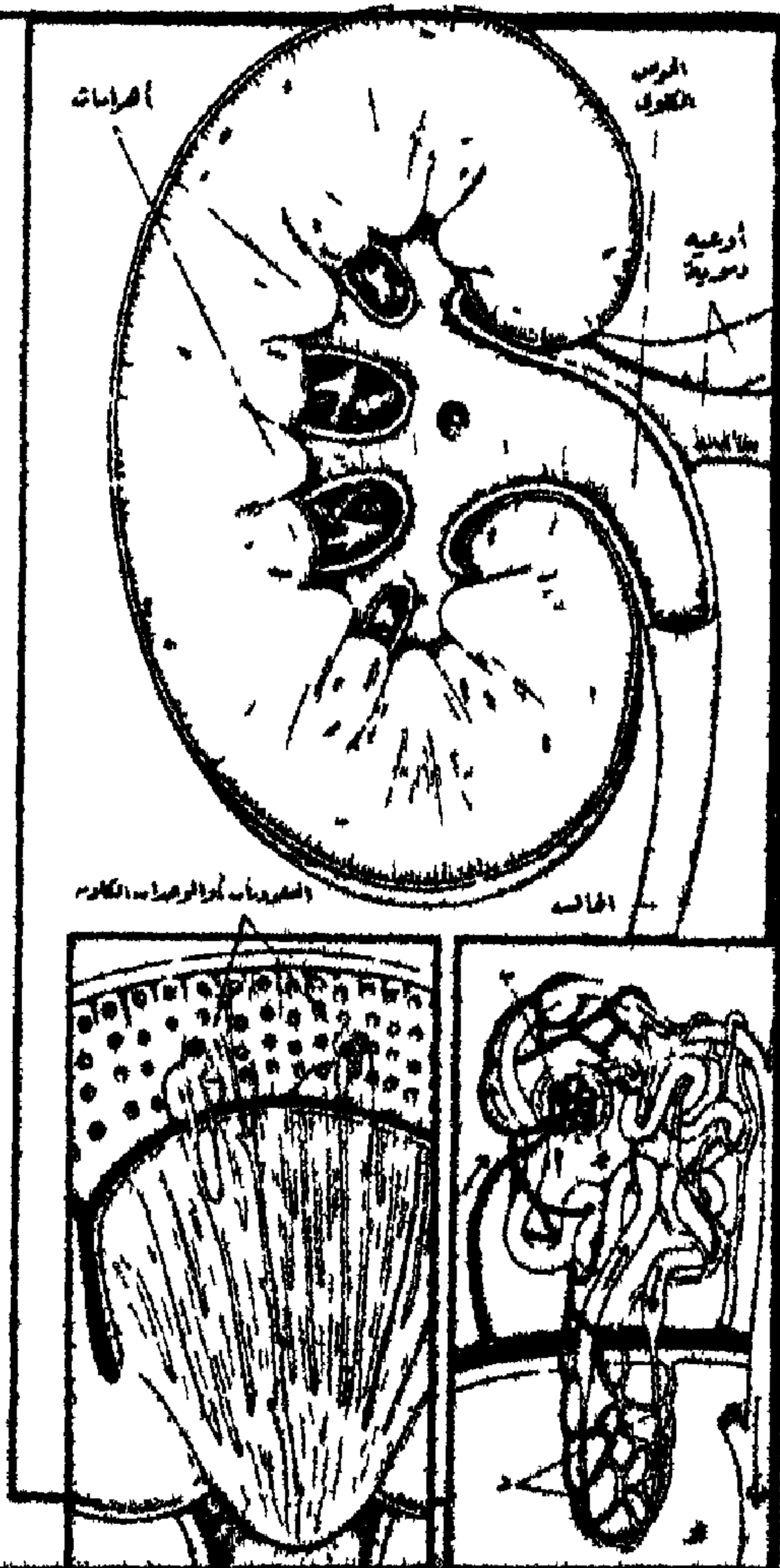
الكلى وكيف

تعمل ؟

هل تعلم أن الكليتين تحتويان على
أساليب صغيرة يبلغ طولها ٦٠
كيلومترا ؟ وهل تعلم أسماها تسطغان
وترشحان مايلع حجمه ١٨٠٠ لتر من
الدم - دم الانسان - يوميا ، ولا تريد
حصىلة هذا التطيف والترشيح مجموعها
على ١.٥ لتر فقط ؟

فيها اذن مصفاة الدم . . وان كانت
الكلى تقوم بأعمال اخرى غير التصفية
هذا والكليتان لا يريد طولها على ٤
ساعات ، وورثتها ٥ اوصاب ، وهما
تقومان بتصفيه الدم عدة مرات بالوسط
(٣٦ مرة) كل ٢٤ ساعة وتقومان
بهذه التصفية لتعزلا الساميات وحسوبا

السفروسات في
الكلى ، او الوحدات
الكلىية هي التي تقوم
تنظيف الدم وتوحد
هذه السفروسات فيما
يسمى بأهرامات
الكلى وهي تقوم
بوظيفتها كما يلي
نقل الاوعية (أ) الدم
من وإلى الكبيبات
(ب) ، حيث يجري
سحب الماء وحرثيات
اخرى من الدم الى
كسولة بومان (ج) ثم
يمر عبر اساليب دقيقة
متصلة بمقعدة مثل (د)
وتعود اكثر المادة السائلة
الى مجرى الدم ثانية
ويذهب المتبقى الى قناة
التجميع (هـ) ثم يجري
الفرار



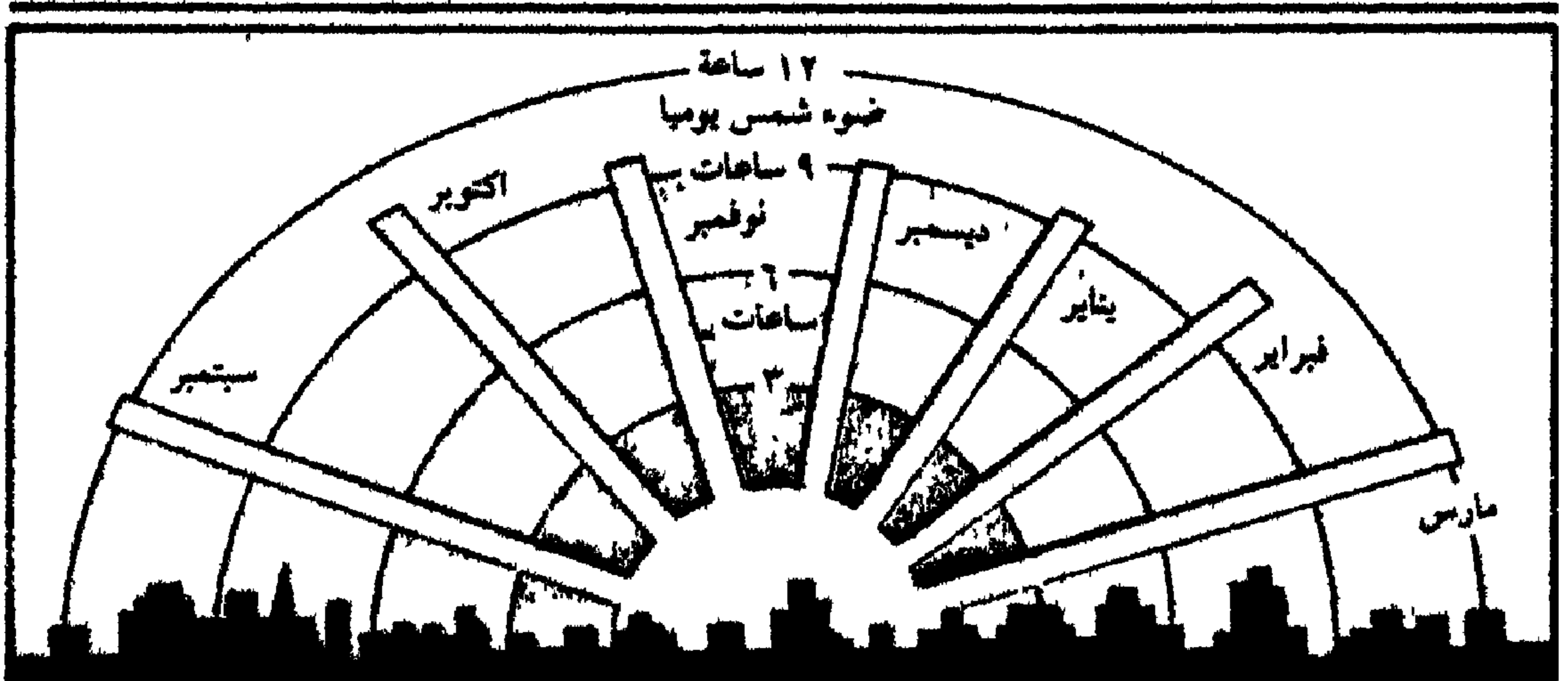
وتتجمع المواد بعد ذلك في أنابيب تنقلها الى داخل الحوض الكلوي Renal Pelvis والحالب Ureter لتأخذ سبيلها الى المثانة . .

غير أن الكلى تقوم بوظائف أخرى غير تصفية الدم من شوائبه . . فهي تعمل على تنظيم بيئة الجسم الداخلية ، فتضبط حجم السوائل وتركيب الدم وضغطه . . وتصنع الكلى أيضا خائثر (رنين) التي تتحكم بضغط الدم ، بحيث تقسوم النفرونات بأعمال التصفية على نحو منتظم وثابت . . بصرف النظر عن مقدار الماء الداخل اليها أو الخارج منها . . وهذا من شأنه أن يحافظ على حجم الدم . . ويبقى على ملوحته وحموضته ضمن الحدود المناسبة .

بقي أن نذكر أن نفرونات الكلى كثيرة جدا . . ويستطيع الجسم أن يكتفي بثلاثها ان لم نقل بعشرها للبقاء على الحياة . . من هنا كان في الامكان استئصال إحدى الكليتين ، اذا تلفت ، وترك الجسم بكلىة واحدة ، تستطيع القيام بوظيفتها ووظيفة الكلية المستأصلة على أكمل وجه ممكن .

البول من الدم . . وتبقى على مايجسويه الدم من المواد الغذائية والماء الضروري . وسر الكليتين إنما هو في النفرونات . او الوحدات الكلوية ، او الاجزاء الصغيرة الدقيقة التي تتكون منها الكليتان وهي تعد بالملايين ، وقد رصت بعضها على بعض وصا لتكون أداة تصفية . . كالمسلمات التي توجد في المرشحات . . او الأنابيب التي لا بد منها في المصافي .

ويدخل الدم أول مايدخل الكبيبات وهي رزم من الأوعية أو الشرايين الدقيقة ، وهذه السكبينات (Glomeruli) عديدة . . وهي بداية النفرون . . ولايكاد يدخلها الدم حتى يرتفع الضغط فيها ، فتدفع الماء والأملاح ومحتويات الدم الأخرى الصغيرة الى محفظة تعرف بمحفظة بومان . . ثم تنتقل حصيلة الترشيح الأول من هذه المحفظة الى شبكات الأنابيب الدقيقة المتشعبة والمتوتية . . حيث ينتهي الترشيح الثاني الى استخراج الجلوكوز والأحماض الأمينية والأيونات والأملاح ، تستخرجها تلك الأنابيب الدقيقة ثم تعيدها الى مجرى الدم . .



يبين الرسم كيف يتغير مزاج الانسان تبعاً للمدى تعرضه لضوء الشمس . اذ يغلب عليه الاكتئاب حين لا يتعرض لضوء الشمس أكثر من ٣ ساعات من ضوء الشمس يومياً ، ويخف اكتابه حين يحظى بست ساعات من ضوء الشمس في اليوم . . ثم يتسع ساعات . . واخيراً بالنقي عشرة ساعة من ضوء الشمس يومياً وذلك حسباً يتضح من نصف الدوائر .



مرصد جبل هليكاللا في هواي

لا تحتاج لقطع بوستين اثنين فقط الى أكثر من ٢٠٠ جزء من ترليون جزء من الثانية . . . تطلق من مرصد هواي بضوء أخضر ، وهو الضوء الذي يمكنها من اجتياز الهواء دون عقبات . وتبلغ نبضات هذه الأشعة من القوة ما يزيد على بليون شمعة (Watt) بحيث تترك أثرا في الجو . . . في المسار الذي تطلق فيه . ثم انها من القوة بحيث تشكل خطرا على بصر الإنسان ، وقواد السطائرات بصفة خاصة . لذلك حرصت السلطات المعنية على عدم إطلاقها الا حين يرتفع القمر فوق الأفق بمعدل (٢٠) درجة . لكن القراءات المترتبة على انعكاس هذه الأشعة لا تتم على الفور .

بقي أن نذكر أن الفائدة من استعمال هذه الأشعة لا تقف عند قياس المسافة بين الأرض والقمر ، فهي تساعد على جمع معلومات جديدة عن دورة الأرض حول نفسها ،

وعلى معرفة المزيد من القفلة البسيطة التي تتعرض لها الأرض في دورتها حول نفسها . وتساعد أيضا على فهم أحسن لما يجري في باطن الأرض من زلازل وما يشهده سطحها من ظواهر غريبة كتلحمة ثورة تيار التيارات الأخيرة .

توصل العلماء الى استخراج أشعة جديدة من أشعة ليزر تمكنهم من قياس المسافة بين الأرض والقمر ، بإعدادها للتغذية دوما . وهم يؤكدون أن القياس الجديد للمسافة المذكورة يتفوق على القياس القديم من حيث الدقة والدقة بمشرة أضعاف ، ويضمن تجنب الخطأ بما يزيد على ٢ بوصات على المسافة الشاسعة كلها . وقد كانت نتيجة القياس الذي أجرى مؤخرا هي ٢٣٠,٠٠٠ ميل .

ومما يذكر أن التلسكوب الأرضي الذي ساهم في إجراء ذلك القياس هو تلسكوب مرصد جبل هيكالا في هواي . . . وهو تلسكوب ضخم قوامه ٨٠ عذمة وفي استطاعته تلقي أشعة ليزر المرتدة من مرايا القمر ، وهي ذات نبضات قصيرة وقوية للغاية . أنصف الى ذلك مرصد آخرى متخصصة في تكلس وفي فرنسا كانت هي الأخرى تكلي بللوها في هذا الصدد . أما المرايا القمرية التي تنعكس عليها أشعة ليزر المنطلقة من هذه المراصد فهي التي وضعها على سطح القمر الرواد الأمريكيون (سنة ١٩٦٩) ورواد آخرون سوفيت وفرنسيون .

والجدير بالذكر أن أشعة ليزر الجديدة

قياس الأبعاد الفلكية . . أدق وأخطر من قياس أبعاد الغرفة

سكنشيفون واخضرعون



اسحق نيوتن
١٦٤٢ - ١٧٢٧

ومفاجأة علماء تلك الأيام بمقاربة متألقة نادرة المثال .. وتخرج نيوتن في الجامعة سنة ١٦٦٥ .. وافق أن شهدت تلك السنة بالذات انتشار وباء الطاعون في لندن وكمبريدج وغيرها فحال ذلك دون مباشرة نيوتن حياته العملية ، واضطر للجوء الى الريف ، الى مزرعة العائلة حيث قضى سني (١٦٦٥ و ١٦٦٦) في عزلة تامة تفرغ فيها للتأمل والتفكير العلمي . وتعتبر تلك الاجرة القسرية فترة ذهبية في حياة نيوتن العلمية . وقد اكتشف في انتهائها ، فيما اكتشف ، قوانين الجاذبية وصاغها ، ثم بشر في وضع كتابه الشهير (البرنسبيا) الرياضية .. فلك الكتاب تردد كثيرا في نشره لا بدافع الخوف من الكنية ، وإنما بدافع الخوف من أن يكون كتابا ناقها بلا قيمة .

وعاد نيوتن الى جامعة كمبريدج بعد اختفاء الطاعون ، وشغل منصب استاذ زميل فيها طوال ٢٨ عاما ، واشتهر اسحق نيوتن ودافع صيته في تلك الفترة حتى توافد كثير من علماء العصر على كمبريدج لزيارة العالم العظيم .

وانقطع نيوتن عن عمله في الجامعة مرتين : الاولى بسبب انتخابه عضوا في البرلمان ، وقد استغرقت سنة كاملة ، والثانية بسبب مرض خطير ألم به . وقد استغرقت ستين . غير أن نيوتن تخطى عن منصبه في جامعة كمبريدج سنة ١٦٩٥ وذلك بسبب تعيينه في دار سك النقود الحكومية ، وواصل عمله الإداري الجليلي بهمة ونشاط حتى عين رئيسا للدار المذكورة . واستمر نيوتن في رئاسته هذه نحو من ٣٢ سنة ، ولم ينقطع عنها الا سنة ١٧٢٧ حين وافته المنية عن عمر يناهز ٨٥ عاما .

يحتل نيوتن قمة شاذة بين علماء القرن السابع عشر ، إنه لم تقل عليه التطريخ جمعا ، ودون استثناء . ويحجب المرء كيف جمع نيوتن بين مواهب فذة مختلفة نادر أن اجتمعت لعالم واحد في آن معا .. فقد تمتع بموهبة عالم الفيزياء النظري ، تلك الموهبة التي تجلت في دراسته لجاذبية الأرض ، واعتناقه الى قوانينها .. وتمتع أيضا بموهبة عالم الرياضيات المجردة .. وقد برزت في اكتشافه علما كالعلا من علوم الرياضيات ، وهو علم (الكالculus) أو حساب التفاضل والتكامل كما يسميه الكثيرون في العربية . وجمع نيوتن الى ذلك كله موهبة المخترع والصانع العملي للأمر ، وقد ابتكر وصنع بيده تلك كوب للرآة العاكسة . وفلك الى جانب مواهبه الاخرى التي مكنته من دراسة الحركة ووضع قوانينها ، ودراسة الضوء واكتشاف الكثير من خصائصه كالانحراف الذي يتمثل في أشعة للكسرة واجتماع الوان الطيف في ضوء الشمس الذي يبدونا أيضا .

ومن طريف ما يذكر أن نيوتن العالم الفذ للمواهب ، المتعدد الكفايات .. لم يكن من المتفوقين في المدرسة . ويرى البعض في الحركة التي وقعت بينه وبين أحد زملائه الطلاب ، والتي خرج منها نيوتن متصرا ، يرون في هذه الحركة بداية ظهور مواهبه الفذة وجمع الكثيرون على أن ظهور مواهبه تأخر حتى أصبح من طلاب الجامعة ، وجامعة كمبريدج بالتحديد . فقد تحس أحد اساتذته ملامح التبرؤ والمقربة فيه ، وقد حجبها عن الآخرين مزاجه الانفعالي المتمرد للخطرس ، فتولى أسوره ، وأصبح مدرسه الخاص ، وأتاح له بذلك التقدم السريع ،

كُنَابَات غَيْر مَعْرُوفَة لِسَمِيرَة عِزَام



بقلم : وليد أبو بكر

إذا كان الشعر الفلسطيني قد كتب تاريخ فلسطين قبل النكبة ، على لسان
شمرائه الذين عاشوا الصراع كله (إبراهيم طوقان ، أبو سلمى ، مطلق
عبدالحق ، عبدالرحيم محمود) فإن هذا الشعر قد نقل من مهمته بعد النكبة
مباشرة ، ليتحول - في غالبية - إلى بكاء غير مجد ، وترك مكانه للقصة كي تؤرخ ،
لا للأحداث وإنما لمحصلة هذه الأحداث ، وما أوقعته من تغيير في سلوك الإنسان ،
ومواقفه تجاه كل ما يحيط به من آلام .

الكاتبة قد أصدرت في حياتها أربع مجموعات
قصصية ، كما صدرت لها مجموعة واحدة بعد
رحيلها ، فإن ذلك لا يمثل كل إنتاجها ، فهناك ما
كتبته للاذاعة ، وهناك بعض خواطرها ، وما كتبه
على النكبة في جريدة **الأسبوع** ، وفي
الصحف ، والتي ساهمت في إضاءة الطريق أمام عدد
من كتاب القصة وكتاباتها ، وكلها أمور تستحق
العناية .

لاشك أن سميرة عزام هي رائدة القصة
الفلسطينية الحديثة ، في هذا
المجال على وجه الخصوص ، كما أنها واحدة من أهم
الأصوات القصصية العربية ، في الفترة التي نشطت
فيها ، **القصص** ، كما أنها تميزت بعمق
الدراسة في تلك الفترة ، حتى الآن .
وضع قلبك ، فإن حظ أدب سميرة عزام من
الاهتمام لم يكن كبيراً ، ليس على مستوى دراسته
وحسب ، وإنما على مستوى جمعه أيضاً . وإذا كانت

الكتابة والمعنى :

أما على مستوى الانتاج القصصي ، فمن الصعب القول أنه قد عرف بالكامل ، ولعل ما يمكن أن يشير الى ذلك ، وجود واحدة من أهم قصصها ، وقد تكون آخر قصصها ، لم تدخل في واحدة من المجموعات الخمس ، هذا بالإضافة الى مقطع من روايتها (سبنا بلا حدود) الذي لم يلتفت اليه أحد ممن كتبوا عن أدبها ، على قلتهم ، رغم سهولة الوصول الى هذين الأثرين ، ورغم ما يمكن أن يقدمه من إضافات ، تفيد في فهم أدب سميرة عزام ، وتطور فكرها وأسلوبها القصصي . بل لعل ما حدث للرواية ، يمكن أن يكون مؤشرا مفيدا الى الحالة النفسية التي كانت الكاتبة تنطلق منها في التعبير ، فسميرة عزام تمنّت أن يمهلها الموت حتى تنشر هذه الرواية ، لأنها بذلت فيها جهداً حتى رضيت عنها . بما يشير الى أنها قد أثمت كتابتها . ومع ذلك ، وبعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، مزقت الرواية في انفعال شديد وهي تقول : ان كل ما كتبه قد فقد معناه .

ويشير الجزء الصغير المنشور من الرواية الى ظاهرة الرفض الشعبي العربي للخضوع ، والى مشاركة الشارع العربي لما يحدث في وطنه من أحداث ، في الوقت الذي يبدو فيه بطل الرواية مراقبا فحسب ، وهو يتطلع الى مظاهرة تقطع وسط المنطقة التجارية في بيروت ، معبرة عن مطالب نضالية . لكن المظاهرة تجرّفه معها فلا تترك له مجالاً لعدم الاهتمام . ولأن فن الرواية يُعطى الانسان الحق في أن يتنبأ .

فانه يمكن القول أن الرواية كانت تتجه الى جعل الانسان العربي ، العادي ، واللامبالي ، يحس بما يدور حوله ، ويشارك في صنعه ، مما يوحي بخطوات ايجابية نحو المستقبل ، تصل حدود سيناء بحدود فلسطين المحتلة ، بفعل النهوض الشعبي العربي ، الذي كان واضحا في الستينيات ، وكان يزرع الأمل في تحول حقيقي .

القلب والنكسة

ولأن أدب الكاتبة الجاد يعبر عن مواقفها الحقيقية ، فإن القول أن سميرة عزام قد أرادت أن

تزرع الأمل في قلب الانسان العربي . من خلال روايتها . لا يكون غريبا ، فقد كان الأمل العربي متمشياً ، لكن النكسة جاءت مثل صدمة قاسية في حياته ، فانهارت أشياء كثيرة ، وانهار ما هو أكبر في قلب سميرة عزام ، القلب الذي كانت تقول عنه في أواخر أيامها : (انه أضغط من أن يحتملي ، فأنا لا أتفرق به ، دائما أحمله أكثر من استطاعه) .

وكانت سميرة عزام صادقة في حديثها ، فقلوبها لم يحتمل نكسة يونيو ، وفي سعيها لفهم ما حدث ، أو استيعابه ، توقف القلب في الطريق .

وكانت تجربة سميرة عزام مركبة : فعل المستوى الشخصي ، طوحت بها الآفاق في بلدان كثيرة : من بيروت ، الى بغداد ، الى بيروت فقبض فبغداد ثانية . . . وبيروت أخيرا ، حتى فاجأها الموت في الطريق الى عمان .

لقد كان الوضع الناجم عن التشرد هو المادة الخصبة التي استقت منها سميرة عزام مادة قصصها ، كان هذا الوضع مذلا للانسان الفلسطيني الذي انقطعت صلته بمصدر رزقه في وطنه ، فصار يمد يده الى وكالة غوث اللاجئين ، دون أن ينسى تجربة الاعتماد على النفس ، في مجالات عمل لم يمارسها ، وفي الحيز الذي كانت تسمح به الدول (المضيقة) كما أن الانفصال بالهجرة قد هز المجتمع الفلسطيني حتى جذوره ، فتغيرت قيم كثيرة فيه ، وولدت من هذا التغير المفاجيء مأساة كثيرة .

أية هوية أخرى ؟

لقد خافت سميرة عزام أن يفقد الفلسطيني هويته وسط هذه الظروف القاسية ، وكانت الهوية بالنسبة لها تشكل قضية هامة ، حتى في المنفى ، لأنها وجدتها القادرة على أن تبقي قضيته حية . وحين عبرت عن هذا الموقف - قصصيا - جاءت قصتها (الفلسطيني) مليئة بالسخرية المرة من كل من حاول التخفي في هوية جديدة ، هربا من هذه الظروف . لقد صرخت في وجهه : أية هوية أخرى ليست سوى تزييف ، والفلسطيني يبقى فلسطينيا حتى لو تنكّر ،

وقد ظل هم الهوية بارزا في أدب سميرة عزام ، حتى في قصصها التي لا تتحدث عن الفلسطيني ،

فأصبح هذا أهم تعبيراً عن الإنسان ذاته ، وسط ظروف تحاول أن تظهر هذه الذات .

الرجل والأرض :

تعتبر قصة (الحاج محمد باع حبه) تلخيصاً للتجربة الفلسطينية المرة ، على مستوى الفرد ، وعلى مستوى المجموع ، وعلى مستوى القضية ، حين تصور (الانفصال) الذي حدث بين الإنسان وتاريخه ، وما خلفه هذا الانفصال من مرارة ويأس ، كاد يجعل الإنسان معرضاً للخروج عن قيمه .

تحدثت القصة عن الحاج محمد ، وجبه القرية ، الذي عاش حياته كما يعيش الفلاح الفلسطيني الشريف والكفاف : ينعم بما تعلقه له أرض يجهد فيها ، ولا يبخل بما تجود به على الآخرين ، ويشكر ربه على النعمة صلاة وصياماً وحجاً . وهو شخصية شديدة التكامل في الحياة العامة وفي العمل ، ويبقى هكذا حين تتغير الظروف ، ويجهد واجبا جديداً في مساندة الشباب وهم يدافعون عن القرية ، حتى يسقط ابنه الوحيد فيها (بين ثلاث بنات) ، وتتدخل الملائكة ، وترسم شريطاً يقسم القرية عندما كان غائباً عنها في الديار المقدسة ، ولأنه يرفض الابتعاد عن أرضه ، ويرفض التخلي عن وعده بأقامه شاهد على قبر ولده ، فإنه يعود ، ويقابل الشريط الحدودي بالصمت ، ويسمع بضيق موسم العنب ، ثم يستجيب لرجاء أهل قريته ، وبعد بجني المحصول القادم عما تبقى له من أرض ، لكن الناس يفاجأون بأنه كلف الأطفال بجمع الزجاجات الفارغة ، فتكثر حوله الممسكات التي تقول أنه نخل من صناعة (الدبس) الذي اشتهر به ، ليقطر الحمر ، وتزداد هذه الممسكات حين يخلق باب بيته عليه ، بعد أن يحمل مصنع الدبس ، ويكاد الشك أن يصبح يقينا ، لولا أن زجاجات الحاج محمد وصلت إلى الناس ، هدايا مملوءة بالنخل .

وهذه القصة ، تعتبر - فنياً - قمة ما وصل إليه أدب سميرة عزام القصصي ، فبالإضافة إلى قوة السبك التي تتميز بها ، استطاعت الكاتبة أن تتميز (بالتكنيك القصصي ، الذي يعتمد محاولة السرد والوصف ، ليتلاعب باهتمام القارئ وعواطفه ،

عبر فبذنيات المشاعر التي تتراوح بين العطف والكراهية . إن الأحداث هي التي تتكلم هنا ، وتشرح وتصف ، وهي أبطال القصة الحقيقيون .

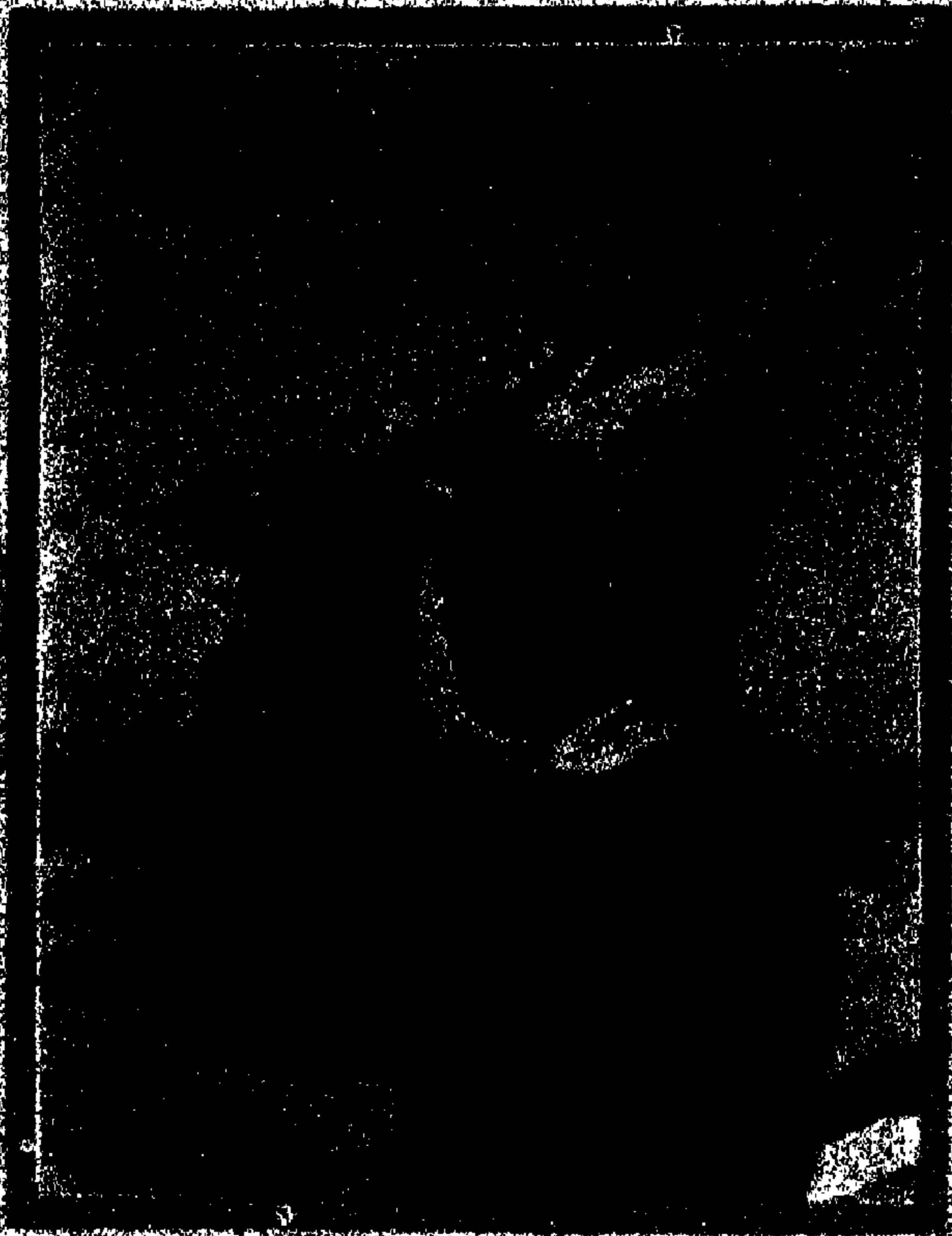
وقد لجأت الكاتبة إلى الرواية عن طريق السرد ، والاسترجاع ، في تداخل شديد الأحكام ، يكاد لا يشعر القارئ بالثقل التي تنجم عن طريق صورة تؤدي إلى صورة ، بشكل طبيعي لا افتعال فيه .

والقصة إضافة إلى ذلك ، تحمل أهم السمات التي يتميز بها أدب الكاتبة القصصي ، والتي يمكن تلخيصها في قصصها الأخرى ، وإن كانت قد تجمعت هنا بشكل يثير الإعجاب : فهي تطرح فكرة الارتباط بالمكان ارتباطاً وجودياً ، كما تصور الظروف الشديدة القسوة التي تعمل على تشويه الإنسان - وخصوصاً قيمه - رغم مقاومته .

كما تحدثت عن الصراع بين القديم والجديد بشكل أكثر وعياً مما فعلت في قصصها السابقة ، لأن الاتجاه هنا يسير في صالح الجديد ، بينما كان الجديد يعامل بلون من الأدانة في قصص أخرى ، وخصوصاً إذا كان هذا الجديد متمشياً في الآلة التي تنافس الإنسان ، ففي قصة (الغريمة) تصبح آلة الغسيل الكهربائية مدانة ، لأنها تنافس امرأة تعيش من غسل الثياب بيديها . كما تطرح القصة قيمة جديدة للعمل من ناحية أثره في بناء شخصية الإنسان ، ومساهمة في ربطه بالمكان الذي يعمل فيه ، وهي قيمة لم تظهر بوضوح في قصص أخرى كثيرة ، مثل قصة (حكايتها) التي لم يكن للعمل أثر في بطلتها .

وتقدم الكاتبة كل ملامح مضامينها وسط جو من الاحباط الشديد الذي يحيط بالحاج محمد ، وهو احباط يخلقه نقص الامكانيات في مواجهة القوى المعادية ، وهو شبيه بالاحباط الذي نخلل معظم قصص الكاتبة .

إن هذه القصة تلخيص ناجح لفن سميرة عزام القصصي بشكله ومضمونه ، وحتى بموضوعاته الأساسية ، خصوصاً وأنها تصور الواقع الجديد الذي يعيش فيه الفلسطيني بعد النكبة ، بعيداً عن أرضه ، وهو قريب منها ، وما يسيبه له هذا الواقع من احباط يصل حد اليأس ، وما قد يزرعه فيه من أمل ، يصل إلى حد الفعل في بعض الأوقات . □



قتل البحرين خطر اسرائيل قادم

نظر: منظورة من الكتاب

استطلاع: سليمان الشيخ

تصوير: أوسكار ميري

محررو: مجلة الاسرة التي تسمى شاعر لورا ١٩٨٥

محررو: مجلة الاسرة التي تسمى شاعر لورا ١٩٨٥

تاريخ: ١٩٨٥/٦/١٢

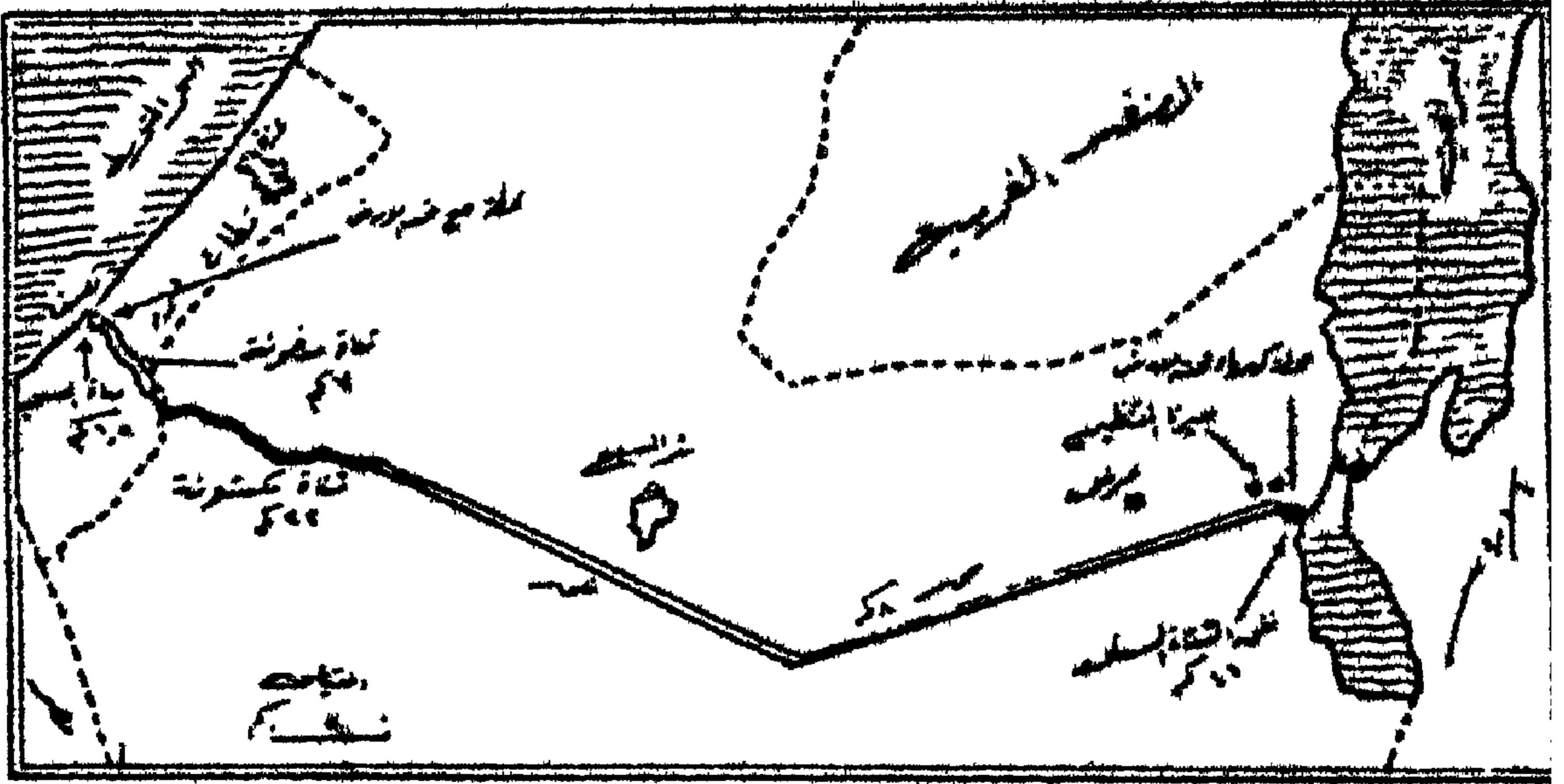
الكتاب: مجلة الاسرة التي تسمى شاعر لورا ١٩٨٥

تاريخ: ١٩٨٥/٦/١٢

الكتاب: مجلة الاسرة التي تسمى شاعر لورا ١٩٨٥

الكتاب: مجلة الاسرة التي تسمى شاعر لورا ١٩٨٥

الكتاب: مجلة الاسرة التي تسمى شاعر لورا ١٩٨٥



التصميم العام للمشروع . . من مجلة صامد الاقتصادي

من سهول الأغوار التي يخترقها نهر الأردن بعد أن يلتقي بنهر اليرموك والنصف الآخر بحر هو البحر الميت أو البحر المالح. أخفض نقطة عن سطح البحر في العالم، تصل إلى حوالي ٤٠٠ م، فتلهب المنطقة بوهج الشمس وحرارتها في الصيف، ويسود الاعتدال في الشتاء.

الهدوء المريب :

يضايقك الهدوء، وترتاب فيه وقد النظر في شق الانجهاات، مدينة اريحا تظهر من وراء سياج الأشجار والمستعمرات - تبعد حوالي ١٠ كيلومترات، وجبال سوداء وعمال زراعة يعملون في الحقول والبساتين، وأصحاب جمال ينتظرون سياحا قلما يأتون في ذلك الشهر - ديسمبر - كانون الأول. وعمال بناء يبنون استراحة حكومية على الشاطئ. قرية السويمة على مرمى حجر من البحر، قرية كفيرها من قرى الأغوار تعيش على زراعة الخضراوات والحمضيات والموز، تحتل ركننا شرقي رأس البحر الشمالي.

هي أيضا فيها جيد العمل الصامت العادي والروتيني للعيشي. تستقر من الهدوء . . والعمل العادي والروتيني، وتصورها وانك معاً بتفصيلات

لا هدير ولا صخب، وموج - أو على الأصح ما اعتقدت أنه موج - هاديء مستكين يتلاحق بهمس، وقلما يعلو أو يطفو فوق بعضه، يتلاعب بخفة مع النسمات ويتأرجح بتؤدة بين الضفاف باتزان.

تقترب أكثر، لا يوجد هنا صخب البحار وشقاوة الموجات وسراهما وهراهما المعروف. هنا لا يوجد جبال موج . . ولا زبد يعانق صفور الشاطئ.

مستكين، ومستسلم لما فيه وحواليه، خط نهر الأردن يظهر كلسان شق لونه المتطامن، فادخل لونا يميل إلى الأزرق الفاتح في مساحة يختلط فيها الأزرق الغامق بالأزرق الفاتح، مسور بجبال على حديه الشرقي والغربي . . مساحته الغالبة طولية تبلغ ١٠٥ كلم^٢، طوله ٧٦ كلم، ومتوسط عرضه ١٥ كلم.

أطلقوا عليه اسم البحر الميت، لكثرة ملوحته التي تتراوح ما بين ٣٠ إلى ٣٣٪ وهي أعلى نسبة ملوحة في البحار والمحيطات، حيث أن نسبة ملوحة مياه المحيطات تتراوح ما بين ٤ إلى ٦ في المائة.

الاحياء لا تعيش فيه، مع انه غني بعشرات المعادن.

يكمل مساحة الاستخدام الطولي الذي يمتد من بحيرة طبريا في الشمال. نصف هذا الاستخدام يتألف

● قناة البحرين خطر اسرائيلي قادم ؟

● صرفتم على المزرعة والدار الكثير . .
- الحملة مخامرة ، علينا أن نجعل كائناتنا تعيش
ابدا .

● وموت الغد . . ألا يدخل في الحساب يا والدي ؟
- يجيب الشيخ السبعيني : الأعمار بيد الله يا
ولدي .

● ويعلق المهندس «أوايس» . . مهندس سلطة
مياه نهر الاردن في المنطقة :

- إن مصانع البوتاس والملح وغيرها ، وهي من
أكبر المصانع والاستثمارات في المملكة الاردنية يمكن
ان تغرق اذا ما مضى الاسرائيليون في اتمام مشروع
قناة البحرين ، بل ربما تتأثر مياهنا الجوفية من زيادة
حقن المياه في البحر .

● واكد السيد عبد الجواد صالح عضو لجنة تنفيذية
سابق في منظمة التحرير الفلسطينية ، ورئيس بلدية
سابق لمدينة البيرة :

- ان خطورة القناة ليس في كونها خطرا على
المنشآت والمصانع والمزارع الاردنية ، او تصادر حقا
للفلسطينيين والاردنيين فحسب ، بل في اضافتها
طاقة كهربائية كبيرة للعدو ، وانها ستمثل حاجزا بين
فلسطين ومصر ، هذا عدا كونها تضيف مشروعات
حيوية مهمة في صحراء النقب ، مما يزيد من عدد
السكان الاسرائيليين ويساعد في تنمية القوة الذرية
الاسرائيلية .

وقائع قرية :

عزيزي القاريء هذه بعض ملامح من أخطار ما
يسمى بقناة البحرين التي يخطط لها ان تربط بين البحر
الايض المتوسط عند نقطة القطيف بين غزة وخان
يونس على البحر الابيض المتوسط لتصل الى البحر
المتوسط عند نقطة قرية من قلعة مسعدة او ماسدا التي
يشغلها الصهاينة رمزا للمقاومة اليهودية وعدم
التسليم .

غدا هي قصة هذه القناة ؟
التي تخطط لها ان تربط بين غزة وخان
يونس على البحر الابيض المتوسط لتصل الى البحر
المتوسط عند نقطة قرية من قلعة مسعدة او ماسدا التي
يشغلها الصهاينة رمزا للمقاومة اليهودية وعدم
التسليم .

- بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٤ التخلت الحكومة
الاسرائيلية قرارا سياسيا بالاجماع بقضي بالعمل على

صخب المعلومات عما يسمى بقناة البحرين التي ستغير
الكثير من واقع ومواقع الحياة في المنطقة .

تنفجر المفارقة في داخلك وتتحول الى اسئلة . هنا
سكنة وهدوء وعمل عادي ، وتطامن « هس » وهناك
على الجانب الغربي مشروع عمل ربما يقضي على
الكثير من موارد الرزق والحياة على الجانب الشرقي .
تسأل عدنان ابو الوفا خريج ادارة فنادق من مدريد
سنة ١٩٧٦ ، ومدير الاستراحة الحكومية التي تبنى
على الشاطئ فيجبك :

« اذا حصل وتم المشروع الاسرائيلي ، فان ما بينه
سيغرق ، وسيغرق معه الكثير من المزارع والمصانع .
● افن ما العمل يا عدنان ؟

- يتنقل بصره الى مياه البحر . . ثم الجبال
المحتلة . . ثم منشآت العدو على الجانب الآخر . ثم
يقول : انظر جيدا . . تلك الجبال البعيدة هي جبال
القدس - تبعد القدس ٣٠ كيلومترا عن البحر
المت ، انظر النقط البيضاء تلك هي مباني العيزرية
على جبال القدس

● اكرر : . ما العمل يا عدنان ؟

- يذهب بصره من جديد الى نفس الأماكن .
فأفهم ان السابق لا يختلف كثيرا عن اللاحق ،
ودون وجود القوة التي تردع فلا بد مما ليس منه بد .
● نسأل المهندس الشاب عمر الحلاق الذي استصلح
ارضه الطولية المحاذية لشاطيء البحر ، وحشد فيها
تشكيلة من الأشجار المثمرة : التين والعنب
والبرتقال والزيتون والموز والرمان والخضراروات .
وسقاما بالتنقيط ، وبني فيها « فيلا » حديثة . مصب
نهر الاردن لا يبعد عن أرضه الا حوالي ١٣٠٠ متر .
حفيف موج البحر الخافت يتحاور مع أسلاك أرضه
ويتحاور .

- قال المهندس : ان ما بنيه وتعبنا عليه سنوات
يمكن ان يغرق اذا ما تم انجاز مشروع قناة البحرين .
واضاف والده محمد علي الحلاق الذي يرتدي الملابس
الفلسطينية التقليدية : على الرغم من اننا
نحن نسكن ونزجنا الصفيحات
● والمستقبل يا والدي ؟

- صحيح انه غير مطمئن . . لكن علينا أن نبنى
بالرغم من كل الاحتمالات .

تنفيذ مشروع قناة البحرين .

«يوم الخميس ٢٨/٥/١٩٨١ لزاج متاحيم بين رئيس الوزراء الاسرائيلي يومها الستار عن نصب تذكاري بمناسبة بدء العمل بمشروع شق القناة بين البحرين ، وقد اقيم احتفال بهذه المناسبة بالقرب من قلعة مسعدة او مسادا .

- ذكرت صحيفة معاريف الاسرائيلية بتاريخ ٢٢/٣/١٩٨٥م الخبر التالي : « انه الى الشمال من مصب « زوهر » على شاطئ البحر بدأت بتاريخ ٢١/٣/١٩٨٤ اعمال حفر نفق الابحاث التابع لمشروع قناة البحرين الذي يصل طوله - اي النفق - الى ١٤٠٠ متر وهيكله مربع ، حيث تم حفر الامتار الأولى في النفق ، وقالت الصحيفة انه قد تم خلال الشهرين الماضيين شق وتسوية طريق الى المكان الذي بدأت فيه اعمال حفر النفق لتمكين المعدات الثقيلة التي ستقوم باعمال الحفر من الوصول الى الشمال من مصب « زوهر » والبدء بعملها وفي هذا المكان سيكون المدخل الشرقي للنفق الأرضي ، في حين انه وعند مدخله الغربي ستقام محطة توليد ارضية ، كما قامت شركة تطوير المحاجر بأعمال الحفر المعقدة بهذا النفق في نفس اليوم .

- بتاريخ ١٢/٦/١٩٨٥ اصدر موشي ساحل وزير الطاقة الاسرائيلي أوامره لاييقاف العمل في نفق التجارب لقناة البحرين بشكل نهائي وفوري حسب تصريحه الذي نقلته عنه الصحافة في اليوم التالي بسبب اضرار شق منها عدم وجود تمويل كاف للمضي قدما في المشروع .

لمحة من تاريخ :

فكرة إقامة قناة لتوليد طاقة كهربائية من مساقط المياه المتأينة من فرق انخفاض البحر الميت عن مستوى سطح البحر المتوسط فكرة قديمة ، بل إن فكرة ربط البحرين المتوسط والميت بخليج العقبة والبحر الاحمر ثم المحيط الهندي راودت افهام الانجليز في القرن التاسع عشر وذلك لربط منطقتيها . . بحدود نجاخ الامبراطورية الانكليزية : الهند ، لأجل اختصار الطريق البحري . . قبل انشاء قناة السويس ، وبعد ان تم انشاء قناة السويس فان الانكليز صرفوا النظر

عن المشروع السابق .

الا ان ثيودور هرتزل القائد والمنظر الصهيوني المعروف التقط جزءا من الفكرة فسجلها في كتابه « التنويلاند » الصادر سنة ١٩٠٢ حيث ذكر ضرورة انشاء قناة بين البحرين الابيض المتوسط والبحر الميت ، يصل عرضها الى عشرة امتار لزيادة كمية الكهرباء واقامة مصانع عديدة .

وصف في للمشروع :

طُرحت عدة مشروعات لوصول مياه البحر المتوسط بمياه البحر الميت منها : الشمالي الذي يصل بين حيفا على البحر المتوسط ويسان القرية من مجري نهر الاردن ، او الأوسط بين رحوبوت على البحر المتوسط وتل قمران على الجزء الشمالي الغربي من البحر الميت ، ويمر بين القدس وبيت لحم .

اما التفاصيل المتعلقة بالمشروع الجنوبي الذي تم اعتماده فان الكثير من المصادر تجمع على ان مواصفات المشروع تتكون من :

- بداية المشروع تمتد من تل القطيفة على شاطئ البحر المتوسط بين منطقتي دير البلح وخان يونس في قطاع غزة المحتل . وينتهي في منطقة مسادا بالقرب من البحر الميت مارا بالنقب الشمالي جنوبي بشر السبع .

يبدأ الخط بسحب مياه البحر الابيض المتوسط بواسطة جهاز « ادخال للمياه » يركب اسفل الجرف المتخرج في تل القطيفة ، ويتوغل هذا الجهاز ٦٠٠ متر داخل البحر بواسطة عائم بحري حاجب للأمواج حيث تتركب مضخات كبيرة تضخ ٥٠ مترا مكعبا من المياه في الثانية عبر انبوب ضغط يبلغ طوله ٧ كلم الى منطقة التلال شرقي قطاع غزة ، ومنها ترفع المياه بواسطة مضخات خاصة الى ارتفاع مائة متر فوق سطح البحر بالقرب من مستعمرة يثزيم التي تبعد عن خطوط الهدنة بالقرب من حدود قطاع غزة حوالي ٣ كلم . ويعلوها تصب المياه بفعل الجاذبية والقل في قناة مفتوحة ذات جدران من الاسمنت ويبلغ طولها ١١ كلم وعرضها ما بين ١٠ الى ٢٠ مترا ، وفي منطقة الخالصة في النقب يبلغ عرض القناة ٢٠ مترا وتتكون

● قناة البحرين خطر اسرائيلي قائم !

المتوسط ، وسوف تتدفق المياه منها وتسقط في البحر الميت من ارتفاع ٤٠٠ متر ، وسوف يقام حول هذه البحيرات الفنادق ونواصي الاصطياف ودور السكن الحديثة ، وبواسطة مياه هذه البحيرات يتم توليد الطاقة الكهربائية عن طريق محطة تقام تحت الأرض . ويستغرق انجاز العمل حوالي عشر سنوات اذا ما تم المضي قدما في انجاز المشروع ، ويبلغ الطول الاجمالي للقناة حوالي ١١٤ كيلومترا ويتراوح عمقها في بعض المناطق ما بين ٤٠ الى ٥٠ مترا ، وسيتم رفع مستوى البحر الميت في السنوات الاولى من انجاز المشروع الى حوالي ٣٩٠ مترا بعد ان وصل انخفاضه الان الى حوالي ٤١٠ أمتار

ويتضمن المشروع انشاء محطات لاستغلال الطاقة الشمسية ، وطبقا للمصادر الاسرائيلية فان الطاقة الكهربائية التي سيستجها المشروع تتألف من ٦٠٠ ميغاواط من المحطة الهيدروكهربائية ، و ١٨٠٠ ميغاواط من محطتين للقوى النووية و ١٥٠٠ ميغاواط من محطات الطاقة الشمسية (هذا اذا امكن تنفيذ تلك المحطات الأخيرة فنيا) .

فوائد ومضار :

هذا ويمكن اضافة عدة فوائد اخرى للكيان الصهيوني من جراء تنفيذ القناة .. منها :

- استغلال الصخور الزيتية القائمة في البحر الميت لانتاج ما يقرب من ٢٠ الف برميل من الزيت الخام يوميا .

- تحلية مياه البحر لأغراض الشرب والزراعة والصناعة .

- اقامة مستوطنات زراعية (حوالي ١٠٠ مستوطنة) على امتداد النقب الشمالي وزيادة عدد السكان في المنطقة مما يهدد القطرين المصري والاردني ويثبت الاحتلال خصوصا في الاراضي التي تم احتلالها بعد عام ١٩٦٧ م . كما جاء في مجلة صامد الاقتصاد العدد ٥٢ نوفمبر وديسمبر من سنة ١٩٨٤ م . اما استمرار المشروع على الجانب الاسرائيلي فيمكن ايجازها بالتالي :-

- لن يغطي المشروع تكاليفه التي ستصل الى حوالي مليار وخمسمائة الف من الدولارات الا بعد مضي



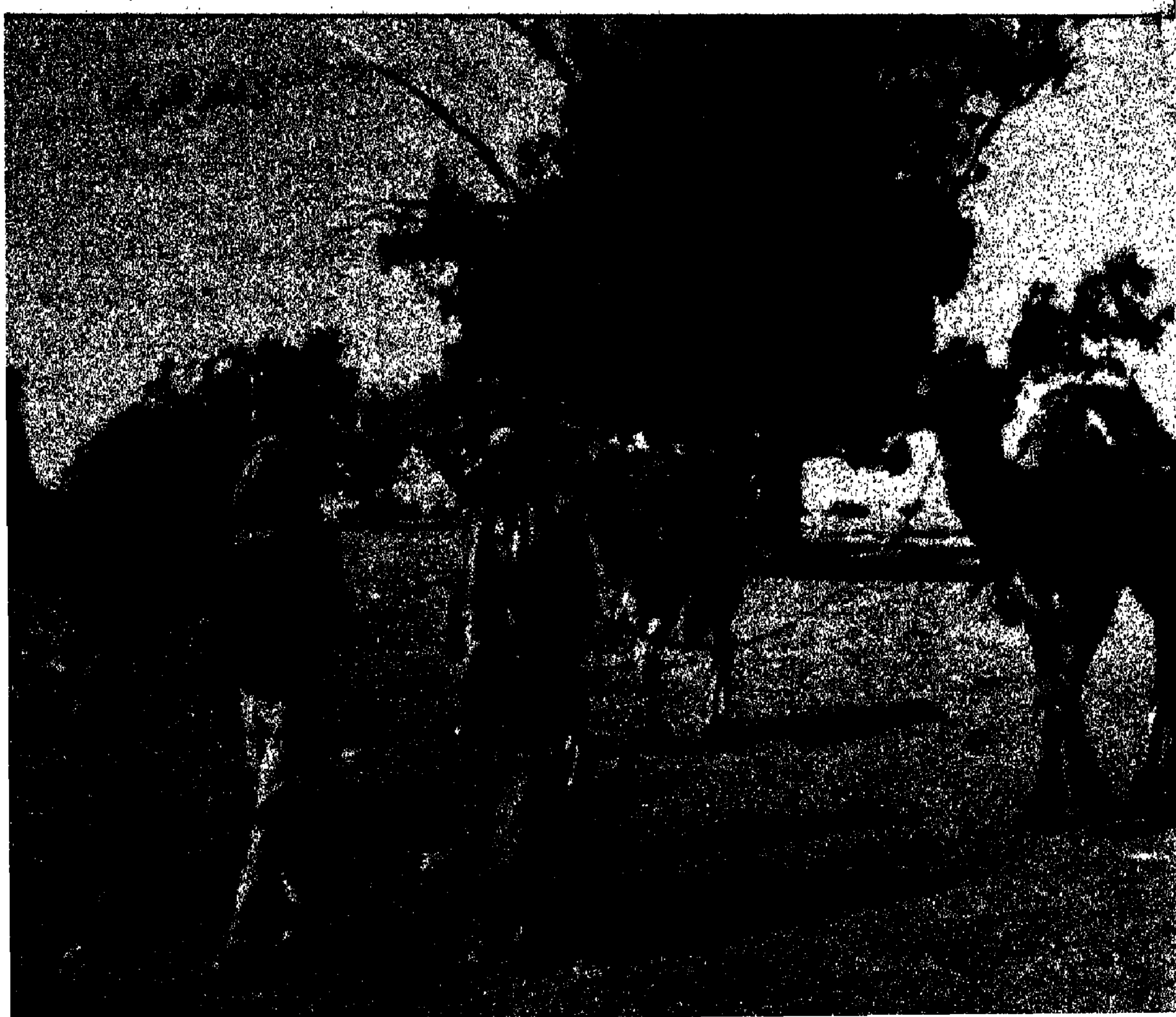
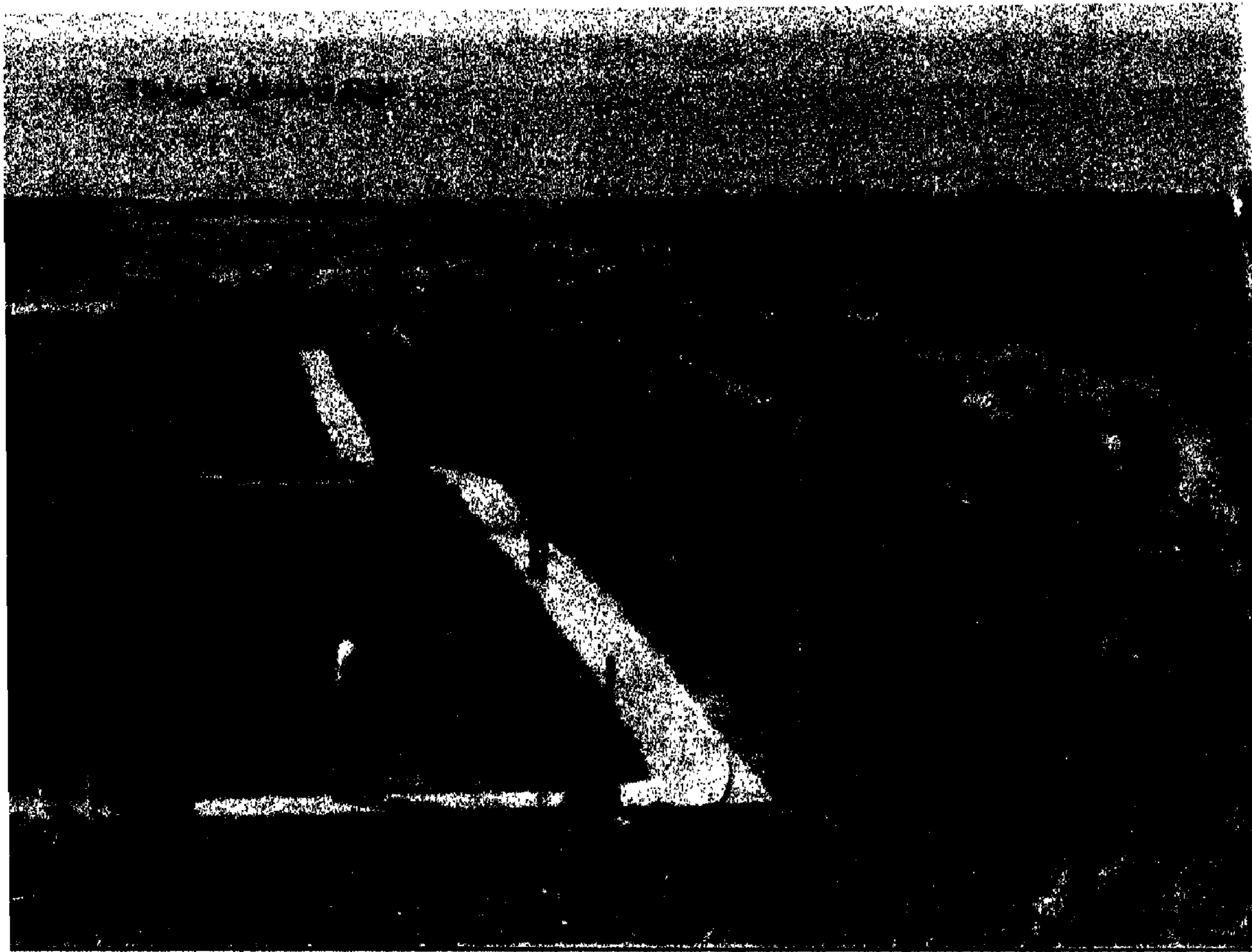
عبد الجواد صالح

بحيرة كبيرة يمكن استخدام مياهها لأغراض التبريد في المحطة النووية وكمواقع سياحية حديثة . ثم ستتدفق المياه بعد ذلك عبر نفق يقع على عمق ٤٠٠ متر ويبلغ طوله ٨٦ كلم وقطره خمسة أمتار . ويقطع النقب الشمالي جنوبي بئر السبع ، وتسير المياه هنا في قناة مغلقة عبر الكتلة الصحيرية في جبال عراد حتى تصل الى مركتي تجميع للمياه شمالي غربي مسادا على المرتفعات التي تطل على البحر الميت . وستقام في اسفل بركتي التخزين محطة الطاقة الهيدروكهربائية داخل الصحور مقابل لسان البحر الميت . ثم تتساقط المياه من ارتفاع ٤٠٠ متر على حافة الجرف في انبوب ضغط لتشغيل أربعة توربينات للمحطة . وبعدها تتدفق المياه على البحر الميت الذي ينخفض منسوبه بمقدار ٤٠٠ متر تحت سطح البحر تقريبا .

ويتضمن المشروع ايضا كما ذكر سمير جور ويولا البطل ورندة حيدر في كتاب « قناة البحرين المتوسط والميت » وكما ذكر د . محمد سلامة النحال في كتابه الذي يحمل نفس الاسم السابق « قناة البحرين المتوسط والميت » .

« اقامة سبع بحيرات على مرتفعات مستعمرة يثير فوق شواطئ البحر الميت وعلى مستوى سطح البحر





حوالي ثلاثين عاما من بداية تشغيله وإنتاجه .
- ستلحق الاضرار بمصانع البوتاس الاسرائيلية
القائمة وستخسر حوالي ٢٠ مليون دولار في السنة
نتيجة هذه الاضرار .
- ستغير تركيبة المياه والمعادن في مياه البحر الميت ،
بحيث تتحول المياه الى خليط من الجبس الأبيض
حسب ما جاء في بعض المصادر الاسرائيلية .
أما الجانب الاردني فلان اخطارا كثيرة ستلحق
بأراضيه ومنشآته الصناعية والسياحية ومزارعه
وسكانه بعد انجاز المشروع - منها :-
- اغراق الأراضي نتيجة رفع مستوى سطح البحر
الميت .

- غمر المنشآت والمرافق السياحية .
- غمر بعض منشآت مصانع البوتاس .
- التأثير سلبا على استغلال بعض المعادن مثل :
صخور البوتاس ، والملح والقار ، والبتروك والغاز .
- غمر بعض الأراضي الزراعية مما سيؤدي الى
هجرة السكان .
- احتمال حدوث زلازل وبراكين نتيجة ازدياد
الضغط على قعر البحر الميت .
- احداث تغييرات بيولوجية نتيجة تدفق المياه من
مصادر جديدة .

- تحريك الحد الفاصل بين المياه الجوفية العذبة
والمالحة .
والسؤال هنا : اذا كانت القناة تحقق هذه الفوائد
للجانب الاسرائيلي وتلحق هذه الاضرار الكبيرة
والكثيرة للجانب العربي . . فلماذا اصدر موشي
شاحل وزير الطاقة الاسرائيلي اوامره بايقاف العمل
بالمشروع ؟

أسباب اقتصادية وسياسية :

ان اجتهاداتنا في هذا الموضوع تتركز على جانبين :

١ - جانب اقتصادي ٢ - وآخر سياسي .

بالنسبة للجانب الاقتصادي فاننا ذكرنا ان تكاليف
المشروع ستصل الى حدود مليار وخمسمائة الف
دولار ، وان تغطية التكاليف لن تتحقق الا بعد
ثلاثين سنة تقريبا ، فاذا اضفنا الى ذلك بان هناك

عجزا كبيرا في ميزان المدفوعات الاسرائيلي وصل الى
حوالي ٥,٣ مليار دولار في نهاية عام ١٩٨٤ وبلغت
الديون الخارجية حوالي ٢٣ مليار دولار في نهاية عام
١٩٨٤ ، ووصلت بطالة الايدي العاملة في الربيع
الاخير من عام ١٩٨٤ الى حوالي ٩٨ الف عاطل عن
العمل ، أي ما يعادل ٦,٩ من قوة العمل المدنية ،
وقد قدر مكتب العمل الاسرائيلي أن عدد العاطلين
عن العمل سيصل في نهاية عام ١٩٨٥ الى حوالي
١٧٠ الف عاطل في الكيان الصهيوني . كما جاء في
صحيفتي يديعوت احرونوت وهآرتس الصهيونيتين
(تاريخ ١٩٨٥/١/٢٩) .

فاذا اضفنا الى هذا العامل المهم ، عاملاً آخر
يتمثل في اقامة العدو الصهيوني لمشروعات حيوية
ها :-

- مشروع صناعة طائرة اللافي الذي تبلغ تكاليفه
حوالي مليار وخمسمائة مليون دولار .

- بناء مفاعلات نووية لانتاج الطاقة الكهربائية
تصل تكاليفها الى نفس تكاليف المشروع السابق .

هذه المشروعات الثلاثة العملاقة تتطلب مبالغ
كبيرة تعجز ميزانية العدو المرهقة بالديون عن القيام
بها كلها دفعة واحدة .

وقد ذكر جدعون بات وزير التجارة والصناعة
الاسرائيلي السابق « بأن مشروع قناة البحار ،
ومشروع طائرة اللافي واقامة المفاعلات النووية للطاقة
تتطلب مصادر تمويل ضخمة ، وانه يؤيد تخفيض
حجم اعمال المشاريع الكبيرة بسبب الكلفة المالية
العالية المطلوبة لتنفيذها » . كما جاء في مجلة الارض
العدد ٢٠ من السنة العاشرة ١٩٨٣/٧/٧ نقلا عن
صحيفة دافار الاسرائيلية الصادرة بتاريخ
١٩٨٣/٥/١١ . فاذا اضفنا الى ذلك اسعار البترول
التي اخذت تميل الى الانخفاض مما يشجع على
الاعتماد عليها ، بدلا من السعي وراء مشروع ضخمة
التكاليف ، وقد ذكرت صحيفة عل هيمشمار الصادرة
بتاريخ ١٩٨٣/٢/١٧ « ان مشروع قناة البحار جدير
بالحفظ ضمن (حجرة التجميد) في الظروف التي
تسود الآن سوق الوقود العالمي بعد خفض الاسعار
الى ٢٨ دولارا للبرميل الواحد من النفط ، ويتوقع
محللون في البنك الدولي وفي منظمة المستهلكي الطاقة
هبوطا آخر في اسعار الوقود » .

● كتلة البحرين خطر اسرائيلي قادم !

مفاوضات ما يسمى بالحكم الذاتي حيث ان القناة ستتم من قطاع غزة .

أما اليسع كالي اخصائي تخطيط في شركة المياه الاسرائيلية - تاهال فكان اكثر وضوحا . . فقال :
« لو اخذنا البعد السياسي بالحسبان لرأينا ضرورة تفضيل مشروع آخر على مشروع البحار ولأقمنا « مشروع سلام » يتلخص في الاستفادة المشتركة « للدولتين » يعني الاردن والكيان الصهيوني من الطاقة الناتجة من المشروع كما جاء في مجلة الارض الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٨/٧ نقلا عن صحيفة دافار الصهيونية الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/١/١٦ .

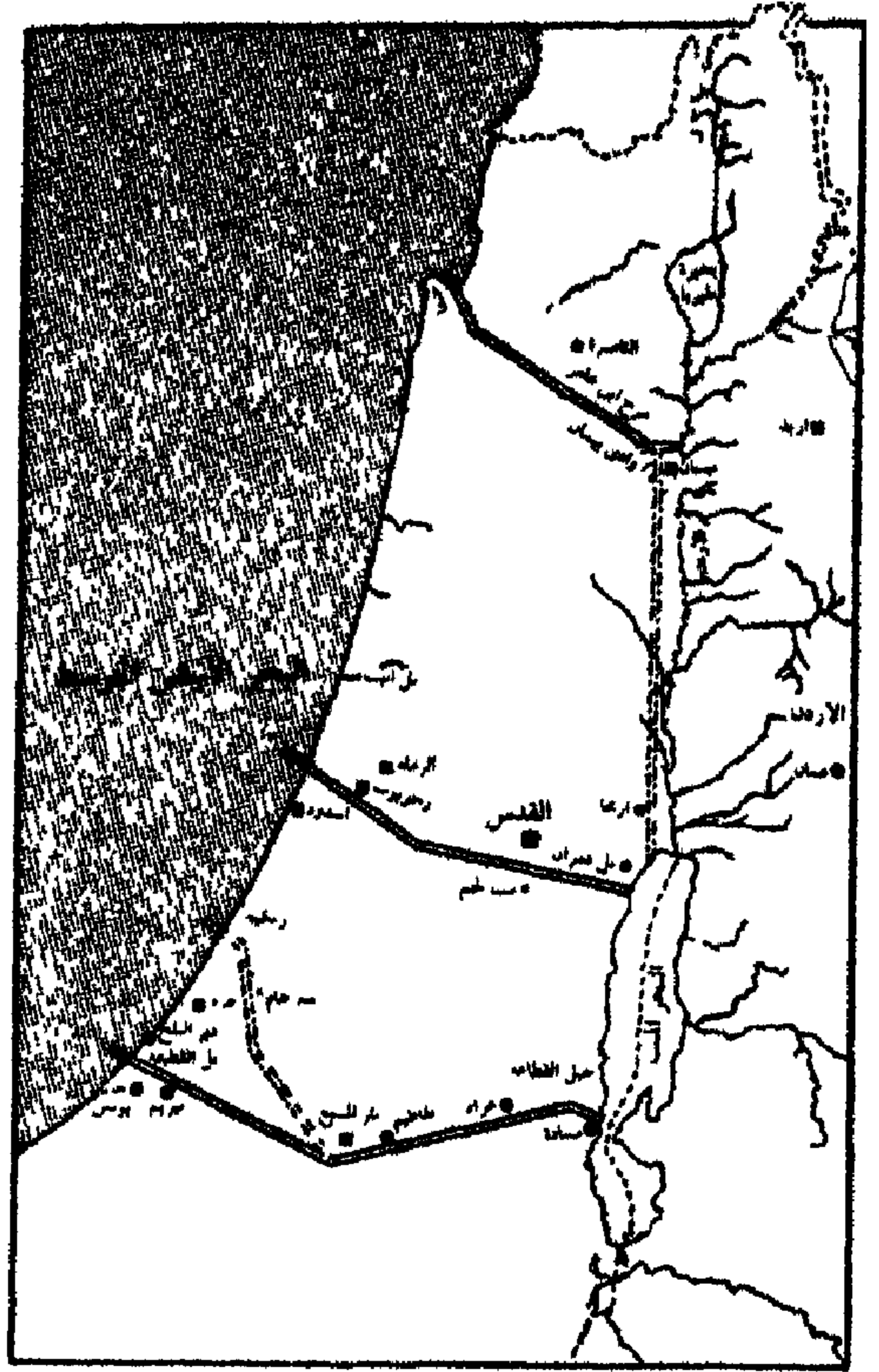
عنق التاريخ :

هذه بعض العوامل الاقتصادية والسياسية التي ساهمت في اتخاذ قرار وقف العمل بمشروع قناة البحرين ، اعني ان هذا المشروع قد تم تجميده لا إلغائه ، وانه يمكن الرجوع اليه والاستمرار فيه ، متى ما توفرت الظروف الاقتصادية والسياسية المناسبة .

فهل تبقى الجغرافيا ساكنة هادئة تنتظر قرار التاريخ على الجانب الغربي من البحر الميت ؟ وهل « قدر » الجانب الشرقي من البحر هو الاستكانة وانتظار فعل الجانب الآخر الذي سيغير من طبيعة الجغرافيا ويمسك التاريخ من عنقه ؟

وبعد : الموج او ما اعتقدت انه موج يمشي الهونا في البحر الميت ، لا ضوضاء ولا هدير ، مستسلم وهاديء ومستكين . . لازيد ولا صراع او تسارع مع ان الصراع عليه وحواليه كبير وخطير .

وهكذا وانت تولى ظهورك لهذا البحر . . تنفجر في ذهنك المفارقة : بحر هاديء الا أن المخاطر تحف بمصيروه ، وورث العمل التي تنتظر اشارة البدء في جانبه الغربي ستغير الجغرافيا لتوجه « رسن » التاريخ الى الوجهة التي تريد ، وعندما قد يختلف الموج . . ويغير من طبيعته . . وربما يصبح اكثر شراسة وزخماً وتصارعا ، وأقل راحة ودأفة . ويصبح موز وبرتقال وخضراوات الاضوار اكثر ملوحة ودموية وشوكا . . او ربما . . يوآد في مهده !! □



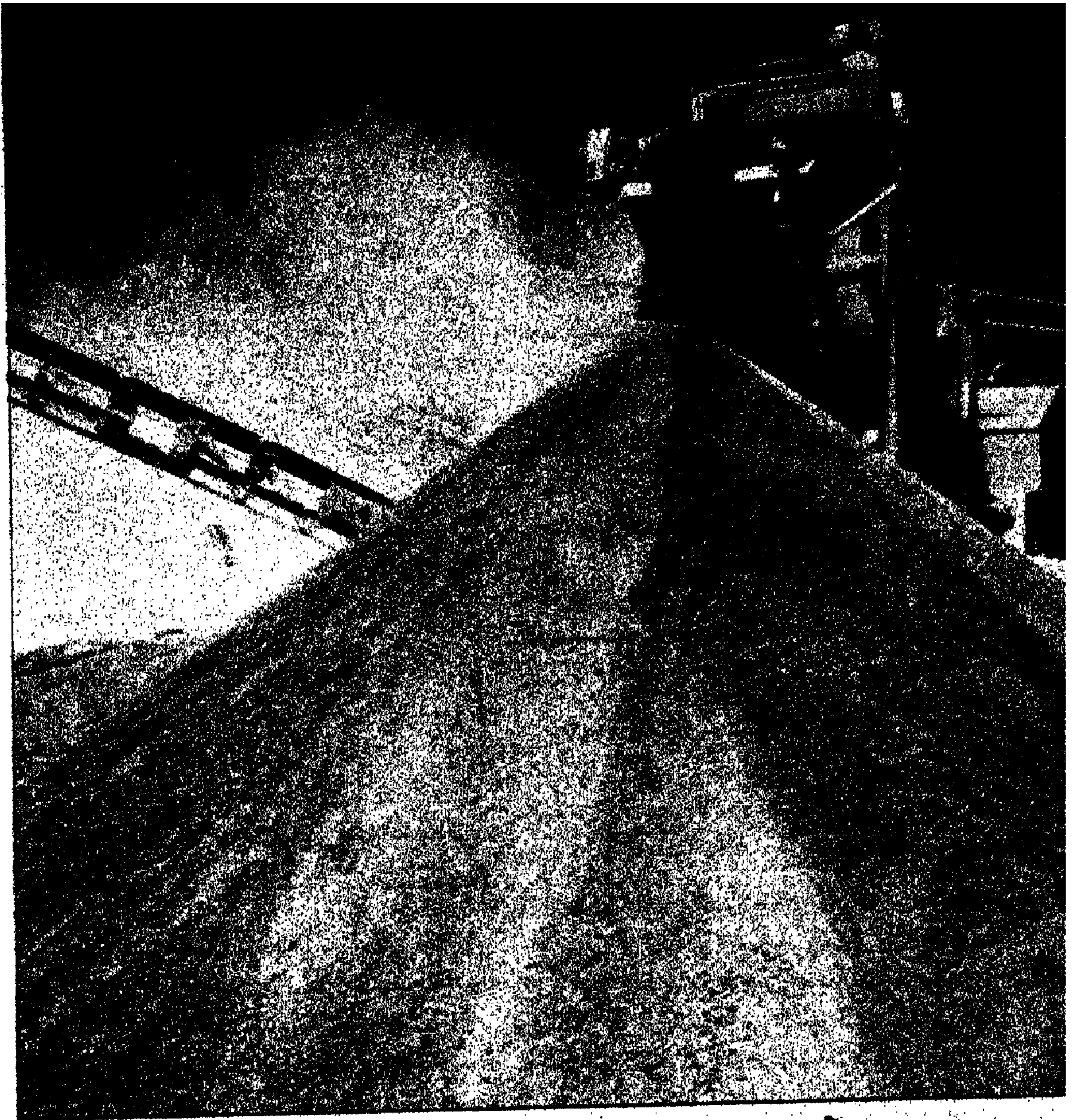
خريطة الخطوط الثلاثة لمشروع قناة البحرين

هذا والجدير بالذكر أن كتلة المعراخ التي تحكم في « اسرائيل » الان كانت تحاول الانتقاص من قيمة هذه المشروعات في اثناء حكم كتلة الليكود ، وتقلل من الفوائد الاقتصادية لهذه المشروعات وتنعتها بانها مشروعات اعلامية وسياسية هدفها الكسب الانتخابي وليس تحقيق الجدوى الاقتصادية . وبما ان هذه الكتلة اصبحت على رأس الحكومة الان ، فانها اوقفت مشروع قناة البحرين .

اما الجانب السياسي لقرار وقف العمل بقناة البحرين الان فانه يستند على خيار مشروعات « السلام » التي اخذت تروج في المنطقة ومنها مشروع « السلام » مع الاردن .

ذكرت صحيفة هنتسوفيه الاسرائيلية الصادرة بتاريخ ١٩٨١/٤/١ مايلي :

« ان هذا المشروع - قناة البحرين - سيؤثر على اتفاق السلام مع الاردن ، كذلك فانه سيؤثر على



مصنع
للفوسفات ...
يمكن ان يفرق بعد
انجاز مشروع
قناة البحرين



احتفالات على البحر
الميت ... عندما كان
الخطر بعيدا

وجع الوجه



الطيب صالح و صلاح حزين

- * نحن نقرأ الادب الاجنبى لنكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه .
- * ماركيز هل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة .
- * أنا لأحب تعقيد العمل دون سبب ، كما أننى لاأعتمد البساطة .
- * الرواية العربية تمكنت من طرح الأسئلة الكبيرة واستكشاف آفاق الحياة العربية .
- * البلدة السومرية التى أكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذى ابتدعته .
- * احدى متغى هي التعبير عن أفكار معقدة من خلال شخصيات بسيطة

في منتصف الستينيات ، عندما كان عدد الروائيين العرب يعد على الأصابع برز اسم الطيب صالح كروائي متميز . يومها كانت روايته «موسم الهجرة الى الشمال» موضع اهتمام الأوساط الأدبية في جميع أنحاء الوطن العربي ، فقد كان هناك الكثير مما يدهش في هذا العمل الأدبي القلبي القادم من قلب افريقيا العربية .

ورغم أن «موسم الهجرة الى الشمال» لم تكن العمل الأدبي الاول للطيب صالح الا أنها كانت السبب في لفت الانتظار اليه ، وانتظار أعماله التالية . فقد كانت الرواية تطویرا نوعيا لفكرة لقاء الشرق بالغرب التي تناولها من قبله روائيون آخرون ، لكنها جاءت هنا لتطرح أبعادا جديدة لهذا اللقاء الرهيب . ومن ناحية أخرى فقد أثارت بين الأوساط الادبية قضايا تتعلق بموضوع الرواية وفتحها وتقنياتها ومحتواها والمستوى الذي وصلت اليه الرواية العربية . وأخيرا فقد تنبه النقاد العرب الى حقيقة أن هذا العمل قادم الينا من قلب افريقيا وليس من مراكز الابداع الأدبي التقليدية في مصر والشام والعراق .



المداخون وشكسبير

الاهتمام بالشعر العربي القديم ثم الادب الحديث واعلامه ، وانتقلت بعد ذلك للآداب العالمية . وقد تأثرت كثيرا بأعمال اثنين من عمالقة الادب الانكليزي هما شكسبير وجوزيف كونراد الذي اعتبره الاستاذ الاكبر لفن الرواية في هذا القرن . وقد أثر في كثير من الكتاب الانجليز أنفسهم ، ومنهم غراهام غرين الذي لايزال النقاد يراقبون أثر كونراد في أعماله . لكن من الصعب الوقوع على أثر مباشر هؤلاء الكتاب في أعمالي .

الرحلة والرحلة المعاكسة

• لكن من يقرأ روايتك «موسم الهجرة الى الشمال» ورواية «قلب الظلام» لجوزيف كونراد يقع على أكثر من وجه للشبه مثل فكرة الرحلة من أوروبا الى افريقيا ، وهي معكوسة في روايته ، ثم الصراع الذي يأخذ شكلا عرقيا ، والموت في النهر في النهاية ، بل وقضايا فنية مثل الرواية بدوره الثانوي يحكي قصة شخصية فلة .. الخ

بالطبع رواية «قلب الظلام» من أعظم الروايات في هذا القرن ، وربما يكون هناك وجه للتشابه

• في رواياتك يختلط السحر والأعمال الخارقة بترتبة الحياة الريفية التي تركت أثرا واضحا عليك فهل لك أن تحدثنا عن أوشاب البداية والتكوين الأولى ؟



منذ البداية استفدت كثيرا من الشعر العربي ومن مؤثرات خاصة في البيئة السودانية نفسها . فقد قرأت القرآن الكريم في الكتاب الذي يسمى عندنا «الخلوة» وهذه مسألة مهمة جدا ، فمثل هذه الدراسة تعطي المتلقي حساسية فائقة للغة والجرس . وأنا أحب كثيرا من السور في القرآن لان لها جرسا خاصا مثل سورة الرحمن ومريم والانسان . كما استفدت كثيرا من خصوصيات المنطقة التي نشأت فيها في شمال السودان ، وهي منطقة اجتمعت فيها مؤثرات الحضارة الفرعونية القديمة بالمؤثرات العربية . وخصوصا تأثير أناس يقال لهم المداخون الذين كانوا ينشدون بأصواتهم الجميلة على أنغام الطار شعرا في مدح الرسول ﷺ بلغة فصحي رغم عدم تمكنهم من اللغة . ثم ان منطقتنا هي امتداد لقبائل الكبابيش وهم من عرب بجهة الذين يعتبرون أكبر تجمع بدوي في العالم العربي وهم يتحدثون لغة قريبة من لغة أهل الجزيرة العربية . يأتي بعد ذلك

● وجهها لوجه

يشرفني أن أكون متأثرا بكونراد ، لكنني لا أعتقد أن من المفيد أن نحضر رواية « قلب الظلام » لنبدأ عملية البحث عن مواقع التأثير هنا وهناك .

وأحيانا أقرأ أشياء عجيبة مثل تأثري ببولن ويلسون أو د . هـ . لورنس أو كامو . لكن التراث الانساني واحد فيما اعتقد . وأرى أن كتابا مثل جابرييل ماركيز قد نهل من مؤثرات عربية مثل ألف ليلة وليلة التي أحدثت أثرا كبيرا في الشكل في أوروبا عند ترجمتها الى الانكليزية . تماما مثلما حدث عندما تسرب الشعر العربي من الأندلس الى أوروبا عن طريق شعراء التروبادور . ليس هنالك ما هو « قبح » هذه الايام . المهم هو سمات العمل الخاصة . ولا بد لكل عمل أن يبرر نفسه من خلال نفسه .

أما عن فكرة العنصرية المضادة ففي رأيي أن سلوك الشخصية لاعتليه قواعد اجتماعية أو سياسية وأنا في هذا قريب جدا من فرانز فانون في (معذبو الأرض) الذي يقول ان الاستعمار هو نوع من الاغتصاب حتى بمعناه الجنسي . وحتى التعبيرات التي تستخدمها أمة تستعمر أمة أخرى تحمل معنى الاختصاص لذا فان اثبات الفحولة عند مصطفى سعيد هو اثبات للشخصية وليس اذلالا للآخرين عمدا والانتقام منهم .

الحوار مع النفس

● تتكرر الشخصيات في جميع رواياتك وتحرك في مكان مفترض ومجتمع مفترض في الشمال الأوسط للسودان فهل تلك محاولة لترسيخ صورة مكان ما بأشخاصه وناسه وحركته أم هو تكتيك خاص اخترته لرواياتك ؟

.. من حيث التكتيك الروائي فإن الكاتب يجد نفسه باستمرار في حوار مع نفسه ومع فنه . ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في شعر المتنبي مثلا الذي اعتقد انه كان مشغولا بالقصيدة ، وكل رحلاته الى القاهرة وحلب والكوفة .. الخ .

وربما كان هذا أيضا مقصده شكسبير بقوله « المسرحية هي المسألة » . وهذه كلها اشكال مختلفة

وخصوصا من حيث رحلة مصطفى سعيد من افريقيا الى أوروبا التي ربما تكون رحلة معاكسة لرحلة « كورتز » في قلب الظلام ، لكن هنالك اختلافا بين كل من الشخصيتين . فكورتز أوروبي فاورستي وهو نتاج واقع ثقافي محدد يختلف عن حال مصطفى سعيد . وحين كتبت موسم الهجرة « كنت تحت تأثير فرويد ، وكنت قرأت كتابا لاحد تلامذته اسمه ماننغر بعنوان « الانسان ضد نفسه » فأثري جدا . لذا فان في هذه الرواية بعض مؤشرات علم النفس لكن الكاتب عندما يجلس ليكتب فانه يكون هو نفسه في نهاية الامر .

وبالمناسبة فان فكرة الرحلة في الادب العربي فكرة أساسية . ومنذ القصيدة الجاهلية ظلت الرحلة كفكرة مسيطرة على مجمل الأعمال الادبية العربية . فالشاعر الجاهلي يبدأ بوصف الناقة التي يرتحل عليها ، ثم تبدأ عملية الرجوع او ما يسمى فلاش باك . ويحضرني الان كلام قلته سابقا واعتقد أنه صحيح . فنحن نقرأ الادب الاجنبي او الفكر الاجنبي للاستفيد من شيء غير موجود لدينا بل لكتشف شيئا لدينا لكننا نسيناه . والنقد العربي في احدى مراحل أبخس من القصيدة الجاهلية بحجة أنها غير عضوية مع أنها في تقديري متقدمة مرحليا عن كل الشعر الانجليزي مثلا، والثغرات الموجودة بين بيت الشعر والاخر مليئة بالمعاني وليست خالية كما يقال . وفي نهاية الامر فان الكاتب العربي يغرف من أدب عظيم . وما يسمى بتأثير الكتاب العرب هو تلاقح بين أدب خصب هو الأدب العربي وبين ايضاحات لديه لم يكن متبها لها أصلا .

العنصرية المضادة

● ثمة من يقول بأن مصطفى سعيد في « موسم الهجرة » يمثل ما يمكن تسميته « بالعنصرية المضادة » فقد كان يتعامل مع البيض بقسوة تعكس قرونا من الاضطهاد اتخذ احيانا شكلا انتقاميا هنيئا ؟



.. بعض النقاد العرب يبحثون عادة عن عمل اجنبي ويضعون مقابله عملا عربيا يشبهه . وأنا

العربي والافريقي

• من حيث الصنعة الفنية ، لو استعرنا تعبير الناقد الانكليزي بيرسي لا بوك ، فان رواياتك تنتمي الى تقليد الرواية الاوروبية من حيث قوة المعمار الفني وثماسك احداثها والاقتصاد في لغتها ، ومن حيث الاجواء فانها شديدة المحلية بما يجعل أعمالك تنتمي الى الرواية الافريقية التي تحمل هذه السمات وليس الرواية العربية فما رأيك ؟

- ربما كان وجه الشبه بيني وبين كاتب افريقي مثل « تشينوا اتشيبي » هو انني مثله درست اللغة الانكليزية وامتلكتها تماما . وهذه اللغة كما هو معروف ليست لغة خطابة واستطراد ، وقد يكون تأثير هذه اللغة على كاتب عربي مختلفا عن تأثير اللغة الفرنسية مثلا . وربما تؤدي الى احساس مختلف عما يحدته كاتب ليست لديه معرفة بلغة اخرى . وأنا اتوقع مزيدا من التنوع عندما يبدأ بالكتابة أولئك الذين امتلكوا ناصية اللغة الروسية او الصينية مثلا . وكل هذه الامور تثير اللغة العربية بلا شك . ورغم كل ذلك فاني اعتقد ان هناك حيوية مافي الادب العربي ، ويشرفني أن أكون جزءا من انتاج ادبي اعتقد انه حي وغزير . وعلى أي حال فانا اعتقد أن بعض الكتاب الأفارقة مثل اتشيبي وسوينكا ونغوي كتبوا بدوافع وطنية بالدرجة الاولى ، كما أن « نغوي » مثلا بدأ يكتب اخيرا بلغة محلية عما يؤكد مذهب اليه .

• تتميز رواياتك عموما بالبساطة الشديدة التي تجعلها اقرب الى الحكاية ربما باستثناء «موسم الهجرة الى الشمال» ففيها قدر كبير من الصنعة الفنية . لكنك ذكرت اكثر من مرة كم هي مضنية لحظة الكتابة بالنسبة لك فكيف تفسر الجمع بين المعاناة الكبيرة قبل وأثناء الكتابة ، والبساطة الشديدة في الانتاج الفني ؟

- لا أدري كيف اجيب عن هذا السؤال لكن

لحوار الكاتب مع فنه . واحلى متعني هي التعبير عن افكار معقدة ، من خلال شخصيات بسيطة . ويمكن القول أن البلدة الوهمية التي اكتب عنها باستمرار هي نوع من المسرح الذي ابتدعته ، تتحرك فوقه الشخصيات . وفي رواياتي الاخيرة ، « بندر شاه » ضم البيت ومريود ، تكررت الشخصيات لافي المكان فحسب بل في الزمان ايضا ، فقد تكررت عبر قرون نفس الشخصيات ولكن بأسماء اخرى ، وحتى الان فاني لا أشعر بالرغبة في خلق مسرح آخر فانا احس بأنه لا تزال هناك مادة لم استنفدها بعد ، بل ان كل ما فعلته هو انني نبشت السطح ولم أغص في أغوار تلك الشخصيات .

• ألا تعتقد أن هذا يؤدي الى بروز قضية فنية أساسها التطور الافقي للشخصيات بدل تطورها في العمق ؟ اذ تبقى الشخصيات بنفس سماتها واسمائها ووظائفها ومواقعها ؟

انني لا أقصد خلق أحداث تدهش القارئ بقدر تقديم أحداث تؤدي الى نوع من التلامي الوجداني للشخصيات ، فان في ذهني أفكارا اتابعها من خلال هذه الشخصيات . ف شخصية مريم في « مريود » هي بشكل ما امتداد لنعمة في « عرس الزين » وحسنة في « موسم الهجرة الى الشمال » ولكن من خلال أوضاع مختلفة تماما . واعتقد بأن القارئ لو سار معي ببعض الاهتمام فسيجد أن هذه الشخصيات تشبه بعضها ظاهريا لكنها تختلف في الوقت نفسه، أما أن تنمو الشخصية بمعنى أن تتقلب بها الاحوال وتعرض لمقادير مختلفة فقد جربت هذا ايضا في « موسم الهجرة الى الشمال » وذلك لضرورات موضوعية وفنية . وعموما فان لنمو الشخصية عندي منطلقا آخر . وانني كثيرا ما أتساءل الى أي حد نحن ننمو ؟ فالعمر يتقدم بنا وننتقل من مكان الى آخر لكن لحظات النمو نادرة . فهي ليست ما يبدو على وجوهنا من غضبون . ان هذه اللحظات بمعناها العميق نادرة جدا . لذا ، فان الكشف الحقيقي في العمل الفني ربما يأخذ شكلا عاديا جدا ويحدث بطريقة عفوية جدا . ولا اعتقد أن الكاتب بحاجة الى رسم دراما كبيرة لخلق هذا التأثير .



الطباعة والنشر والاعلان . بالطبع هناك بعض
الالتصاعات التي لاتزال على قيد الحياة مثل غراهام
غرين في انكلترا ، لكني اعتقد أن الادب في أمريكا
اللاتينية له سمات الادب العربي ، ورغم أنني لم أقرأ
عن ماركيز أنه تأثر بالادب العربي إلا أنني متأكد من
أنه متأثر به . واعتقد أن رواية مثل « مائة عام من
العزلة » كان يمكن أن يكتبها روائي عربي . فما فعله
ماركيز هو أنه حطم قواعد الكتابة العقلانية بالمنطق
الاوروبي الغربي فسلوك شخصياته لا يخضع لتلك
القواعد بل يأخذ شكلا لامعقولا . وفي اعتقادي أن
هذا بالضبط ما فعلته « الف ليلة وليلة » حيث الجن
والعفاريت والأعمال الخارقة وما إلى ذلك .

لقد فعلت هذا عندما كتبت « عرس الزين » قبل
ظهور مائة عام من العزلة . وحينها قال بعض النقاد
العرب إن هذا العمل مليء بالخرافات وخصوصا
شخصيتي الزين والحنين ، ولم يدرك هؤلاء أن للعمل
الفني منطقا آخر وإيقاعا مختلفا . ولكن عندما قرأ
هؤلاء أعمال ماركيز ومن قبله جورج أمادو احترموها
تلك الأعمال التي كانوا قد اعترضوا عليها سابقا .
لكنني اعتقد أن مثل هذه التناقضات بدأت تقل أخيرا
بين نقادنا .

وفي اعتقادي أن على النقاد الاوروبيين الغربيين
احترام اختلافنا وغربتنا عنهم مثلما احترمو اختلاف
الادب الأمريكي اللاتيني الذي لاشك أنه ادب
عظيم ، وخصص بالذكر جورج أمادو الذي اعتقد أنه
اعظم من ماركيز وقد سبقه كثيرا في ادخال مؤثرات
كثيرة ، وخصوصا المؤثرات الافريقية .

● وماذا عن سورخيس الأرجنتيني
الذي يكتب بأسلوب أوروبي وذهنية
أوربية وبتقنية اوربية عالية ؟

- في اعتقادي أن الاحتفاء الكبير به في أوروبا يرجع
إلى أنه يمثل العنصر الأبيض في أمريكا اللاتينية ، وأنا
استخدم هذا التعبير بحذر لكن هذا رأيي .

● بعد مريود التي نشرت عام ١٩٧٦ لم تقرأ لك
شيئا فهل من أعمال جديدة ؟

- هذا صحيح . ولكنني الآن بصدد عمل كبير
أعمل فيه ببطء ، وأتوقع أن يأخذ مني وقتا طويلا .
إذا مد الله في عمري . □

يحضرنى قول الناقد الانكليزي هازلت الذي يقول بأن
« البساطة هي نتاج عملية معقدة » أنا لا اعتقد أن
هناك شيئا اسمه البساطة . وفي موسم الهجرة إلى
الشمال أقول « إن الشجرة تنمو ببساطة لكن كم هو
معقد أن تكون الشجرة شجرة » . وأنا لا أحب أن
أعقد العمل دون سبب رغم بعض الاتهامات لي
بتعقد أعمال مثل مريود وضو البيت . كما أنني لا
أعتمد البساطة ، أيضا فما يسمى بالشكل والمضمون
هما في واقع الأمر شيء واحد .

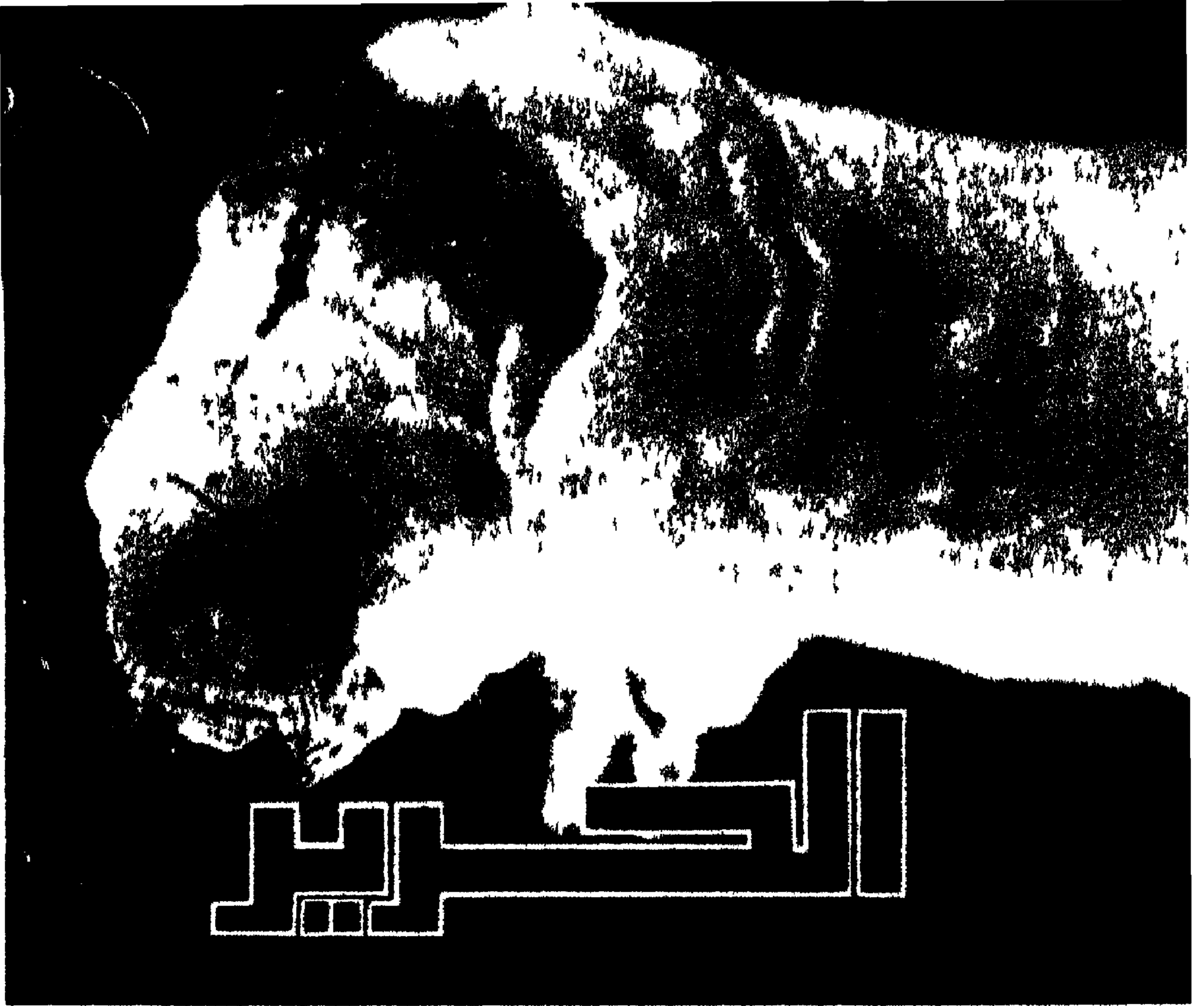
الأسئلة الكبيرة

● هناك ما يشبه الاجماع بأن الرواية
العربية منذ السبعينيات قطعت شوطا
كبيرا وحقت انجازات مهمة . ماهو
تقييمك الخاص لهذه الانجازات ؟

- دون الدخول في تفاصيل لاداعي لها ، اعتقد أن
الرواية العربية أصبحت إضافة كبيرة للادب العربي .
وقد تحقق ذلك بمجهودات اناس كثيرين لا يحصون
عدا عن نجيب محفوظ الذي قام بدور ريادي في مجال
الكتابة الروائية إلى ما يتجه كتاب جدد آخرون في
تونس والمغرب والعراق وغيرها . ولاشك أن الرواية
العربية قد تمكنت من طرح الأسئلة الكبيرة وقامت
بمحاولات نبيلة لاستجلاء واستكشاف آفاق الحياة
العربية والوجدان العربي ، وربما أكثر من أي فرع من
فروع الكتابة ربما كانت هناك بعض المحاولات
الفاشلة ولكن لو قارنا بين الجانب الابداعي عموما
ومنه الروائي وبين الإضافات في مجال الفكر مثلا فاننا
نجد أن الرواية قد أضافت أكثر .

● في السنوات الاخيرة بدأ الأدب في
أمريكا اللاتينية يتحول إلى ظاهرة عالمية في
الوقت الذي بهت فيه الابداع الروائي
الاوروبي . فهل أنت مع القول بنمو
شجرة الادب في أمريكا اللاتينية بينما
تحولت الرواية الاوربية إلى شجرة
ميتة ؟

- في اعتقادي أن الادب في انكلترا وفرنسا تحول
إلى عملية يحكمها قانون العرض والطلب وآلية عملية



ملحكة الأنسجة

اعداد : ريم الكيلاني

عرفت البشرية منذ نشأتها عديدا من أنواع الألبسة والأغطية والفراش ، وجهدت
 في صنع الحديث منها، غير أن هناك نسيجا فذا يأتينا عن طريق ديدان وشرائق ،
 يكتب له التالق والتميز على سائر الأنسجة ، هو الحرير .

سيح رائع الجمال ، ناعم الملمس ، تصعبه
 ديدان وشرائق صئيلة المحم
 سيج مثالق براق بقي سر صاعته كما
 وراء سور الصين العظيم لمئات السنين
 ناعم كسمة هواء رطبة مثالق كالشريا

هذا الموضوع يأخذنا إلى تاريخ هذا السيج وانتاحه ، وأساليب نميته ، والامم التي
 اشتهرت به
 وهي خطوات لن نعلم فيها روعة الطبيعة ،
 ومهارة الصفة

شال من الحرير تمت حياكته وتطريزه بتصميم رائع ، وضعه الفنان الصيني « زنك وينشونك » ، فيه لمسات غريبة ، تطلق بالجديد .

منذ أكثر من ٤٠٠ عام كان هذا الثوب البالغ الحساسية والعمومة لا يلبس الا في أعمال السحر والشعوذة لكن سره بقي محفوظا عند الامبراطور الصيني كل تلك السنين .

نسيج الرفاهية

بمرور الزمن أصبحت فراشة القز ملكة الأنسجة بلا منازع ، حيث تبدع حريرا . آية في الجمال والروعة .

ويعود تاريخ منتجات الحرير من أقمشة وسجاد وملابس لأكثر من ٤٠٠٠ عام ، حيث كان اللحف الحريري في الصين الصداق المؤحر للسيدة الصينية . كما تبدو المرأة أكثر جمالا وجاذبية حين ترتدى الكميوو الحريري (عباءة يابانية للسيدات) فهو يحمل في طباته غير الملوك ، ودائما يشارك الحرير في العروص التي تتم في اثناء اللقاعات القبلية بين رؤساء العشائر .

ولكن ، ما الذي يجعل صناعة الحرير أمرا يستحق الاهتمام ؟

ان طبقة البروتين التي تغطي الحرير تعطيه لمعانا لؤلؤيا يجعل منه مادة غاية في النضارة .

وفراشة القز ، التي تقوم بإنتاج الحرير ، هي في الواقع شرنقة ، وتنتمي الشرائق الى طائفتين هما : الدود التجاري والزحليات أو الدود البري ، والاثنان يتبعان فصيلة الحشرات القشرية الاجنحة .

دودة القز الكاملة النمو والتي تتغذى على نباتات الطماطم تنتج حريرا لا يضاهي روعة الحرير الذي تنتجه الشرائق التي تعيش في المنازل وتتغذى على أشجار التوت .

فكثير من يرقات الفراش وبعض ديدان الحشرات الأخرى تغزل مساكن لها من الحرير ، قبل أن تتحول الى عذارى ، ومن أهم هذه الأنواع دودة لها أجنحة بيضاء يطلق عليها العلماء اسم « بومبكس » أو دودة الحرير ، وهما أقرب الى الفراشة في طور اليرقة منها الى الدودة ، هذه الفراشات لا تأكل شيئا خلال أيام

حياتها القصيرة ، بل تبيض من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيضة ، تخرج منها بعد الفقس اليرقات التي تسمى خطأ دودة الحرير .

ولقد كان الحرير سرا من أسرار الصين زمنا طويلا ، ولكن أخيرا أدخلت دودة القز الى أقطار البحر المتوسط ، وزرعت هناك أشجار التوت لتغذى عليها ، كذلك تمت صناعة الحرير في إنجلترا ، حيث تغزل اليرقات الحرير للملابس الملوك ، أما الهند فتحتكر فراشة الموجا التي تنتج الحرير الذهبي المثالي في وادي آسام الرطب .

وليس الحرير الا لعاب الفراشة الذي يتجمد عند ملامسة الهواء له ، ويخرج من فم اليرقة بمعدل ست بوصات في الدقيقة ، وقد ينتج منه خيط واحد طوله ألف قدم ، وتلفه الفراشة المرة بعد المرة حول جسمها لتصنع منه غبأ لها يسمى الشرنقة التي بداخلها ، تبدأ اليرقة المتعبة كي تتحول الى عذراء ، وحينئذ ، تجمع الشرائق وتغمس في الماء الساخن لتموت الحشرات داخلها ، ثم تفك الخيوط الطويلة باليد ، وقد يحتاج الأمر الى ٢٥ ألف شرنقة للحصول على رطل واحد من الحرير ، وتترك بعض الشرائق جانباً بدون قتل ما بداخلها ، ومن هذه الشرائق تخرج الفراشات لتضع بيضا آخر يفقس ويعطي يرقات أكثر تنتج شرائق أخرى وهكذا .

ومن الحشرات المفيدة العاملة أيضا نوع من « المن أو بق النبات » ويوجد في الهند ويسمى « صانعة الصمغ » وهي تنتج الصمغ المعروف « باللاك » الذي يدخل في تركيب مواد التلميع ، وتأكل هذه الحشرة أوراق أشجار كثيرة ، ولكنها تفضل نوعا خاصا من أشجار التين ، تثقب قشر الشجر اللين وتلصق نفسها بالعصارة اللزجة التي تفرزها الشجرة ، وتصبح بمثابة الغطاء الواقى للحشرة ، يحميها من الشمس والمطر ، الى أن تضع بيضا تحتها ، ثم تموت وتبقى أجسام هذه الحشرات الجافة ممتزجة بالاصماغ التي تباع تحت اسم « اللاك » .

وحين تدعى الأنثى للتزاوج ، فإن من ٣٠٠ الى ٥٠٠ بيضة تلقى بعد ساعات قليلة من اللقاء ، لثموت بعدها خلال يومين أو ثلاثة ، بينما ينمو البيض نموا منظما في جوبارد ، ويفقس في مدة تتراوح بين ستة أسابيع الى اثني عشر شهرا .



Figure 1. A person in a dynamic pose, possibly a dancer or acrobat, against a dark background.



CONFIDENTIAL

والحكك لا تتلذذ أنه لحمل رباط عنق واحد قد تستهلك ١١٠ من الشرائق ، بينما تقوم ٣٦٠ شرنقة بانتاج ما يصنع قميصا من الحرير ، أما العباسة الحريرية فهي انتاج ثلاثة آلاف شرنقة تستهلك ١٣٥ ألف باوند من أوراق أشجار التوت .

قدسية فراش الحرير

ان معظم الحرير المصنع الذى يستعمل اليوم ويحلب من فرنسا وإيطاليا ، كانت نشأته أيضا في الصين التي تسهم بأكثر من نصف انتاج العالم من الحرير ، أي ما يعادل ٤٨٠,٠٠٠ شرنقة ، واليابان أكبر مستهلك للحرير ، وبعد أن كانت الرائدة في انتاجه تراجعت الى الخلف ، واحتلت الصين المرتبة الأولى في انتاج الحرير .

ان جودة فراشة القز يحدد بالنوع والكمية التي تنتجها من الحرير ، وعلى الرغم من أن عمليات التهجين قد تطورت مع تقدم الزمن ، فإن عملية التلقيح التي تتم بين الأجناس اليابانية والصينية تتم في جو من التدليل والرفاهية ، باعتبارها مخلوقات قصيرة العمر ، وتستعين الصين في تربية فراشة القز بالاساليب الآتية :

١ - نباح الكلب ، وصياح الديك ، وأحيانا رائحة العفن ، فهذه المحسوسات ينشط عليها تكاثر الفراش ، ومن ثم يزيد انتاجه من الحرير .
٢ - ترقد الشرنقة على فراش ناعم جاف ، وتعمل بالنسجاء تام حينها تتاح لها أنغام الموسيقى الهادئة .
٣ - حين تتخطى الشرنقة مرحلتها ، أي تتحول الى فراشة متكاملة النمو ، فإنهم يجعلونها طعاما للسماك ، وذلك لمنع تغير نوع الحرير وجودته .

٤ - يجب أن تتوافر للفراشة الأم نظافتها ، فلا تشم رائحة كريهة ، كما يجب أن تمتنع عن أكل البقول أو حتى لمسها .

٥ - تتلذذ الشرائق بمدافعة زغب الدجاج لتطوير عملية الغزل .

وهذه التقاليد والاساليب بالنسبة للصين نادرا ما تحول أو تعطل ، بل انها لا تزال باقية حتى اليوم ، ولفراش الحرير قدسية يلتزمها النساء والرجال ، والنساء اللاتي يربين فراش القز لا يدخن أو يضعن

المساحيق على وجوههن ، ولا يأكلن الثوم ، بل يجب أن يتعلمن في أرجلهن أحذية نظيفة .

ويسعين لتقديم الصلوات لألهة الحرير مرة كل عام ، وتلك الحساسية وشدة الحذر لا تقتصر على الصينيين فحسب ، بل تجد الرجال في جنوب غرب نيجيريا (يوروبا) لا يدنون أو يعاشرون نساءهم اللاتي ينقن أو ينسجن الحرير ، أما الرجال الذين يبقون في المزارع فهم لا يقصون شعورهم أو يحلقون لحاهم ، كما يتبعون نظاما غذائيا خاصا ، وتختصر زوجات هؤلاء المزارعين طعام العشاء الا أنهم يفرقون عنهم بقية الليل .

وفي مدينة زوزاوا وطوكيو لا بد لمن يزور مزارع فراش القز أن يرتدي طقما أبيض منشى باليابان ، مع قبعة وقناع شبكي شفاف للوجه ، والا واجهته رائحة غاز الفورمالدهيد المطهر الذى يعمي العين ، كما سيضطر الزائر الى تركيب أظافر صناعية .

كذلك تقاس درجة الحرارة ونسبة الرطوبة خمس مرات يوميا ، وبينما يتم كل ذلك يدور في الصين ، الا أن اليابان تفضل استعمال الآلة حتى في هذا المجال .

وللنساء دور

وفي الصين يكون انتاج الحرير في مرحلته الأولى معتمدا اعتمادا كليا على النساء ، ففي مصنع دانج دونج في الصين ، تجلس النساء أمام آلة الغزل ليغزلن الشرائق ، ويخلصن خيوط الحرير من المادة الصمغية العالقة بها ، بوساطة الماء الساخن العكر ، فترى أصابعهن تتحرك بخفة وسرعة لتجمع الخيوط والألبان من ست شرائق ، وتقدمها بالقوت مع كل دورة للآلة . وعدد الشرائق المستعملة يعتمد على مدى سمك وكثافة الخيوط المنتجة ، ولكنه عادة ما يتراوح بين ٥ الى ثمانية خيوط تكفى الحاجة .

وقد تجد في الهند في منطقة نواباتا ، فتاة لا تتعدى العاشرة من عمرها ، بصحبة عشرين فتاة أخرى يقبعن بجانب خيوط الحرير ، ويقمن بغزلها ولغها حول سيقانهن في غرفة شديدة الظلمة ، ذات أرضية موحلة ، وتسحب الفتيات الخيوط من خمس شرائق بوساطة ساقها اليسرى ، تجمعها معا أو تبرمها أو

تجدها معا لتصنع منها خيوطاً مينة ، وتفضل الفتيات العمل في هذا المجال لأن سيقانهن أقل شعرا من سيقان الرجال .

كما تشترك في الهند الأسرة بكاملها في صناعة الحرير ، فقد تجد فتى صغيرا يقبع أمام نول ينسج سجادة ، ووالده بجانبه يهمس بترنيمة عذبة ، وهو يرسم نموذجا فعليا لتصميم ما ، كما قد تجد الزوجة تنقي الحرير والجدة تحوكة ، وطفلا يجدل الخيوط ، وآخر يعاون والده في العمل على النول ، ليتجوا معا « ساريا » فاخر الصنع .

وقد ترى حكاية الحرير في بعض القصص والأساطير التاريخية ، مثل نقل « ماركوبولو » للحرير من الصين الى فينيسيا بإيطاليا . والصين ، موطن الحرير ، البلد الفنان في صناعته ، الرائد في حياكته . ان روعة خيوط الحرير الصينية جعلت منها مقياسا للتميز وتحديد الثمن .

وقد افتتحت المحكمة الملكية في الصين مصانع نسيج الحرير لأغراض تجارية ، ولتقديم الهدايا للدول الأجنبية ، وبذلك فهي تضمن توسع نفوذها خارج حدود بلادها .

وتحتفظ الصين بسر تربية فراشة الحرير منذ مئات السنين ، ويقتل تعذيبا من ييوح بهذا السر ، وهذا القرار أصدرته لائحة القانون الملكي حينذاك . .

ومع انهيار الامبراطورية الصينية ، اتسعت دائرة مربى وحافظي وصانعي الحرير ، ويلات سر لمعان النسيج الحريري وتآلفه ونعومته معروفا لدى الجميع . .

ومع بداية القرن الرابع عشر ، كان يصنع الحرير الايطالي في فلورنسا وفينيسيا وجنوا ، كما شجعت العائلات النبيلة تلك الصناعة ، وتعتبر منطقة « كومو » مرتعا خصبا لصناعة الحرير ، فهي تنتج سنويا ١٥ مليون ربطة عنق ، و ٦٠ مليون متر من أجمل أنواع الأقمشة الحريرية نعومة وتآلقا . .

باريس والحرير

وقد حققت مدينة « ليون » في القرن السادس عشر ، وبمعاونة فرانسيس الأول انتعاشا في صناعة الحرير ، وخصوصا بعد أن حددت عملية استيراد

وبانتهاء القرن الثامن عشر ، كان هناك ما يساوى ١٨٠,٠٠٠ نول ينسج الحرير . وباندلاع الثورة الفرنسية ، ووقوع فرنسا في أزمة كبيرة باعدت بينها وبين الترف ، حل القطن مكان الحرير ، وتوقفت الأنوال عن العمل . . وانهارت صناعة الحرير .

وفي عام ١٨٠٤ قدم « جوزيف ماري » آلة نسج وتحرير تسمح للحرفي بالتحكم في النول ، وتعمل على انتاج نماذج معقدة بسرعة ودقة أكبر ، وفي عام ١٨٣٠ احتلت آلة الندف مكانا مرموقا في مجال صناعة الحرير .

ولما تسلم نابليون الحكم ، كان من حبه للحرير أن أمر الأعيان والنبلاء بارتداء الحرير الذي تنتجه ليون ، كما ضم قصره مقروشات حريرية فاخرة .

وقد استغرقت لديه صناعة لحاف من الحرير مبعة عشر عاما ، وأنت حين تراه تذهلك مقدرة كل من « ناسينارى وشانيل » على عمل الخرائط وتحديد اتجاهات الرسومات بمثل هذه الدقة والروعة .

الحرير المدمر

وعبر الاطرنطي . . ظفرت تربية دودة الحرير بعناية أولية ، في المستعمرات الأمريكية ، حيث شجع جيمس الأول في عام ١٦٠٩ قيام صناعة الحرير ، وذلك باجتثاث نبات الدخان واحلال شجر التوت مكانه لتربى على أوراقه صانعة الحرير . بعد ذلك بعشرة أعوام بدأت تجربة أكثر نجاحا في حقل تربية دودة القز ، ولكنها كانت شاقة عملة تحتاج لجهد كبير ، ولا تدر ربحا كالقطن ونبتة الدخان ، وبذلك فإن الجهود التي تبذلها تلك المستعمرات كانت بالفعل عقيمة ، فأمريكا تفتقر للعامل الصبور المحتمل



THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS

CHICAGO, ILLINOIS

● الحرير ملك الأنسجة

لعملية انتاج الحرير
وان الهدوء الطبيعي لمياه نهر « الناسيك » كانت
المكان الأمثل لاردهار صناعه الحرير في شمال شرق
الولايات المتحدة في باترسون التي تعتبر اليوم مركزا
حيويا في مجال صناعة الحرير

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية قوطع سوق
الحرير الياباني ، وتحول الباقي منه للاستعمالات
الحربية فقد كانت المطلات الهائلة المصنوعة من
الحرير قوية مرنة ، أما مسحوق الحرير المستعمل في
الحروب فيوضع في هوة السلاح ليحرق كل شيء ،
ولا يترك حله الا الدمار والحرب ، أما في الصين .
فالحرير الصناعي لم يكن متوافرا مع بداية عام
١٩٥٠

الا أن سحر الحرير الصناعي وبهتته بدأ يتضاءل
في الآونة الأخيرة ، وبات للحرير الطبيعي مزاياه
المتصوفة في جميع المجالات (الملابس والأثاث)

ويحاول الصينيون اليوم أن تطل الصين الأولى في انتاج
وتصدير الحرير الطبيعي للعالم ، ولكنهم حوهموا
بمثل دريع في تسويق منتجاتهم ، لأن أمريكا تتع
حريرا جيدا وبكميات كبيرة وألوان عديدة ، وذلك
لأن فراش القري يتعدى في أمريكا الاستوائية على
عصارة أشجار معينة ، وتظهر على أحسامها الحافة
أصابع ذات ألوان مبهجة ، ولافتقاد الصين للآلات
الحديثة التي تملكها أمريكا ، فقد سادرت الولايات
المتحدة في منتصف عام ١٩٧٣ بمسح الصين
٢٠٠,٠٠٠ دولار لتتمكن من شراء أسوال
أوتوماتيكية

واليوم ، يدخل الكمبيوتر الى الأنوال ليصاعف
كمية الحرير المنتجة ، كما يمكن للمصمم بواسطة
الكمبيوتر ، عمل أكثر من ٢٠٠ تصميم كل منها
مختلف عن الآخر في وقت واحد

وباستثناء سبب الحرب حيث تقل الحاجة للتزود
بالحرير ، فإن انتاجه موار لكمية استهلاكه
وللساء نظرية في سبب الترف والرجاء ، فيقول
بعضهم يسحر الحرير حسد المرأة ، كما تسحر الحلي
يدها وعنفها

هذا هو الحرير فمن الشريعة الصغيرة كان
ملك الاسحة وكانت الحيوط اللامعة □



عملية التصول من خيط الى لفة ، تنظير الشرقية في نكاه
النساجين لتلوي للناعة الحريرية والحصول لياوية الخيوط
عجاسكة

صاعة كبيرة صنعتت بخيوط سحرية لأهمية في فرنسا





إصابات الرأس واللحظات الذهبية

بقلم : الدكتور سامي محمود علي

.. وليس عجيباً مثل المخ . هذه المادة الهلامية التي لا يزيد وزنها عن ٢٪ من

وزن الجسم .. الا أنها تحمل في طياتها أسرار الوجود الانساني كله .. ماذا تعرف

عن هذا المخ وكيف يمكن مواجهة اصابات الرأس في الوقت المناسب حين تكون

هناك لحظات فاصلة بين الحياة والموت .. هذا هو ما يعرضه هذا المقال .

وهي أرقى نقطة حيوية تصادفها في كل الكائنات الحية ، وتتولى هذه القشرة مسئولية الفكر وتسجيل الذكريات والاحلام وتبادل اللغة والكثير من الوظائف التي يعزى لها السبب فيها براه حولنا من مدنية وتقدم ورقي .

ان المخ البشري قد أودعه الله علة عظيمة متينة النيان ، وحفظه سبحانه بسوائل يغوص فيها فضلاً عن أغشية ثلاثة : الواحد يلي الآخر ، فكأنه يأمّن من الاخطار ، يعمل في هدوء لبقاء الكائن البشري

المخ هو بعض اعجاز الخلق كما أراد له سبحانه أن يتجلى في أروع صور الاعجاز والانداع .

ان ما يقرب من اثنتي عشرة خلية عصبية تؤدي من الاعمال ما يفوق كل خيال ويطيح بكل وصف ، ولو أتيح لنا أن نزيل حجاب الحلد والعظم ونطالع المخ من الداخل ، لوجدنا أن هناك شبكة معقدة من الأوعية الدموية تمتد المخ بما يقرب من ٢٠٪ من أوكسجين الجسم كله ، كما أننا نلاحظ أن ما يقرب من ٨٠٪ من حجم المخ كله يمثل القشرة المخية ،

الملاحظات الذهبية

ان اللحظات التي تلي وصول المصاب الى المستشفى مباشرة هي - بحق - لحظات ذهبية وفاصلة في ذات الوقت ، انها ميلاد جديد للمصاب .

ولعل أول ما يعاني منه المصاب نقص أوكسجين المخ والصدمة ، ان اصابة الرأس قد تؤدي الى حدوث « أوديميا » نحية واضطراب في الدورة الدموية بالمخ مما يجعل حجم الدم الواصل الى الدماغ قليلا ، وبالتالي فان امداد المخ بالاكسجين يكون منخفضا . ان هذه الحالة ذات خطر عظيم على حياة المصاب ، لذلك فان الحكمة تقتضي تنظيف حلق المريض وفمه ، كما يصل الامر في بعض الأحيان الى عمل فتحة صناعية في مقدمة عنق المصاب تفتح على القصبة الهوائية للمحافظة على تنفس المصاب .

في الوقت نفسه فان المصاب قد يكون في حالة صدمة اثر اصابته ، وهنا لابد من الحفاظ على مستوى ضغط الدم وعدد كرات الدم في حالة طبيعية . كما يمكن اعطاء المصاب كميات مناسبة من المحاليل والجلوكوز عن طريق الحقن بالوريد ، أو عمل نقل دم له اذا اقتضى الأمر . وفي الغالب فان استمرار حالة الصدمة لدى المصاب بعد القيام بهذه الاجراءات قد يعزى الى عدم كفاية عضلة القلب مما يجعله بحاجة الى العلاج بمواد التنشيط العضلية .

ومن المعروف أن حالة الصدمة لا تحدث الا اذا كان المفقود من دم المصاب يقل عن ٣٠٪ من مجموع حجم الدم الذي يزن حوالي ٧٪ من كل وزن الجسم . ويلجأ الطبيب الى حساب كمية السوائل التي يخرجها المصاب في البول . ومثل هذه المعالجة لابد وأن تحسن الى حد كبير من حالة الصدمة ، أما استمرارها لأكثر من ساعتين بعد ذلك ، فان الامر هنا لايعني اصابة الدماغ فحسب ، بل قد يكون هناك خلل ما في التجويف الصدري أو أعلى البطن .

بجانب معاناة المصاب من نقص أوكسجين المخ والصدمة فانه قد يعاني أيضا من اصابات أخرى تشمل مناطق شتى من الجسم ، فقد يكون مصابا بجرح في الصدر أو كسر في الضلوع أو ارتشاح سائل داخل التجويف الصدري ، وكل هذه المضاعفات يجب أن تعالج على الفور ، فان كسر الضلوع يعالج

واستمرارته . . الا أنه وعلى الرغم من هذه الاحتياطات الأمنية فان المخ قد تصيبه حادثة أو يتعرض لأصابة ، ومن المؤسف أن خلايا المخ سريعة العطب فهي تموت في دقائق معدودة ، كما أن خلايا المخ ليست لها القدرة على التكاثر كبقية خلايا الجسم ، ومن هنا فان اصابة الرأس وما تتركه من آثار على المخ تكون وخيمة في عواقبها اذا لم تعالج بسرعة . ولا عجب اذن في ان اللحظات التي تلي اصابة الرأس هي بحق لحظات ذهبية في حياة المريض . فخلالها يكون المريض بين الحياة والموت .

الاسعافات الأولية

ان المصاب في الرأس يكون عادة في حالة غيبوبة ، يصحبها اختناق أو ضيق في التنفس ، لذلك فان الاسعافات التي يجب أن تجري في مكان الاصابة نفسه « باللغة الاحمية » في المحافظة على حياة المصاب ، ومن الممكن تحديد هذه الاسعافات في الخطوات الآتية :

١ - التأكد من كون مجرى التنفس نظيفا وأن الهواء لايعوقه شيء في دخوله الى الرئتين ، وهنا يجب ملاحظة الا يكون اللسان واقعا الى أسفل الحلق ، أو يكون هناك أسنان مكسورة أو دم متجلط في تجويف الفم أو الحلق ، وحتى يتمكن المصاب من التنفس بصورة سليمة فيجب أن يكون راقدا على جانبه ووجهه الى أسفل .

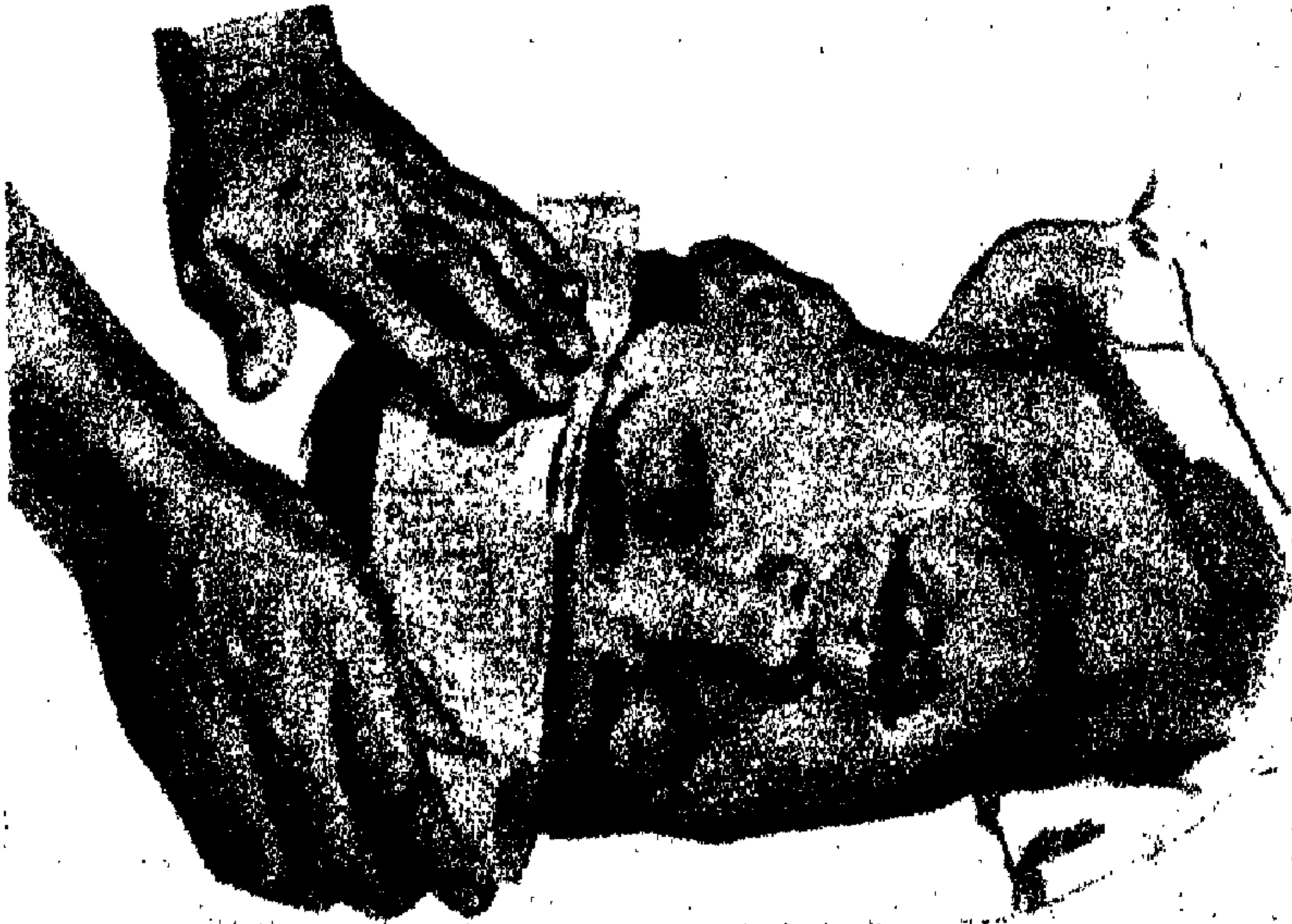
٢ - وعند تحريك المصاب فان هذه الحركة يجب أن يقوم بها عدة أشخاص لا شخص واحد ، وذلك حتى يكون جسم المصاب في وضع مستقيم فلا يحدث أي ضغط على النخاع الشوكي في منطقة الرقبة التي قد تكون مصابة مما قد يؤدي بالمصاب الى التعرض لخطر الاصابة بالشلل الرباعي أو شلل الاطراف الأربعة

٣ - ان أفضل دم للمصاب هو دمه نفسه ، لذلك يجب وقف أي مصدر للنزيف الخارجي وذلك بالضغط بشدة على مكان النزيف .

٤ - يجب الا تترك الأجزاء المصابة بكسور كما هي حتى وصول المصاب الى المستشفى ، بل يجب وضع جبيرة لكل الاطراف المكسورة .

الاسعافات الأولية في علاج إصابات الرأس

وضع المصاب
على جانبه بمساعدة
أكثر من شخص .



وقف أي مصدر
للتسريع في الرأس
لو أي جرح آخر قد
يكون موجودا .



تنظيم عمر الهواء ورفع الفكين لأعلى وكلامهم .

● إصابات الرأس والليحطات الذهبية

بتعديل وضع الضلع المكسور ولصقه جيدا بعد تثبيته ، كما يجب سحب السوائل المرتشحة داخل تجويف الصدر .

وإذا كانت الإصابة في البطن فأنها تتضمن تمزقا في الكبد أو الطحال الذي يتسبب عنه نزيف داخلي مما يتطلب تدخلا جراحيا سريعا ، وقد يكون التمزق في المثانة وهنا يحقن الطبيب المصاب بصبغة ملونة بعد عمل قسطرة للمثانة ، ثم يأخذ صورة أشعة فتبدو الصبغة متشرة في جدران البطن .

الجراحة ضرورية . . ؟

هناك عدة مؤشرات تحتم ضرورة التدخل الجراحي لانقاذ حياة المصاب . . وهذه المؤشرات تضم في ثايها ما يمكن تسميته بالدورات الحيوية داخل الجسم كالنبض والتنفس ودرجة الحرارة ، فمعدل نبض المصاب إذا كان عاديا أو سريعا عند دخول المصاب للمستشفى ثم أخذ في النقصان أو التباطؤ فان ذلك يعني أن هناك ضغطا ما يعاني منه الدماغ . كذلك إذا كان معدل التنفس بطيئا وعميقا في ذات الوقت وكان مصحوبا بمعدل نبض منخفض فان ذلك يكون مؤشرا لوجود نزيف داخل الدماغ ، ويكون ارتفاع درجة الحرارة دليلا على وجود إصابة في الجذع المخي الذي يحتوي على مركز التحكم في درجة حرارة الجسم .

لا تخلو هذه المؤشرات بالطبيع من بعض الاستثناءات ، فالأشخاص كبار السن مثلا أو المدمنون على شرب الكحوليات والخمور فأنهم يعلنون بشكل أو بآخر من ضمور في حجم المخ وهذا الضمور يكون من شأنه ترك مسافات بين المخ وعظام الجمجمة فلا تظهر علامات وجود النزيف المخي التي ذكرناها أما الاطفال وصغار السن من الشباب فيكون أي تجمع دموي ولو كان صغيرا جدا داخل ادماغهم واضحا في علاماته بأن هناك ضغطا قد ازداد داخل الدماغ .

وقد يحدث النزيف داخل الدماغ في أماكن مختلفة أو تحت غشاء الأم الجافية ، وقد يحدث النزيف داخل نسيج المخ . وفي كل الحالات فان هناك عدة اختبارات وفحوص يجب أن تجري لبيان مدى إصابة



المصاب وكشفه مرفوعتان ثم يحقن بمخدر موضعي في مكان الفتح



عمل قطع في مقدم العنق ثم ابعاد العضلات لشفق القصة الحوائية

عمل فتحة صناعية في مقدمة الرقبة لدخول الهواء الى الرئتين

القيام بعمل تقويم تربنة في عظام الجمجمة ، وقد يكون ضروريا بعد ذلك القيام بعملية تربنة في الجزء الخلفي أو الامامي من الجمجمة . كما تتضمن الفحوص عمل رسم للمخ بالموجات فوق الصوتية ، وهنا يكون أي انحراف في مسار الأشعة دليلا على وجود نزيف أو تجمع دموي أو يدل على وجود ورم . وهناك علامات تؤدي الى الاسراع بالعملية الجراحية في وقت مبكر وأخرى تحتّم اجراء مثل هذه العملية فورا ودون أي تأخير ، ومن العلامات التي تدل على القيام بالعملية في وقت مبكر كلما أمكن ذلك نجد :

- ١- وجود كسر في عظام الجمجمة يزيد عن نصف سمك عظم الجمجمة .
- ٢- ظهور نتوء أو ما يسمى « كرة بنج بونج » في رأس الطفل .
- ٣- نزول سوائل من الانف أو الاذن .
- أما العلامات التي تحتاج الى جراحة فورية فهي :
- ١- انخفاض مستوى الشعور أو الوعي عند دخول المصاب المستشفى .
- ٢- عدم التناسق في اتساع بؤبؤ العين في كلتا العينين .
- ٣- الإصابة بالشلل النصفي أو فقدان الاحساس بالالم (التميل) .
- ٤- الاضطراب الكبير في بعض العمليات الحيوية بالجسم مثل تباطؤ النبض مع ارتفاع الضغط .

الليخظات الخرجة . ؟

ان الرعاية المكثفة هي كل ما يحتاجه المصاب في الرأس ، فهذا المصاب بحاجة مستمرة لقياس نبضه وسرعة تنفسه ومعدل ضغط دمه كل ١٥ دقيقة خلال الأربع ساعات الأولى من دخوله المستشفى ، ثم تقاس هذه المعدلات بعد ذلك كل نصف ساعة ، كما أن درجة الحرارة تقاس كل ساعتين ، وعند اعطاء سوائل يجب أن تعطى في الاطراف العلوية (الذراعين) أفضل من الاطراف السفلية (الساقين) لأن مصاب الرأس يكون غير قادر على الحركة ومن ثم فإن فرصة انسداد الأوردة في الاطراف

وإذا كان المصاب يعاني من صدمة فيجب أن يعطى السوائل على الفور ، وعادة يتم حقنه بما يعادل لترًا ونصفًا من السوائل ، هذا بالإضافة الى كمية متساوية لكمية البول التي يخرجها ، يكون ذلك خلال الايام الاربعة الأولى ثم تزيد هذه الكمية الى لترين ونصف بعد ذلك . . . وقد يحتاج المصاب الى التغذية عن طريق انبوب المعدة ويكون ذلك فور عودة أداء الأمعاء لوظيفتها الطبيعية ، وعادة ما يكون ذلك بعد ٤٨ ساعة وتكون التغذية من الانبوب عبارة عن خليط من الديكترول ١٠٪ والماء (٥٠ سم كل ساعة) ثم يضاف اليهما اللبن والمواد البروتينية الخفيفة بعد ذلك .

ويمكن اعطاء المصاب بعض الادوية المناسبة في حالة معاناته .

ان زيادة الضغط داخل الدماغ - يعمل على زيادة الارتشاح داخل المخ أو ما يسمى « بالأوديميا » وهذه الأوديميا تزيد من حجم الضغط الواقع على المخ والمحصور بالفعل بين عظام صلبة هي الجمجمة .

وقد وجد أن حقن اليوريا يؤدي الى انكماش في انسجة المخ كما يعرض المصاب لفقدان كمية كبيرة من الماء تصل الى ٤ لترات لذا يجب تعويض المصاب عن هذا الفقدان للماء والا تعرض لحالة جفاف حادة .

ان هذه الرعاية المكثفة يجب أن تنبها في الوقت نفسه الى بعض المضاعفات التي يمكن أن تحدث في أثناء المعالجة ، ومن هذه المضاعفات حدوث السدة الدهنية في المخ التي يمكن أن تحدث خلال ثلاثة الأيام الأولى من الإصابة وإذا ما حدثت هذه السدة فان المصاب يعاني من شعور بعدم الراحة والتهيج .

وهناك أيضا التهاب الرئوي الذي يعتبر سببا رئيسيا للوفاة في مصاب الرأس ، وهذه الحالة تنتج اذا استمر المصاب مستلقيا على ظهره لفترة طويلة دون تغيير وضعه ، وهنا لا بد أن يتم المصاب على جنبه بالتوالي ثم بالعودة مرة أخرى للنوم على ظهره ، ذلك بحيث لا يتجاوز ما يمضيه نائما على ظهره ثلث الوقت فقط .

اننا عندما نتعامل مع اصابة في الدماغ فاننا نكون مدركين أننا نتعامل مع ما يستر الحياة في الانسان ، ان تعاملنا - ولاشك - يجب أن يتسم بالحرص والحذر معا . . .



أقوال

إذا رغب الناس قراءة كتاب أكثر من مرة فذلك يعني أن الكاتب جيد .

شولوخوف



« في طفولتي ، عندما كنت أفتح على المعرفة ، بفضل لغتي الأم ، بدا لي أن أقام اللغة الفرنسية شبيه بحضور دركي » .

جيرار شونيه / كاتب من هايتي

لا يكفي أن تتوفر لديك عناصر نجاح اللعبة ، ولكن يتعين عليك أيضا أن تعرف كيف تلعبها .

هيرمان النيس / السفير الاميركي الأسبق في مصر



ان أمن الشام يبدأ من جبال طوروس ، وأمن جبال طوروس يبدأ من ممرات سيناء ، وأمن القاهرة يبدأ من هذه الممرات ، ان القاهرة مفتاح الشام ، والشام مفتاح المنطقة .

العقيد . شريف باشا الفرنساوي

« تستطيعون أن تدخلوا حديقتي في أي وقت ، وأن تأخذوا ما تشتم من ثمار المانجو ، ولكن لا تقطفوا الأشجار بالحجارة » .

هيمنجواي / كاتب أميركي

إذا أطلقت نيران مسدسك على الماضي ، أطلق المستقبل نيران مدافعه عليك .

رسول حمزاتوف / شاعر داغستاني

البلاء كالأشخاص بعضها يروقك من الزيارة الاولى وتنقطع حبال المودة مع البعض الآخر ربما من النظرة الاولى .

حسين فهمي

نقيب الصحفيين المصريين الأسبق

الملك حسين يريد استعادة كل ما خسره في حرب الايام الستة مقليل السلام . فإذا كان هذا هو الموقف العربي فلن يكون هناك سلام .

حاييم بارليف



قسم خاص

البيت العربي

مجلة للشعر والنثر



من يدوم
الطيبين
مننا؟

عند
الذات
في

منذ سنوات عندما طرح علماء النفس تفسيرهم للرسوم والخطوط العشوائية التي يخططها المديرون والزعماء والرؤساء في اجتماعاتهم وأثناء اصغاثهم لمحدث أو تفكيرهم في شيء .. صار الجميع شديدي الحرص على تمزيق هذه الورقات ، والآن ماذا سيفعل الناس بعدما يطرحة علماء النفس هذه المرة عن تفسيرهم للامضاء والتوقيع ؟ !

توقيعك

توقيعك ماذا يقول ؟

(نظير المعنى) Parameaning على غرار مصطلح (شبه عسكري) Paramilitary ويريد به الشيء الذي لا يمكن الإشارة اليه صراحة بعبارة (معنى) رغم كونه شديد الشبه به .

ويبدو أن ما أسماه بـ (Parameaning) أو بالأحرى « المضمون الدقيق » إذا جاز التعبير ، على الرغم من أحجام علماء الدلالة الأوروبيين عن استخدام كلمة « مضمون » بهذا المفهوم ، هو عين الشيء الذي يبحث عنه الخبير العدلي في النسخة المنقولة عن المضمون الدقيق المتزوي خلف ذلك الرمز المدون ونقصد به التوقيع .

ومن الطريف جدا أن هناك سيدة انكليزية تدعى المسز هالفن تدير زوجها في لندن مكتبا للتحليل الخطي ، يتلقى باضطراب طلبات من شركات انجليزية تنظر الى كتابة اليد كدليل يعول عليه في اختيار المرشحين الذين يمكن الوثوق بهم

استرعى انتباهي قبل أيام مضت دقة وأناقة توقيعين ذيل بيها شيك تسلمته مؤخرا من إحدى شركات الصرافة . رب سائل ، ولم هذا الاهتمام في توقيعات الشيكات ؟ والجواب ، وأظنه لا يخفى على القارئ الذكي ، ربما يكمن في سر تلك الخصوصية التي يتميز بها امضاء كل أمين صندوق ومحاسب وكأنه يصرخ فينا « أنا ابن جلا . . . وحذار حذار من التقليد !

والأمر لا يقتصر على توقيعات موظفي المصارف وأصحاب الأموال ، بل يتعداه أحيانا ليشملك في كتاب يبحث في علم الدلالة ، صدر حديثا عن جامعة أكستر ، حاول المؤلف الدكتور فريس ، الأستاذ في الجامعة المذكورة التمييز بين نوعين من المعنى ، دعما الأول بـ (المعنى القساموسي) والمقصود به المعنى المدرج ضمن المعاجم والموسوعات العلمية ، وأطلق على الثاني تسمية

لأن يمينوا في الوظائف المالية الشاغرة . تقول السيدة هالفن في معرض دفاعها عن هذه الطريقة « نمة احتمال لتدخل العواطف في تغيير شكل ومسار الخطوط أثناء الكتابة » . بيد أنها تؤكد أن « الملامح الأساسية لشخصية كاتبها تبقى رغم ذلك ثابتة على الدوام » . وبين جيمس جريرن وديفيد لويس مؤلفا كتاب « اللغة الكامنة في خط يدك » . ان توقيع المرء يكشف عن نظراته الى العالم من حوله ، وعن الصورة التي يرغب أن يراه فيها الناس الآخرون ، كما يحمل من ناحية أخرى في طياته العديد من الدلائل التي تشير الى مواطن ضعفه وقوته على السواء . رغم هذا نرى العديد من الناس وبخاصة أولئك السذيين يشغلون المناصب المالية يسعون جاهدين أن يخرج توقيعهم بحلة مهينة تتحدى التزوير ، معبرة عن أهمية المركز الاجتماعي لأصحابها . وعلى الرغم من أن التوقيع عملية مقصودة ، إلا أن هذه العملية تكشف أحيانا وبصورة عفوية عن سمات تشير بشكل خفي الى هوية كاتبها . على سبيل المثال وجد الأستاذ (توم ديفز) وهو أستاذ محاضر في قسم اللغة الانكليزية في جامعة برمنجهام ، أن من السهولة التعرف على خط يد الأشخاص الايرلنديين الشماليين بسبب ميل هؤلاء الى كتابة حرف الـ (I) الصغير كحرف الـ (R) الكبير .

من هنا نرى أن الامضاء ليس مجرد عينة خطية ، بسبب حقيقة أن التواقيع هذه تمثل رموزا مادية لصنف متميز في علم النحو والصرف ! فلو سألنا على سبيل المثال الشخص العادي : من أنت ؟ لأجابنا دون تردد بذكر اسمه وبيدولنا هذا الموقف المتواتر ، طيعيا الى حد يكون التوقف عنده أمرا استثنائيا ، بيد أننا لو أمعنا النظر في المضامين المنزوية في ثنايا مثل هذه الاجابة الآلية ، لاكتشفنا أن أسماءنا ليست محض (ماركات) أو رقع مميزة ، المقصد منها فرد المتكلم . انها في الواقع ، نحن دما ولحما .

من ناحية ثانية ، هنالك من يرى أنها ليست سوى عون لنا في أبة عملية لانتقاء شخص واحد من مجموعة ما . ولكن ان كان الأمر بهذا اليسر ينبغي اذن ألا يغيب عن بالنا أن من الممكن جدا - والحالة هذه - الاستعاضة عن أسمائنا بأرقام حسابية هي أكثر كفاءة وفعالية في أداء مهمة التمييز تلك ، أضف الى ذلك أن الاسماء تمتاز عن الارقام بكونها أكثر انسانية وتحسبها لفكرة « الانسان » وبخاصة لو أخذنا بعين الاعتبار مدى ما يحصل من لبس لو أن مجموعة من الأشخاص اشتركت بأحد الأرقام . ومن الجدير بالذكر ان اعطاء السجناء والجنود أحيانا أرقاما بدل أسمائهم بهدف فرض الطاعة العمياء عليهم ، ما هو في الواقع الا فعل متعمد ، المقصد من ورائه الغاء شعور هؤلاء الناس بفراديتهم ، وطمس تلك الملامح الانسانية التي تسود عادة بين الأشخاص أنفسهم لو كانوا في مواقف مختلفة . وعلى الرغم من ميل العديد منا - نحن العرب - مقارنة بالأوروبيين ، الى طمس بعض معالم أسمائهم أثناء توقيعها ، إلا أن ما يحدث غالبا هو أننا نبقي فقط على ما نحجب فيها وعلى الجزء الذي نحب أن يراه فينا الآخرون . وقد نكون محقين في قولنا ان ما نكشف وما نحجب في امضائنا هو رد فعل لحافز مماثل لما يدفع بعض الممثلين والممثلات وآخرين الى التخلي عن أسمائهم « غير الملائمة » والتي حملوها منذ ولادتهم ، بعدما أدركوا في فترة لاحقة من حياتهم أهمية « الاسم المناسب » الذي يمكن أن يعكس للجمهور صورة طاملا تمنوها لأنفسهم . وفي ضوء المحاولات الجادة لباحثي علم الدلالة وعلم اللغة الاجتماعي لتفسير معظم الظواهر اللغوية المتعلقة بمغزى العديد من الرموز والتعابير المكتوبة ، تبرز أهمية تناول التوقيع كوسيلة من وسائل الانسان المتمدن ، لتأكيد حاجته الى ترجمة جزء من ذلك الجانب المتزوي بعناد خلف اسمه الشخصي وكموضوع يستحق التأمل والتحليل . ضياء القاروني



كولا حولوس (٢٠٥ سنة) يتعلم السباحة باشراف والده سيرحي حولوس ، مدرّس السباحة تحت الماء

الإنسان حيوان مائي!!

اعداد : موفق الدليمي*

النسبة الأعظم من مكونات الجسم الانساني من الماء وبدايات تكوين الانسان

في رحم امه تتم في وسط مائي . . وفي ضوء هاتين الحقيقتين حاول العلماء في الاتحاد

السوفيتي أن يجروا تجربة ان يعيش الطفل تحت الماء فماذا كانت النتيجة ؟

• باحث ومترجم من القطر العراقي يعمل في وكالة انباء نوفوستي في الاتحاد السوفيتي



كولا (٢٥ سنة) وناديا جولوس (١٠ أشهر) مع والدهما أثناء التدريب

ليس هذا ضرباً من الخيال ، ففي الاتحاد السوفيتي تعكف العديد من الأسر على تعليم أبنائهم السباحة قبل أن يتعلموا المشي ! ومن بين هذه الأسر الأبوان جولوس .

بدأ كولا يزاول السباحة منذ الأسبوع الثالث من العمر ، أما شقيقته ناديا باشرت بمزاولة قبل هذه السن ، وفي الشهر الخامس كان الصغيران يقضيان بمفردهما عشرات الدقائق سباحة في البانيو . وعندما بلغت ناديا شهرها الثامن عشر قطعت في حوض السباحة مسافة ١,٥ كيلومتر دون توقف .

• رحبت عائلة جولوس على الفور باقتراح تصوير الفيلم التسجيلي في الطريق إلى المحيط ، واقتضى ذلك نقل الصغير كولا (٦ سنوات) وشقيقته ناديا (٤ سنوات) من موسكو إلى بحر اليابان ، حيث جرى تصوير الفيلم . . كان تحمل الصغيرين لأعباء

ثمة رأي يقول ان الانسان - في الأصل - حيوان مائي ، ومهما يكن من أمر هذا القول ، فإن الثابت علمياً ، الآن ، ان الوسط المائي شديد الشبه بالوسط الذي يحيط بالجنين قبل الولادة ، وربما كانت هذه الفكرة هي أساس التجارب الجارية ، حالياً ، في الاتحاد السوفيتي لتنشئة الصغار في أحواض مائية ، فممنذ الولادة التي تتم - بالمناسبة - تحت الماء ، شأنها شأن الرضاعة التي تجري هي الأخرى تحت الماء ، نشأ هؤلاء الصغار في الأحواض المائية ، ويؤكد العلماء أن النتائج رائعة ، بل مبهره فيما يتعلق بسرعة نمو الطفل .

• الطفل كولا يجيد السباحة بمئة رجال الضفادع ، والغوص إلى عمق يصل ٦ أمتار ، والقفز إلى الماء من برج بارتفاع ٥ أمتار ، كل هذا وهو لم يتجاوز بعد الثلاثين شهراً من العمر .

هذه الرحلة الطويلة المضية وثأقلمها السريع فائقا :
بعد مرور يوم واحد فقط غاص هذان (الضفدعان
البشريان) الى أعماق بحر اليابان ، فتفتحت أمامها
مملكة نبتون السحرية المدهشة ، التي كأنها يسمعان بها
في الحكايات : على الصخور المغطاة بالأعشاب
المائية ، والمقفوف البحري ، تستكين قنافذ البحر
وتزحف نجومه بمختلف ألوانها الزاهية ، وأمامها
تمرق أسراب من الأسماك الفضية الصغيرة ، وفي
الرمل ترقد متوارية أسماك موسى المفلطحة ، وهناك
التقى الصغيران كولا وناديا بسطل فيلم الكارتون
الذي يعرفانه : الاخطبوط ، الذي تحول لونه البني -
الرمادي الى ارجواني ، حالما هم كولا بلمسه .

هذا ما قصه الصغيران على ذويهما ، وعلى مخرج
الفيلم عندما عادا الى السطح ، بعد أن بادرهم كولا
بنبرة حزينة : للأسف فقد نزل هواء البالون .

قضت عائلة جولوس على ساحل بحر اليابان شهرا
كاملا ، وبعد انتهاء تصوير الفيلم (الذي استغرق
عشرة أيام) رفض الصغيران العودة قبل أن يصادقا
الدلافين . فما كان من الأب الا أن يصنع لصغيره
« زعنفة قدم » شبيهة بذنب الدلفين ، ولم يجد كولا
صعوبة في تعلم السباحة تحت الماء ، على غرار صديقه
الجديد الدلفين غراي . وفي وقت لاحق أطلق على

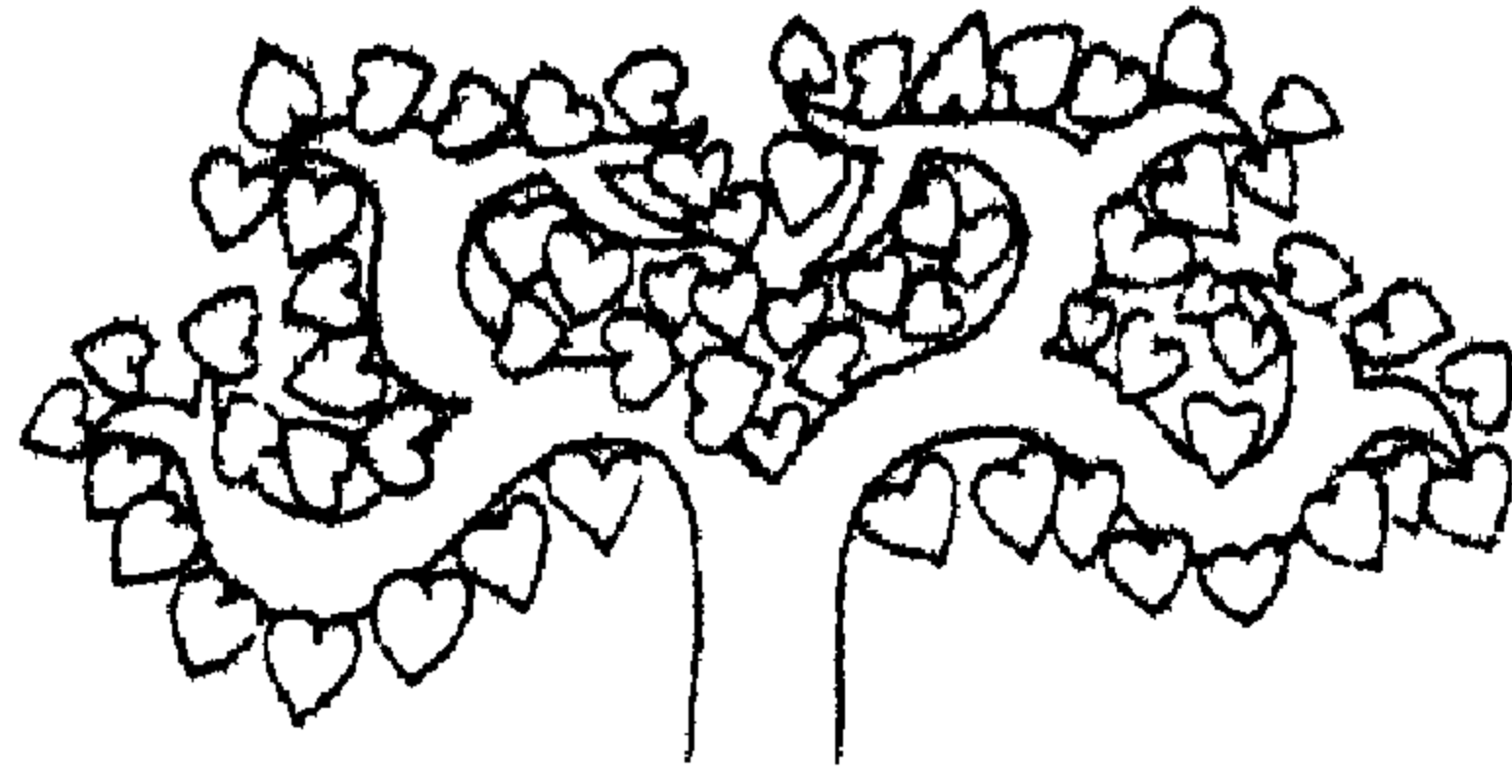
هذا الاسلوب في السباحة اسم « سباحة الدلفين » .
أما الدلافين فقد استقبلتهما بترحاب واضح
أخذت هذه الحيوانات البحرية التي يكثر الحديث
اليوم عن مؤهلاتها الذهنية ، تدور حول الصغيرين
باغتراب ، وتدعوهم الى اللعب بأصوات تشبه النقر
تارة والتغريد تارة أخرى .

وعندما سئل كولا : ماذا يعجبه في الدلفين ؟
قال : انه ناعم . لم يكن الصغير يقصد ملمس جلد
الدلفين فحسب ، انما يقصد أيضا أنه مسالم ومؤدب
ورقيق الطبع . يهوى الأبوان جولوس السباحة
وركوب الخيل ، ويندر أن يمرضها ، لذا فهما يؤكدان
أن السباحة تربي لدى الصغار الاعتماد على النفس ،
مثلا تنمي لديها ملكة التفكير ، بيد أن المهم باعتقاد
الأبوين جولوس ، هو أن السباحة تطور طاقات
الجسم ومرونته واتساق حركاته ، كما تعتبر خيرا وسيلة
لتفادي الاصابات البدنية لدى الاطفال .

يبقى أن نقول ان الصغيرين كولا وناديا يهويان
أيضا الحمام الفنلندي (الساونا) فعند المكوث عشر
دقائق في الحمام الجاف الذي تصل الحرارة فيه الى
١٥٠ درجة مئوية ينطلقان الى العراء الشتوي
الرمهيري ليدلكا جسميهما بالثلج □

السودد

روى أنه لما احتضر ذو الاصبع العدواني دعا ابنه اسيدا فقال : يا بني ان اباك
قد فنى وهو حى ، وعاش حتى شتم العيش ، وانا موصيك بما إن حفظته بلغت في
قومك ما بلغت : ألن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم
وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم صغارهم كما تكرم
كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمع بمالك ، واحم
حريمك ، واعز جارك ، واعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك واسرع النهضة في
الصريخ ، فان لك اجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة احد شيئا فبذلك يتم
سوددك .



هل يدوم الحب بين الزوجين؟

بقلم : راجي عنايت

« يموت الحب بعد الزواج ولا تبقى الا المودة والاولاد .. بمجرد الزواج

يتهي الحب ونستمر الحياة بقوة الدفع .. وبكلمات قصيرة مفادها ببساطة أن

الناس لا تعرف كيف تحتفظ بحرارة مشاعرهم قبل وبعد الزواج » .

كيف نطرد السأم من العلاقة الزوجية ؟
يقول الكاتب النفسي الاجتماعي المعروف أريك
فروم ، حول صعوبة استمرار علاقة الحب بين
الزوجين « من الصعب أن تجد نشاطاً أو مشروعاً ،
يبدأ بطوفان من الآمال الكبيرة والتوقعات المبهرة ،
ثم ينتهي آخر الأمر بخيبة الأمل مثلما تجد دائماً في

ما الذي يجب علينا أن نفعله حتى يبقى
الحب ويتواصل ؟ .. ما الذي يجعل علاقة
الحب بين الزوجين قائمة ومستمرة ؟ .. هل هناك
وصفة خاصة تحقق لنا هذا اذا ما التزمنا بها ؟ ..
كيف يمكننا أن نقيم التوازن المطلوب بين الاحساس
بالأمان والابقاء على احساس الاثارة والجدلة ؟ ..

« لقد كانت حياتنا الزوجية أشبه بركوب الأرجوحة ، لها قممها العليا وحضيضها الأسفل . . بل إن أحدنا كان يسقط في بعض الأحيان من فوق الأرجوحة ويتألم من أثر السقطة . . لكننا كنا نجد متعة في الصعود مرة ثانية الى الأرجوحة . . »

فضيلة الاستماع الى الزوجة

وتقول زوجة أخرى :

« أشعر بأنني أعيش حياة زوجية سعيدة ، فقد حظيت برجل يشاركني النجاح والفشل . . رجل أكون معه على سجلي ، حتى وأنا في أسوأ حالاتي . إني أعتبره في واقع الأمر أفضل أصدقائي . وخلافاتنا الزوجية ، وقد مررت بالكثير منها خلال سنوات زواجنا العشر أجدي بعد كل خلاف منها أكثر حياً له . . »

ومن ناحية أخرى يقول أحد الأزواج :

« أنا زوج سعيد ، مضت على زواحي عشر سنوات ، وكنت أحرص خلال هذه السنوات على القيام بشيء لا يقوم به الكثير من الرجال . . أعني بذلك الاستماع الى زوجتي . ولا أقصد بذلك الاستماع الى دردشتها ، بل الانتباه الى أقوالها التي تتيح لي أن أفهم مشاعرها ، وأعرف ما الذي يخلق لديها هذه المشاعر . . والا كيف لي أن أحبها حباً حقيقياً دون أن أعرفها ؟ »

الزواج . . شركة

وتسرد إحدى الزوجات فلسفة حياتها الزوجية كما يلي :

« لعل أهم ما نجحنا في تحقيقه أنا وزوجي ، هو إحساسنا بالالتزام والارتباط والمسؤولية تجاه بعضنا البعض ، وتجاه أسرتنا الصغيرة . زواجنا ينجح ، لأننا نعمل على نجاحه . نحن نرى من حولنا زيجات فاشلة تنهار . أما السر في نجاحنا أنا وزوجي ، فيتلخص في أمرين : الأول هو فهمنا أن الزواج شركة

الحب بين شخصين . »

المشكلة دائمة ، الحب يدعوا الطرفين الى التقارب ، والتقارب إما أن يكشف التناقض أو يقود الى السأم . . ويورد الكاتب فاسيليوكوس في ثلاثيته النبات والبئر والملوك « هذه الصورة الخيالية اللطيفة حول هذه المشكلة .

ذات يوم ، كانت هناك سمكة صغيرة . . لكنها كانت سمكة غريبة ، من أسفلها حتى وسطها سمكة ، ومن وسطها حتى رأسها طائر . . وقد وقعت في غرام طائر صغير ، كان هو أيضاً من وسطه حتى رأسه على صورة السمكة . كانت السمكة الطائر تقول للطائر السمكة « لماذا خلقنا هكذا ، بحيث يستحيل علينا العيش معاً ؟ ! . . أنت فوق الريح ، وأنا وسط الأمواج . . أي حظ تعس ؟ ! أجاب الطائر السمكة « بل هذا هو حظنا السعيد . . . فهذه الطريقة سيظل الحب بيننا قائماً لأننا سنبقى دائماً على انفصال ! »

الزواج كالأرجوحة

لقد قام الباحث النفسي الاجتماعي مارتن روزنمان بتقديم نصائح سبع للمتزوجين تساعد على الاحتفاظ بالحب في علاقتهم الزوجية ، حياً متوقداً . . وقبل أن نقدم هذه النصائح الذهبية دعنا نستعرض بعض الحالات التي خضعت للدراسة والتي يمكن أن نتفهم من خلالها بعض أسرار الحياة الزوجية السعيدة .

مضي على زواجنا ستة أعوام ، وكان زواجاً سعيداً ، لا أنكر أننا صادفنا بعض المشاكل والحساسيات من وقت لآخر ، إلا أنه عندما كنا نتعاون على حلها كانت تتناقص ويتباعد حدوثها . ونحن اليوم نحمل لبعضنا قدراً عظيماً من الحب والاحترام ، كما أننا توصلنا الى قدر من الفهم والادراك ، يسمح لنا بمناقشة الأمور وتبادل المساعدة . فالقدرة على التفاهم والاتصال هي بلا شك مفتاح السعادة .



شيئاً رآه ، فكرة جديدة ، ذكرى قديمة . لا يهم
موضوع الحديث ، الذي يهمنا هو أن يستمر التلاصق
الفكري والعقلي بيننا . . . »

احتياجات الطرف الآخر

وأخيراً يتحدث زوج قديم عن تجربته فيقول :
« في العام القادم سنحتفل بعيد زواجنا الخامس

ورمالة ، وأي شركة تحتاج الى جهد لكي تستمر .
الزواج شركة لها رئيسان عليهما أن يكونا على استعداد
للتضحية والتنازل الى الحد الذي يتيح للشركة أن
تستمر وتنجح . لا يمكن لأحد الطرفين أو الشريكين
أن يحصل على ما يريد كاملاً وطوال الوقت ، ولذا
فعل الطرفين أن يعرفا مسبقاً أنها سيفقدان جانباً من
حريتهما الشخصية أما الأمر الثاني فهو حرصنا على أن
نتحدث الى بعضنا حول كل شيء . . شيئاً قرأته ، أو

والعشرين . وعلى مدى هذه السنوات الطويلة ، لم تظهر على فكر أحد منا مسألة الانفصال . والحب الذي بيننا جعل كلاً منا يفكر في احتياجات الآخر أولاً ، بعكس ما يفعله معظم الناس عندما يحصر تفكيرهم فيما يجعل كل واحد منهم سعيداً .

« فسيما هي مصادر سعادتنا وأسرار قوة ارتباطنا ؟ .. الأذن المنصتة عندما نسوء الأحوال في العمل مثلاً .. روح المشاغبة اللطيفة ، عندما تظهر الحاجة الى الدعاية .. المشاركة في تهيئة الظروف لتنشئة الأطفال .. مشاركتنا لمن يحيطون بنا في حياتهم وفلسفاتهم . والارتباط بين الزوجين لا يعني أبداً أن يلتصق الواحد بالآخر حتى يكتم أنفاسه ، بل هو نوع من الالتزام نحو الطرف الآخر . ونحن أدرى الناس بنواقصنا ، لكننا نعمل معاً على تغليب العناصر الايجابية في كل منا وبذل الجهد لانجاح هذه العلاقة التي تسمى ، الزواج ، ... »

الأمان والاثارة

ومن بين المشاكل التي تقف في طريق استمرار الحب ، عدم القدرة على حفظ التوازن بين الأمان من ناحية والاثارة من ناحية أخرى . فالإنسان يبحث عن شريك حياته الذي يفهمه ويعتمد عليه ويسهل توقع ردود فعله ، لكنه في نفس الوقت يريد الاثارة ويسعى الى الجدة . والشائع في الزواج حالياً هو حرص الشريك في العلاقة الزوجية على تحقيق الكثير من الأمان على حساب الاثارة وذلك السأم الذي يعاني منه عدد من المتزوجين ، ترمز اليه صورة ساخرة لزوجين من الطبقة المتوسطة ، يجلسان في أحد المطاعم ، يتناولان طعامهما في صمت مطبق ، لا يتبادلان كلمة واحدة .

لكن ذلك السأم لا يقتصر على المتزوجين ، فقد أجريت دراسة على ١٠٣ حالة انفصل فيها المتحابان قبل الزواج . وظهر من الدراسة أن أحد الأسباب الرئيسية لانتهاء العلاقة هو الاحساس المشترك بالسأم من العلاقة ، سواء من جانب الرجل أو المرأة . التسويع هو أمضى أسلحة القضاء على السأم . والمشكلة هي أن الحب غالباً ما يؤخذ كقضية مسلم بها ، أو كحقيقة قامت وما تزال قائمة لا تحتاج الى جهد من الطرفين ، وواقع الأمر أن الحب قابل للنمو بصفة دائمة ، اذا ما أولاه الطرفان قدرأ من الوقت والجهد والعناية ، على الأقل نفس الجهد الذي يبذله الطرفان في رعاية النباتات المنزلية الخاصة بهما . كما أن

الحب والزواج

في مقابل ما يلصقه البعض من نواقص نظام الزواج عامة . يطرح الكاتب روزمان طاهرة ، تشيع في المجتمعات الأوروبية والأمريكية ، وهي طاهرة المعاشرة والمعاشرة الدائمة بدون زواج . وهو يقول إنه من واقع دراسته لهذه الظاهرة ، قد اكتشف صعوبة إقامة علاقة حب دائمة بدون زواج .

وهو يقول إن العدد المتزايد من الفتيات والفتيان الذين يرتبطون بحياة مشتركة كازواج ودون زواج تكون علاقاتهم عارضة ولا تدوم .

وفي بحث للعائلة اليانور ماكلين حول « المعاشرة بدون زواج في الولايات المتحدة الأمريكية » تقول إن ظروف حياة الذين يتعاشرون ويعيشون في بيت واحد بدون زواج ، تشبه في كثير من الوجوه ظروف حياة نظرائهم الذين لا يعيشون في نفس المكان . وإن نسبة صغيرة جداً من أولئك الذين يعيشون في بيت واحد ، يفضلون أن تستمر حياتهم بلا زواج . وهي تعلق ذلك بأن المزايا الاجتماعية والاقتصادية والشرعية

(٢) التفاهم والاتصال الجيد

التفاهم الجيد والقدرة على تبادل الأفكار والاتصال الجيد ، هذه الأشياء مفتاح هام لانجاح العلاقة بين الزوجين ، ولاستمرارها طويلاً .

(٣) القدرة على مواجهة الخلافات بشكل فعال

الذين يسعون الى علاقات متألّفة دائمة ، عليهم أن يتصدوا لما يعترض علاقاتهم من أزمات ومشاكل وخلافات ، لا أن يهربوا منها أو يغمضوا عيونهم عنها ، عليهم أن يقتحموا المشاكل بصديق وإخلاص ، لا أن يدوروا حولها .

(٤) الآمال الواقعية

المجتمع الذي يعيش فيه الانسان ووسائل الاعلام والأعمال الفنية ، تلح علينا بالآمال الرومانتيكية الحائلة ، وتبشر بأسطورة الحب الكبير الذي يكتسح أمامه كافة العقبات ، ويحل جميع المشاكل . وحقيقة الامر أن أفضل علاقات التآلف والحب يعجز فيها الطرفان عن تحقيق الكثير من آمالهما والوصول الى توقعاتهما بشكل كامل .

(٥) الالتزام

المحبان المتآلفان اللذان يلتزمان بالعمل معاً للحفاظ على علاقاتهما بكل ما يطرأ عليها من تغير ، وكل ما تحقّقه من تطور ، تكون لديهما أفضل الفرص للاحتفاظ بحبهما طويلاً ، وتحقيق النمو المطرد للذات بالنسبة لكل منهما . ففي كل علاقة حب وتآلف تمر الأوقات الصعبة . وعندما ينجح الطرفان في مواجهة الأزمات فإنهما في نفس الوقت يدعمان إحساسهما بالالتزام والمشاركة والأمان .

الابتكار والتلقائية والخيال والمرونة يمكنها أن توفر فرصاً جديدة يكشف فيها كل طرف آفاقاً جديدة في الطرف الآخر .

والخطأ الذي يرتكبه كل من طرفي العلاقة الزوجية هو تصورهما أنها قد اكتشفا كل ما هو موجود في الطرف الآخر . وأساس الخطأ هو تصور أن الطرف الآخر يبقى على حاله على مدى السنوات لا يتغير فيه شيء .

العناصر السبعة

ومن واقع الدراسات التي قام بها علماء النفس والاجتماع ، يمكننا القول بأن هناك سبعة عناصر تساعد على بقاء الحب بين الزوجين . لكن من المهم أن نؤكد بداية أن علاقة الحب قد تنقّي في غيبة عنصر أو عنصرين من هذه العناصر السبعة ، وبشكل عام كلما تحقّق قدر أكبر من العناصر التالية ، كانت فرصة الوصول الى علاقة أفضل أكثر احتمالاً . . أما العناصر السبعة فهي :

١ - احترام وقبول الانسان لذاته

يقول أحد الأزواج « لم يكن الزواج بالنسبة لكلينا نتيجة إحساس أي منا بالسأم أو الخوف أو الوحدة في حياته السابقة على الزواج . لقد كان كل واحد منا يستمتع بحياته قبل الزواج ، لكننا قررنا أن نبني معاً حياة أكثر ثراء . فالكثير من العلاقات الزوجية نصاب بالفشل ، لأن أحد الطرفين لا يحب نفسه ولا يحترمها أو يرضى عنها ، ومن ثم يصبح غير قادر على حب الآخرين . .

كلما زاد قبولك لنفسك ، ورضاك عنها ، تضاعفت قدرتك على فهم وقبول الطرف الآخر . والرضا عن الذات لدى كل من الطرفين يساعد على تطور العلاقة بينهما .

(٧) تقدير الطرف الآخر

تقول إحدى الزوجات « اذا ما اعارتك صديقة طبقاً من الصيني الثمين فانك تهتمين به خيرا اهتمام . تفسلينه بيديك وترفعين عنه التراب كل قليل بحيث يبدو لامعاً زاهي النقوش على الدوام . وعندما تستعملينه يتم ذلك بحرص شديد . . . ولكن بمجرد أن تقول لك الصديقة : أرى اعجابك بهذا الطبق واهتمامك به . . . ولهذا فقد قررت أن أهبه لك كهدية . بمجرد أن يصبح الطبق ضمن ممتلكاتك ، يظهر على الفور اهمالك له . عند غسله تضعينه في آلة غسل الأطباق واذا ما أصابه شرخ لا يظهر عليك الانزعاج . . . نفس الشيء يحدث بالنسبة للمحبين ، بمجرد أن تدرك الواحدة أنها قد حصلت على رجلها بشكل كلي ، تعتمد الى ايماله . . . »

ورغم أن التقدير المتبادل بين الطرفين ، قد يبدو من الأمور البسيطة السهلة ، لكن واقع الأمر يقول : إن من مصادر الشكوى المتكررة بين الزوجين ، هو أخذ أحد الطرفين للطرف الآخر كقضية مسلم بها ، واعتبار وجوده واستمرار العلاقة أمراً مضموناً . في العلاقات الجيدة ، يبذل الطرفان المتآلفان جهداً لتقييم وتقدير بعضهما البعض ، وهما يتبادلان التعبير عن هذه المشاعر بشكل بسيط . □



(٦) الأمان والاهتمامات المشتركة

عندما تتوفر الاهتمامات المشتركة بين الطرفين تنزايد فرص إجراء الحوار والاستمتاع المتبادل . عندما يصل الطرفان الى مستوى الاشتراك في أحلام واحدة ويعملان معاً على تحقيقها ، فإن المشاكل اليومية والأزمات الكبيرة لا يمكن أن تقف في وجه حبهما .

كان برنارد شو معجباً طوال حياته بشخصية النبي محمد عليه الصلاة والسلام فكان يرى في حياته ورسالاته تجسيدا للبطولة كما يفهمها ، وقد اراد شو أن يكتب مسرحية تتناول حياة الرسول الا ان السلطات البريطانية منعت لان ذلك سيثير رعاياها المسلمين لأن الدين الاسلامي يحرم تمثيل شخصية الرسول على المسرح ومع ذلك فقد نطق شو في مسرحياته بكثير من التعليقات التي تشير الى حياة النبي الكريم فالشيخ في مسرحية (العودة الى متوشالغ) يقول عن النبي (إنه عميق الحكمة . . .) كما ان في مسرحية (القديسة جان دارك) الكثير من الاشارات الى النبي محمد . وفي قول مأثور له يقول عن النبي محمد : اما انا فأرى واجبا ان يدعى محمد « منقذ الانسانية » واعتقد أن رجلا مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته وأحل فيه السعادة والسلام



الأسرة طبيب



عزيزتي الام . . تذوقي دواء ابنك :

السُّكَّرُ وَتَسْوُسُ سُنَّانِ الْأَطْفَالِ

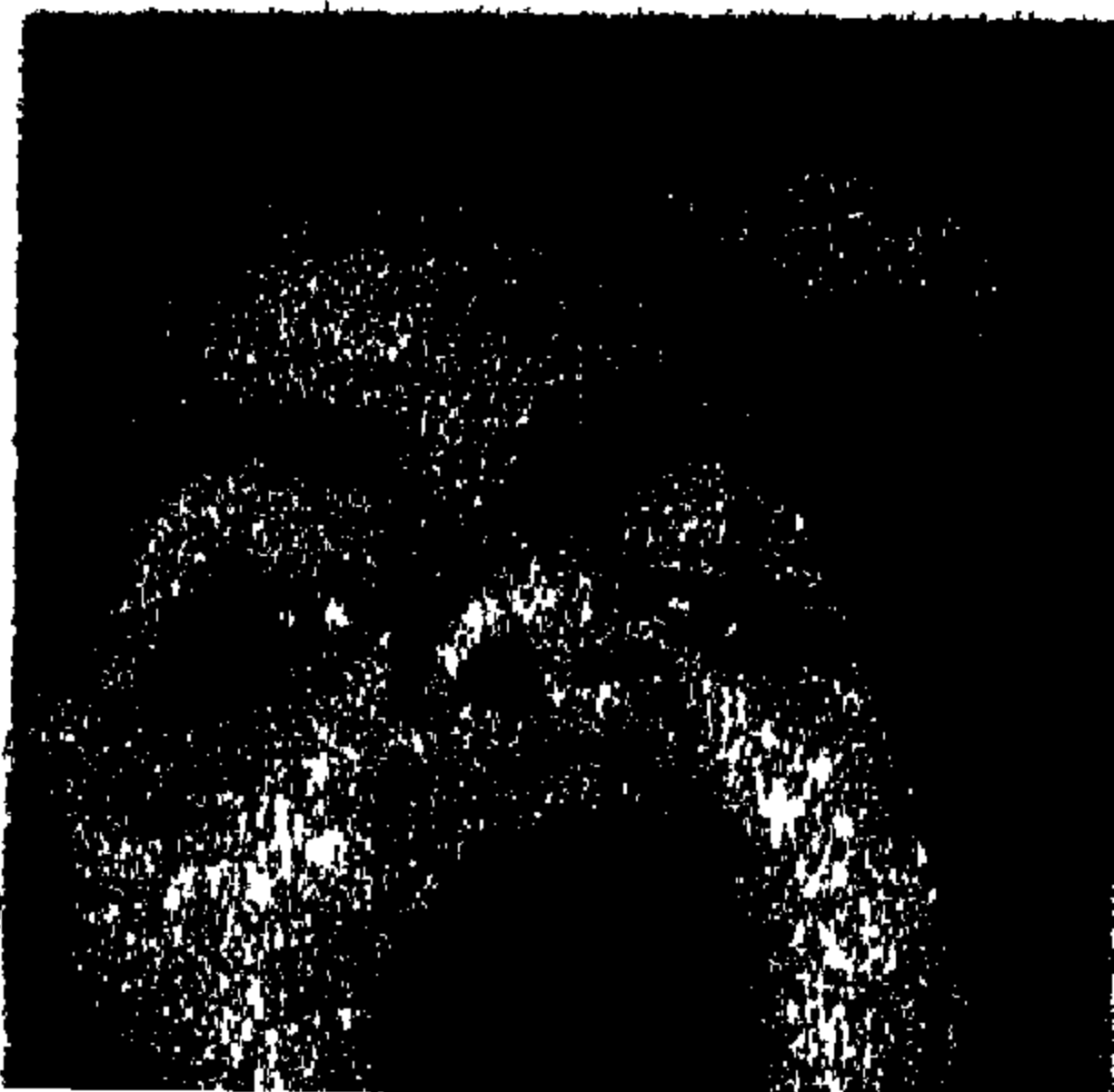
« لم نعد نحن المسئولين فقط ، فلم تعد قطع الحلوى التي نكافئ بها أطفالنا

هي السبب في تسوس أسنانهم بل صار - وبالعجب - من بعض الدَّواء الداء ! »

والرابعة . يقول رئيس الأطباء في مستشفى مدينة تورنتو الكندية : إن الأدوية التي تعطى للكبار عادة بشكل كبسولات هي نفسها التي تعطى للصغار مذابة في سوائل حلوة - غير أن هذا الطبيب يسارع للقول أنه ليس أمام الطبيب من خيار آخر مادامت معظم الأدوية المتوفرة اليوم لا تخلو من السكر ، وعليه فإن اصلاح السن المعطوبة يتطلب في أغلب الاحوال عملا مرتفع الثمن حتى بالنسبة لأطفال هم في سن الثانية فقط .

يضع أطباء الاسنان اللوم على أدوية الاطفال التي

الدكتور عدنان الظاهر ينهك عزيزتي الأم الى سبب جديد من أسباب تسوس الاسنان . يدخل السكر تقريبا في تركيب ادوية الاطفال السائلة ، حيث يكون القم السيل الطبيعي لتناولها ، سواء أكانت مشرويا للقضاء على سعال الطفل ، أم مضادا حيويا قويا . والسبب مفهوم ومعروف يقوم على اغراء الطفل بتقبل الدواء ، وهو غالبا ما يكون غير سائح . ولقد وجد أنه رغم أن معاجين الاسنان الحاوية على الفلور ووسائل التحلية الصناعية قد اختزلت فعلا من وتاثير الاصابة بمرض تسوس الاسنان لدى الاطفال، إلا ان الادوية المحلاة لم تنزل تسبب بعض حالات التسوس ولاسيما بين الاطفال دائمي الاعتلال ، أما أطباء الاسنان المختصون المعنيون بهذا الامر فإن غالبيتهم الآن ترى ضرورة منع انتاج مثل هذه الادوية بشكل قطعي ، والتوقف عن تعريض اسنان الاطفال للدمار ، وخصوصا أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية



ويمكن استعمال أي منها لجعل الدواء مقبول الطعم مع المحافظة على الأسنان دونما أي تسوس . فلقد بينت تجارب أجريت في كل من فنلندا والولايات المتحدة الأمريكية أن الزايليتول قد قضى على البكتريا المسببة للحموضة . ولكن رغم ذلك فإن الزايليتول لم يستعمل إلا في كندا كمادة محليّة تدخل في تركيب اللبان بدل السكر .

فمادامت الأدوية المتداولة اليوم هي سكرية الطعم فإن أطباء الأسنان ينصحون أن يغسل الطفل أسنانه بالفرشاة ومعجون الأسنان قبل وبعد تناوله مثل هذه الأدوية . □

تدخل في تركيبها نسبة عالية من السكر ، ويعتقد خبراء طب الأسنان السوفياتي أن محلولاً من السكر ضعيف التركيز لا يؤثر على الأسنان بشكل كامل . وعليه فإن مثل هذا المحلول ليس بالضرورة قادراً على تكوين المناخ اللازم لعملية التسوس ، ثم إن استعمال مواد التحلية الصناعية البديلة للسكر يمكن أن يكون الحل الأفضل ، رغم أن شركات الأدوية عازلت تجنب استخدام مثل هذه المواد بسبب غلاء ثمنها بالمقارنة مع السكر .

هناك مادتان معروفتان اليوم للتحلية الصناعية : اسبرتام وزايليتول



طبيب الأسرة

بريد

الحاسة السادسة

يصدق معه الحدس والتخمين ، فاطلقوا اسم الحاسة السادسة على اعتبار أن الشعور بالغيبات ، وتوقع أمر ربما يحدث هو شكل من أشكال الأحاسيس ، وما هو الا توقع مبهم ، يعتمد على أمور عدة ، منها الشك ، ومنها التجربة السابقة والتخمين ، ورصد الاحتمالات المتوقعة التي لا علاقة لها بموقع محدد من الجهاز العصبي ، كما هو شأن الحواس الخمس الأخرى .

غير أن أمر الحاسة السادسة ، الذي وجد هوى عند المؤمنين بالغيبات ، لا يجد قبولا عند جمهور الأطباء ، الذين رفضوا أيضاً مبدأ تحديد الحواس بخمس فقط ، فقد اكتشفوا أن حواس الإنسان أكثر من أن تحصر .

ولو كان لنا أن نعد ما عرف من حواس لدى الإنسان فأننا قد نتجاوز الثلاثين عدا ، إذ سنعتبر العطش إحساساً ، والجوع أيضاً إحساساً كما أن الألم إحساس .

هذا إلى أن قصر احساسات الجلد على اللمس

● أسمع من الحاسة السادسة ولا أتبين حقيقتها ، فأرجو إفادتي عنها ، ولكم وافر الشكر .

ج . ع . ق

طرابلس الغرب

- يعزى تحديد الحواس عند الإنسان بخمس حواس إلى الفيلسوف اليوناني القديم أرسطو ، الذي وزع أحاسيس الإنسان على الشم والذوق والبصر والسمع واللمس .

ومنذ عهد أرسطو سار الناس على نفس النهج ، دون جدال أو مناقشة ، واعتبروا الأمر مسلماً به ، غير أن بعض المجتهدين الذين أرادوا أن يجدوا تفسيراً لشعور الإنسان المبهم ، وتوقعه لحدوث أمر ما ربما

بالإضافة الى احساس الألم واحساس اللمس .
ومن هنا نجد أن الحاسة السادسة لا مكان لها في
العرف الطبي الذي لا يرقم الأحاسيس .

يعتبر رأيا خاطئا ، بعدما وجد العلماء نهايات أعصاب
متعددة مختلفة ، منها ما هو خاص باحساس الحرارة ،
ومنها احساس البرودة ، أو احساس الضغط ،

الدهون المشبعة

وقد اتخذت الدهون المشبعة وتقيضها الدهون غير
المشبعة صفات ملحوظة متفقا عليها ، منها : أن
الدهون المشبعة ذات المصدر الحيواني تكون جامدة
القوام ، في درجة حرارة الغرفة العادية ، كما أنها غنية
بمحتواها من مادة الكوليسترول المتهمة في قضية
تصلب الشرايين ، حيث ترسب عندما تزيد بين
طبقات جدران الشرايين ، وتؤدي بمرور الأيام الى
تصلبها ، وتنتهي الى نوبات القلب وارتفاع ضغط
الدم ، أو مضاعفات اصابات المخ وما اليه .

أما الدهن النباتي غير المشبع عادة فانه يكون سائلا
في درجة حرارة الغرفة العادية ، وأقل احتواء لمادة
الكوليسترول ، لهذا فهو مرغوب به صحيا ، وللوقاية
والعلاج من المشاكل المشار اليها . غير أن الدهن
حيواني المصدر أطيب نكهة لدى الناس وأشهى مذاقا
في الطعام ، ومن هنا لجأ العلماء الى حيلة توفق بين
هذا وذاك ، عن طريق اضافة الهيدروجين الى الزيوت
النباتية ، لتكتسب صفة الدهون الحيوانية ، مع
ضمان نسبة من الكوليسترول أقل من نسبه في الدهن
الحيواني الطبيعي .

ومن هنا أصبح الدهن الصناعي دهنا مشبعا ،
ولكن من مصدر نباتي

● نصحنى الطبيب بتفادى الدهون
الحيوانية واستعمال الزيوت النباتية ،
خوفا من تصلب الشرايين ، لأن الدهن
الحيواني دهن مشبع بالكوليسترول فهل
هذا صحيح ، و أى الدهون تكون خالية
من الكوليسترول ؟

سالم . أ . و

الكويست

- من المعروف أن الدهون بصفة عامة هي تركيب
معقد أساسه شقان :

الشق الأول : جزيء الجلسرين

الشق الثانى : الأحماض الدهنية

والأحماض الدهنية متعددة ، وكل منها له تركيب
معقد متميز عن الآخر ، فإذا اجتمع بعض منها -
وعادة ما يكون ثلاثة أحماض مع جزيء الجلسرين -
نتج نوع من الدهون التى منها الزبد مثلا ، أو زيت
الزيتون ، أو زيت الذرة . والأحماض الدهنية المعقدة
التركيب يدخل فيها عنصر الهيدروجين سدرجة أو
بأخرى ، فلذا ما كانت ذرات الهيدروجين مرتبطة
بمواضعها بنسبة كبيرة ، قد تصل الى مستوى
النشبع ، أطلق عليها العلماء لقب المشبعة وصار
الدهن الذى دخلت في تركيبه هذه الأحماض مشبعا .

أما العكس فيحدث عندما تقل نسبة ذرات
الهيدروجين في تركيب الأحماض الدهنية المكونة
للدهن .

وقد لوحظ أن الدهون ذات المصدر الحيواني تكون
من النوع المشبع ، وعلى نقيضها تكون الدهون
النباتية .



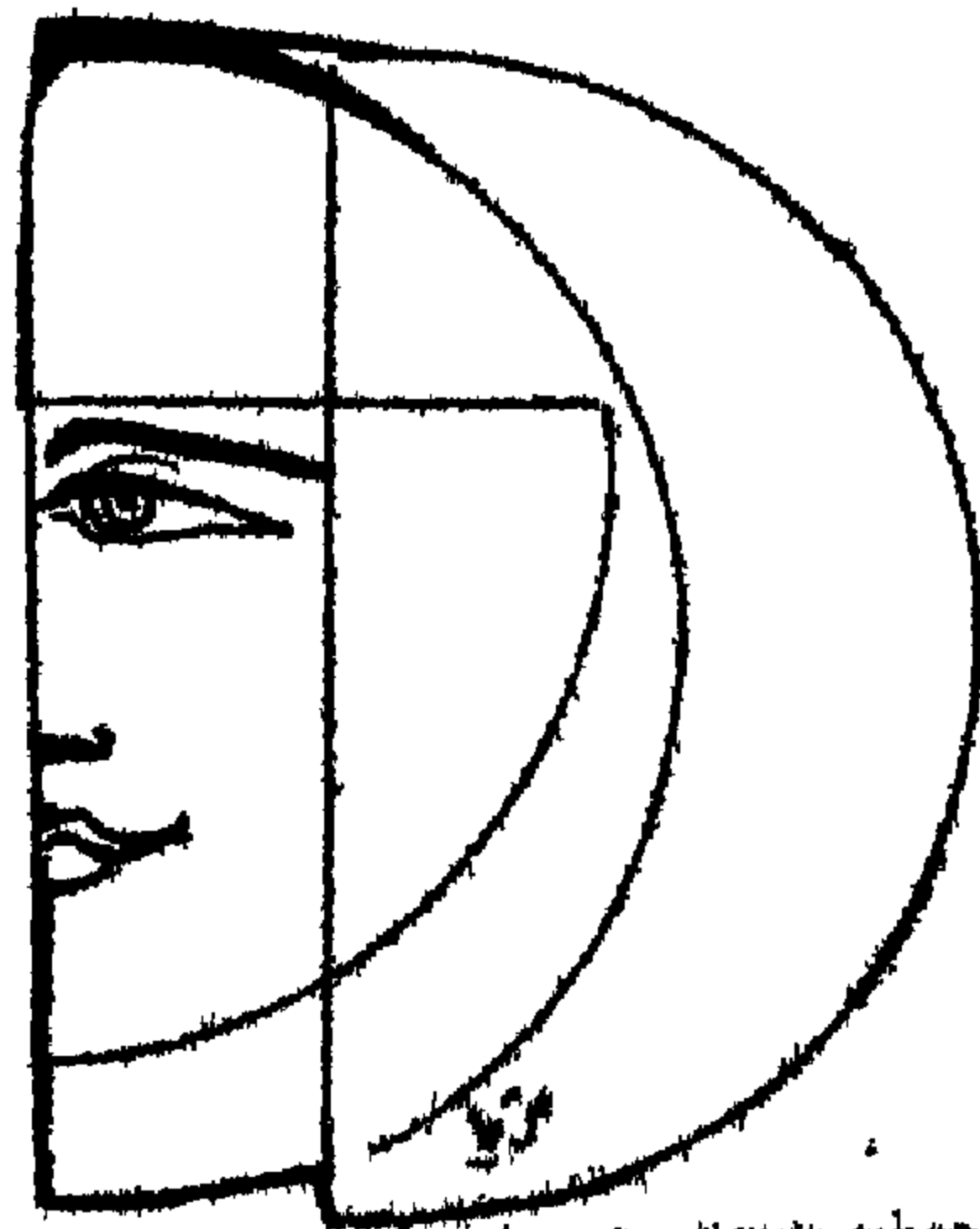
هو... الفندق

الخارج ، سمعت كلاما عن انه ليس طفلا ..
ووعده بأنه قبل أن يغادر البيت سيقول لي متى
يعود .. اقترحت عليه أن يلتقي مع أصدقائه في
البيت عندنا ، نظر الى بريّة وشك وصمت .. في
نهاية الاسبوع فوجئت بستة رجال يجثون مقاعد
الصالون ويحتسون عددا لا اذكره من أكواب
الشاي والقهوة .. ويلتهمون كمية كبيرة من
طعام العشاء .. واصواتهم تصل الى عرفة اليوم
فيملأونها بالضجيج والضحكات والصخب
والكلام الجاد والنكات، والالفاظ التي تخدش
الحياء تصل كالهمس .. مهما حاولوا ان يخفصوا
من نبرات اصواتهم ، صباح اليوم التالي وانا واقفة
اغسل الاطباق والاكواب لعنت الفكرة
والمحاولة .. ونحن نشاول الافطار قلت له
بهذوه .. ارجو الا يتكرر ما حدث في ليلة
أمس .. وقابلهم في اي مكان تشاء .. وانتهت
مناقشاتنا ومات اي تفكير لي بأن احاول ايقاف
هروبه .. واعترف أن مشاعره تجاهي كما هي ..
ورعايته لي لاتنقص، ولم أطلب شيئا وتقاعس عن
تحقيقه ، ولم أسأله يوما ان يخرج وحدنا لنزهة او
زيارة وتردد ، وصارت الاوقات التي يقضيها في
البيت - على قلتها - يحاول ان يكون فيها رقيقا
ودودا .. متساهلا .. ولكنه يهرب ، يفر من
البيت .. اشكو الرحلة ساعات طويلة ، ابحث
عن نقاشاتنا ومشاجراتنا وصفائنا .. افتقد
الانسان ، التواجد ، الحوار .. المشاركة في
الدقائق والساعات .. في الزمان والمكان ،
ولكنني لأجده .

هنا

● بعد عام واحد فقط من الزواج ، بدأ يفر
من البيت ، ولم يكن هذا الفرار مفاجئا
ولامباشرا ، ولكنه بدأ بالتدريج .. حتى اصبح
البيت بالنسبة له شبه بفندق ، يعود من العمل ،
يتناول الغداء .. ينام ، يستيقظ ، يغادر
البيت ، يعود ليلا فينام .. ليبدأ دورة يوم
جديد ..

حاولت كثيرا أن اوقف حالة الهروب في بدايتها
لكن كنت كمن يحاول أن يحتفظ بالماء بين
أصابعه ، بدأت حالته بعد ستة شهور من
الزواج ، ذات يوم وجدته قد ارتدى ملابسه
واخبرني انه ذاهب لموعد مع بعض اصدقائه ..
ظننت يومها انها نزوة لن تتكرر ، بعد اسبوع عاد
وخرج .. بعد اربعة ايام ، بعد يومين .. ثم كل
يوم .. خلال هذه الفترة حاولت كثيرا بالنقاش
ان اصل الى تحديد المكان الذي يذهب اليه ، ومن
يقابل .. و .. و .. ونحو النقاش في كل مرة
الى شجار ، قلت له انني اقلق عليه لتأخره في



... هجيا

خوف المكل

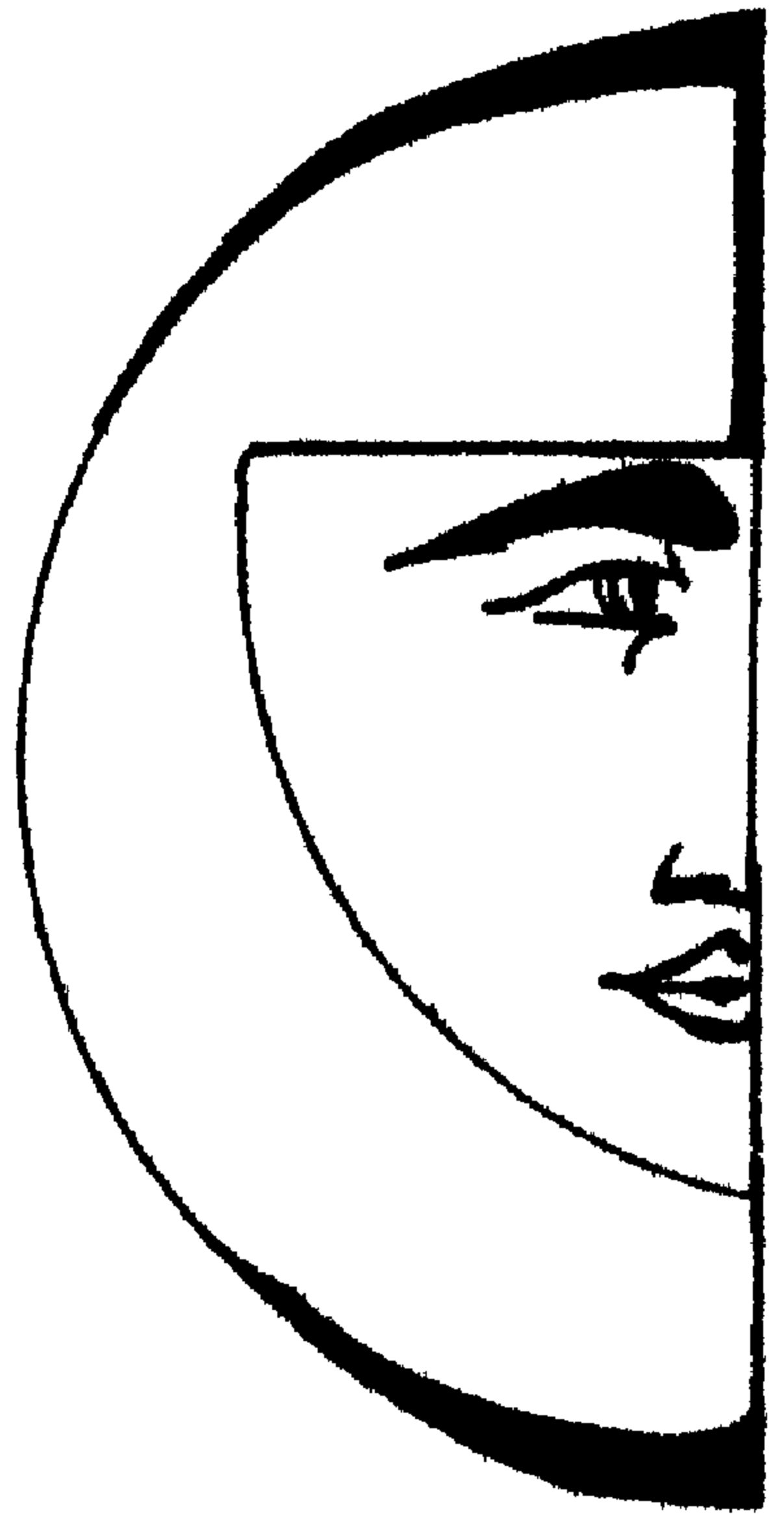
بمن نحب ؟ وإلى ماذا يؤدي ؟ اننا لانرى العالم الا من خلال عيوننا ، واننا لانحتك بالحياة الا في اطار خبراتنا ، ببساطة شديدة سنظل احاديثنا ورؤانا واحساسنا بالاشياء يدور في مستوى مغلق لا يتجاوزه ... تصبح ردود الفعل محفوظة ... والآراء متوقعة والاحاسيس متكررة ... وتنتقل عدوى رتابة الحياة وأزماتها لتلتصق باحساسنا الداخلي فتعطله ، ويمشش الملل والتكرار فوق الحياة وأنا الحريص على تجديدها وتآلقها ... فماذا فعلت ؟ انسحبت من دائرة الالتصاق ... الى دائرة الاصدقاء ... حيث الآراء متنوعة ...

والاختلافات قائمة والرؤية مختلفة ... ووقائع الحياة متباينة فتزداد الخبرة تنوعا ... والآراء نضجا ، واعدود اليها محملا برؤية مستمرة ومتجددة للحياة والناس ... تملأ بتفاصيل ووقائع تثري المعرفة الانسانية .

ولم اقصر في علاقة عائلية تربطنا او مناسبة تستدعي وجودنا معا ... وبرغم هروبي كما تسميه هي ... لم تخفت مشاعري تجاهها ... واعدود الى البيت وفوق وجهي ابتسامة ... والقاهها متهللا ... ولكنها تريدني ضمن اثاث البيت قطعة ثابتة لا تتحرك ... واذا لم تجدها فهذه سرقة ... حاولت كثيرا أن افهمها انني اذاقع عن حياتنا ضد شبح الملل والرتابة ولكنها لاتؤمن ولا تصلق ولا ترى أي خوف من الالتصاق .

● لا اذكر تماما من الذي قال إن كل الأشياء تحمل في داخلها بذور موتها وفنائها ... وكم هي صحيحة هذه المقولة ... على الاقل بالنسبة لي ... تتهمني دائما بانني لافهم الحياة الزوجية ، وانني أحلت البيت الى فندق للطعام والنوم ... وانه مطلوب مني أن أتواجد في البيت ... اتكلم معها اتناقش ... حتى أشاجر ، تصورا تشتاق للمشاجرة .

لم أستطع أن أشرح لها وجهة نظري كاملة خشية أن اجرح مشاعرها ... ولكنني أتصور انني على صواب ، فماذا يفعل بنا الالتصاق الشديد



هو

قراءة نقد البدن

بقلم : الدكتور محمد حكمت عبد الدائم

هل تعلم أن بدنك أعضاء وأجهزة شتى قد تمايزت

وتألفت أشد التمايز والتألف ؟ طبعاً تعلم . لكن هل

تساءلت يوماً أى هذه الأعضاء هو الأجل والأهم ؟

كهربائية عصبية يفهمها دماغك ؟ وفى جوف أدنك ثلاث عظيمات دقيقة التصميم ، هى أصغر العظام التى فىك . تهتز المطرقة أولاً ، فتطرق السندان ، وهى الوسطى التى تهز بدورها الركابة وهى الصغرى . وباهتزازها تحوّل العظيمات الأصوات الواردة من تموجات هوائية فى خارج أدنك الى تموجات خلطية فى باطنها ، فتهتز لذلك شعيرات الخلايا العصبية السابحة فى باطن الخلط من باطن الأذن ؟ أما انفك فما خبره ؟ أيكفى اسك عبره تستنشق الهواء وتزفره ألف مرة كل ساعة . . ساعة بعد ساعة ، فيدفعه ويرطبه وينظفه ؟ لا ، فهو ايضا الذى يستشم لك ما حولك ، فتميز الطيب من الخبيث من نبات وطعام وريح ؟

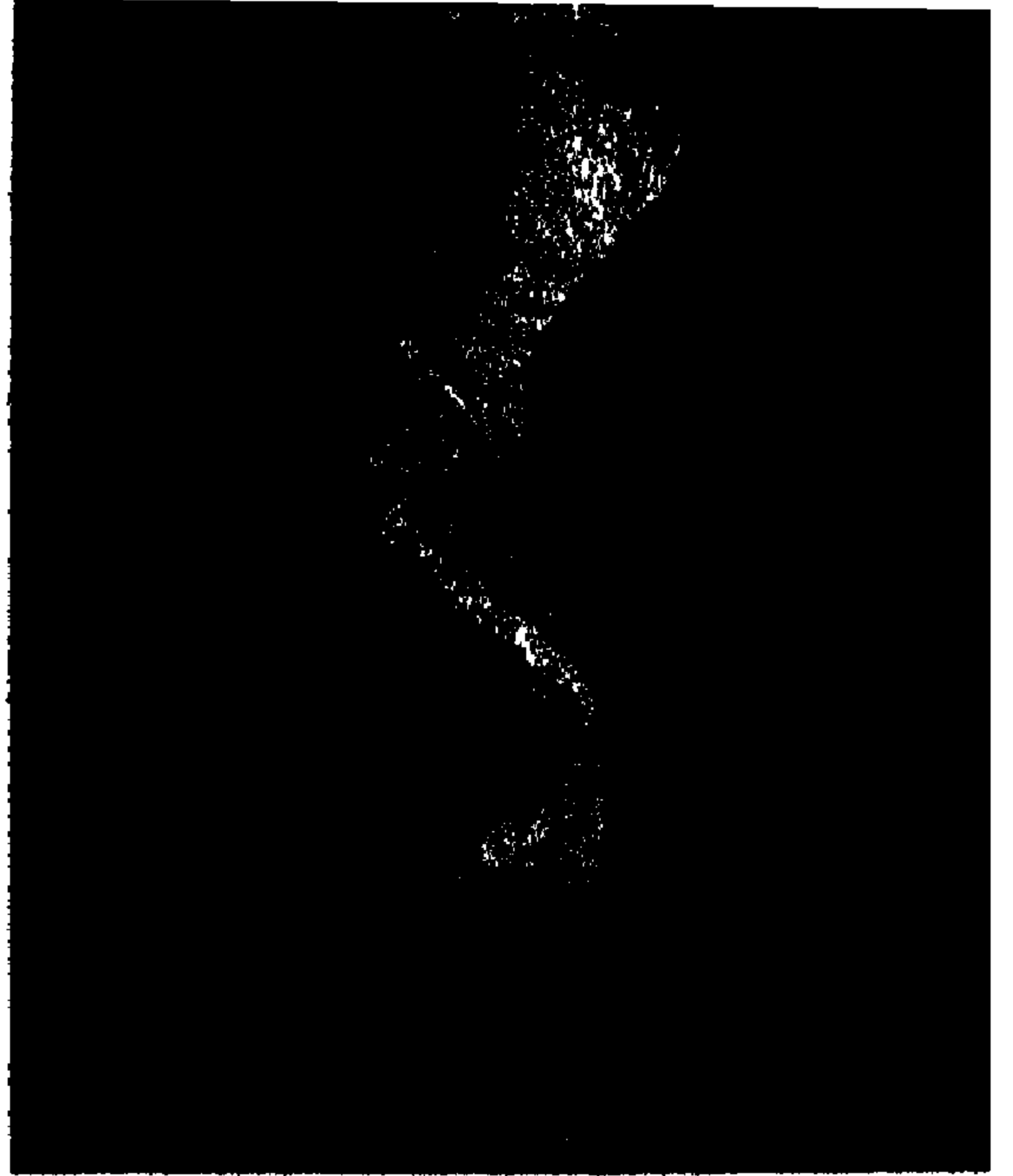
أم الفم ؟ مدخل الشراب والغذاء وملفظ النطق وحسبه هاتان ذكرا ، واسأل عن أهميته رجال الطوارق الذين ستروه حرصاً عليه .

أما العنق فهو الذى يصلك (وقد اعتبرتلك موجوداً

أهو دماغك ، الحاكم غير المتحكم ، الذى يدبر معاشك فى النوم واليقظة ، وبه تعلم وتتعلم ، وتسعد وتغضب ، وتحزم وتتردد ؟ أما خلاياه فملايين مؤلفة فى صفوف مرتبة بانتظام لا تيه فيه ، وقد توزعت المهام فيما بينها ، فمنها المحرك ، ومنها صاحب الحس ، ومنها المدرك ، ومنها المنطق ، ومنها السامع ، ومنها المنفعل ، ومنها الكثيرات لانعلم بعد ماذا تفعل ؟

أم هي عينك التى تصغر قبضة يدك ، والتى بها تخلق فى الصغير والكبير الدانى والقاصى ، المتحرك والساكن ، الجميل وغير الجميل ، ترى ما تقرأ ، وتقرأ ما ترى بسرعة هى لمح البصر ؟ أدام الله لها جفنيها يقياها من سهاد وغبار وطول نظر .

أم أذنك التى لا ترى منها سوى صيوانها جامع الأصوات ، وما خفى منها أعظم شأننا وأدق تركيبها ، ومهمتها النقاط الموجات الصوتية الاثيرة على اختلافها ، ثم تركيزها ، ثم تحويلها الى اشارات



تلتحق بها الكبد الكبيرة القابضة في كشحك
الأيمن ، وزنها ألف وخمسمائة جرام ، وشأنها عظيم ،
تخزن السكر والدهن وربما البروتين ، وكذلك
الفيتامينات ، بل وتخزن الدم ذاته ، ثم هي المصنع
الكيميائي الأول في البدن ، تتركب فيها تسركب
بروتينات وعوامل التخثر التي تمنع استنزاف دمك .
كما أن الكبد تفرز صفراء هاضمة ، طارحة فيها من
السموم التي لم يتم تقويضها في خلاياها ، وكبدك في
الختام هي مركز الاستقلاب الأول في بدنك ، وكفاها
هذا عملا حللا .

أم الكلتيان ؟ وفي كل واحدة منها ألف مصفاة
رسع الكلتيين يكفي لاداء عمل الاثنتين . ولولا
عملهما لفسد خلطك وافتقر دمك ، وارتفع ضغطك ،
ورقت عظامك ، واختلت اعضاءك ، وتجبـل
دماغك ، ثم نفرت روحك من جسمك .

أم العظام ؟ وقد أنشئت صغيرة وكبيرة ، عريضة
وطويلة ، تقويها لك تحسبها جامدة وهي في تحلق لا
يتوقف . اذا كسرتها التحمت ، واذا حركتها
تفاصلت . ظاهرها صلد ترتكز عليه ، وباطنها رخو
يصنع الدم الذي تحشى إراقته .

هذا بعض عن البعض من جسدك ، وقد تمايزت
أعضاؤه أبلغ التمايز ، ولكنها تألفت وتراحمت أشد
التآلف والتراحم ، حتى اذا اشتكى عضو منه تداعى
له سائر الجسد « بالحمى والسهر » . ولذلك علة .
فهذه الأعضاء كلها ما نشأت الا من خلية واحدة ،
وان شئت من نصفين خلويين من أب ومن أم ،
اجتمعا وتوحدا ليشكلا وحدة خلوية واحدة تحمل
رسالة وراثية مسطورة على شريطين وراثيين صبغيين
قابعين في النواة تكاثرت وتناسلت لتعطى كل ما
فيك . فأنت من أولك الى آخرك من تلك الخلية ،
وأنت من أولك الى آخرك تلك الرسالة المستنسخة
الواحدة المقروءة في كل خلية من خلاياك وكل عضو
من أعضائك ، شئت أم أبيت . فاذا أدركت هذه
الحقيقة ما أدركتها الا بها ، فأنت قارئها ومقرؤها ،
وأنت العبرة والمعتبر ، وهي فيك أصلك وعلـة
وجودك . فأعلم . فإن علمت علمت بما فيك وما
زدت ، وان جهلت جهلت ما فيك وما نقصت .

في رأسك (بسائر أعضاء بدنك ، عمره تمر كل رسالة
ذاهبة أو واردة من دماغك الممير الى جسمك المسير ،
وما أكثرها ، وعمره يمر الهواء من رئتيك واليهما ،
ويزل المبلوع الى معدتك ، والدم فيه صاعد وبازل ؟
والرئتان ، الا تحس هما تتفتحان عشرين مرة في
الدقيقة من أحل مص الهواء اليهما واستخلاص
أوكسجين الحياة منه ، ثم زهر ثاى أوكسيد الكربون
فيه ؟ زد على ذلك أن الرئتين مصفائتان للدم السارى
عمرهما بغير استقرار ، تبرئانه مما فيه من حرائم
وشوائب شتى . ثم زد على ذلك أيضا أن للرئتين دورا
في استقلاب بعض هرموناتك . وأضف في النهاية أن
في رئتيك خلايا بيضاء مجدة لمواجهة كل جرثومة
متسللة مع الهواء . وما أكثرها ؟

أما القلب فاسمه يكفي دلالة على أهميته . يخفق
أربعين مليون خفقة كل سنة ، وملياري خفقة ونصف
المليار في سبعين سنة ليلا ونهارا دون راحة ، هذا اذا لم
يسرع ، وهو يسرع ان أت أسرع ، ويبطئ ان
أنت اسطأت ، ولو سكن خمس ثوان وقعت مغشيا
عليك ، واذا سكن خمس دقائق فقدناك وما فقدك
الله . يدفع بعشرة ألتار من الدم في كل دقيقة ،
نصفها الى الرئتين ونصفها الى سائر أنحاءك .

أما أمعاؤك فتهم كل ما ترمى فيها من طعام
مقطع أو شراب مركز أو دواء مركب ، دافعة به الى
الأسفل لا الى الأعلى ، ولو دفعت به الى الأعلى
لتقيأت ، تمتص منه ما يلزم لحياة سائر أعضائك ، ثم
بعد ذلك تقذف مما فضل خارجا



الخضراوات

غذاء ودواء وعلاج

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الخضراوات اذا أحسن إنتاجها واعدادها لا تعد عظيمة القيمة لغذاء

الانسان فحسب، بل يمكن الاستفادة منها في علاج الحالات المرضية

وفي هذا المقال عرض للفوائد التي تعود على الانسان اذا أحسن اختيار نوع

الخضراوات غذاء ودواء وعلاجاً .

وقد عرف اليونان والرومان البارلاء قديماً، ووصفوها غذاء للناقهين والمسنين والمصابين بضعف المعدة . وهذا ما أيدته تجارب الهضم ، فقد ثبت ان البازلاء الطازجة أسهل خضراوات الشتاء هضمًا واسرعها .

وهذا مما يجعلها من أنسب الخضراوات التي تعطى حتى للأطفال الذين مازالوا في طور الرصاعة ، فلا يوجد من بين الخضراوات من يجمع في آن واحد سهولة الهضم ووفرة البروتين والحديد ، فضلاً عما بها من كميات غير قليلة من الفيتامينات .

الخضراوات « والكولسترول » :

« الكولسترول » مادة موجودة في دم كل انسان ،

تحتوي الخضراوات على عدة قلوبات وأصلاح تبطل الضرر الناشئ عن الأحماض الضارة المترتبة عن الهضم ، وعن تحلل المركبات الغذائية ، لذا فهي تعطى للأطفال لتعويض النقص الناتج عن قصر التغذية على الحليب والألبان الجافة الصناعية التي تعطى لهم ، لأن الحليب لا يحتوي على ما يكفي من الحديد .

وإذا تحدثنا عن الأصلاح المعدنية والفيتامينات وجدنا أن السلطة الخضراء غنية جداً بما يحويه الجرجير من يود وجير زائدتين بويما في البقدونس والخس من حديد وغير .

وثرء البقدونس والجزر بفيتامين « أ » الذي يحافظ على كيان الأغشية المخاطية ويزيد من مقاومة العدوى ، كما يساعد على النمو .

الدقيق ، ابن توماس بار لم يصب طول حياته بمشاكل هضمية تهوى التبرز ، فلم يعرف الإمساك طول حياته ، وثبت أيضا أنه كان قليل الأكل ، وإن غذاءه كان في الغالب الجبن القريش واللبن الرائب ، وكميات كبيرة من الخضار والخبز الأسمر .

الخضراوات والبول السكري :

يوجد السكر دائما في الدم بمقدار معلوم تقريبا ، ولا يظهر في البول عند الفرد السليم الجسم . أما في حالة المرض فإن قدرة الجسم على الاستفادة من المركبات النشوية والسكرية والكربوهيدراتية صغوما ، تتأثر بدرجة تزيد أو تنقص حسب مقدار النقص في عصارة غدة البنكرياس المسماة « انسولين » وهذه العصارة هي الإفراز الداخلي لتلك الغدة ، وهو غير إفرازها الخارجي الذي يصب في الأمعاء .

والأنسولين مهم وضروري لحرق وأكسدة السكر الذي يأتي عن طريق الدم . فإذا قلت كمية الأنسولين ، فإن السكر لا يتأكسد ولا يستهلك كله أو بعضه حسب درجة المرض ، فتزيد كميته في الدم عن معدلها الطبيعي ، بحيث يرتفع منسوب ما تحجزه الكلى ، فيتصرف المقدار الزائد منه مع البول .

ومن سبل علاج هذه الحالة اتباع نظام غذائي خاص ، يراعى فيه تحديد كمية المركبات « الكربوهيدراتية » ، بالقدر الذي يجعل المريض قادرا على استهلاكها من غير ظهور سكر في البول ، وتكوين الدهون في الجسم ، كما يجعل مقدار المواد الدهنية في الحدود التي يمكن للجسم أن يحرقها .

وعلى العموم فإن من الضروري الاكثار من الخضراوات الطازجة ، لتمد الجسم بكثير من حاجاته ، وذلك دون زيادة في معدل المركبات « الكربوهيدراتية » والدهنية ، فالخضراوات الطازجة لا تحتوي من المركبات النشوية والسكرية والدهنية إلا على قدر قليل يتناسب مع ظروف هذا المرض ، ولا نستثنى من ذلك غير البطاطا والبقوليات خصوصا الجاف منها . □

منها تتكون الحصيات التي نجدها في حويصلة المرارة ، ويتخلص منها المريض بعملية جراحية . (كسول = المرارة ، واستيرول = اسم الفصيلة الكيميائية . وهي ملحقة بالزيوت والدهون التي مصدرها الحيوان) . وهي المادة التي تكثر في الدم فتصيب الشرايين بالتصلب، وتلحق بالجهاز الدموي ومن ورائه القلب بأضرار كثيرة .

والطريقة التي ينصح بها الأطباء في المعالجة هي أن يكف المريض عن الاكثار من أكل الأطعمة التي تزيد نسبة « الكوليسترول » في الدم كالزبد ، ودهن اللحوم والكلب والمخ والبيض . وهنا يظهر دور الخضراوات في غذاء الانسان ، فهي تحتوي على مادة غذائية خالية من « الكوليسترول » .

الامساك والخضراوات :

وتحتوي الخضراوات على كثير من الألياف التي تقاوم العصارات الهاضمة ، فتبقى دون تغيير حتى تبلغ الأمعاء الغليظة ، وفيها تبدأ أهمية الألياف وفائدتها ، إذ تدخل بقايا الأطعمة في الجزء الأول من الأمعاء الغليظة . وهي في حالة سائلة ، فيمتص هذا الجزء أغلب ما في بقايا الطعام من ماء ، فتصبح لاهي بالسائل الذي يخرج اسهالا ، ولا هي بالجامد الذي يخرج امساكا . وما بقي في بقايا الطعام من ماء فانه كاف لجعل الألياف منفوشة .

وبذلك تملأ الأمعاء الغليظة ، وتحك جدارها ، فتتشط تبعاً لذلك حركتها الدودية ، فيتحرك ما بداخلها ويندفع الى الامام ليطرده الى الخارج .

وتذكرنا علاقة الخضراوات بالامساك بقصة الفلاح الانجليزي الفقير توماس بار ، الذي ظل يزاوّل عمله الشاق حتى المائة والثلاثين ، ولم يمّت الا في سن الثانية والخمسين بعد المائة . وقد اهتم الدكتور هارفي مكتشف قوانين الدورة الدموية بتشريح جسده بنفسه ، فأدهشه أن يجد أعضاءه الحيوية على أحسن حال ، فالقلب طبيعي من كل وجه ، والأوعية الدموية خالية من أي أثر للتليف أو التصلب ، وكان أهم ما ثبت من الاستقصاء

بائعو الوهم

لماذا نكتب ؟ يقيناً ليس لمجرد أن نرى أسماءنا مطبوعة ، ولا رغبة منا في أن نكتسب نفوذاً أو تقرباً من السلطة ، ورغم أن بعض الذين يكتبون لا هم لهم سوى هذه الأهداف القصيرة المدى . . الصغيرة الحجم . . الا أننا نتصور أن الكتابة عمل انساني يهدف بالدرجة الأولى الى تنوير القراء والى وضع كثير من النقاط فوق كثير من الأحرف . . كي تصبح قراءة الواقع ممكنة وفهم الحياة مستطاعا . . والتعامل مع المتغيرات أبسر . الكتابة ما لم تكن تعبيراً عن حق ملايين القراء في حياة أفضل بكل معانيها فهي لا تساوي وزنها ورقاً ، حق الانسان في الحرية والتعبير والاعتقاد ، وحق التعليم والعمل ، وحق حقه في الاختلاف . وهذه الحقوق لا تنفصل ابداً عن المجتمع الذي يحيا فيه البشر . . وعن طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تفرز من داخلها شكل السلطة السياسية .

وفي زمان الأزمة والتردي فإن البعض للأسف قد احترف كتابة ما يسمونه بالسطور المتفائلة الوردية ، واحترف تجميل وجه قبيح لا تجدي فيه جراحات التجميل ، وامتنعن تقديم الحلول الجاهزة والأحلام الزائفة . . عن الفقراء الذين نبغوا فجأة . . وعن الأحياء الذين انتصروا على كل الثقايلد والأزمات . . وعن البسطاء الذين أثروا لأن الحظ أراد أن يكافئهم على طول صبرهم ورضاهم ، وأدمن القراء معهم الأحلام البسيطة المريضة . . وأصبح حل مشكلات الحياة - على كثرتها - يترقب الحظ والقدر وعديداً من الأسباب ليس من ضمنها إرادة الانسان من حيث هو انسان فرد ، وإرادة المجتمع من حيث هو تنظيم وقوة ضغط كبيرة لإحداث التغير ، لكن الحياة ليست بالجمال الذي يزيّفونه ولا بالبساطة التي يروجونها ، ولزمت الفقراء ليست دراما اسطورية تحمل على طريقة الشاطر حسن أو الأميرة سندريلا . الحياة إرادة إنسانية واعية ، تدرك عمق الأزمة التي يحياها انسان العصر . . ورؤية عميقة لمشكلته ، وانها ليست حالة شخصية بقدر ما هي جزء من مشكلة المجتمع ككل يحوان حل المشكلة الفردية لا يمكن أن يكون حلاً صحيحاً الا في إطار تطور المجتمع والتغلب على مشاكله . . أما ان يردد البعض القصص والحكايات عن نماذج انسانية انتصرت فجأة على كل هموم الحياة . . ويظل يردد ما كأنها هي القانون والقاعدة ، فهؤلاء هم الذين يحترفون بيع الوهم . . يقدمون للقراء جرعة من المخدرات كي تنسى همومها وعذاباتها وتنتظر هذا الأمل العبثي . . الذي يحيل كل البسطاء الفقراء الى أثرياء أصحاب سعداء .

وتظل كتابات البعض رغم كل هذه الأحلام الزائفة . . محاولات حقيقية لأن يرى بسطاء هذا الوطن حقيقة الحياة وعمق الواقع . . وان أي غد جميل لا يصنعه الا كل الناس المؤمنين بالخير والحق والجمال . . للجموع . . كل الجموع . ■

محمود عبد الوهاب

القصيدة

وتورق الرمال
وليستكر ماشاء من حدائق
وليستكر ماشاء من ظلال

فإني التلال والحقول
وإني الغابات في الجبال

- ٤ -

فليذكر الصيف
بأن هذى الأرض لي
وهذه الآفاق لي سفينة
ووردني السيف
فليذكر الصيف
إني إذا ماجعني الرصاص
من شباكي المفتوح
في ليلة تمضي لكي تغفو
فليذكر الصيف
بأنني قتيل هذا الضوء في شرفته
وإني لتخله
ونجده سقف
فليذكر الصيف

فليذكر الخريف
حين تسقط الأوراق
والألوان
بأنني ربح على الأغصان
تنمو
وتعلمو
ثم تغدو غيمة
وشارها يخضر بالطوفان

- ٢ -

فليذكر الشتاء
حين تسقط الأمطار
ويدخل الغناء في المساء « ميجنا »
ويوقد الأسرار
بأنني زيتونة من نار
تمتد بين الموت والحياة
وتوقظ الينبوع من سباته
وتوقظ الأنهار

- ٣ -

فليذكر الربيع
بأنني تلك الشوراع التي تمضي بها أزهاره

الرجل المحلل

طرفة :

جلس الرجل في قاعة انتظار المحلل النفسي فسأله المريض الوحيد الذي كان في القاعة :
- تبدو مضطربا . ما الأمر ؟
- اعتقد أنني أعاني من ازدواج في الشخصية
- هاقد أصبحنا أربعة إذن

النسبة والتناسب :

الرجل الذي يعتقد أن الزواج خسارة
نسبة ٥٠٪ هو رجل لا يعرف النساء . .
ولا النسب المثوية .

تعريفات :

الطيب النفسي : هو الرجل الذي لا يفلق طالما قلق
الآخرين .
النجاح : هو الحصول على مال لدفع ضرائب ماكنت لتدفعها
لولا نتجج .
الانتحار : هو أفسس أنواع نقد الذات .

قول على قول :

قال حكيم : لا تزجل عمل اليوم الى
الغد
وأضاف حكيم آخر :
• نعم فلو أنك استمتعت بما
فعلته اليوم فإنيك ستكرره غدا .

حكمة :

النساء من سبب معظم أكاذيب الرجال ، وذلك
لاصرارهن على توجيه الأسئلة لهم .

□□

هذه هي السعادة

يقول قاسم أمين :

اللذة الحقيقية التي تجعل للحياة قيمة ، ليست
حيازة الذهب ولا شرف النسب ، ولا علو المنصب ،
ولا شيئا من الأشياء التي يجري وراءها الناس عادة ،
وإنما هي أن يكون الإنسان قوة عاملة ذات أثر خالده في
العالم

بعد الأوان

زحف الشجرات البيضاء يقتضي منا
دائما أن نسكب الماء البارد على جذوة حبنا
وحاسنا . . ونقيم حولنا على الرغم منا
قضايانا حديدية ثقيلة من الحشمة والوقار
والحرص على المظاهر . . مع برود رتيب
كدقات الساعة . . . يثير الأعصاب . . !

□□

خواطر

يهودي

ساخط

« خواطر يهودي ساخط » عنوان كتاب ألفه كاتب يهودي فرنسي معاد للصهيونية يدعى شلومو رايبخ . في كتابه المذكور الذي نشر في باريس منذ عامين لا نلمس روح الدعاية التي يقال إن اليهود يتميزون بها فحسب ، بل نشعر بالسخرية المريرة من هذا الخليط الرهيب من الأساطير القديمة والمقولات المربعة والأحلام الشرسة . وعلى غرار هذا الخليط يسي رايبخ علما من المقولات الساخرة صاغها على شكل خواطر ومقولات اليك بعضا منها :

• اسرائيل تحرق شوقا للسلام مع الفلسطينيين ، شرط أن يكون الحرق صناعيا .

• اذا قلت لاسرائيلي « كفى من الحماسة » فسيعتقد انك تطلب منه التوقيع على معاهدة سلام .

• من نصر الى نصر تركض اسرائيل نحو هزيمتها .

• امريكا تواجه مشكلة حيال اسرائيل

هي تأعين خلععات ما بعد البيع .
• الناس يتحدثون كثيرا عن اسرائيل واليهود لانهم يحبون الحديث عن كل شيء ولا شيء .

• الاسرائيلي يمر بأشياء كثيرة لا يراها ، وخصوصا جيرانه .

• اذا كانت اسرائيل راعي القرى في الشرق الاوسط فان أبقارها موجودة في المهجر .

• الفرنسي : لا يموت الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة طويلة .

• الاسرائيلي : لا يبعث الانسان الا مرة واحدة ولكن لمدة قصيرة .

• اينشتاين كان يهوديا بشكل مطلق وملحدا بشكل نسبي .

• اليهودي الحقيقي يعرف كيف يجدل الشعرة الواحدة أربع مرات .

• الفرق بين العالم واسرائيل هو : أن العالم يكون أنكم عندما تكون اسرائيل صها واسرائيل تسمع جيدا عندما يكون العالم أبكم .

~~~~~

## جحا في رأي

### محمد فريد

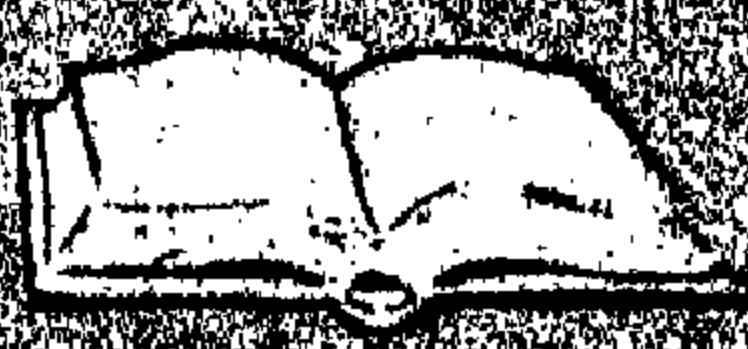
### أبو حنيد

ان من بين شخصيات الأساطير العربية شخصية فذة تكاد تكون وحيد في عجزاتها وملاعها العقلية والنفسية ، وهي شخصية ( جحا ) الفيلسوف الضاحك الساخر ، الذي يقوم بتمثيل فلسفته في قوالب تشبه المسرحيات ، ذات المفزى الواضح ، وهو في مواقفه التمثيلية ظريف دائما ، عاطف دائما ، يدور وكأنه مهرج ، ويصرف أحيانا تصرفا شاذا عن المؤلف ، حتى كأنه ذولثمن الجنون ، ولكنه يلمس نواحي الضعف الانساني في رحمة ، ويكشف عن نواحي الظلم أو النفاق ، وهو أقرب ما يكون الى الرثاء والمواساة منه الى الحق ، واستطيع أن أقول أنني لم أطلع في آداب الشعوب الأخرى على شخصية مماثلة لهذه الشخصية ، ذات الفلسفة الانسانية التي تختفي تحت المظهر الفكاهة الساخر .

وقد حاول بعض الاجانب أن يرسموا صورة لجحا في لغتهم ، فلم يستطيعوا الا أن يرسموا صورة مهرج به لونة ، ذلك لانهم لم يتمكنوا من ادراك فلسفته ولا مرامي فكاهاته .



# مكتبة العربي



مكتبات الشرق

Majnûn et Laylâ:  
l'amour fou



LA BIBLIOTHÈQUE ARABE

وجوه عديدة  
لعاشق واحد اسمه

مجنون  
ليلى

عرض وتقديم : جليل العطية

« مجنون ليلى » إحدى القصص التي عرفها العرب منذ قديم الزمان ،

وتعاملوا معها على أنها حقيقة واقعة اكدها الكثير من المسلسلات التلفزيونية

والأفلام السينمائية وغيرها من وسائل الاعلام .

هذه القصة . . كيف ينظر اليها ويفسرها الغرب الاوروبي ، او على

الاصح بعض القطاعات في الغرب الاوروبي ؟

مجنون ليل ز الحب المجنون .. عنوان كتاب جديد للمستعربين أندريه ميكيل ويرس كاسب صدر حديثا عن دار سندباد الفرنسية . بهذا الكتاب يواصل ميكيل دراسته واهتمامه بظاهرة الحب العذري في الشعر العربي .

فلقد أصدر مجموعة مختارة من قصائد مجنون ليل ، تولى ميكيل ترجمتها الى الفرنسية وقدم لها بلمحة عن أسطورة قيس وحبه لليل وما رافق ذلك من ملاسات وأحداث اجتماعية وتاريخية ..

وقبل هذا أصدر رواية من تأليفه - طبعا - عنوانها : ليل ، هي عقلي أو ليل عقلي ! Layla, Ma Raison - مستوحاة من أسطورة مجنون ليل العربية .

وهكذا ينصرف ميكيل بكل حد للدراسة الحب العذري في الشعر العربي ، محاولا تحليل ظاهرة مجنون - ليل تحليلا فلسفيا ، سيولوجيا ، وبحثها وفق نظرة تاريخية اجتماعية باستخدام أحدث المناهج المعاصرة في الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي ..

يغوص ميكيل في دراسته لشعر قيس بن الملوح وفق منهج النقد البنيوي الذي وضع أسسه الناقد الراحل رولان بارت .

يفضل ميكيل تسمية عاشقه بـ « مجنون » مسقطا منه أداة التعريف ، وكان الجنون قد تحول الى اسم لقيس وليس صفة له !

## الأسطورة .. لماذا ؟

ومنذ البداية يصارح القراء بأن حكاية مجنون ليل ليست سوى أسطورة لا مجال لها في الصحة ، وان شخصية مجنون ما هي الا شخصية مخترقة ، ومن افراقات الخيلة الجماعية ( ص ١١ ) .

ان المخيلة العربية بحاجة ماسة لهذه الشخصية الاسطورية ، وتكاد تجمع المصادر العربية ، وخصوصا الموثوق بها - على أن هذه الشخصية لا وجود لها !

والواقع أن كبار المؤرخين العرب نفوا وجود هذه الشخصية : فكان الأصمعي ينكر وجود المجنون ، ويراه اسما بلا مسمى .

والجاحظ يقول : ما ترك الناس شعرا ، مجهول القائل ، فيه ذكر ليل الا نسيوه الى المجنون . ويقول ابن الكلبي : حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه قتي من بني أمية كان يسوي ابنة عم له ..

على أن نفي وجود المجنون لا يعني الاعراض عن دراسة هذه الاسطورة العاصفة التي خلقتها في الادب العربي ، بل ينبغي دراستها لخصوصيتها الحضارية في التاريخ العربي . لذلك قام أندريه ميكيل بدراسة ظاهرة الحب العذري عند العرب ، وخصوصية شعره ، قبل الدخول الى حكاية قيس وليل .. فيناقش طبيعة الحب العذري الذي ينسب الى قبيلة بني عذرة التي خرج منها شعراء كثيرون .. وكذلك المجنون الذي ينتمي الى قبيلة عامر بن صعصعة .

ولا بأس أن نقدم بإيجاز حكاية المجنون ! قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، من الميميين ، شاعر غزل ، من أهل نجد ، ولم يكن مجنونا وإنما لقب بذلك ليامه بحب « ليل بنت سعد » .

قيل في قصته : نشأ معها الى أن كبرت وحجبها أبوها ، فهام على وجهه ينشد الاشعار ويأنس بالوحوش ، فيرى حينا في الشام ، وحينا في نجد ، وحينا في الحجاز ، الى أن وجد ملقى بين أحجار وهو ميت فحمل الى أهله .

ويذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ٦٨ هـ - ٦٨٨ م وزعم راوية غير معروف ، يدعى نوفل بن سائق قال :

أنا رأيت مجنون بني عامر ، كان جميل الوجه أبيض اللون ، وقد علاه شحوب .. وقد طبع بعض شعره في ديوان ، وصنف بعض المؤلفين كتباً في أخباره ، ووصل اليئامنها : بسط مسامع السامر في أخبار مجنون بني عامر ، ويذكر بعض المؤرخين أن أبا ليل اشتكى قيسا للخليفة مروان بن الحكم .

بعد أن يذكر أندريه ميكيل موجزا للروايات المختلفة حول قصة المجنون يبدأ في السرد التفصيلي المقترن بتحليل تاريخي وسيوي - فلسفي عميق لهذه الاسطورة التي شغلت الادب العربي منذ العصر الأموي وحتى الوقت الحاضر !

## كتاب الشهر



اجتماعي غير خطري ، ولكنه يشكل الاصلية  
الذهنية والعاطفية لمجتمع المدن الحديثة البناء .

### ظاهرة جديدة :

ان ظاهرة جنون قيس تسترعي اهتماما فكريا  
ونظريا كبيرا من قبل اندريه ميكيل ، فان حب  
المجنون لليل دفعه للانفصال عن طبيعة تقاليد مجتمعه  
المحافظ . . دفعه لينفي نفسه عن مجتمعه مفضلا  
العيش في الصحراء بعيدا عن الوحدة الاجتماعية  
المثالة بالقبيلة ، وهنا يسلط المؤلف نظرة سيولوجية  
تفسر هذا النفي الذي اختاره المجنون لنفسه ، وتقبله  
المجتمع على الرغم من أن وجوده - وجود المجنون -  
كان يهدد النظام الرمزي العام للمجتمع وللقبيلة .  
ثم ان قيسا كان يستعيد على الدوام قصة حبه لليل  
ويرددها بشكل علني ، ولم يكن هذا الامر مقبولا في  
الحرف الاجتماعي آنذاك ، ولذلك فان قيسا كان  
خارج النظام الجماعي الذي هرب منه والذي كان  
يشكل بعض الخطورة على كيانه ( ص ٣٧ ) .

### ميسالين والمجنون :

يقارن ميكيل بين حب قيس وجنونه وتناقضه مع  
المجتمع وبين قصص حب شبيهة حصلت في  
حضارات أخرى وضمن قيم اجتماعية مغايرة لطبيعة  
الحضارة العربية - الاسلامية كالحضارة الرومانية .  
ويرى المؤلف أن المجنون قد لا يكون مجنونا غير أنه  
ببساطة يمثل نموذجا أصيلا وفريدا من نوعه ، ولذلك  
فانه دفع الثمن غالبا لقاء هذه الاصلية وهذا التفرد ،  
وذلك بأنه تحول الى منبوذ ومتفي من قبل المجتمع  
الذي ينتمي اليه ( ص ٣٧ ) ، وهو بهذا يشبه  
ميسالين الايطالي الذي عشق مومسان لحد الموت ،  
الامر الذي لم تقبله روما ولا المجتمع الايطالي في ذلك  
الوقت .

لقد تناول قصة المجنون مؤرخون وأدباء عمالقة  
بينهم أبو الفرج الاصفهاني صاحب « الاغانى » وأبو  
علي القالي صاحب « الامالي » وأخيرا فقد تناولها  
الشاعر المصري المعروف أحمد شوقي في مسرحيته  
الشعرية الشهيرة .

يقوم ميكيل بعد ذلك بتقديم تفاصيل كثيرة عن  
أبطال هذه الاسطورة وأحداثها فيبدأ بسرد حياة قيس  
ابن الملوح ويقدم تفاصيل عن عائلته وقبيلته كما  
وردت في المصادر العربية ويؤكد أن والده كان  
« سيدا » ويشرح معنى هذا اجتماعيا وطبقيا ،  
ويقارن بين هذا اللقب وبين كلمة 'Seigneur'  
باللغة الفرنسية . .

ويصف ميكيل المجنون بأنه « أجمل فتيان  
قبيلته . . طويل القامة ، ذو بشرة سمراء صافية وذو  
شعر مجعد يحيل الى اللون الكستنائي الغامق !

يقر بأن المجنون في هذه المواصفات - يحظى  
بالمؤهلات الهامة - الاصل والنسب والثروة والوسامة  
التي تسمح له بالتقدم بخطبة ابنة عمه ليل ، مقابل  
مهر طائل مقداره : خمسون جملا جيلا ! غير أن عمه  
يرفض الزيجة ، لان قيسا فضع حبه لها ، وهذا امر  
مرفوض لدى المجتمع العربي حيثئذ !

يرصد ميكيل الروايات التي أرخت لحب قيس  
لليل ويحاول الربط بينها وتحليلها تحليلًا مقارنا ليخرج  
باستنتاج حديث حول الميزة المتفردة لهذا الحب في  
الناحية السيكلوجية والمحتوى الفلسفي لمشل هذا  
النمط من العاطفة .

لمع اقرار ميكيل بأن قصة مجنون ليل هي أسطورة  
من نسج الخيال الا أنه يتعامل مع المحتوى الموجود  
لهذه الاسطورة كما ورد في الروايات ، ويتبع التطور  
التاريخي لهذه الاسطورة التي اتخذت لها مكانة كبيرة في  
المدن الكبيرة الحديثة التأسيس كاللكوفة والبصرة التي  
قامت فيها مجتمعات بدوية في مضمونها وذهنيتها . .  
كانت المجتمعات البدوية الحديثة - هذه - تردد  
حكاية مجنون ليل - كحكاية بدوية جاءت في ميدان





## عقلانية قيس :

ومحاول أندريه ميكيل أن يكتشف المنطق الذي أقام قيس عليه حبه ثم جنونه بعد ذلك ، « والعقل » الذي اتبعه في مناقشة الآخرين ليدافع عن طبيعة حبه وتعلقه بليل فيرى بأن منطق المجنون كان عقلانيا وصافيا ونقيا . .

ان منطقته هو البساطة والنقاء في التعامل مع ظواهر الاشياء ، ومن ذلك الحوار الذي دار بين أبي ليل والمجنون ، والذي يسورده ميكيل للدلالة على « عقلانية » قيس المتمثلة في الصفاء والنقاء الذهنيين ( ص ٣٩ ) .

ان دراسة ميكيل تقوم على عدم تقبله لظاهرة حب قيس وجنونه بشكل عفوى بل يقوم بتحليلها بالاعتماد على دراسات أدبية فلسفية للحب ، كالدراسة التي قام بها رولان بارت في كتابه « مقاطع في خطاب غرامي » وأندريه بريتون في بعض دراساته ، هذه الميزة يفرد بها ميكيل في دراسة قصة قيس وليل ، انه يصدمنا بعمق الدراسة لموضوع يقر منذ البداية بأنه أسطوري خرافي -

والواقع أننا لم نفكر في يوم ما باخضاعها للتحليل والدراسة الجادة للوصول الى أقصى ما تحمله من

## مضامين وأبعاد حضارية ونفسية واجتماعية !

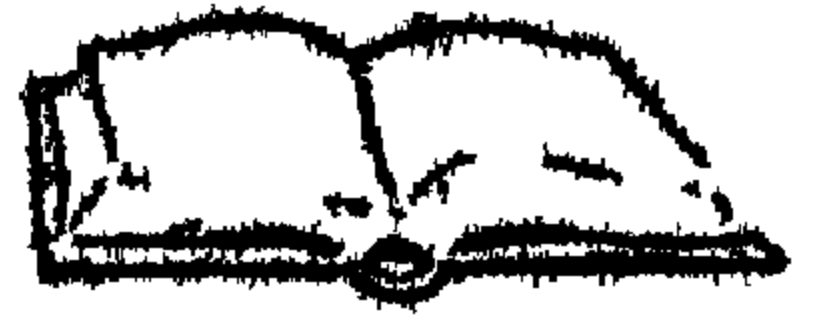
ان حقيقة هذه الاسطورة ورسوخها في أذهاننا جعل منها أسطورة بلا عمق فكري بينها نجلدها - بعد تحليل ميكيل - وكأنها « حقيقة » راسخة ، بل أكثر واقعية من وجودها السابق .

تغدو قصة قيس وليل الساذجة عبر تحولاتها التاريخية داخل المنظور الفلسفي - ذات كيان حي يعبر عن احتياج نفسي جماعي لمجتمع متعطش لصياغة عواطفه المحرمة داخل رموز بينها غيره . . ويكون هو ، ضحية هذا الرمز !

## ليلي والليل :

يجعل ميكيل من اسم ليل حبيبة قيس موضوعا للتحليل أيضا ، فليل بالنسبة له تحول موسيقي شعري لاسم الليل بالفرنسية « Nuit » ولكنها ليست ليلة كبقية الليالي ذات الزمن المنتهي ، بل هي ليل دائم يفرق فيه المجنون ، وتغدو عبارة : « مجنون ليل هي مجنون الليل » وهكذا يمكن استلزام الليل والمرأة داخل وجود متحد يتشكل عبر امرأة يكون اسمها هو الليل ( ص ٤٩ ) .

## كتاب الشهر



يورد بعد ذلك كل الروايات التي نقلت عن المجنون في كتب الادب العربي بدءاً من أبي الفرج الاصفهاني ، صاحب الاغانى ، وحتى أحمد شوقي حيث يتناول مسرحية « مجنون ليلى » فيقدم ترجمة لمقاطع هامة منها ( ص ١٣١ ) .

يرى ميكيل أيضاً أن هذه الاسطورة ألهمت الكثير من الشعراء غير العرب ، كما أنها وظفت بشكل ثوري لأنها خارجة عن التقاليد الاجتماعية المعروفة ، ف شخصية قيس ذات طابع صوفي وثوري ( ص ١٤٩ ) .

كان المجنون يستطيع العمل بنصيحة صائته بالتزوج من امرأة غير ليلى ، ولكنه لم يفعل ذلك وفضل الجنون والتشرد ، هنا يصل ميكيل الى سؤال جوهرى وعميق هو : ما الذي كان ينتظره المجنون من الحب الذي يعيشه في كل لحظة ؟ ( ص ١٥٨ ) . وهل كان المجنون يحب ليل حبا حقيقيا ، وفي سبيلها عانى كل هذا الانهيار النفسى والفكرى والصحي ؟ ... ومن اجلها ( ص ١٥٨ ) أم أن الحب يتخذ في مثل هذه الحالة شكل نزوع رمزي نحو المطلق ؟

الملاحظ في أسطورة قيس وليلى أن ليل غائبة كوجود فيزيائى وسلوكى يتصرف ويتخذ المواقف داخل هذه الاسطورة ، ونرى بأن حضورها يتم من خلال المجنون وسلوكيته وذاكرته وتخيله .

### دراسة مقارنة :

هذا يدفع أندريه ميكيل الى اضاءة هذا الجانب - اللغز من حب المجنون لليلى ، فيعتمد على بعض تحليلات رولان بارت ويستشهد بمقاطع هامة من كتابه الشهير مقاطع من خطاب غرامى ، الذي يفلسف بارت فيه الحب كعلاقة وجودية وفلسفية معقدة وعميقة ، ويرى ميكيل بأن المجنون لم يكن ينتظر شيئاً من حبه لليلى ، وإنما كان يعيشه من أجل الحصول على امتيازات خاصة في مجالات الحرية الخارجية عن

يتوسع المؤلف في التحليل الجمالى لاسم ليلى ليناسب بشكل متكامل داخل هذه الاسطورة الرومانسية الجميلة .

يبين ميكيل في دراسته بأن حب قيس لليلى وهو حب وجودى ، عميق ، رائع ميتافيزيقى أكثر من العادة ، انه البحث عن شيء ما كالمطلق . كان المجنون يعتبر بأن اللذة لا تدوم عنده ، وعندما يجد نفسه في الصحراء الخالية كان وجود ليلى بطارده ، وكان مرود أي شيء أمامه كالغزال - مثلاً - يذكره بليلى ويلاً عليه هذه الصحراء الجرداء .

### قيس وروميو :

ويقارن ميكيل المجنون بنماذج مشابهة من الحضارات الاوروبية الاخرى ، فيقارن بين طبيعة موته وموت روميو - مثلاً - غير أنه يمنح المجنون خصوصية متفردة عن سواء هي بالضرورة خصوصية مجتمعة . .

فمن بين كل الشعراء والعاشقين المشهورين كان المجنون هو الوحيد الذي رفض من قبل مجتمعه ، رفضاً تاماً ، بل وضع خارج هذا المجتمع وعاش مرحلة من التوحش في الصحراء مع الحيوانات ، وبالشكل الذي تعيشه هذه الحيوانات ( ص ٧٢ ) .

هذا التوحش والانصراف الى حب ليل هو حالة ( طوبوية ) فريدة من نوعها ترتبط بحالات نادرة من الحب المثالى المتعالى واللاواقعى ، ويستند الى آراء فلسفية في الحب لرولان بارت ويستشهد بمختارات رائعة ، متقنة بدقة من اشعار المجنون تجسد لا واقعية حبه ، ويقول بأن قلب العاشق يكون هكذا . . الموضع الموحد والكلي لكل الشموليات التي تميزه وتباركه ( ص ٨٩ ) .

ومن هنا يقارن اشعار المجنون باشعار حب لويس اراغون الشاعر الفرنسى الشهير - ويرى بأنها مستوحاة من اشعار المجنون العرب !

التقاليد الاجتماعية القبلية الضيقة ، فالقبيلة لا تسمح لاحد بأن يمارس السلوكية التي سلكها قيس الا اذا كان مجنوناً ، وأن حب المجنون لليل وتشيبيته وسلوكيته داخل اطار هذا الحب قد رفض من قبل القبيلة ، الا أن هذه القبيلة نفسها جعلت من قيس شخصية رمزية وأسطورية ثم شخصية جماهيرية ذات شعبية كبيرة .

ان الحب ، وشعر الحب بشكل خاص ، يمنع المجنون من الاقتران بليل الا أنه يجعل قيساً محسباً بوسيلة من وسائل الانتصار هي :

- الشعر !

أي معنى آخر . . . الكلام . . . فبواسطة الكلام ، وبالكلام بحد ذاته وعبر استخدامه استخداماً رائعاً وخلاقاً واستراتيجياً يمنع المجنون سلطة قوية خاصة ، وتمييزة هي هذا الكلام نفسه - كغاية ووسيلة في الوقت نفسه - ثم كهدف متصّر وفعال في النهاية . . . ألم ينتصر المجنون في النهاية على الرغم من جنونه ، بسبب الحب ؟

نعم . . . لقد انتصر ، وان لم ينتصر هو فان قبيلته انتصرت ، لأنها تدّين الى المجنون بشهرة اسمها « بني عامر » . . . وبأن المجنون كان أفضل شعرائها . . . واسطورة أدبية من أشهر أساطير العرب ( ص ١٧٤ ) .

وفي ضوء كل ما سبق من منهج تحليلي قام به ميكيل لاسطورة هذا العشق ، يقود بشخصية قيس المجنون الى معالجة نفسانية - سيولوجية داخل واقع التاريخ العربي مستعينا بالتأنيج الفعالة التي توصل اليها كل

من الفيلسوف الفرنسي جبل دولوز والعالم النفسي فيليكس كوتاري في ميدان علم النفس الاجتماعي في كتابيها الهام « ضد أوديب » ووضعها لمقولة « مأكنة الحرب » والمعطيات المنبثقة عنها ( ص ١٨٨ - ١٨٩ ) .

ان مقولات فرويد وانجازاته في مجال التحليل النفسي تنفع كثيراً في اضاءة أسطورة قيس وليل بالانجاء الذي يرسخ مكانتها التاريخية الاجتماعية في الحدود الخاصة لطبيعة التاريخ العربي .

### دراسة فلسفية :

دراسة ميكيل دراسة فلسفية بالدرجة الاولى تتخذ من موضوع المجنون وحب مشروعا منجزا لبحث علمي جديد من نوعه ، يهدف لقراءة قصة حب مجنون ليل وفق طريقة عقلانية ، تحليلية ، ومغايرة لبنية القراءات السابقة .

والرواية التي ثبتها ميكيل في نهاية كتابه حسب ورودها في كتاب الاغاني لابي فرج الاصفهاني ، تجعل القاريء - بعد أن استوعب تحليله للاسطورة - يتعامل مع التفاصيل الواردة في نص الاصفهاني ، بشكل أكثر عمقا وتوصلا مع المضامين التي اختفت تحت وطأة السرد المباشر للقصة خلال مراحلها التاريخية والتي حولتها الى بديهة سطحية مجردة من التحليل الضروري ، المساعد على اعادة كشف رموزها وتربطها مع الذهنية الخالقة لها ، ضمن مواصفاتها الحضارية . □

### لذة الدنيا

سئل ابو عثمان بن خريم المري عن لذة الدنيا فقال : الأمن ، فانه لا يعيش لخائن ، ثم العافية ، فانه لا يعيش لسقيم ، ثم الغنى ، فانه لا يعيش لفقر .  
وقيل له ما بلغت من نعمتك ؟ قال : لم ألبس جديدا في صيف ولا خلقا في شتاء .



## من المكتبة العربية

# تراثية الرفض والقزيمة

## دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم

بقلم : جمال وردة

يعد هذا الكتاب الذي صدر حديثا عن دار المستقبل العربي في مصر اسهاما

جلدا للاستاذ محمود امين العالم في نظرية للنقد الادبي يستند بها الى المنهج الجدلي

ويسمى لابرار معالنه خلال التطبيق النقدي على ثلاث روايات لواحد من أبرز

الروائيين العرب الشبان .

اخذت تحاسبه بمعايير بعض المدارس النقدية الفرنسية المعاصرة وعندها وجد نفسه من جديد في قلب معركة النقد الادبي بعد ان كان قد شغل عنها بالدراسات التراثية والتدريس الاكاديمي فترة طويلة ، ولهذا كان هذا الكتاب استكمالا للحوار الذي لم يتم في ندوة فاس حول منهج دراسة الرواية العربية .

وكالفارس القديم الجديد يحمل الاستاذ امين العالم سيفه مدافعا عن مرحلة الخمسينيات النقدية في نفس الوقت الذي يدهو فيه بعض الدارسين الى احادة النظر في تلك المرحلة وتقويمها في غير تعال أو نحن أو استخفاف مذكرا ان ذلك التيار في النقد الادبي في ذلك الوقت كان ثورة على التفسيرات والتحليلات الاكاديمية والوصفية والانطباعية والتلقوية والنفسية

في اواخر ديسمبر ٧٩ شارك الاستاذ السالم في ندوة عقدت في فاس بالمغرب حول الرواية العربية الجديدة . واختار موضوع التاريخ والفن والدلالة في ثلاث روايات مصرية معاصرة هي : « نجمة أغسطس » لصنع الله إبراهيم ، « وقائع حارة الزعفراني » لجمال الفيظاني و « يحدث في مصر الآن » ليوسف القعيد . وقد حاول من خلال هذه الدراسة إبراز طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والتخييل . بين التاريخ والفن ، وخصوصا ان هذه الروايات الثلاث تعبر عن واقع واحد تقريبا أو مرحلة تاريخية واحدة رغم اختلاف المناهج الفنية وقيمها الدلالية .

وقد صدمته بعض التفسيرات في الندوة المذكورة التي

التي كانت تسيطر بمسئوى أو بآخر على النقد الادبي آنذاك . فضلا عن هذا فقد كانت تلك المرحلة متوائمة ومتواكبة مع مرحلة النهوض الوطني والقومي والاجتماعي التي احتدم فيها الصدام بين القوى الوطنية والديمقراطية العربية من ناحية والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية من ناحية اخرى ، ومع ذلك ، فان هذا التيار النقدي لم يعمل الجانب الفني أو الجمالي لحساب المضمون الادبي ، بل كان يرى ان الشكل الفني هو عملية فنية بتشكيل فيها الموضوع مضمونا وكان يحرص على التحليل « الفني » الدلالي للعمل الادبي كما وضع ذلك في كتابه « في الثقافة المصرية » بالاشتراك مع زميله الدكتور عبد العظيم انيس و « تأملات في عالم نجيب محفوظ » ، علاوة على مقالات اخرى في كتاب له بعنوان « الثقافة والثورة » .

### رواية ثلاثية لا ثلاث روايات

يتناول الاستاذ محمود امين العالم تطبيقاً لمنهجه الجدلي ، الروايات الثلاث لصنع الله ابراهيم محلاً للبنى الاساسية داخل هذه الروايات كشفاً لدلالاتها في اطار سياقها الاجتماعي والتاريخي ذاكراً انها ليست ثلاث روايات مستقلة بل رواية ثلاثية واحدة سواء من الناحية الفنية أو الدلالية . فبطل القصص الثلاث هو نفس الراوي « الانا السارد » ، وهو بلا اسم وبلا ملامح . على اننا نستطيع ان نتيين بعض المعلومات عنه ، فهو كاتب وصحفي ذو اتجاه يساري يخرج من السجن في وسط الستينيات حين يُفرج عن بعض السجناء السياسيين . والرواية تعبر عن خيبة الامل التي اسفر عنها اللقاء بين هذا السجن المفرج عنه وبين هذا الواقع ( القديم - الجديد ) فرواية تلك الراحات تعكس هذا التناقض الرهيب بين مجتمع يرفع شعارات وسياسات اشتراكية ولكنه يحجز ويراقب الاشتراكيين في الوقت الذي تستشري فيه روح الاستهلاك والفساد والتطلع الرأسمالي . وفي واقع الصدمة هذا يقف الانا السارد معترباً داخل نفسه محاصراً من السلطة باحشا دون جدوى عن حب ، عن علاقة انسانية ، عن عمل . وفي ظرف آخر يقف المجتمع غارقاً في تطلعاته الاستهلاكية ،

ففي اللحظة التي يخرج منها هذا السارد للرواية من السجن فإنه يعود اليه - لعله لا يعود الى نفس السجن الذي خرج منه ولكنه يعود الى سجن ما - الى حيز ما - الى قييد ما لحرية وحركته . وحتى في حالة خروجه من هذا الحيز فسبيل مقيدا في مكان ، في مسكن ، حيث تذهب الشرطة اليه كل ليلة لكي « تتم عليه » كما يقول في لغة الشرطة .

تكاد بنية حركة الرواية كلها ان تكون هذه الحركة الدائرية : الخروج من السجن والعودة المتصلة اليه ، حركة داخل سجن - حرية داخل قيد . ان الحرية التي خرج اليها لا تثير في نفسه انفعالا ، بل انه يعاني منذ البداية شعوراً بأنه يسير في عالم غير مكتوث به سواء كان سجيناً او حراً . اخوه لا يترك له شقته وكذلك صديقه العسكري الذي يرافقه يسعى لاستغلاله . إنها صدمة البوابة التي تكاد تشكل طبيعة العلاقات بين الانا السارد والآخرين ، وبين الانا وعناصر واقع الرواية كلها بأبعادها الزمانية والمكانية واللغوية . فالسارد يتحرك طول الرواية من غرفته في مصر الجديدة الى القاهرة ، فالى غرفته ثانية قبل الغروب ، اتنا في حالة متصلة من الخروج والعودة - حركة متصلة ولكنها متكررة ومجدبة لا تقضي الى شيء جديد . حركة بلا جدوى وبلا طائل . على اننا نجد في مواجهة هذا المكان - القيد - ذلك المكان الحرية ، وهو مكان أو فضاء متخيل يتحرر فيه السارد من قيده ليتحرك بحرية في ذكرياته واحلامه مستخدماً لغة اخرى غير اللغة المكانية التفسيرية هي اللغة الغنائية الحلمية . وهكذا يزدوج المكان في الرواية بين مكان أفقي محتجز ومكان متعامد على المكان الافقي .

### تلك الراححة وهذه النجمة :

كما اننا نتيين تناقضاً من نوع آخر . تناقضاً مع الزمان الذي يشكل إطاراً للقصة ، وتناقضاً مع الزمان الذي يعيشه السارد . وقد برز هذا التناقض في زمان اجتماعي مساند معاش عبر الرواية كلها ، ولناخذ بعض النصوص .

وقال خطيب اختي : « هل يعرف احدكم شخصاً مسافراً ليأتي الى بريكوور ؟ »  
« وتوقف السائق في الطريق ليضع قطعة خشب

في قه ، وشرب الشاي » .

وقالت بهاء : « امرؤك رائحة »

وقال الأب : « ان الرأسمالية الفضل » .

« وأعلن صوت الراديو عن إحدى حلقات الشيخ الأسود » .

بهذه الأمثلة وبعضرات غيرها نشعر بزمان اجتماعي قوامه الفساد والاشتغال بثقافة التسطح والمغامرة . وهو زمن اجتماعي متناقض دلاليًا مع الزمن - الاطار حيث الشعارات والاجراءات التقدمية . كما يتناقض مع الزمن المحاصر الذي يعيشه السارد دلاليًا . ولكننا نلاحظ ان الازدواج والتناقض يعبران عن عالم ذي طبيعة ثنائية يغلب عليها التباين لا التصارع . فالتناقضات بين المعلن والمحقق - بين الشعار والتطبيق ، بين الحرية والقمع - بين الرائحة النظيفة والرائحة التي لا تطاق ، هي ثنائيات متناقضة ولكنها غير متصارعة وكأن الرواية تريد ان تعبر في الحقيقة عن سيادة إحدى طرفي هذه الثنائية وعلته على الطرف الآخر . ولهذا تسود تلك الرائحة الكريهة من داخل واقع الرواية . على ان هذه الرواية ليست الا الجزء الاول . فجزؤها الثاني هي رواية « نجمة اغسطس » وهي الرواية التي استلهمها من رحلته الى السد العالي وتكاد هذه الرحلة الى السد العالي ان تكون امتداداً لرحلة ايامه الاولى في القاهرة عند خروجه من السجن .

ان نجمة اغسطس « هي رواية رحلة ، والرحلة ذاتها هي البحث والاكتشاف - هي رحلة نحو الآخرين ونحو الذات .

### ثلاث رحلات وثلاثة قطارات

ونستطيع ان نتيين من خلال الرواية ان هناك ثلاث رحلات لا رحلة واحدة - الرحلة الاولى وهي رحلة مكانية من القاهرة الى ابي سمبل مروراً بمنطقة السد في اسوان .

- الرحلة الثانية وهي رحلة زمانية بين الحاضر والمستقبل الى الماضي .

- الرحلة الثالثة هي رحلة عميقة عبر الذكريات والمذكرات والتضمينات من مذكرات مايكل انجلو وذكريات السجن وقراءات في التاريخ القديم .

ولقد استخدمت الرحلتان الاولى والثانية عدة وسائل للاتصال، كان القطار الوسيلة الاولى فيها على اننا سنجد في الرواية اكثر من قطار . هناك القطار الذي نقلنا من القاهرة الى اسوان وهو حديث ومكيف يمتلئ بالاجانب اساساً ، ويمر هذا القطار عن اتجاه من الحاضر الى المستقبل المنشود ، على اننا داخل هذا القطار الحديث المتجه الى الحداثة المستقبلية نستشعر بغربة الانا عن من حوله ، وامتلاؤه بالتوجسات العميقة . اما القطار الثاني فهو قطار متواضع قديم بطيء تكس فوق ارضه اجساد العمال المرهقين العائدين من عملهم في السد .

ويكاد هذا القطار ان يكون نقيضاً طبقياً وحضارياً للقطار الاول رغم انه يتحرك داخل منطقة المستقبل . ولعل هؤلاء العمال يذكروننا بالعمال الذين التقينا بهم في « تلك الرائحة » وهم يتزاحمون لركوب المترو وقد بدا على وجوه بعضهم الارهاق الشديد .

وهناك قطار ثالث وهو القطار - الذكرى . انه قطار عربات الحيوانات الذي حمل السجناء السياسيين ومن بينهم الانا السارد بسلسلة حديدية الى سجنهم في صحراء اقاصي جنوب مصر .

اما وسيلة الاتصال الاخرى فهي المركب ، وكانت في الحقيقة وسيلة للتواصل مع الماضي . ان اغلب العلاقات بين الانا والآخرين هي علاقات عابرة برجائية - علاقات برانية حالصة باعتبار الآخرين مجرد ادوات من اجل خدمة او متعة او معلومات ، ولهذا فهي تفتقد الاستمرارية والعمق - حتى علاقة « الانا » بسعيد - صديقه الصحفي او بتانيا حبيبته او بذهن المناصل الهارب المطارد ، فإنها رغم عمقها النسبي - سرعان ما تختفي سواء من المجال الشعوري أو مجال الذكريات .

ان السارد يرى الآخرين ينظرون اليه نظرة الشك والاثام والحذر أو الاستخفاف والاحتقار ، وهم بالمقابل موضع شك وسخرية من جانب الانا نفسه - انه احساس غريب بالدونية والاستعلاء في وقت واحد مما يعمق المسافة المزاجية والفكرية بين الانا والآخرين طوال الرواية ويحطي لواقعه وحدته الفنية والدلالية ويرفض الاستاذ العالم الرؤيا البنيوية للرواية باعتبار انها تعبير عن ازمة مجتمع ما بعد الآلة ، وان الجنس في الرواية هو المهرب والخلاص . ان الآلة في



## ● ثلاثة الرقص والهزيمة

من سجنانه - من سلطان اللجنة عليه وبهذا الرقص المسلح يتنفي للازدواج والالتباس ولكن الرواية تعود بنا الى اطارها الكافكاوي الذي بدأت به حيث يحاكم « الانا » امام اللجنة نفسها ويقوم بتنفيذ الحكم على نفسه .

الا اننا نرى ان الانا السارد لم ياكل نفسه - كما حكم عليه - رغم المظهر الروائي ولكنه تخلص من مواصلة المواجهة وارتضى العزلة والاعتزال وبدأ بذلك يجتر احاسيس المعجز والخذلان ربما تعبيراً عن مشاعر الندم والتقصير أو مرحلة اعتكاف يجري خلالها مراجعة حاسمة ونقد ذاتاً مريراً .

ان هذا البحث اللغوي الطويل من الحقيقة وعن الخلاص بدءاً بتلك الرائحة ومروراً بنجمة اغسطس وحتى أبواب اللجنة هو في الحقيقة رحلة الهروب من الرائحة الفاسدة في مطلع الستينيات الى النجمة المتألقة في سماء الجنوب ، نجمة الامل - هذه النجمة التي كانت تبرز متوجهة وكبيرة في القسم الاول من الرحلة - الرواية ولكنها لا تلبث ان تصبح واهنة وصغيرة . وان هذه النجمة تضعف وتتضاءل رمزاً لحيية الامل والشعور بالاحباط والتناقض مرة اخرى - فالقمع والفروق الطبقية والانتهازية والفساد تمارس جميعها في ظلال هذا المشروع التعميري الانساني الضخم .

واذا كنا قد لاحظنا في تلك الرائحة كثرة التعابير الدالة على النظافة ( الماء - الصابون - دحك الجسد الخ ) اي فعل التطهير الجسدي فإننا في رواية نجمة اغسطس نتيين كثرة الافعال المتعلقة بالرؤية والتأمل رمزا للتطهير النفسي .

ان الشعور بالخوف والاحساس بالمطاردة تلازمان الكاتب في قصصه الثلاث وكذلك التناقضات والذكريات - واذا كان الانا السارد في تلك الرائحة يعبر عن احتجاجه على فساد مستشري فإنه في نجمة اغسطس يعبر عن رفضه للنظام كله وللسلطة كلها وربما الاوضاع السائدة في مصر ابتداءً من منتصف السبعينيات .

□

بقية هذه الرواية ليست اداة قمع وانما هي اداة تعمير وتطوير وابداع سوام في فعل الفن . ( ازميل ومطرفة مايكل انجلو واللات الفنانين المصريين القدماء ) أو في الآلات الحديثة المستخدمة في بناء السد .

## موعد مع اللجنة

الانا السارد يعود بعد انحسار واختفاء نجمة اغسطس الى القاهرة ، ولكن اية القاهرة ؟ لقد أصبحت القاهرة اخرى - القاهرة هؤلاء الذين التقى ببعضهم في منطقة السد ، وتنبأ بأنهم سوف يكونون حكام المستقبل - لقد أصبحت القاهرة المقاولين - وفي هذه القاهرة وذات صباح كان الانا السارد على موعد مع اللجنة في بداية رحلته أو محنة الجديدة . لقد استبدل الآن بحقية السفر حقبة رجال الاعمال . انه في زيارة بحث عن عمل ذي طبيعة خاصة . انه نفس الانا السارد الذي بدأ حياته باحلام عريضة ثم سقط في محنة ازمته الفكرية مما جعله يضيق ذرعاً بكل شيء ومن اجل ارضاء اللجنة وتلقاها نراه يتقبل كل ما تطلبه منه من اعمال مشينة .

ورغم اشاعة جو الغموض والغربة الكافكاوية حول اللجنة فمن الواضح انها لجنة اجنبية لها نفوذ غامض في مصر تطلبه اخيراً باعداد دراسة عن المع شخصية عربية معاصرة .

وفي رحلة البحث عن هذه الشخصية تبدأ عملية الفرز والتحليل النقدي للواقع الاجتماعي واذا بالجميع ينزلون الى منحدر واحد . كتاباً ومفكرين وشعراء وفنانين علماء واطبائاً فالخاضع هو حاضراً الانفتاح - حاضراً السماسرة والمقاولين وعملاء الشركات الاجنبية والفئات الطفيلية . فالع شخصية هي الاكثر فاعلية وتأثيراً . وهكذا يصبح الدكتور بماله من علاقات وارتباطات دولية ولعمالته للشركات الاجنبية هو رمزها اللامع .

ان هذا البحث قد اتاح للكاتب ان يجد معنى للحياة وهو ليس مستعداً لأن يقعه كمي لا يعود الى ذلك الخواء . انه اول بحث عن خلاص وعن نجاة - اذن لا بد من الرقص لطلب اللجنة بايقاف البحث حين اكتشفت انه سيكون فاضحاً لها ولدورها - لا بد من الرقص ولو كان دمويًا ويسكين المطبخ يتخلص



# مكتبة العربية

## مختارات



تاريخ الفلسفة اليونانية الا انها فترة ثرية خصبة ظهرت خلالها سمات الفكر الفلسفي اليوناني الذي تطور بعد ذلك على أيدي افلاطون وارسطو وآخرين الى آفاق بعيدة ولا يزال أثر انجازاتهم باديا حتى الآن . لا يكتفي المؤلف بعرض الفكر الفلسفي اليوناني عرضا وصفيا فحسب ، بل يدخل في مقارنات وسجلات مع الفلسفات الحديثة والمعاصرة مما يعطيه سمات الكتاب الممتع والمفيد .



اسم الكتاب : الاستيطان اليهودي في الأدب الصهيوني .  
اسم المؤلف : عبد الوهاب وهب الله .  
الناشر : دار الكلمة - بيروت .  
عدد الصفحات : ١٦٨ صفحة من القطع الكبير .

يقسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة ابواب يشمل كل منها عددا من الفصول . ومن خلال هذه الابواب الثلاثة يقدم الكاتب عرضا وافيا لبدايات التواجد الصهيوني في فلسطين الذي اخذ شكلا منظما منذ عام ١٨٨٢ حتى اليوم عبر هجرات سبع معروفة . وفي البابين الثاني والثالث ينتقل الكاتب بنا خطوة واسعة نحو ادب شموئيل عجنون الروائي الصهيوني الحائز حل جائزة نوبل عام ١٩٦٦ الذي كان احد ابرز شخصيات الهجرة الثانية مع تركيز على روايته « اسس الاول » .

ورغم التشتت الظاهري في موضوع الكتاب الا ان

اسم الكتاب : هكذا تكلم عرسان .. هكذا تكلم عن الغزاة .  
اسم المؤلف : مازن شديد  
الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع - عمان - الاردن .

عدد الصفحات : ٨٢ من القطع المتوسط .  
هذا هو الكتاب الشعري الاول للشاعر مازن شديد جمع فيه عددا من قصائده التي كتبها في السنوات الاخيرة .

وفي هذه القصائد التي تتحرك خلالها شخصية عرسان في مختلف مناطق الشتات والمذابح الفلسطينية يبني مازن شديد عالما يختلط فيه الرمز بالواقع والرؤيا بالحقيقة على ارضية من الرموز الفلسطينية من حين وحين ورمز ورمز وحلم .

والديوان في مجموعه يشكل اضافة الى فن قصيدة النثر التي تعدت فيها الآراء لكنها أصبحت إحدى الحقائق في حياتنا الادبية المعاصرة .



اسم الكتاب : فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط  
اسم المؤلف : د . جعفر آل ياسين .  
الناشر : مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع - بغداد  
عدد الصفحات : ١٦٥ من القطع الكبير .  
هذه الطبعة « المزيطة والمثقفة » هي الثالثة لهذا الكتاب المهم والممتع في آن واحد ، ورغم ان الكاتب يتناول فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى قرنا ونصفا من



فصوله يرتبط بعضها ببعض من خلال موضوع الهجرة والاستيطان .



اسم الكتاب : رواية المستقبل  
اسم المؤلف : انليس نين  
ترجمة : محمود منقذ الهاشمي  
الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق  
عدد الصفحات : ٢٧٦ من القطع الكبير

اسم الكتاب : التحليل النفسي للامثال العربية  
اسم المؤلف : سمير عبده  
الناشر : منشورات دار النصر - دمشق .  
عدد الصفحات : ١٦٩ من القطع الكبير

بترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ييسر للقارئ العربي الاطلاع على واحد من اهم النصوص الاوربية حول الرواية ومستقبلها باعتبارها اوسع الفنون الادبية انتشارا .

ومن خلال عرض ذكي يشي باطلاع واسع على هذا الفن تلاحظ الروائية الفرنسية انليس نين اننا « الآن في عهد وسيط . وثمة هوة بين الشعر والنثر الذي فقدت فيه الكتابة قوتها السحرية ، هوة بين الفن والعلم . وهوة بين الشعور واللاشعور . وهذه الامور سوف تندمج ذات يوم » . ومن خلال هذه الملاحظة الشاقبة تحاول نين رسم صورة رواية المستقبل .



اسم الكتاب : الثورة والادب والتكنولوجيا  
اسم المؤلف : فالتينا ابفاشيفا  
ترجمة : فخرى ليب  
الناشر : دار الثقافة الجديدة - القاهرة  
عدد الصفحات : ٢٧٨ من القطع الكبير

يتضمن هذا الكتاب مناقشة لواحد من اهم الموضوعات التي تشغل العالم المتقدم بشقيه : الاشتراكي والرأسمالي ، هو موضوع الثورة التقنية واثرها على الابداع الادبي في عالم يقف على مشارف القرن الحادي والعشرين . ولا تكفي الكتابة السوفيتية بدراسة أثر التقنية على المجتمع الاشتراكي الذي تعيش فيه بل تبرز بعض آثارها على المجتمع الرأسمالي ايضا من خلال اطلاع جيد على الادب التي افترضها كل من المجتمعين .



اسم الكتاب : لعنة الارض  
اسم المؤلف : نور الدين عامر  
الناشر : مطبعة فجر السعادة - الدار البيضاء - المغرب  
عدد الصفحات : ١٢١ من القطع الصغير

رواية مغربية جديدة تدور أحداثها في قرية مغربية نائية « لم تكن في حاجة الى شخص اجني عنها لايجاد حل لكل مشكلة او عارض يطرأ . . او تعرف سلطة ترتدى بزة تثير الرعب في النفوس وتخشاها الكلاب » وان كان المغرب قدم لنا في الآونة الاخيرة عددا من المفكرين اللامعين والشعراء والمسرحيين الذين أثروا الادب والفكر العربيين فان هذه الرواية تفتح نافذة جديدة نطل منها على الرواية المغربية والريف المغربي الذي لا يزال مجهولا لدى القارئ العربي .

# لِجَمَّالِ عَرَبِيَّة

## صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

### النسبُ إلى فَعِيلَةٍ وَفُعِيلَةٍ

وَبَجِيلَةٍ وَصَحِيفَةٍ ، يقال كما قالت العرب : مَذَنِي ، وَخَنَفِي ، وَبَجَلِي ، وَصَخَفِي .

ب - وإذا كانت عين الكلمة معتلة لم تحذف الياء مثل : طَوِيلَةٌ فالنسب إليها طَوِيلَةٌ .

ج - وإذا كانت عين الكلمة مضعفة لم تحذف الياء أيضا مثل جَلِيلَةٍ ، فالنسب إليها جَلِيلِي . ولو أنصف الصرفيون لأبقوا على الياء عند النسب إلى ما جاء على فَعِيلَةٍ ، ولم يوجبوا حذفها مادامت لام الكلمة صحيحة ، كما في القسمين الثاني والثالث ، وكما أبقاها العرب في بعض أمثلة القسم الأول ، إذ نسبوا إلى عَمِيرَةٍ وَسَلِيمَةٍ وَسَلِيفَةٍ فقالوا : عَمِيرِي وَسَلِيبِي ، وَسَلِيبِي ومنه قول الشاعر :

ولست بِنَخْوِي يَطْلُوكَ لِسَانَهُ

ولكن سَلِيبِي أقول فَأَعْرِبُ

ولكن الصرفيين اعتبروا إبقاء الياء في هذه الكلمات : عَمِيرِي وَسَلِيبِي وَسَلِيفِي شذوذا في قياسهم ، مع أن الشائع في الأقسام الثلاثة هو إبقاء الياء كما تقدم .

وإذا كانت العرب قد حذفَت الياء في بعض الكلمات ، مثل : مَدِينَةٍ وَخَيْفَةٍ وَبَجِيلَةٍ وَصَحِيفَةٍ ،

باب النسب في لغتنا من أوسع أبواب الصرف وأكثرها تفصيلا ، وهكذا شأنه في بعض اللغات الراقية الأخرى ، ولكن بعض علماء الصرف عندنا زادوا فيه بعض التعقيدات لعدم توسعهم في استقراء الشواهد التي تستمد منها القواعد .

والقاعدة العامة في النسب أن تزيد على الكلمة التي يراد النسب إليها ياء مشددة في آخرها دون تغيير في بنية الكلمة ، فيقال مثلا : إسلام وإسلامي ، وقرآن وقرآني ، لكن العرب غيروا أحيانا كثيرة في بنية الكلمة أيضا ، كقولهم : مَلِكٌ ، وَمَلَكِي ، وهم يحدفون تاء التانيث فيقولون مثلا : مكة ومكِّي ، وفاطمة وفاطمي .

ولهذه التغيرات صور مختلفة ، يعيننا منها هنا الصيغتان الآتيتان :

١ - فَعِيلَةٌ ( بفتح فكسر ) : إذ تعسف الصرفيون في تقسيم الكلمات التي تأتي على هذه الصيغة أقساما فقالوا :

أ - إذا كانت عين الكلمة صحيحة غير مضعفة ولاؤها صحيحة ، حذفَت الياء وفتح الحرف الذي كان قبلها مكسورا ، ففي النسب إلى مَدِينَةٍ ، وَخَيْفَةٍ

عند النسب إليها ، فقالت طلبا للخمسة : مَدَنِي ، وَخَنَفِي ، وَبَجَلِي وَصَخَفِي . فإن ذلك لا يوجب حذف الياء في أشباه هذه الكلمات ، كما يريد الصرفيون ، بل علينا أن نقبل هذه الكلمات مادامت قد سمعت عن العرب ، ولا نلتزم حذف الياء فيها أو في أمثالها ، بل نبقها كما أبقتها العرب في عَمِيرِي وَسُلَيْمِي وَسُلَيْمِي .

وأذكر أن بعض شيوخنا كانوا إذا رأوا في كراساتنا كلمة « بديهي » نسبة إلى بَدِيَّة ، « وطليجي » نسبة إلى طليعة . اعتبروا ذلك خطأ وأوجبوا أن يقال : « بَدِيَّي » و « طَلِجِي » ، مع أن الوجهين جائزان ، وقد يكون من الأولى إبقاء الياء لإظهار المنسوب إليه ، كما في النسبة إلى : جَزِيرَة ، وَطَلِيعَة ، وَخَلِيفَة ، فقولنا : جَزِيرِي ، وَطَلِيجِي وَخَلِيفِي أفضل من قولنا : جَزَرِي ، وَطَلِجِي ، وَخَلَفِي .

وهكذا يقال فيها هو على صيغة « فَعِيل » مثل : ثَقِيف ، فقد نسب إليها العرب فقالوا : ثَقَفِي ، ومن الواجب قبول هذا النسب ، الذي حذف فيه الياء ، دون التزام بحذفها في كل ما ورد على هذه الصيغة ، مثل : أمير ، ورئيس ، وعَزِيز ، وبريد ، وربيح ، بل نبقى الياء فنقول : أَمِيرِي ، وَرَبِيعِي ، وَعَزِيزِي ، وَبَرِيدِي ، وَرَبِيعِي .

وقد نسبت العرب إلى « رَبِيع » فقالوا : « رَبِيعِي » وسَمَّوا به بعض أولادهم أحيانا ، ومن ذلك أن سليمان ابن عبد الملك أحد ملوك بني أمية أراد أن يبايع لأحد أولاده بعده ، ولما عرضهم في أحسن هيئاتهم وجددهم جميعا صغارا ، فقال متوجعا : -

إِنْ بَنِي صَبِيَّة صَنِيفِيون  
أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رَبِيعِيون  
واختار بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

٢ - فَعِيلَة ( مُصَفَّرَة ) : سمع عن العرب حذف الياء في النسب إلى بعض ما جاء على وزننا صحيح اللام مثل : جُهَيْتَة وَفَرِيطَة ، فقالوا : طَلَبًا لِلخَفَة : جُهَنِي ، وَفَرِيطِي ، وعلينا قبول ذلك لوروده عن الفصحاء ، دون التزام حذف الياء فيها ولا في أمثالها ، فيجوز أن يقال : جُهَنِي ، وَفَرِيطِي ، قياسا على ما ورد من أمثالها . فقد قالوا : رَدِينَة وَرَدِينِي ، ومنه قول مالك ابن الربيع المازني في رثاء نفسه وقد

شعر بدنو أجله :

تَذَكَّرْتُ مِنْ يَكِي عَلِيٍّ ، قَلَمُ أَجْدُ  
مِثْوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرَّقِيقِ بِسَاكِيَا  
وقالوا : سَكِينَة وَسَكِينَة ، وهكذا فَعِيل ( مصغرا ) فقد نسبت العرب إلى قُرَيْش ، وَسُلَيْم ( صحيح اللام ) فقالوا : قُرَيْشِي وَسُلَيْمِي ، بحذف الياء وعلينا أن نقبل ذلك لوروده عن الفصحاء ، ولكنه لا يمنعنا أن نقول : قُرَيْشِي وَسُلَيْمِي قياسا على أمثاله كما قالوا في النسبة إلى فَكِيم : فَكِيمِي ، وَطُفَيْل وَطُفَيْلِي .

ولابن قتيبة رأى يعول عليه في النسبة إلى هاتين الصيغتين ، وهو قوله في كتاب « أدب الكاتب ص ٢٠٩ : إذا نسب إلى اسم مصغر كانت فيه الهاء ( هاء التأنيث ) أو لم تكن وكان مشهورا أَلْقَيْتَ ( حذفت ) الياء منه ، نقول في جُهَيْتَة وَمُرَيْتَة : جُهَنِي وَمُرْنِي ، وفي قُرَيْش قُرَيْشِي ، وفي سُلَيْم سُلَيْمِي . وهذا هو القياس إلا ما أشدوا ( اعتبروه شاذًا ) . وكذلك إذا نسبت إلى فَعِيل أو فَعِيلَة من أسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهورا - أَلْقَيْتَ منه الياء : مثل : رَبِيعَة وَبَجِيلَة ، نقول : رَبِيعِي وَبَجَلِي ، وَخَنَفَة وَخَنَفِي ، وَثَقِيف وَثَقَفِي ، وَغَتَكِي وَغَتَكِي ، وإن لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء الأول ولا الثاني .

فشهرة الكلمة عنده لها أثرها في حذف يائها حين ينسب إليها وإلا بقيت الياء عند النسب ، وهذه الشهرة تختلف مع اختلاف الأزمنة والأمكنة ، فشهرة الكلمة في زمان أو مكان لا تستلزم وجود شهرتها أو بقاءها في زمان أو مكان آخرين ، فالأحوط إبقاء الياء عند النسب .

ثم إن الأصل هو إبقاء الكلمة على أصلها ما أمكن عند النسب إليها ، وكان ذلك سائغا . ولكن لابد من قبول كل ماورد عن العرب مخالفا لهذه القاعدة ، طلبا للخفة دون التزام به أو التزام بقياس أمثاله عليه .

ومهما يكن فلا بد من مراعاة أمن اللبس في كل كلمة وكل جملة .

ومن هنا يبدو أن الصرفيين تسرعوا حين أوجبوا ما لا يجب وهو حذف الياء من صيغتي فَعِيلَة وَفَعِيلَة ، واعتبروا إثبات الياء فيها شلوذا مثل سُلَيْمِي وَرَدِينِي مع أن هذا هو الأصل ، فهم قد جعلوا المطرد أو الغالب شاذًا ، وجعلوا الشاذ مطردًا . □

# إجماع العرب

## صفحة شعر هكذا غنّى الآباء

### الدُّنيا دُولٌ

ونرجح أن هذه القصيدة - كما يظهر من أسلوبها وإشاراتها التاريخية - قد نُظمت في عصر العباسيين بعد أن فقدت خلافتهم هيبتها وسلطانها ، وصارت أمورها إلى قوادهم يتلعبون بمن يسمون الخلفاء ، فيؤلونهم ويعزلونهم كما شاءوا ، وقد يتبعون العزل بالقتل أو الحبس مع الإذلال ، وقد ظهر ذلك في أواخر عهد المتوكل ( ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ ) الذي اشترك ابنه في قتله ليخلفه في الحكم .

تنسب هذه القصيدة إلى الإمام علي كرم الله وجهه ، ونرى أنها ليست له وإن وجدت في بعض طبعات ديوانه ، إذ لم تؤثر عنه القصائد الطوال ، وكل ما أثر له من الشعر مقطوعات في الحماسة أو الزهد أو الحكمة أو الحث على الفضيلة ، وكانت بلاغته العليا تتجلى في خطبه ورسائله وجوامع كليمه ، فتكفيه في التعبير عن خواطره ، وتغنيه عن الشعر .

غُلِبَ الرجال ، فلم تنفعهم القُللُ<sup>(١)</sup>  
فأودعوا خُفراً ، يابِش ما نزلوا<sup>(٢)</sup>  
أين الأبرّة والتيجان والحُللُ ؟  
من دوما تضرب الأسنار والكللُ ؟<sup>(٣)</sup>  
تلك الوجوه عليها الندوة يقتتيلُ  
فأصبحوا ، بعد طول الأكل ، قد أكلوا

بأثوا على قُللِ الأجيال تحرشهم  
واستنزّلوا بعد عزٍّ من ساقبلهم  
ناداهم صابخ من بعد ما دفينوا  
أين الوجوه التي كانت منعممة  
فأصبح القبر عنهم حين ساء لهم :  
قد طابا أكلوا دعرا وما شربوا



وطالما كثرُوا الأموال وأذخروا  
وطالما شهدوا قورا لتحصينهم  
أضحت مساكنهم وحشا معطلة  
سل الخليفة اذ واقت منيته  
أين الكنوز التي كانت مفاتيحها  
أين العبيد الألى أرضتهم عددا ؟  
أين الفوارس والغلمان ، ما صنعوا ؟  
أين الكفاة الم يكفوا خليفتهم  
أين الكماة ؟ أما خاموا ، أما غلبوا ؟  
أين الرماة ؟ ألم تمنع بأسهمهم  
هيات ، ما تمنعوا ضيما ، ولأدفعوا  
ولا الرشى دفعها ، صاح ، لو بسلوا  
ماساعدوك ، ولا واساك اقربهم  
ما بال قبرك لا ينشئ به أحد  
ما بال قصرك وحشا لا انيس به  
ما بال ذكرك منسيا ومطرحا  
لاتنكرن ، فما دامت على ملك  
وكيف يرجو دوام العيش متصلا  
وجسمه لبائات الرقى غرض

فخلفوها على الأعداء ، ولرخلوا  
فصارقوا السور والأهلين وانسقلوا  
وساكنوها الى الأجداث قد رخلوا (٤)  
أين الجنود وأين الخيل والحوول ؟ (٥)  
تنوء بالمعبدة المقوين لو رخلوا ؟ (٦)  
أين العبيد وأين البيض والأسل ؟ (٧)  
أين الصوارم والخطبة الذبل ؟  
لما رأوه صريعا وهو يبتهل ؟ (٨)  
أين الحملة التي تحمى بها السور ؟ (٩)  
لما أتت بك سهام الموت تشتغل  
عنك المنية اذ وافى بها الأجل !  
ولا الرقى نفعت شيئا ولا الخيل  
بل اسلموك لها ، يا بش ما قفلوا  
ولا يطور به من بينهم رجل (١٠)  
يفشاك من كنفية الروغ والوغل  
وكلهم باقتسام المال قد شغلوا  
الا أناغ عليه الموت والوجل  
ودوخه بحبال الموت متجمل  
وملكه زائل عنه ومشتغل (١١)

- ١ - قتل الأجيال : نعم الجبال ، غلب الرجال : اقربا لهم .
- ٢ - معاقلم : حصونهم ، حفرا : قبورا
- ٣ - الكلل : السائر
- ٤ - وحشا معطلة : خالية من السكان عارية من الزينة .
- ٥ - المنية : الموت ، الحول : الخدم
- ٦ - لا تستطيع حل بفتحها الا جماعة قوية
- ٧ - البيض والأسل : السيوف والرماح
- ٨ - الكفاة : الصالحون لحمل المسئوليات ، يبتهل : يتطرع
- ٩ - الكماة : الاسطال ، الضيم : الذلل
- ١٠ - لا ينشئ : لا يعلم ، لا يطور : لا يطوف ،
- ١١ - لبائات الردى : مطالب الموت .

# مسابقة العربى

جوائز المسابقة  
الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً  
الثانية ٣٠ ديناراً و الثالثة ٢٠ ديناراً  
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

## الأسئلة

٦ - يعتبر صوف المارينو في طليعة أصواف العالم جودة وانتشاراً . . . وتعتبر استراليا الدولة الأولى في تربية خراف المارينو وتصدير أصوافها في الوقت الحاضر ، ترى ما هو الموطن الأصلي لهذه الخراف ؟

- افريقيا .
- أسانيا .
- مارينو .

٧ - ساهمت اليونسكو في انقاذ معابد أبي سنبل من خطر الغرق في مياه النيل عند إنشاء السد العالي . . . ترى ما اسم الجزيرة التي كانت تلك المعابد قائمة عليها قبل نقلها ؟

- جزيرة الفيلة .
- جزيرة فيلية
- جزيرة الفيل

٨ - الاسمنت ، عماد البناء وال عمران منذ اكتشافه عام ١٨٢٤ ، يقترن اسمه باسم بورتلاند . . . لماذا ؟

- نسبة الى مدينة بورتلاند الأمريكية التي اكتشف فيها .
- نسبة الى حجارة بورتلاند الشهيرة في انكلترا . . . فالشبه كبير بين هذه الحجارة وبين الاسمنت بعد جفافه من حيث اللون .

١ - من هي مهاجرة المهجرين ومصلية القبلتين . . ؟

٢ - جزر ملفنيا . . كم تبعد عن جزر فوكلاند ؟

٣ - هانيبال قائد قرطاجة العظيم . . اشتهر بغزو روما برا عن طريق اسبانيا ، فجبسب الالب سنة ٢١٩ ق . م ، واشتهر كذلك بالفيلة التي اعتمد عليها في حملته تلك . . ترى هل احتل هانيبال روما . . ؟

• نعم احتل روما وحكمها حكم المستعمر .

• لم يحتل روما بالذات ولكنه احتل اجزاء واسعة من ايطاليا ، وبسط نفوذه عليها طوال عشر سنوات أو تزيد . .

• لم يحتل هانيبال شيئاً اذ لم يكده يصل الى أسوار روما حتى استدعته قرطاجة . . فعاد اليها مسرعاً . .

٤ - النهى معناه العقل . . وسمي به لأن العقل ينهي عن القبيح . . ترى ما هو مفروده إن كان جمعا ، وما هو جمعه إن كان مفردا ؟

٥ - الفتاة الأمريكية ( سوزان انتوني ) هي زعيمة حركة المرأة في الولايات المتحدة ، تلك الحركة التي تكلمت بحصول النساء في أمريكا على حقوقهن . . حق التصويت بالتحديد . . فمن هي زعيمة حركة المرأة في بريطانيا . . الحركة التي تكلمت بحصول المرأة الانكليزية على حقوقها . . ؟

اكتب الحلول في هذا "الكوبون"  
أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

- ١- .....
- ٢- .....
- ٣- .....
- ٤- .....
- ٥- .....
- ٦- .....
- ٧- .....
- ٨- .....
- ٩- .....
- ١٠- .....
- ١١- .....
- ١٢- .....

الاسم :

العنوان :

# الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة  
المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :  
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الكويت  
« مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٢٣ ، وآخر  
موعد لوصول الاجابات الينا هو ديسمبر  
١٩٨٥ .

٩- قامت الحروف الانجدية مقام الأرقام قبل ظهور  
الأرقام الهندية / العربية وانتشارها .. فحرف ( أ )  
رمز الى رقم ( ١ ) وحرف ( ي ) رمز الى رقم ( ١٠ )  
فما هي الأرقام التي رمزت إليها الحروف التالية :

( هـ ) ( ق ) ( غ )

١٠- صناعة السكر وصناعة السماد .. سماد  
التترات الأزوتي بالذات تحتاج احدهما الى ٦٠٠ طن  
ماء ولا تحتاج الأخرى الا الى ٩ أطنان ماء . فأي  
الصاعتين هي هذه ؟ وأيها هي تلك ؟ ..

١١- قطط وأرانب الانجورا ، وماعز الانجورا .. لم  
سميت انجورا ؟ ..

• نسبة الى انجولا .. وقد اصبحت انجورا  
نتيجة التحريف .

• نسبة الى انجلترا وقد اصبحت انجورا نتيجة  
التحريف .

• نسبة الى انقرة عاصمة تركيا ..

١٢- الصلصال والفخار .. أيها أقوى ؟ ..

• متساويا القوة .

• الفخار هو الأقوى .. فهو طين مشوي بالنار  
والصلصال طين غير مشوي بالنار .

• الصلصال هو الأقوى .

# حل

١ - شريط المايلون هو الأقوى ذلك أن قوة الشد Tensil في السابلون تعوق نظيرتها في الألميوم

٢ - يوحىد حجر رشيد حاليا في لندن وفي المتحف البريطاني سالدات وتحدّر الاشارة الى أن احد صايط ناليون هو الذي عثر على ذلك الحجر ، في بلدة رشيد سنة ١٧٩٩ واستولى عليه الانجليز سنة ١٨٠١ ، ثم وضع في المتحف البريطاني سنة ١٨٠٢

٣ - المسألة الحسابية البسيطة  
في الارقام الهندية / العربية  $100 = 10 + 40 + 50$   
في الارقام اللاتينية الرومانية  $C - X + XI + L$

٤ - اماره موناكو في أوروبا وفي جنوب فرنسا بالتحديد وجمهوريه اندونيسيا في جنوب شرق آسيا

٥ - نهر الخانور الأصغر هو أحد روافد دحله ، يسع من أرمينيا ، ويتصل بدحله بين معاره وحرره نهر الخانور الأعظم من أعظم روافد الفرات يصب في الفرات عند الميادين

٦ - الثلاثة الاولى متحاسة ، فهي كلها مسحصرات طية ومن المصادات الحيوية بالتحديد ، والرابع هو الناصر فهو هرمون تمرره عدة السكرياس ، ومن شأنه أن يحرق فائض السكر في الدم

٧ - عدد الفقرات في كلتا الرقتين هو سبع

٨ - كتاب الحاحط هو كتاب الحيوان ، ويقع في ( ٧ ) أجزاء ، وكتاب الدميري هو حياة الحيوان الكبرى وتحدّر الاشارة الى أن الحاحط ( أبو عثمان ) عاش في

مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية  
مسابقة الثقافة العربية

١٠ - اسحق نيوتن ( ١٦٤٢ - ١٧٢٧ ) هو العالم الذي اعتقد بوجود حجر الفلاسفة ، وانفق من الجهد والوقت ما انفق في البحث عنه .

١١ - نيكراجوا هي الدولة الامريكية اللاتينية التي تطلق اسم قرطبة على وحدة عملتها .

١٢ - يلتقي الميزانان ويتعادلان عند درجة ( ٤٠ ) تحت الصفر .

البصرة فيما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . .  
وأن محمد كمال الدين الدميري عاش في القاهرة ١٣٤٩ - ١٤٠٥ .

٩ - يذكر فهرس الاعلام الملحق بالمنجد أن طائفة الموارنة ظهرت أول مظهرت ، في وادي العاص سنة ٤٠٠ م . وقد نزحوا الى لبنان سنة ٧٤٥ / ٧٤٦ .  
وذلك في عهد مروان بن الحكم .

## الفائزون في مسابقة العدد ٣٢٠ يوليو ١٩٨٥

الجائزة الأولى : علي عبدالله آل ثومر / الظهران / السعودية .  
الجائزة الثانية : زكريا عادل محمود موسى الحاج / عمان / الاردن .  
الجائزة الثالثة : حمادات حسن / بيروت / المغرب .

### الفائزون بالجوائز التشجيعية

- ١ - محمود داود الهياب / الشعبية / الكويت .
- ٢ - حاتم محمد السيد حسين / الزقازيق / مصر .
- ٣ - فاضل عباس يعقوب يوسف / سنابس / البحرين .
- ٤ - همسي الزبير / بريكه / الجزائر .
- ٥ - محمد أحمد محمد / كفر الزيات / مصر .
- ٦ - بلال جـاـبـل / بيروت / لبنان .
- ٧ - عبدالله محمد سليمان / الظهران السعودية .
- ٨ - حامد المصمودي / صفاقس / تونس .

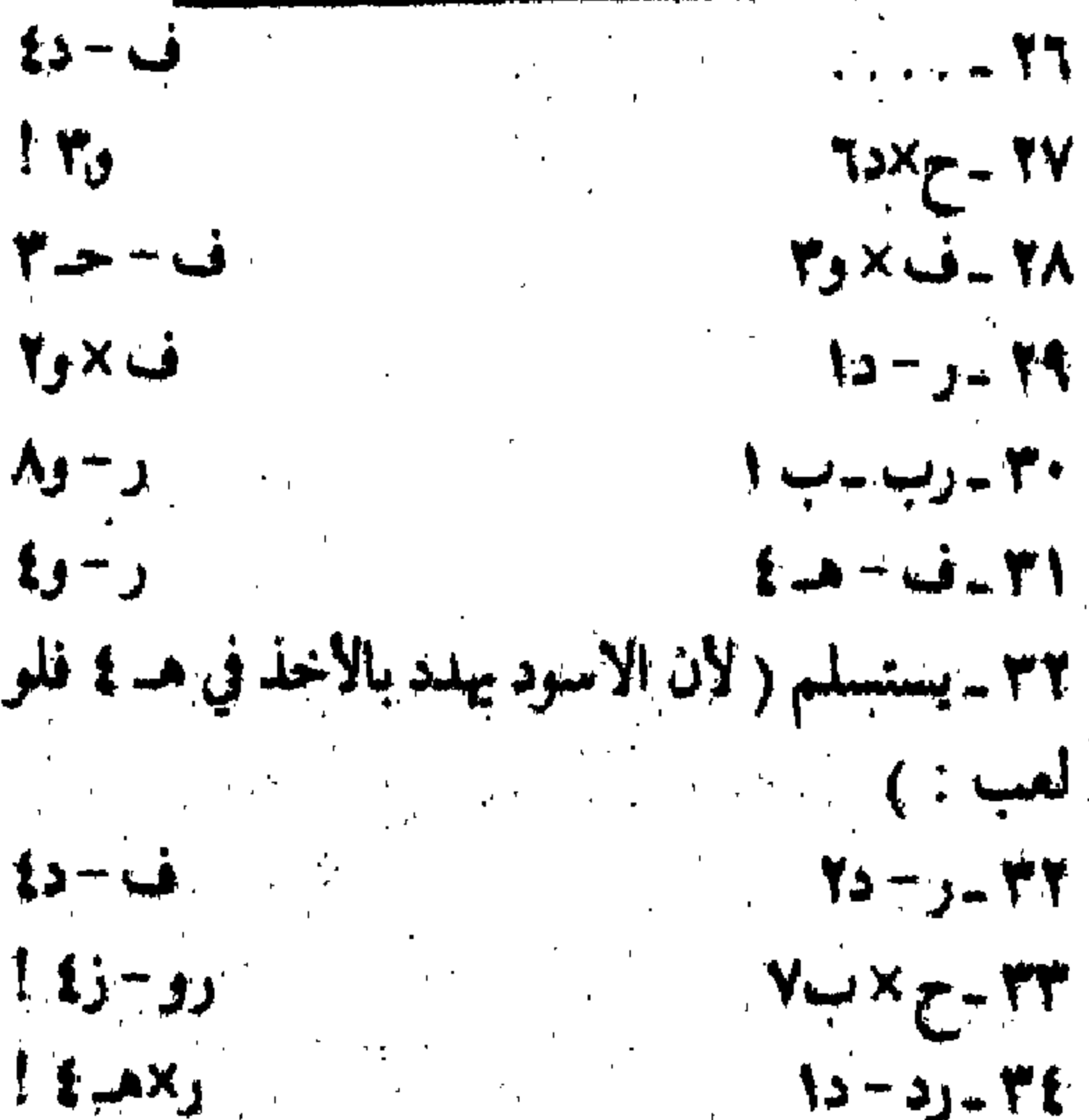
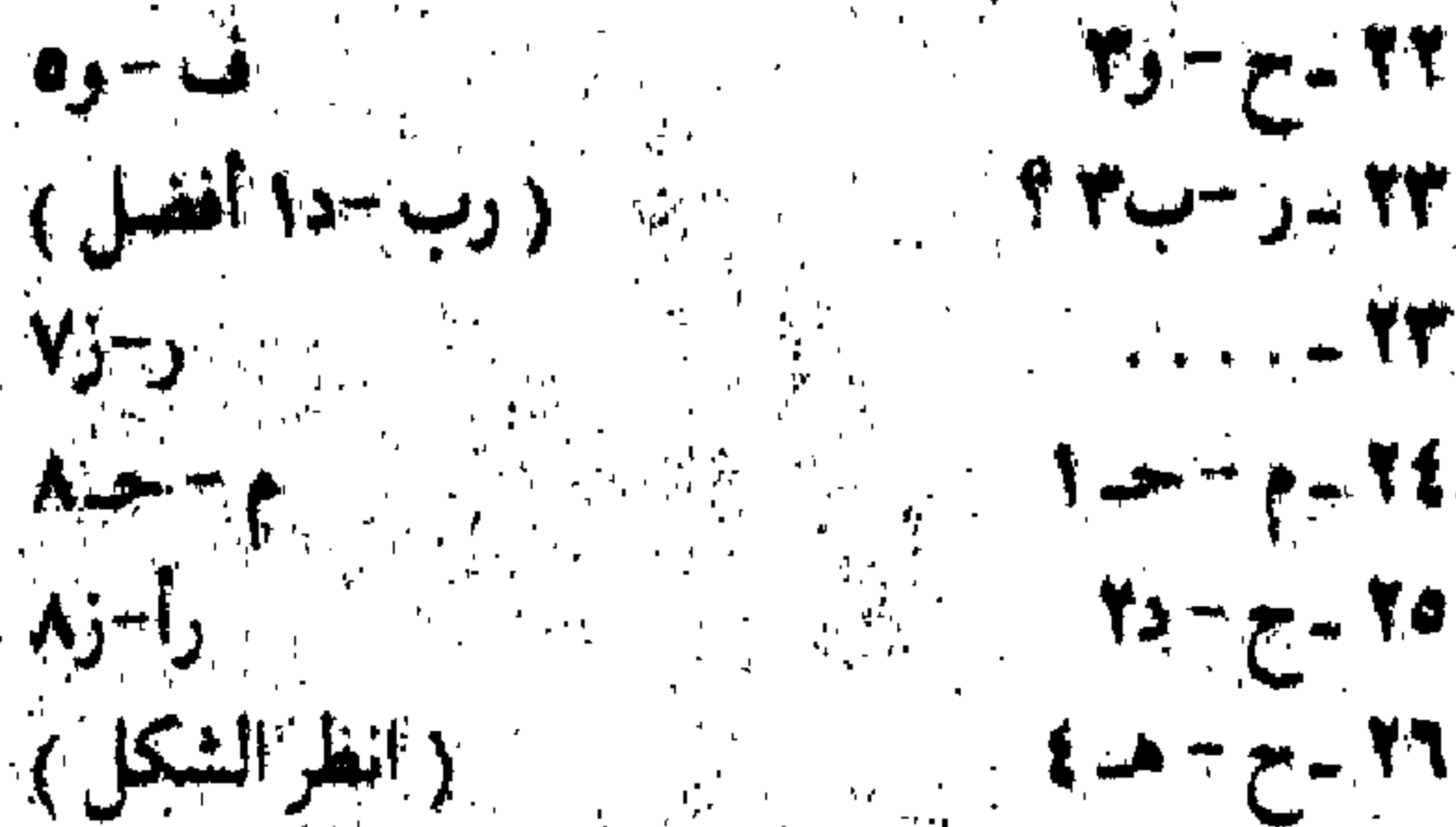


# معركة بلاسال

## الطفلة المعجزة

|                   |                   |                                                        |
|-------------------|-------------------|--------------------------------------------------------|
| ز . بولجار (أسود) | ب . نيكولك (أبيض) | الطفلة الهنغارية سوران بولجار التي تلغ من              |
| هـ                | ١- ٣ز             | العمر حالياً خمسة عشر عاماً هي إحدى                    |
| ح - ٦             | ٢- ٤              | معجزات الشطرنج ، فقد فازت في بلدها بلقب                |
| ٦                 | ٣- ٣ح - ج         | أستاذة وهي لا تزال في العاشرة ، ومنحها الاتحاد         |
| ٧ز - ف            | ٤- ٢ز             | الدولي للشطرنج لقب أستاذة دولية كبيرة في الثالثة       |
| ٦د                | ٥- ٣د             | عشرة ، وما أن احتفل بعيد ميلادها الرابع عشر حتى        |
| و                 | ٦- ٣ح - و         | منحها الاتحاد الدولي لقب أستاذ دولي (رجال) في          |
| ح ج - ٧هـ         | ٧- ٣ح - ٥د        | المؤتمر العام للاتحاد المنعقد في سالونيكاً بتقدير يبلغ |
| ٦                 | ٨- ٢ف - ٥ر        | (٢٤٠٥) نقطة . وفي التصنيف الأخير للاتحاد الدولي        |
| ح ٧هـ             | ٩- ٧هـ            | فيان هذه الطفلة المعجزة تصدر قائمة البطولة             |
| ٧هـ               | ١٠- ٧هـ           | للسيدات بتقدير يبلغ (٢٤٣٠) نقطة في حين لم              |
| و- ٦              | ١١- ٤ح - ٤        | يتجاوز تقدير بطلة العالم الحالية للسيدات «مايا»        |
| ت                 | ١٢- ٤هـ           | «شيبوردانز» (٢٤٠٠) نقطة (انظر عدد أبريل                |
| (ت كان أفضل)      | ١٣- ٥هـ           | ٨٥) .                                                  |
| ز ٥هـ             | ١٣- ...           | وفي مقابلة حديثة مع والدها «لازلو بولجار» ذكر          |
| و                 | ١٤- ت             | أن اهتمام ابنته بالشطرنج بدأ في سن الرابعة وأنها       |
| (و- ٥هـ أفضل)     | ١٥- ١٩ر - ١٩ب     | تتقن الحديث بخمس لغات غير أنه شكاً من قلة ما           |
| ج ٦               | ١٥- ...           | تلقيها ابنته من الرعاية والدعم في المحافل الشطرنجية    |
| ١٦                | ١٦- ٤ب            | بالمقارنة بما يلقاه أمثالها من الأبطال المذكور ...     |
| و- ٥هـ            | ١٧- ٥و - ٥        | ومذكر على سبيل المثال الامتيازات التي كانت تمنح        |
| (و- ٢هـ أفضل)     | ١٨- ٦ز            | لكاربوف وفيشر عندما كانا في مثل سنهما .                |
| ٦ ٥هـ             | ١٨- ...           | وقد اخترنا لهذا العدد المباراة الحديثة التالية (٨٤)    |
| و- ٧              | ١٩- ٦ز            | بينها وبين البطل اليوغسلافي «ب . نيكولك»               |
| (ف- ٤هـ أفضل)     | ٢٠- ١٩ز ٥هـ       | (٢٥٧٥) نقطة والمخاض على لقب أستاذ كبير . ويعتبر        |
| ٥هـ ٥هـ           | ٢٠- ...           | «ب . نيكولك» واحداً من الأبطال العشرين                 |
| ف- ٦              | ٢١- ٤ح - ٤        | الأوائل في الشطرنج في العالم .                         |





مسألة رقم (٣٤)

الأسود يلعب ويميت  
الشاء في ثلاث نقلات

### حل المسألة (٢١)

۱- ف- ده  
۲- ب- ۸ ح

## الفائزون باشتراك مع أشهر

- ١ - غسان بن العرجة / الكويت  
٢ - بابا عمر جلعان اسماعيل / غارداية / الجزائر  
٣ - خير بن يعقوب / قيس / تونس  
٤ - عبد اللطيف منير / الجزائر  
٥ - عبد المجيد العلي / رنقة / الأطلس / غرداية / المغرب

**الفائزون باشتراك سنة كاملة :**

- ١ - خالد ابو دعابس / الاردن  
٢ - شريف عبد المجاهد محمد  
ماضي / النيا / مصر  
٣ - محمد عبد الوهاب محمد / ليبيا  
٤ - د . محمد عادل جيجه / سوريا  
٥ - خالد مبارك سليم المزروعدي  
/ طرابلس / ليبيا

## الفائزون بحل

المسابقة رقم (٣١)

14

140

عن هذه الصفحات .. ترحب: "العربي"

# جواب القراء

« الجراكسة » .. من هم وكيف قدموا

الى الوطن العربي ؟

قرأت في العدد رقم ٣١٩ من العربي مقالا بعنوان : « الجبرتي يصوم رمضان » ورد فيه اسم « الشراكسة » ص ١٣١ كما سبق ان قرأت في العدد رقم (٣٠٧) مقالا بعنوان « المساليك يصومون رمضان » ورد فيه اسم « الجراكسة » ص ١٩٤ ، والمقالان المذكوران بقلم الدكتور محمد المنسي قنديل ، وأرغب في معرفة أصل هؤلاء الشراكسة أو الجراكسة وكيفية قدومهم الى الوطن العربي ، لذلك فأرجو ان تنشروا في مجلتكم الغراء تحقيقا موسما حول هذا الموضوع أو بالاحرى حول موضوع الاقليات الاجنبية المقيمة في الوطن العربي من شركس وكرد وارمن وغيرهم ...

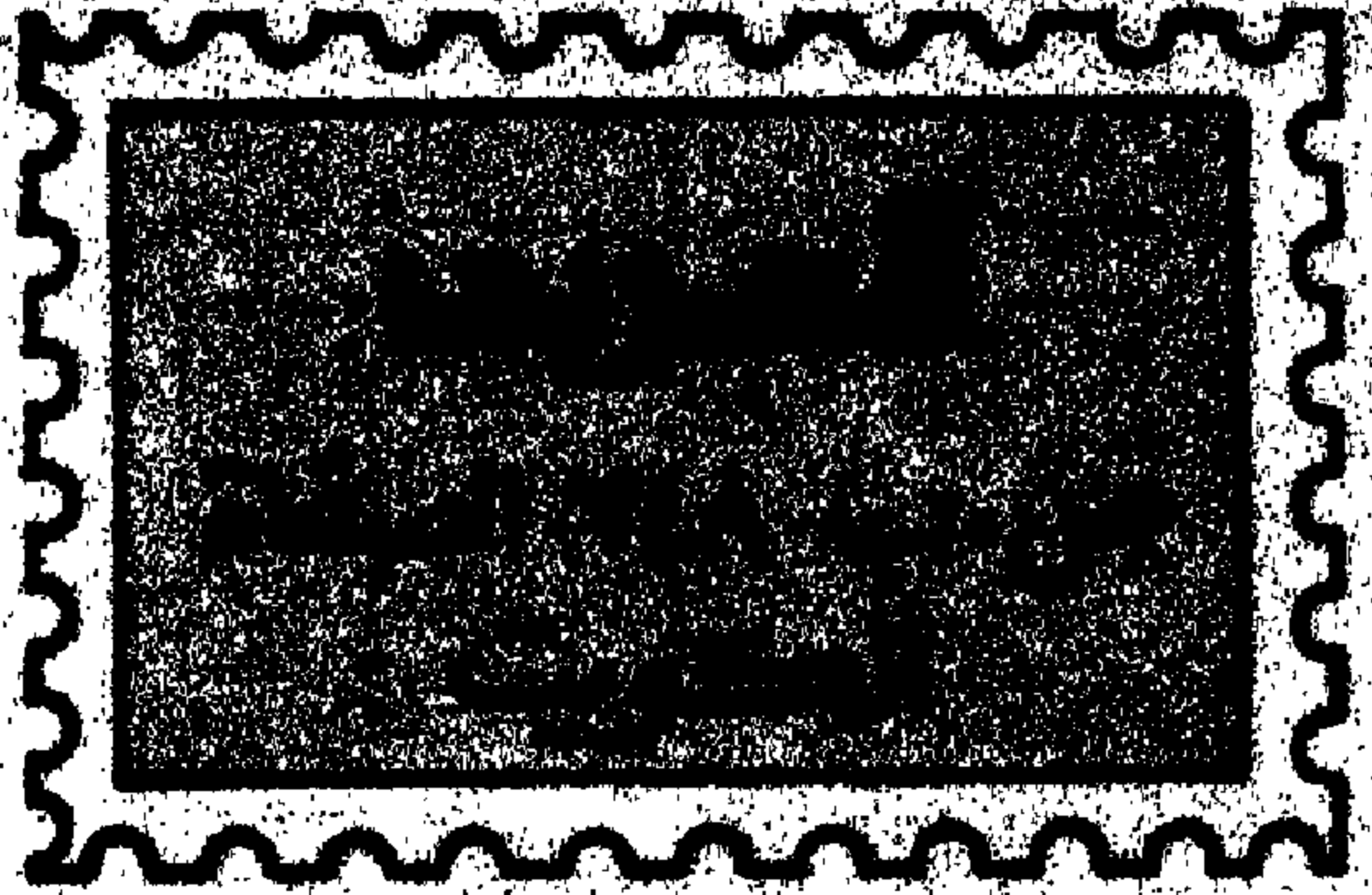
هيثم حاج حسن  
سوريا - دمشق

الجزيرة

نشكر للقارئ الكريم متابعتة ...

والى أن تتحقق للقارئ السيد هيثم حاج حسن رغبته في نشر دراسة أو دراسات موسعة عن الجركس أو عن الاقليات في الوطن العربي يسر العربي ان تقدم له لمحة موجزة عن الجركس .

« نقي دائرة المعارف الاسلامية » تحت عنوان



عربي القارئ

عن هذه الصفحات .. ترحب: "العربي"

عن هذه الصفحات .. ترحب: "العربي"

عن هذه الصفحات .. ترحب: "العربي"

## بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

( جديك ) « جركس » كلمة فارسية الاصل بمعنى « الرجال الأربعة » سميت بها قبائل الجركس الأربعة المتحدة النسب .

ثم تشير دائرة المعارف الإسلامية الى ان الجركس : « جيل من الناس يسكنون حوالي جبال القوقاز ، وهي سلسلة جبال بين البحر الأبيض وبحر الخزر ، وينقسمون الى قبائل عديدة ثم تحدث عن بعض صفاتهم فتقول : « انهم من أكمل البشر خلقة وأحسنهم وجوها واشجعهم قلبا ، واشدهم مقاومة للشدائد ، وان صالحهم صالح لا نظير له ، وطالحهم طالح لا مثيل له » .

وعن قدومهم الى الوطن العربي تذكر ان الملك الصالح ايوب هو اول من استقدمهم ليكونوا عساكر في جيشه .

والامير عز الدين ايبك الذي تزوج من شجرة الدر وهو اول ملوك الدولة الجركسية بالديار المصرية ، ومن اشهر ملوك الدولة الجركسية الملك الظاهر بيبرس ، وقد احيا الظاهر بيبرس الازهر ، قدام الى اليوم معقلا للسنة وعلى اثر ضعف الدولة الايوبية قويت مملكة الجراكسة المشهورة بدولة المماليك ، ولزيد من المعلومات يمكن الرجوع بالاضافة لهذين المرجعين الى كتاب « الشركس اصلهم ، تاريخهم ، عاداتهم ، تقاليدهم » بقلم الاستاذ محمدخير حندوقة .

### « استطلاع العربي بين »

#### المشهور والمغمور

انني لاحظ ان مجلة العربي عندما تقدم استطلاعا عن قطر ما سواء اكان عربيا أم أجنبيا فانها تسلط الضوء على ما هو معروف ومشهور في هذا القطر ، وقد لا تتوقف طويلا امام ما هو غير معروف رغم

اهميته أحيانا وحتى تكون الصورة واضحة لكم ، فاني اشير الى المثال التالي : حين انتقلت العربي الى سوريا اتجهت الى العاصمة دمشق وما فيها من آثار وأماكن هامة كالجوامع الأموي مثلا ولم تتجول في باقي المدن السورية ومن هذه المدن مدينة دير الزور - التي يمر بها الفرات - بما تضم من آثار قديمة مثل « مملكة ماري » و « الصالحية » و « قلعة الرحبة » وكذلك « الجسر المعلق » الذي بناه الفرنسيون على نهر الفرات ... الخ .

لذلك فاني اقترح على مجلة العربي عندما تذهب الى قطر ما أن تعنى الى جوار العاصمة بزيارة البلاد التي لها أهمية خاصة تاريخية أو جغرافية أو حضارية أو اقتصادية ، وبما ان صفحات الاستطلاع لا تستوعب كل ذلك في عدد واحد فلا مانع من أن تقدم العربي مثل هذا الاستطلاع في أكثر من عدد ، وعلى حلقات ليتاح للقارئ أن يتعرف على أشياء جديدة غير مشهورة لكنها مهمة الى جوار ما هو معروف ومشهور .

هشام محسن الحق  
سوريا - دير الزور

[[ ٢٠١١ ]]

لعل القارئ الكريم يلاحظ بمراجعة أعداد العربي في المرحلة الأخيرة ، ان استطلاعاتها عن أي قطر من الأقطار تشمل أكثر من زيارة لأكثر من بلد في القطر الواحد بهدف تغطية الجوانب المهمة في هذا البلد أو ذاك ، وأن مثل هذه الاستطلاعات تنشر بالفعل كما يقترح في أكثر من عدد ، ولعل القارئ الكريم يأخذ في اعتباره ان العربي وهي مخاطب مختلف الأجيال العربية في مساحة واسعة من الوطن العربي والاسلامي فلاحظ ان ما هو معروف ومشهور لجبل أو في مكان قد لا يكون كذلك لجبل أو مكان آخرين .

## القراء



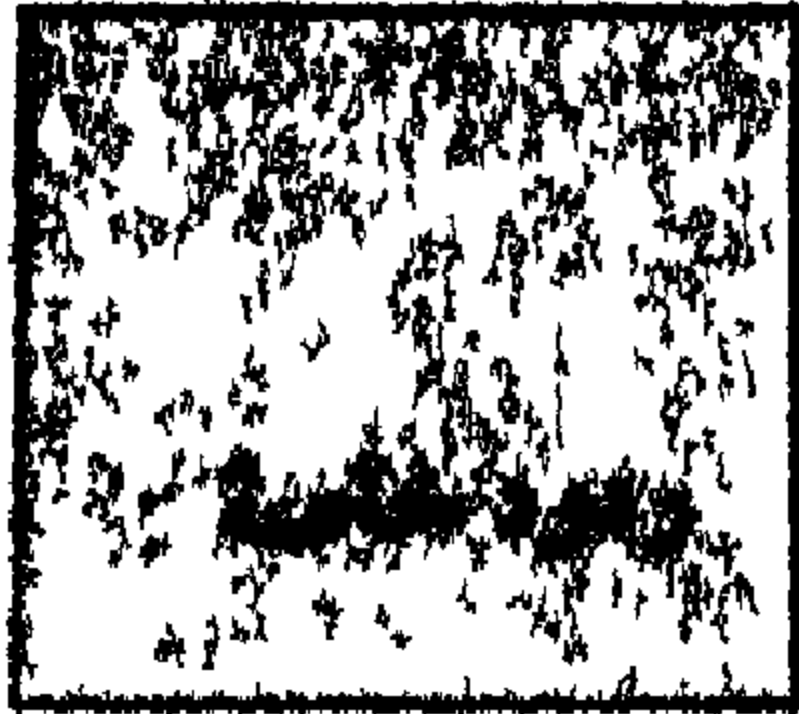
### « بلاد واق الواق »

### بين الواقع والاسطورة

يعتقد الكثيرون ان بلاد « واق الواق » بلاد اسطورية ، وانه لا يمكن الوصول اليها الا على « بساط الريح » أو بواسطة « خاتم سليمان » أو « الرخ » كما ورد في قصص الف ليلة وليلة ولا شك أن لثقل هذه القصص أكبر الاثر في انتشار ذلك الاعتقاد ، وطمس حقيقة واق الواق ، الحقيقة هي ان « واق الواق » اسم أطلقه العرب على بلد من البلاد التي ظلوا زارها التجار والبحارة العرب على الساحل الشرقي من آسيا في شمال الصين ، وهذا هو رأي المستشرق الفرنسي « فرانس » والمستشرق السوفيتي « كراتشكوفسكي » وهناك بعض المستشرقين يؤكدون ان البلد الاسيوي الذي سماه العرب « واق الواق » هو جزر اليابان ويقول بذلك الرأي المستشرق البريطاني كرامرز .

كما يشير أيضا الى ان العرب قد أطلقوا اسم « واق الواق » على جزيرة مدغشقر في القارة الافريقية ، ولعل في خريطة الادريسي ما يدعم هذا الرأي ولعل الطابع الخرافي الذي ارتبط باسم « واق الواق » هو الذي دفع بعض الجغرافيين العرب الذين سلموا بوجود تلك البلاد الى وصفها وصفا خرافيا ومن هؤلاء محمد بن أبي بكر الزهدي الذي تحدث عنه « كراتشكوفسكي » فقال : « ويبدو من كتاباته في الجغرافية الفلكية ميل واضح الى جميع انواع العجائب وهو في هذا الصدد يحدثنا عن اسطورة الشجرة المسحورة الموجودة بجزائر « واق الواق » التي تثمر كل عام نساء بدلا من الفاكهة .

نجيب عبدالعزيز الاصبحي  
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية  
محافظة عدن - ثانوية هبوع



الاخ الكريم معتر نديم الاسعد - سوريا - ادلب - قرية النيرب .  
نعتز بصداقتك للمجلة ، وباهتمامك بما يشر فيها ، انت واصدقائك ، وفي انتظار ملاحظاتك وحوارك معنا . .



الاخ العزيز احمد حمزة خضر - كفر الدوار - محافظة البحيرة - ملاحظاتك عن النقد جيدة ، وندمى ان نجد فيما تقدمه العربي من فصول النقد الادبي ما يحقق ما تتطلع اليه من نقد موضوعي هادف وبناء .



الى الاخ جهاد وشاح - حمص - سوريا  
مشاكلك الثلاث هي اعراض متعددة لمشكلة واحدة هي عدم الثقة بالنفس ورحلتك للوصول الى هذه الثقة يجب ان تبدأ بأنفسك . . ان تبدأ بمحاولة صادقة لاجادة شيء ما من هذه الاشياء التي تحبها ، قد يكون الشعر الذي تحب كتابته ، قد يكون الدروس التي تدرسها ، قد يكون هواية او مجرد عمل يدوي ، ان مثل هذا النجاح المبني هو افضل ما يقدمك للآخرين متغلبا على حجبك وأوهامك ، حائزا لثقتهم وتقديرهم ، فلفه العمل الناجح يفهمها ويقدرها جميع الناس ، وتقدير الآخرين سوف يدعم ثقتك بنفسك ، فتزداد قدرة على الانجاز الجيد ، وهكذا تستمر هوة النجاح . المهم ان تثابر والا تضخم ما تسميه عقبات ، وان تتجنب العزلة التي هي اخطر ما يهددك في هذه المرحلة من عمرك .



# مکتبہ اسلامیہ عربیہ اسلامیہ

مکتبہ اسلامیہ عربیہ اسلامیہ

تعمید و تدارک مکتبہ

مکتبہ اسلامیہ عربیہ اسلامیہ

مکتبہ اسلامیہ عربیہ اسلامیہ



اول اکتوبر ۱۹۸۵ء

۱۹۲

## أبو فوق الثلث أبو زوهاً مخدوعاً

تأليف : الفريد جاري - ۲

ترجمة وتقديم : د. حمادة إبراهيم

مراجعة : د. سامية اسعد

أكتوبر ١٩٨٥ م

# النظام الإعلامي الجديد

تأليف: د. مصطفى الصمودي

٥٠٠  
فلس

الكتاب الرابع والتسعون

المراسلات :

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

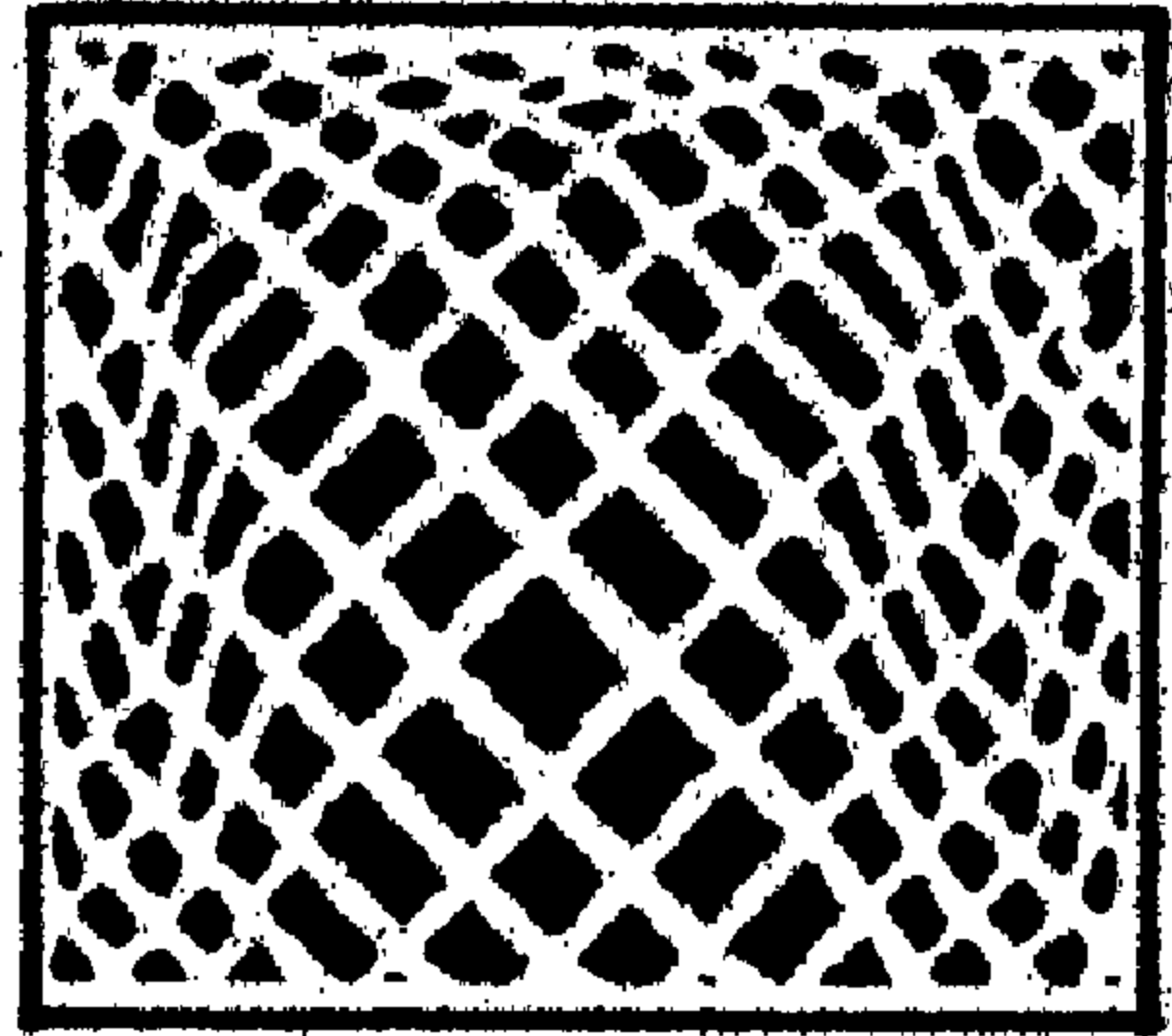


# عالم الفكر



تصدر عن وزارة الإعلام / ص ب ١٩٣ الكويت ت ٤٢٧١٤١

## مجلة خاصة المشتغلين في الوطن العربي



■ فصلية تعنى بنشر

الدراسات والبحوث الجادة في مختلف فروع المعرفة

مستشار التحرير  
دكتور أحمد البوزيد

رئيس التحرير  
أحمد شاري العدواني

\*\*\*\*\*

## مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في  
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

مدير التحرير

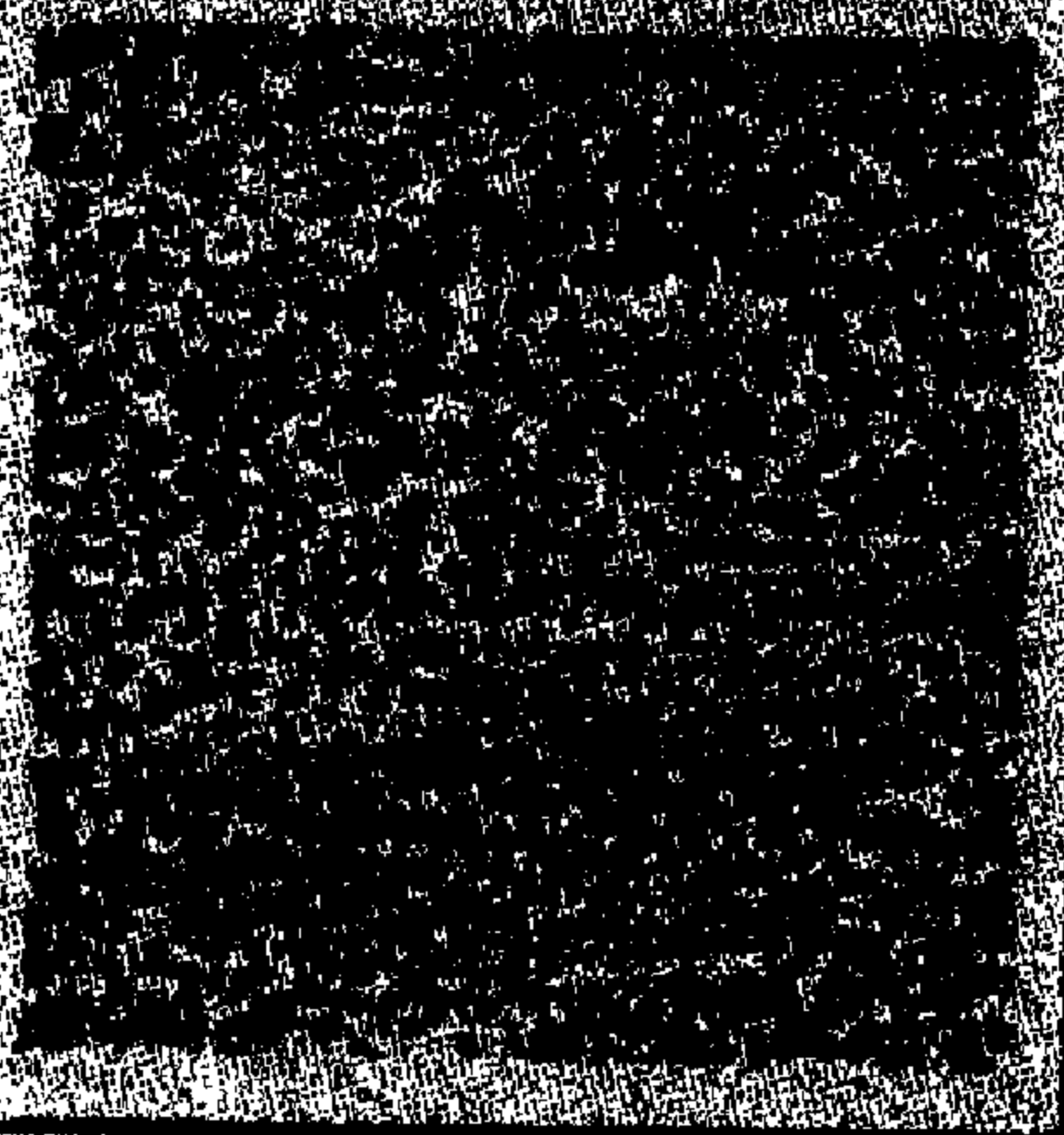
رئيس التحرير

د. فهدون حسن النقيب    عبد الرحمن فايز المصري

□ منير بارز للأكاد يمين العرب

□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

# المجلة العربية لعلوم الإنسانية



تصدر عن جامعة الكويت  
فصلية • محكمة  
تقدم البحوث الأصلية والدراسات الميدانية  
والتطبيقية في شتى فروع العلوم الإنسانية  
والاجتماعية باللغتين العربية والانجليزية

رئيس التحرير  
د. عبد الله العتيبي  
مدير التحرير  
آمال بدر الفربلي

جميع المراسلات توجه إلى رئيس التحرير  
العنوان : ص.ب ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت  
هاتف : ٨٢١٦٣٩ - ٨١٥٤٥٣  
تلكس : ٢٢٦١٦ KUNIVER

\*\*\*\*\*

## مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير

صدر العدد الأول في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥  
الدكتور عبد العزيز الخضير  
تصل أعدادها إلى أبدي نحو ٢٠٠,٠٠٠ قارئ

مجله علمية محكمة  
ويحتوي كل عدد على مجموعة من البحوث والدراسات والتعليق المتعلقة بمنطقة  
الخليج والجزيرة العربية وأفلام نخبية من كبار الكُتّاب المتخصصين في هذه الشؤون . وتقوم  
المجلة أيضا بتصدار مجموعة من الكتب العلمية المختصة بالمنطقة ، مع كتاب سنوي ينضم  
تحتا للوقائع والتعليق المتعلقة بشؤون المنطقة خلال تلك السنة .

الاشتراكات  
من العدد : ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج .  
الاشتراك للأفراد : سنويا دينار كويتي أو ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج ( بالبريد الجوي )  
الاشتراك للمؤسسات والوزائر الرسمية : سنويا ١٢ دينار كويتي أو ٤٠ دولارا أمريكيا في  
الخارج ( بالبريد الجوي ) .

المصدر : مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية  
جميع الحقوق محفوظة

# تجميد سريع . مع نظام Toshiba للتبريد المباشر .



**DIRECT  
COOL**

GR 1205

GR 1005

GR 1205

سعة كبيرة ، مبراد / تبريد مباشر مع نظام  
تبريد مباشر للعائلات الكبيرة  
• موفر للطاقة • تبريد كبير • مصباح لإغلاق التراد والتبريد  
• إزالة أوتوماتيكية للجليد (التبريد فقط)

GR 1005

سعة كبيرة ، مبراد / تبريد مباشر مع نظام  
تبريد مباشر  
• موفر للطاقة • تبريد كبير • رله • قلوب سلكية كاملة للجليد  
• وحدة تصفية مياه للشاي • لوحة مصبديه • مستوى  
حلمي مسطح عملي

## نظافة مستمرة . مع غسالة Toshiba الكبيرة جدًا .

**Swing  
NEW**

VH 1300

غسالة بحومين

• مابين كبير لقوة غسل كبر • نظام فلتر دائري  
فعال للنسالة • محرك دوار موفر للماء والوقت

VH 3300

غسالة بحومين

• سعة كبيرة لكمية غسل أكبر • مابين كبير لقوة أكبر  
• محرك دوار موفر للماء والوقت

VH S450

غسالة أوتوماتيكية بحومين

• سعة كبيرة جدًا • مابين SWING مع تشابك وإغلاق  
الثابت ولتأمين تنظيف أفضل • محرك دوار  
موفر للماء والوقت

# TOSHIBA















